

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

كتاب
عَلَمُ الْأَدَبِ

مقالات

لِمَشَاهِيرِ الْعَرَبِ

على الحل الثاني

١٩٥٥٥٥

عَلَمُ الْأَدَبِ

جمع الابن لويس شيخو اليسوعي

حق الطبع محفوظ للطباعة

• في مطبعة الاباء المرسلين اليسو

بيروت سنة ١٨٨٩

كتاب

عليه السلام

مقالات

لمشاهير العرب

على الجزء الثاني

من

عليه السلام

جمع الاب لويس شنجو اليسوعي



حق الطبع محفوظ للمطبعة

طبع في مطبعة الاب الرسالين اليسوعيين

بيروت سنة ١٨٨٩

مفاتيح

لبعض مشاهير كتاب العرب

في الخطابة والشعر

القسم الأول

في علم الخطابة

الفصل الاول

في تعريف الخطابة واقسامها ومنافعها

البحث الاول

في تحديد الخطابة وما تشتمل عليه بوجه الاجمال

(عن كتابات ابي البقاء ومقدمة ابن خلدون ورسائل ابن سينا)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

الخطابة في اللغة كالخطاب وهي الكلمة أو اللفظ المتواضع
عليه المقصود به إفهام من هو متعني لفهيه وهو يطلق على الكلام
النفسي الموجه نحو التفسير للإفهام. وعند الحكماء الخطابة هي
القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن

يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَلَالَةِ. وَلَمَّا ظَهَرَ أَرَسَطُو فِي يُونَانَ وَهَذَبَ
مَبَاحِثَ الْمُنْطِقِ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصُولَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ
وَفَاتَحَتَهَا جَعَلَ الْخُطَابَةَ أَحَدَ أَقْسَامِهَا الثَّانِيَةِ. وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ تَشْتَمِلُ
عَلَى ثَمَانِيَةِ كُتُبٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَهِيَ كُتُبُ الْمُقُولَاتِ
وَالْعِبَارَةِ وَالْقِيَاسِ وَالْبُرْهَانِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَهِيَ كُتُبُ الْجَدَلِ
وَالسَّفْطَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْأَطَالِبَ التَّصَدِيقِيَّةَ عَلَى
أَنْحَاءٍ فَنَهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينَ بَطْنِيَّةً وَهُوَ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ
الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الظَّنُّ وَهَذَا
تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْأُخْرَى. وَفِيهَا تَدْخُلُ الْخُطَابَةُ.
وَتُرِجِمَتْ كُلُّهَا فِي الْإِلَهِ الْأِسْلَامِيَّةِ وَكُتِبَتْهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلَا يَسْقُطُ الْإِسْلَامُ
بِالشَّرْحِ وَالْتَّحْقِصِ كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا ثُمَّ ابْنُ رَشْدِينَ فَلَا يَسْقُطُ
الْأَنْدَلُسُ. وَلِأَبْنِ سِينَا كِتَابُ الْإِقْفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ
كُلُّهَا. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمُنْطِقِ وَحَصَرُوا مُطَالَبَهُ فِي
كُتُبِ خَمْسَةِ الْبُرْهَانِ وَالْجَدَلِ وَالْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ وَالسَّفْطَةِ وَرَبَّمَا يُلَمُّ
بَعْضُهُمْ بِأَلْسِنَةٍ مِنْهَا إِنْ لَمَّا وَانْفَلَوْهَا كَانَ لَمْ تَكُنْ هِيَ أَلْسِنَةُ الْعَتِيدِ
فِي الْفَنِّ. وَأَمَّا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كِتَابُ الْخُطَابَةِ فَهُوَ تَعْرِيفُ الْمَقَالِييسِ
الْخُطَابِيَّةِ الْبَلَاغِيَّةِ النَّافِعَةِ فِي مُحَاطَاتِ الْجُمْهُورِ عَلَى سَبِيلِ الْمَشَاوَرَاتِ
وَالْمُخَاصَمَاتِ فِي الْمَشَاجِرَاتِ أَوْ الْمَذَحِّ أَوْ الذَّمِّ أَوْ الْحِيلِ النَّافِعَةِ فِي
الِاسْتِعْطَافِ وَالِاسْتِمَاتَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَتَضْعِيفِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ وَوُجُوهُ
الْمَعَاذِيرِ وَالْمُعَاتَبَاتِ وَوُجُوهُ تَرْتِيبِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِصَّةٍ وَخُطْبَةٍ

البحث الثاني

في تعريف الخطابة وموضوعها

(من تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(راجع صفحة ٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

(قَالَ) الْخُطَابَةُ هِيَ قُوَّةٌ تَكَلِّفُ الْإِقْنَاعَ الْمُسْكِنَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ . وَنَعْنِي (بِالْقُوَّةِ) الصَّنَاعَةُ الَّتِي تَفْعَلُ فِي الْمُتَقَابِلِينَ . وَلَيْسَ تَتَّبِعُ غَايَتَهَا فَعْلَهَا ضَرُورَةً . وَنَعْنِي (بِالتَّكَلُّفِ) أَي تَبْذُلُ بَجْهَدِهَا فِي اسْتِقْصَاءِ فِعْلِ الْإِقْنَاعِ الْمُسْكِنِ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْقَوْلُ وَذَلِكَ يَكُونُ غَايَةً مَا يُمَكِّنُ فِيهِ . وَنَعْنِي بِقَوْلِهِ : (فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ) أَي فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَقُولَةٍ مِنَ الْمَقُولَاتِ الْعَشْرِ (١) . وَهَذَا هُوَ الْفَصْلُ الَّذِي تَفْصِلُ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ عَنْ سَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهَا قَدْ تُنْفَعُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَنْظَرُ فِيهَا . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ إِنَّمَا هِيَ مُعَلِّمَةٌ أَيْ مُبْرِهِنَةٌ وَمُثَبِّتَةٌ فِي الْجَنْسِ الَّذِي تَنْظَرُ فِيهِ لَا فِي جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الطَّبَّ إِنَّمَا يُعَلِّمُ عَلَى طَرِيقِ

(١) المقولة لفظة المفعول من القول والثاء للبالغة بمعنى الملقوظ وهي في اصطلاح الحكماء ما جاء عنه القول وأبرز فيه الحكم من الاجناس العالية المجردة من الحسوسات التي ليس فوقها جنس . والمقولات عشر : الجوهر والكم والكيف والاضافة والفعل والاتفعال (ويقال لهما بفعل وينفعل) والزمان والمكان (ويقال لهما متى واين) والهيئة والوضع (ويقال لهما ان يكون له والموضوع)

البرهان ويُقنع في الصحة والمرض وفي أنواعهما . وكذلك الهندسة
إنما تعلم على طريق البرهان وعلى طريق الإقناع في الأعظام
والأشكال التي توجد في الأجسام . وأما الخطابة فهي تتكلف
الإقناع في جميع الأشياء في أي مقولة كانت وأي جنس كان ولذلك
ليس تُنسب إلى جنس خاص .

البحث الثالث

في المناسبة الموجودة بين الجدل والخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطليس لابن رشد)

(قَالَ) إِنَّ صِنَاعَةَ الْخُطَابَةِ تُنَاسِبُ صِنَاعَةَ الْجَدَلِ . وَذَلِكَ أَنَّ
كِلَيْهِمَا يَوْمَانُ غَايَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ مُحَاطَةُ الْغَيْرِ إِذْ كَانَتْ هَاتَانِ
الصِّنَاعَتَانِ لَيْسَ يَسْتَعْمِلُهُمَا الْإِنْسَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ كَالْحَالِ فِي
صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ بَلْ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُمَا مَعَ الْغَيْرِ وَتَشْتَرِكَانِ بِنَحْوِ مِنْ
الْأَنْحَاءِ فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ إِذْ كَانَ كِلَاهُمَا يَتَعَالَى النَّظَرُ فِي جَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ وَيُوجَدُ اسْتِعْمَالُهُمَا مُشْتَرَكًا لِجَمِيعِ أَغْنِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
يَسْتَعْمِلُ بِالطَّبَعِ الْأَقَاوِيلَ الْجَدِيَّةَ وَالْأَقَاوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ . وَلَئِنْ كَانَ
ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ وَنَهْمَا عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ مُفْرَدًا بِذَاتِهِ
وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلُومَ لَهَا مَوْضُوعَاتٌ خَاصَّةٌ وَيَسْتَعْمِلُهَا أَصَافٌ مِنَ النَّاسِ
خَاصَّةٌ . وَلَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أَنْ هَذَيْنِ (أَيِ الْخُطَابَةِ وَالْجَدَلِ) يُنْظَرَانِ
فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ تَنْظَرُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ فَقَدْ

تُوجَدُ جَمِيعُ الْعُلُومِ مُشَارِكَةً لَهَا بِتَحْوِي مَا . وَإِذَا صَعَّاتُ هَاتَانِ
الْصِّنَاعَتَانِ مُشْتَرَكَيْنِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِيهِمَا لِصِنَاعَةٍ
وَاحِدَةٍ وَهِيَ صِنَاعَةُ الْمُنْطِقِ

المبحث الرابع

في ان الخطابة تنحصر في التصديق اكثر منها للتأثير

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَرَأَى مَنْ رَأَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي
التَّصْدِيقِ فِي تَثْبِيتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُرَادُ تَثْبِيتُهَا بِطَرِيقِ الْخُطَابَةِ هُوَ
الْصَّوَابُ . وَخَلِيقُ إِنْ اسْتَعْمَلَ أَحَدُ هَذَا الْقَانُونِ أَنْ يَكُونَ
بِاسْتِعْمَالِهِ بَصِيرًا فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ لَيْسَ أَدْبَارًا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْأُمُورَ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ لَيْسَ لَهَا كَبِيرُ جَدْوَى فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَنَّ
الَّذِي يَرُومُ أَنْ يُثْبِتَ شَيْئًا بَيْنَ يَدَيِ الْحُكَّامِ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يُثْبِتَ
أَنَّ الشَّيْءَ مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ فَقَطْ أَعْنِي أَنَّهُ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ .
وَذَلِكَ إِذَا احْتَدَّ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الشَّكُّ
عَظِيمٌ أَوْ يَسِيرٌ وَأَنَّهُ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ . وَإِمَّا أَنْ يُثْبِتَ الْأَمْرَيْنِ وَذَلِكَ
إِذَا لَمْ يُتَّخَذِ الشَّرِيعَةُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الشَّكُّ . فَأَمَّا اسْتِعْمَالُ
الْإِنْفِعَالَاتِ فِي تَثْبِيتِ أَنَّ الْأَمْرَ جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ فَقَدْ يُمَكِّنُ . وَذَلِكَ
أَنَّ الْإِنْفِعَالَ بِالرَّحْمَةِ أَوْ بِالْبَغْضَةِ إِنَّمَا يَكُونُ لَشَيْءٍ جُزْئِيٍّ وَالْعَدْلُ

وَأَجُورُ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَأَمَّا اسْتِعْمَالُهَا فِي أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
فَلَهُ فِي ذَلِكَ تَأْثِيرٌ لِكَيْلَا يَكُنَّ لَيْسَ يُوجِبُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
بِالذَّاتِ بَلْ إِنَّمَا يُمِيلُ الْحُكَّامَ إِلَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُ صَدَقَ فِيمَا ادَّعَى
أَوْ لَمْ يَصْدُقْ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْدُثَ لِلْحَاكِمِ أَوْ الْمُنَاطِرِ بِذَلِكَ تَصَدِيقٌ
زَائِدٌ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ

(قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ السُّنَنُ هِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ أَنَّ الْأَمْرَ
جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ وَتُقَوِّضُ أَنَّ الْأَمْرَ وَجِدَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ
يُوجِدْ إِلَى الْحُكَّامِ. وَيُالْجِئُ قَتَقُوضُ إِلَيْهِمُ الْأُمُورَ الْيَسِيرَةَ وَذَلِكَ
لِثَنَيْنِ: (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ قَلَّ مَا يُوجِدُ حَاصِلُكُمْ يَغْتَدِرُ أَنْ يُمَيِّزَ الْأُمُورَ
عَلَى كُنْهٍا فَيَضَعُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَوْرٌ وَهَذَا عَدْلٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِنْ
الزَّمَانِ وَاصْطَرَّ الْحُكَّامُ التَّوَجُّدِينَ فِي الْمَدَنَةِ لَيْسَ لَهُمْ هَذِهِ
الْقُدْرَةُ. (وَالثَّانِي) فَلَا نَ الْوُقُوفَ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
يَحْتَاجُ فِيهِ وَاضِعُ السُّنَنِ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ فِي الزَّمَانِ
الْيَسِيرِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّنَاطُرُ فِي الشَّيْءِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُكَّامِ فَلَيْسَ كَانِ
هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَضَعُ أَنْ يُقَوِّضَ إِلَى الْحُكَّامِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَدْلٌ
أَوْ جَوْرٌ تَأْنِيعٌ أَوْ صَادٌّ بَلْ إِنَّمَا يُقَوِّضُ إِلَيْهِمُ أَنَّ الْأَمْرَ وَقَعَ مِنْ
هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ يَقَعْ وَذَلِكَ لِإِيَّانِهِ وَلِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ
يَضَعَهُ صَاحِبُ السُّنَنِ



البحث الخامس

في فوائد علم الخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٧ من الجزء الثاني من علم الادب) -

(قَالَ) وَلِلْخُطَابَةِ مَقْعَتَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَحْتِجَّ الْخُطِيبُ الْمَدِينِينَ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِالطَّبَعِ يَمِيلُونَ إِلَى ضِدِّ الْفَضَائِلِ
الْعَادَةِ فَإِذَا لَمْ يَضْبُطُوا بِالْأَقَاوِيلِ الْخُطِيبِيَّةِ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ أَعْدَادُ الْأَفْعَالِ
الْعَادَةِ . وَذَلِكَ شَيْءٌ مَذْمُومٌ يَسْتَحِقُّ فَاعِلُهُ التَّأْيِيبَ وَالتَّوْبِيخَ أَعْنِي
الَّذِي يَمِيلُ إِلَى ضِدِّ الْأَفْعَالِ الْعَادَةِ أَوِ الْمَذْذُورِ الَّذِي لَا يَضْبُطُ
الْمَدِينِينَ بِالْأَقَاوِيلِ الْخُطِيبِيَّةِ عَلَى الْفَضَائِلِ الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ فَضَائِلُ
بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَعْنِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَشَارِكَةِ فِي أَيْ شَيْءٍ
كَانَتْ الشَّرِكَةُ لَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ . (وَالْمَنْفَعَةُ الثَّانِيَةُ) أَنَّهُ لَيْسَ
كُلُّ صِنْفٍ مِنَ أَصْنَافِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَعَهُمُ الْبَرَهَانُ
فِي الْأَشْيَاءِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ مِنْهُمْ اعْتِقَادُهَا . وَذَلِكَ إِمَّا لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ قَدْ نَشَأَ عَلَى مَشْهُورَاتٍ تَحَالَفُ الْحَقَّ فَإِذَا سَلَكَ بِهِ نَحْوَ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا سَهْلَ اقْتِنَاعِهِ . وَإِمَّا لِأَنَّ فِطْرَتَهُ لَيْسَتْ مُعَدَّةً
لِقَبُولِ الْكُذْبَانِ أَصْلًا . وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بَيَانُهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ
أَيْسَرَ الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ وَفُورَ التَّصَدِيقِ فِيهِ . فَلِهَذَا قَدْ نَفْطَرُ إِلَى أَنْ
نُحْصِلَ التَّصَدِيقَ بِالْقَدَمَاتِ الشَّرِكَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخُطَّابِ أَعْنِي

بِالتَّحْصُودَاتِ. وَهَذِهِ الْمُنْفَعَةُ تُشَارِكُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فِيهَا صِنَاعَةُ الْجَدَلِ
 كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ. وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ يُمَكِّنُهَا الْإِقْتِنَاعُ فِي
 الْمُتَضَادِّينَ جَمِيعًا كَمَا يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي الْقِيَاسِ الْجَدَلِيِّ. وَذَلِكَ أَنَّا
 قَدْ نَشِغُ فِي الْجَانِبِ أَنَّهُ أَسَاءٌ وَأَنَّهُ لَمْ يُسَيِّ وَلَسْتُ أَعْنِي أَنَّا نَفْعُلُ
 الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فِي وَاقِعٍ وَاحِدٍ بَلْ نَفْعُلُ هَذَا فِي وَقْتٍ وَهَذَا فِي وَقْتٍ
 بِحَسَبِ الْإِنْفَعِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الشَّيْءُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ
 وَضِدَّهُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ آخَرَ. وَآيضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي
 تُتَبَتُّ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ عِدَدًا عَتِيدَةً وَسَمِعْنَا مُتَكَلِّمًا قَدْ اقْتَضَى فِي
 الْقَصْدِ الَّذِي لَيْسَ بِعَدَلٍ أَمْكَنَّا بِهِذِهِ الْقُوَّةُ أَنْ تُقَضَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
 قَهْرًا كَانِ الْمُنْفَعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْقُدْرَةِ الَّتِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى
 الْإِقْتِنَاعِ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّنَائِعِ الْقِيَاسِيَّةِ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ هُمَا
 مُهَيَّاتَانِ بِالطَّبَعِ وَعَلَى السَّوَاءِ لِلْإِقْتِنَاعِ فِي كِلَا الْمُتَقَابِلَيْنِ. أَعْنِي أَنَّهُ
 لَيْسَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا تُوجَدُ أَشَدَّ اسْتِعْدَادًا لِلْإِقْتِنَاعِ فِي أَحَدِ الْمُتَقَابِلَيْنِ
 مِنْهَا فِي الْآخَرِ بَلْ الْإِسْتِعْدَادُ الْمَوْجُودُ فِيهَا عَلَى الْإِقْتِنَاعِ فِي الْمُتَقَابِلَيْنِ
 هُوَ عَلَى السَّوَاءِ. قَامَا الْأَشْيَاءُ الْمَوْضُوعَةُ لِهَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ أَعْنِي الْأَشْيَاءَ
 الَّتِي فِيهَا تُنْفَعُ فَلَيْسَ اسْتِعْدَادُهَا يَقْبُولُ الْإِقْتِنَاعَ عَلَى السَّوَاءِ لَكِنْ
 إِذَا كَانَتْ الْأُمُورُ الَّتِي تُنْفَعُ فِيهَا صَادِقَةً كَانَتْ الْأَقَابِلُ الْخَطِيئَةُ
 وَالْجَدَلِيَّةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَفْضَلُ وَأَبْلَغُ... فَقَدْ اسْتَبَانَ مِنْ هَذَا
 أَنَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ لَيْسَ تَنْظُرُ فِي أَحَدِ الْمُتَقَابِلَيْنِ وَلَكِنَّهَا تَنْظُرُ
 فِيهِمَا عَلَى السَّوَاءِ كَالْحَالِ فِي الْجَدَلِ وَأَنَّهَا نَافِعَةٌ لِهَذَا جِدًّا. وَلَيْسَ سَمْعُ

هَذِهِ الصَّاعَةُ أَنْ تُتَّبَعَ وَلَا بُدَّ ، أَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبِعُ فِعْلَهَا إِلَّا اقْتِاعُ
 ضَرُورَةٍ كَمَا يَتَّبِعُ فِعْلُ التَّجَارِ وَجُودُ الْكُرْبِيِّ ضَرُورَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 هُنَاكَ عَاقِبٌ مِنْ خَارِجٍ بَلْ عَمَلُهَا هُوَ أَنْ تُعَرَفَ جَمِيعُ الْمُتَعَمِّاتِ فِي الشَّيْءِ
 وَتَأْتِي بِهَا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ وَلَنْ لَمْ يَقَعِ اقْتِاعُ . وَأَحْسَالُ فِيهَا فِي هَذَا
 الْمَعْنَى كَالْحَالِ فِي صِنَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ صِنَاعَةِ الطَّبِّ فَلَئِنَّ لَيْسَ فِعْلُهَا
 الْأَبْرَاءُ وَلَا بُدَّ . بَلْ إِنَّمَا فِعْلُهَا أَنْ تَبْلُغَ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الشَّيْءِ الْمُسْكِنِ
 فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الْقَصُودُ بِالْأَبْرَاءِ . وَلِذَلِكَ قَدْ يُشَارِكُ فِي أَعْمَالِ
 هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا مِثْلَ أَنْ يُرَى مَنْ لَيْسَ بِطَبِيبٍ
 وَيَتَّبِعُ مَنْ لَيْسَ بِمُحْطَبٍ لَكِنْ الْفِعْلُ الْحَقِيقِيُّ إِنَّمَا هُوَ لِصَاحِبِ
 الصَّنَاعَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْغَايَةَ تَتَّبِعُ فِعْلَ هَذَا عَلَى الْأَكْثَرِ وَذَلِكَ عَلَى
 الْأَقَلِّ . وَكَأَنَّ فِي الْجَدَلِ مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ
 وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ وَهُوَ الْقِيَاسُ السُّوفِسْطَائِيُّ كَذَلِكَ فِي الْأَقَاوِيلِ الْمُتَعَمِّاتِ
 الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا هُوَ مُتَعَمِّمٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُتَعَمِّمٌ مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ . لَكِنْ لَمَّا كَانَ السُّوفِسْطَائِيُّ لَيْسَ إِنَّمَا يَكُونُ
 سُوفِسْطَائِيًّا مِنْ قِبَلِ الْقُوَّةِ وَالْمَلَكَةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْأَقَاوِيلَ
 السُّوفِسْطَائِيَّةَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ سُوفِسْطَائِيٌّ مِنْ قِبَلِ مَا يَقْصِدُهُ بِتِلْكَ
 الْأَقَاوِيلِ مِنَ الصَّكْرَةِ وَالْخَيْرَاتِ الْخَارِجَةِ وَذَلِكَ لِإِيْهَامِهِ أَنَّهُ
 حَكِيمٌ وَكَأَنَّ الْجَدْلِيَّ إِنَّمَا هُوَ جَدْلِيٌّ بِالْمَلَكَةِ الْخَاصَّةِ لَهُ عَنِ الصَّنَاعَةِ
 فَيَأْتِيهِ لَمْ تَكُنْ الْأَقَاوِيلُ السُّوفِسْطَائِيَّةُ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الْجَدْلِ
 أَعْنِي الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مَقَابِيِسُ جَدْلِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ جَدْلِيَّةٌ

إِذَا اسْتَعْمَلْتَ نَحْوَ هَذِهِ الْغَايَةِ . وَأَمَّا إِذَا اسْتَعْمَلْتَ عَلَى طَرِيقِ
الْإِمْتِحَانِ فَمَعْنَى جُزْءِهَا . وَأَمَّا الْخَطِيبُ فَلَمَّا كَانَ خَطِيبًا مِنْ أَجْلِ
الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ رِشْلِ الْكَرَامَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَنَ سَانِ
الْخِيَرَاتِ أَوْ مِنْ قِبَلِ مَلَكَةٍ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي
يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعِمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُنْعِمَةٍ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . لِأَنَّ
الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ قَدْ يَكُونُ بِعَيْنِهِ مَقْصُودَ
السُّوفِسْطَائِيِّ . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ
الصَّنَاعَةِ مِنَ الَّذِي يُرَادُ اقْتِنَاعُهُ إِنَّمَا هُوَ الْفِعْلُ أَوْ الْإِنْفِعَالُ فَإِذَا
حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ حُصُولُهُ عَنْ أَقَاوِيلٍ هِيَ
مُنْعِمَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ عَنْ أَقَاوِيلٍ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعِمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُنْعِمَةٍ .
فَإِنْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمُخَاطَبِ أَوْ الْإِنْفِعَالُ خَيْرًا مَا
لَهُ لَا لِلْخَطِيبِ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعِمَةٌ وَلَيْسَتْ
بِمُنْعِمَةٍ دَاخِلَةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِالْجِهَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ
الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا جَدَلِيَّةٌ إِذْ لَمْ يُقْصَدْ بِهَا مَقْصَدُ السَّفْسَطَةِ .
وَلِنْ كَانَ مَقْصَدُ الْخَطِيبِ خَيْرًا يَبَالُغُهُ مِنَ الْخِيَرَاتِ الَّتِي يَقْصِدُهَا
السُّوفِسْطَائِيُّونَ كَانَ الْقَوْلُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُنْعِمٌ وَلَيْسَ بِمُنْعِمٍ
مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ سُوفِسْطَائِيٌّ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِذْ قَدْ يُشَارِكُ
الْخَطِيبُ السُّوفِسْطَائِيُّ فِي غَايَتِهِ . فَلِذَلِكَ قَدْ تَدْخُلُ الْأَقَاوِيلُ
السُّوفِسْطَائِيَّةُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَا تَدْخُلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ



البحث السادس

في ان الخطابة صناعة اصلها في طبع الانسان

(من تلخيص كتاب خطابة ارسطاطليس لابن رشد)

(راجع صفحة ٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يُوجَدُ مُسْتَعْمِلًا لِحُجْرٍ مَا مِنْ أَمْحَاءِ السَّلَاحَةِ
وَمُنْتَهَى مِنْهَا إِلَى مِقْدَارٍ مَا وَذَلِكَ فِي صَنْفِي الْأَقَاوِيلِ الَّذِينَ أَحَدُهُمَا
الْمُخَاطَرَةُ وَالْثَانِي التَّعْلِيمُ وَالْإِرْشَادُ . وَكَثُرَ ذَلِكَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ
الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ الصِّاعَةِ وَهِيَ مِثْلُ الشِّكَايَةِ وَالْإِعْتِدَارِ وَسَائِرِ الْأَقَاوِيلِ
الَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخُزْنِيَّةِ . وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَتْلِفُونَ مَقْصُودَهُمْ
بِهَذَا الْفِعْلِ . فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِإِلَافَتَقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُهُ
بِالْإِعْتِيَادِ وَمِلْكَةٍ ثَابِتَةٍ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الصِّاعَةَ
بِمِلْكَةٍ ثَابِتَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُهَا بِإِلَافَتَقٍ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَالَّذِي يَفْعَلُهَا بِمِلْكَةٍ ثَابِتَةٍ وَعِلْمٍ بِالسَّبَبِ الَّذِي بِهِ يَفْعَلُ
فِعْلَهُ يَكُونُ أَمَّ وَأَفْضَلَ . وَهَذَا أَسْرَفُهُ الْجُمْهُورُ فَضْلًا عَنْ
الْخَوَاصِّ . وَلِذَلِكَ كَانَ وَاجِبًا أَنْ تُثَبَّتَ أَجْزَاءُ هَذِهِ الصِّاعَةِ فِي
كِتَابٍ وَلَا يُقْتَصَرُ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنْ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ فَقَطُّ وَلَا بِالْإِعْتِيَادِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الصَّنَائِعِ الْقِيَّاسِيَّةِ



الفصل الثاني

في بلاغة الخطيب

البحث الاول

في تعريف البلاغة الجديرة بالخطيب

(عن كتاب الصنائع باختصار)

قَالَ مَعْمَرُ أَبُو الْأَشْعَثِ قُلْتُ لِبَنَةِ الْهِنْدِيِّ أَيَّامَ أَجْتَلَبَ يَحْيَى
 ابْنُ خَالِدٍ أَطِبَّاءَ الْهِنْدِ : مَا الْبَلَاغَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْهِنْدِ . قَالَ بَنَةُ :
 عَمْدَانَا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةٌ مَكْتُوبَةٌ وَلَكِنِّي لَا أُحْسِنُ تَرْجُمَتَهَا وَلَمْ
 أَعْلَجْ هَذِهِ الصِّاعَةَ فَأَتَى مِنْ نَفْسِي بِالْقِيَامِ بِمُحَاضَرَتِهَا وَلَطِيفِ
 مَعَانِيهَا . (قَالَ أَبُو الْأَشْعَثِ) قَتَلْتِ تِلْكَ الصَّحِيفَةَ الْمُرْجَمَةَ فَإِذَا
 فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ
 رَاطِبًا لِحَاشٍ سَاكِنٍ الْجَوَارِحِ مُتَحَرِّيًا لِلْفُظْ لَا يُكَلِّمُهُ سَيِّدَ الْأَمَةِ
 بِكَلَامِ الْأَمَةِ وَالْمُلُوكِ بِكَلَامِ السُّوْقَةِ وَيَكُونُ فِي كَلَامِهِ اتَّصَرُّفٌ فِي
 كُلِّ طَبَقَةٍ وَلَا يُدْفِقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ وَلَا يُنْفِجُ إِلَّا لَفَاطٍ كُلَّ التَّشْبِيحِ
 وَيُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ وَيَهْدِيهَا كُلَّ التَّهْدِيدِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى
 يُصَادَفَ حَكِيمًا وَفَيْلسُوفًا عَظِيمًا . وَمَنْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ
 وَاسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَافِ وَنَظَرَ فِي صِنَاعَةِ النُّطْقِ عَلَى جِهَةِ

الصَّنَاعَةُ وَالْبَالِغَةُ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَعْرَاضِ (١) وَالشَّعْخُ وَلَا عَلَى
وَجْهِ الْأَسْتَظْرَافِ وَالْتَّظَرُفِ (٢) لَهَا . (قَالَ) وَأَعْلَمُ أَنَّ حَقَّ الْغَنَى
أَنْ يَكُونَ الْأَنْفُ لَهُ طَبَقًا وَتِلْكَ الْحَالُ وَفَقًا وَلَا يَكُونَ الْأَنْفُ
فَاضِلًا وَلَا مُقْصِرًا وَلَا مُشْتَرَكًا وَلَا مُضَنَّيًا وَيَكُونُ تَصَحُّهُ لِمَصَادِرِ
كَلَامِهِ بِقَدَرِ تَصَحُّهِ لِوَادِدِهِ وَيَكُونُ لَفْظُهُ مُؤْنَقًا وَمَعْنَاهُ نَبِيْرًا
وَاضِحًا وَمَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى إِفْهَامِ كُلِّ قَوْمٍ بِقَدَرِ طَائِفِهِمْ وَالْحُسْلُ
عَلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ (٣) مَنَازِلِهِمْ وَأَنْ تُؤَايَةِ اللَّهُ وَيَتَصَرَّفَ مَعَهُ أَدَاتُهُ
وَيَكُونَ فِي الشَّيْءِ لِنَفْسِهِ مُعْتَدِلًا وَفِي حُسْنِ الظَّنِّ أَوْدَعَهَا تَهَاوُنَ
الْأَمِينِ وَإِنْ تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَقِّ فِي الشَّيْءِ ظَلَمَهَا وَأَوْدَعَهَا ذَلِكَ
الظَّالِمِينَ وَلِكُلِّ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الشُّغْلِ وَلِكُلِّ شُغْلٍ مِقْدَارٌ مِنَ
الْوَهْنِ وَلِكُلِّ وَهْنٍ مِقْدَارٌ مِنَ الْجَهْلِ

فَقَوْلُهُ: (أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آتِ الْبَلَاغَةِ) أَيُّ أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ جُودَةُ
الْقَرِيحَةِ وَطَلَاقَةُ اللِّسَانِ وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ عَلَى
اِكْتِسَابِهِ لِنَفْسِهِ وَاجْتِلَالِهِ لَهَا . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ وَأَعْمَلَ
فِكْرَهُ آتَى بِالْبَيَانِ الْحَسَنِ وَالْكَلَامِ الْبَدِيعِ الْمُلَصَّبِ وَأَسْتَحْجَجَ
الْغَنَى الرَّائِقَ وَجَاءَ بِاللَّفْظِ الرَّائِعِ . وَإِذَا حَاوَرَ وَنَظَرَ قَصَرَ وَتَأَخَّرَ
فَحَقُّ هَذَا أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِارْتِجَالِ الْخُطْبِ وَلَا يُجَارِي أَصْحَابَ
الْبَلَمَةِ فِي مَيْدَانِ الْقَرِيضِ وَيَكْتَفِي بِتَنَاجُجِ فِكْرِهِ وَالنَّاسِ فِي

(١) ويرى على جهة الاعتراض (٢) وفي نسخة الاستطراف والظرف

(٣) ويرى في اقدار

صِنَاعَةُ الْكَلَامِ عَلَى طَبَقَاتٍ مِنْهُمْ مَنْ إِذَا حَاوَرَ وَنَاطَرَ أَبْلَغَ وَأَجَادَ
وَإِذَا كَتَبَ وَأَمْلَى أَخْلَ وَتَخَلَّفَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَمْلَى بَرَزَ وَإِذَا
حَاوَرَ وَكَتَبَ قَصَرَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا كَتَبَ أَحْسَنَ وَإِذَا حَاوَرَ وَأَمْلَى
أَسَاءَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْسِنُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُسِيءُ
فِيهَا كُلِّهَا فَأَحْسَنُ حَالَاتِ أَلْسِيهِ الْإِنْسَانُ وَأَحْسَنُ حَالَاتِ الْحُسَيْنِ
الْتَوَسُّطُ فَإِنَّ الْأَكْثَرَ يُورِثُ الْأَمْلَالَ وَقَلَّ مَا يَتَّبِعُو صَاحِبَهُ مِنْ
الزَّلَلِ وَالْعَيْبِ وَالْخَطْلِ . وَلَيْسَ يَتَّبِعِي لِلْحُسَيْنِ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْقُنُونِ
أَلْسِيهِ فِي غَيْرِهِ أَنْ يَتَجَاوَزَ مَا هُوَ مُحْسِنٌ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ مُسِيءٌ فِيهِ
فَإِنْ أَضْطَرَّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى تَجَاوُزِهِ فَخِذْ سُبُلَهُ فِيهِ قَصْدُ
الِاخْتِصَارِ وَتَجَبُّ الْأَكْثَرِ وَالْإِهْذَارُ لِقَلِّ السَّقَطِ فِي كَلَامِهِ وَلَا
يَكْثُرُ الْعَيْبُ فِي مَنْطِقِهِ . وَقِيلَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ لِمَ لَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .
قَالَ : لَوْ أَطْلَمْتُهَا عُرِفَ صَاحِبُهَا . يُرِيدُ أَنْ يُخَدِّثَ بِشَيْءٍ بِالْقَدِيمِ فِي
الْقَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ . فَإِذَا طَالَ اخْتَلَّ قُرْفُ أَنْهُ كَلَامٌ مَرْلُودٌ عَلَى
أَنَّ السَّابِقَ فِي مَيَادِينِ الْبَلَاغَةِ إِذَا كَثُرَ سَقَطَ فَكَيْفَ الْمُقَصِّرُ عَنْ
غَايَتِهَا وَاسْتَحْلَفُ عَنْ أَمْدِهَا . وَمِنْ قَامِ آلَاتِ الْبَلَاغَةِ التَّوَسُّعُ فِي
مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَوُجُوهِ الْأَسْتِعْمَالِ لَهَا وَالْعِلْمُ بِفَاخِرِ الْأَلْفَاظِ
وَسَاوِطِهَا وَمُخَيَّرِهَا وَرَدِّيْنَهَا وَمَعْرِفَةُ الْقَامَاتِ وَمَا يَضِلُّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهَا مِنَ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ

وَقَوْلُهُ : (وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجُلُوسِ سَاكِنِ النَّفْسِ)
هَذَا لِأَنَّ الْخَيْرَةَ وَالْدَّهْشَ يُورِثَانِ الْخُبْسَةَ وَالْخَصَرَ وَهُمَا سَبَبَا الْإِرْتَاكِجِ

وَالْإِنْفَامَ . وَبَلَقَكَ مَا أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَوَّلَ مَا صَعِدَ الْبَيْتَ
فَارْتَجَحَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِينَ قَبْلِي كَانُوا يُعَذِّبُونَ لِهَذَا الْقَتْلَامِ مَقَالًا وَأَنْتُمْ
إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَخْرَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ وَسَتَأْتِيكُمْ الْخَطْبَةُ
عَلَى وَجْهِهَا . وَصَعِدَ بَعْضُ الْعَرَبِ مِنْبَرًا بِجُرْأَسَانَ فَارْتَجَحَ عَلَيْهِ فَقَالَ
جِئْتُ تَرَل :

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسِنْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ خَطِيبٌ
وَمِنْ حُسْنِ الْأَعْتِدَادِ عِنْدَ الْإِرْتَجَاحِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ
عَلِيٍّ قَالَ : فَلَمَّا قَالَ (أَمَّا بَعْدُ) أَمْتَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ يَجِدُ الْمُسْرُ وَيُعْسِرُ الْمُسْرُ وَيَقِلُّ الْحَدِيدُ وَيَقْطَعُ الْكَلِيلُ . وَإِنَّمَا
الْكَلَامُ بَعْدَ الْإِنْفَامِ كَالْإِشْرَاقِ بَعْدَ الظُّلَامِ وَقَدْ يَغُزِبُ الْبَيَانُ وَيَعْتَمِدُ
الصَّوَابُ وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ مُضْغَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَفْتَرُ بِغُورِهِ (١) إِذَا
تَكَلَّمَ وَيُثَوِّبُ بِأَنَسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ . آلا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بِطَرَاوِلَا نَسْكُتُ
حَصْرًا بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ . وَنَحْنُ بَعْدَ ذَلِكَ
أُمَرَاءُ الْقَوْلِ فِيْنَا وَنَحْنُ أَعْرَافُهُ وَعَلَيْنَا غُلْفَتُ أَغْصَانِهِ وَلَكِنَّا تَهْدِكُ
تَمَرُّهُ فَتَحْيِيهِ مِنْهُ مَا أَهْلُوهُ وَعَذَّبَ وَطَرَحَ مِنْهُ مَا أَهْلُوهُ وَحَبَّتْ .
وَوْنٌ بَعْدُ مُقَاوِمَاتُ هَذَا نُقَامُ وَمِنْ بَعْدِ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ . وَعَلَامَةُ سُكُونِ
نَفْسِ الْخَطِيبِ وَرَبَاطَةُ جَانِبِهِ هُدُورُهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي مَنْطِقِهِ .
قَالَ ثُمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى جَانِبُهُ هُدُورُهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي
مَنْطِقِهِ . وَقَالَ ثُمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى أَنْطَقَ النَّاسَ قَدْ جَمَعَ الْهُدُورُ

وَالشَّهْلَ وَالْجَرَّالَةَ وَالْخَلَاوَةَ وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَاطِقٌ يَسْتَعِينِي عَنْ
الْإِشَارَةِ لَكُنْتُ

وَقَوْلُهُ : (مُخَيَّرَ الْأَلْفَاظِ) فَلَنْ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْيِيرِ الْأَلْفِظِ
وَتَحْيِيرِهِ أَضْعَبُ مِنْ حَمِيهِ وَتَأْلِيْفِهِ. وَقَوْلُهُ : (وَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ فَضْلٌ
الْتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ صَانِعُ الْكَلَامِ قَادِرًا عَلَى
جَمِيعِ ضُرُوبِهِ مُتَمَكِّنًا مِنْ جَمِيعِ فُنُونِهِ لَا يَتَقَاصُ عَلَيْهِ قِسْمٌ مِنْ
أَقْسَامِهِ فَإِنْ كَانَ شَاعِرًا تَصَرَّفَ فِي وَجُوهِ الشَّعْرِ مَدِيحِهِ وَهَجَائِهِ
وَمَرَاثِيهِ وَصِفَائِهِ وَمَقَاجِرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَضَافِهِ. وَلَا خِلَافَ قَوْلِي
النَّاسُ فِي الشَّعْرِ وَفُنُونُهُ مَا قِيلَ : كَانَ أَمْرُهُ الْقَيْسَ أَشْعَرَ النَّاسِ إِذَا
رَكِبَ وَالنَّائِفَةَ إِذَا رَهَبَ وَزَهَيْرَ إِذَا رَغِبَ وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ .
وَكَذَلِكَ الْكَاتِبُ رَبَّنَا تَقَدَّمَ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْكِتَابَةِ وَآخَرُ فِي غَيْرِهِ
وَسَهْلٌ عَلَيْهِ نَوْعٌ مِنْهَا وَعَسِرَ نَوْعٌ آخَرُ وَأَخْبَرَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ
قَالَ : أَمَرَنِي الْمَأْمُونُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى التَّوَّاحِي فِي الْأَسْتِكْثَارِ مِنْ
الْقَتَادِيلِ فِي الْمَسَاجِدِ . قَبْتُ لَا أَدْرِي كَيْفَ أَحْتَذِي فَأَتَانِي آتٍ فِي
مَآمِي فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ فِي ذَلِكَ عِمَارَةٌ لِلْمَسَاجِدِ وَأُنْسًا لِلسَّائِلَةِ
وَأَذَاءَةً لِلْمُتَهَيِّدِينَ وَنَفْيًا لِمَكَائِنِ الْإِيْبِ وَتَرْثِيًا لِيُوتِ اللَّهُ جَلَّ
وَعَزَّ مِنْ وَحْشَةِ الظُّلَمِ . فَأَنْتَبَهْتُ وَقَدْ انْتَفَحَ لِي مَا أُرِيدُ فَأَبْتَدَأْتُ
بِهَذَا وَاتَّمَمْتُ عَلَيْهِ. وَالْقَدَمُ فِي صُنْعَةِ الْكَلَامِ هُوَ الْمُسْتَوَلِي عَلَيْهِ مِنْ
جَمِيعِ جِهَاتِهِ الْمُسَكِّنِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَبِهَذَا فَضَّلُوا جَرِيدًا عَلَى
الْقَرَزْدَقِ وَقَالُوا كَانَ لَهُ فِي الشَّعْرِ ضَرْبٌ لَا يَعْرِفُهَا الْقَرَزْدَقُ. وَسَلَّ

بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ فَذَكَرَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ أَشْعَرُ لَصَرَفِهِ فِي
وُجُوهِ الشُّعْرِ وَكَثْرَةِ مَذَاهِبِهِ فِيهِ . (قَالَ) وَمُسْلِمٌ جَارٍ عَلَى وَبَرَةٍ لَا
يَتَغَيَّرُ عَنْهَا . وَأَبْلَغُ مِنْ هَذِهِ الْمَثَلَةِ أَنْ يَتَقَنَّ صَانِعُ أَكْثَلَامٍ فِي قَوْلِهِ
أَيُّ يَأْتِي مَرَّةً بِالْجَزْلِ وَأُخْرَى بِالسَّهْلِ قِيلَيْنِ إِذَا شَاءَ وَيَشْتَدُّ إِذَا
أَرَادَ . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ قُضِلُوا جَرِيًّا عَلَى الْفَرْدَقِ وَأَبَا نُوَّاسٍ عَلَى
مُسْلِمٍ . . .

وقوله: (وَلَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامٍ الْأُمَّةِ وَلَا الْمُلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوْقَةِ) لِأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ بِالْقَامَاتِ وَمَا يَضِلُّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
وِنَهَا مِنْ أَكْثَلَامٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ : يَكُلُّ مَقَامَ مَقَالٍ .
وَرَبَّمَا غَلَبَ سَوْءُ الرَّأْيِ وَقَلَّ الْعَقْلُ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فَيُجَاطِبُونَ
السُّوْقِيَّ وَالْمُلُوكَ الْأَعْجَمِيَّ بِالْقَاطِ أَهْلِ نَجْدٍ وَمَعَانِي أَهْلِ السَّرَاوِ .
كَأَيِّ عِلَقَةٍ إِذْ قَالَ نَحْجَامِهِ : أَشَدُّ لَقَصِبِ الْمَلَاذِمِ وَارْهَفِ ضَبَاتِ
الْمَشَارِطِ وَامِرَّ السَّمْعِ وَاسْحَلِ الرَّشْمِ وَخَفِيفِ الْوُطْءِ وَتَحْمِلِ الْفَرْعِ
وَلَا تُكْرِهَنَّ آيَا وَلَا تَمْنَنَّ آيَا . فَقَالَ لَهُ النَّحْجَامُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ
بِالْخُرُوبِ . وَآخَرُ أَبُو الْغَزَالِ الضَّنْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ لَنَا جَارٌ
بِأَنْكُوفَةٍ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرِيبِ فَخَرَجَ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ عَلَى حِمْرٍ مَعَهَا
مُهْرٌ . فَأَفْلَتَتْ فَذَهَبَتْ وَمَعَهَا مَهْرُهَا فَخَرَجَ يَسْأَلُ عَنْهَا فَرَّ بِحِيَاظِ
فَقَالَ : يَا ذَا الْقِيَاسِ . وَذَاتِ السَّمِّ . الطَّاعِنِينَ بِهَا فِي غَيْرِ وَغَى لِيُغَيِّرَ عَدَى
هَلْ رَأَيْتَ الْحَيَفَانَةَ الْقَبَاءَ يَتَّبِعُهَا الْحَالِينَ الْمُسْرَهْفُ (١) كَانَ

غُرَّتْهُ الْقَمَرُ الْأَذْهَرُ يُنِيرُ فِي حُضْرِهِ كَالْخَلْبِ الْأَجْرَدِ (١). فَقَالَ
 الْحَيَّاطُ أَطْلَبُهَا فِي بَرٍّ لَخْلَجٍ (٢). فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَا تَقُولُ فَتَجِدُكَ اللَّهُ
 قَدْ أَعْلَمَ رَطَانَتَكَ. فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ أَبْغَضَنَا لَفْظًا وَأَخْطَانَا مَطْلًا
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ) قَالَ أَبُو هِلَالٍ: لِأَنَّ
 الْأَمَانَةَ فِي تَدْقِيقِ الْمَعْنَى سَبِيلٌ إِلَى تَعْيِينِهِ وَتَعْيِينِ الْمَعْنَى لِكُنْهَةِ إِلَّا
 إِذَا أُريدَ بِهِ الْأَلْفَاظُ وَكَانَ فِي تَعْيِينِهِ قَائِدَةٌ وَمِثْلُ اثْبَاتِ (٣)
 الْمَعَانِي وَمَا يُخْرِجِي مَعَهَا مِنَ اللَّحُونِ الَّتِي اسْتَعْمَلُوهَا وَكُنُوا بِهَا عَنِ الْمُرَادِ
 لِبَعْضِ الْقَرَضِ. فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ الْإِبَانَةَ فِي مَدِيحٍ أَوْ صِفَةٍ شَيْءٍ
 فَأَتَى بِإِعْلَاقٍ دَلَّ عَلَى عَجْزِهِ فِي الْإِبَانَةِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْإِنْفَاحِ.
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا يُتَّبَعُ إِلَّا لَفَاطُ كُلِّ اسْتَتِيجٍ) فَتَتَّبِعُ اللَّفْظَ أَنْ
 يُبْنَى مِنْهُ بِنَاءٌ لَا يَكْثُرُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
 الْوُزَرَاءُ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِبَانَتَكَ. فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ: عَجَلَ اللَّهُ إِمَاتَتَكَ.
 وَيَدْخُلُ فِي تَتَّبِعِ اللَّفْظَ اسْتِعْمَالُ وَحْشِيَةٍ وَتَرْكُ سَلِسِهِ. وَقَدْ أَخَذَ
 الرُّوَاةُ عَلَى زُهَيْرٍ قَوْلَهُ:

تَقِيَّ نَقِيٍّ لَمْ يُكْثِرْ غَنِيَّةً بِهَكَّةَ ذِي الْقُرْبَى وَلَا بِجَهْلَدٍ
 فَاسْتَنْبَعُوا (الْجَهْلَدُ) وَهُوَ السَّيِّئُ الْخَلْقِ وَقَالُوا: لَيْسَ فِي لَفْظِ زُهَيْرٍ
 أَنْكَرُ مِنْهُ. قَالَ أَبُو عُمَانَ: رَأَيْتُهُمْ يَرِيدُونَ فِي كُثْبِهِمْ هَذَا الْكَلَامَ
 فَإِنْ كَانُوا إِنْغَارًا رَوَوْهُ وَدَوَّنُوهُ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قِصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فَقَدْ

(١) وفي رواية: ينير في حضره كالحلب الأجرَد (٢) ويروى: في عز بلخ

(٣) وفي رواية: إبيات المعاني

بَاعَدَهُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. وَإِنْ كَانُوا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ فَأَيَّاتٌ مِنْ شِعْرِ الْحَاجِّ وَالطَّرِمَاحِ وَأَشْعَارِ هُذَيْلٍ يَأْتِي لَهْمٌ مَعَ الرَّصْفِ الْحَسَنِ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ خَاطَبْتُ الْأَصْبَعِي بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ لَطَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْهَلُ بَعْضَهُ وَهَذَا خَارِجٌ عَنْ عَادَةِ الْبَلَّغَاءِ

وَقَوْلُهُ: (وَيُصِفِيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ وَيَهْدِيهَا كُلَّ الْهَدْيِ) فَتَصْفِيَةُ تَقْرِئَتِهِ مِنَ الْوَحْشِيِّ وَتَغْيِي الشَّوَاعِلِ عَنْهُ وَتَهْدِيَةُ وَتَهْرِئَةُ مِنَ الرَّدِيِّ الْمُرْدُولِ وَالسُّوقِيِّ الْمُرْدُودِ فَمِنْ الْكَلَامِ الْمَهْدَبِ قَوْلُ بَعْضِ الْكُتَّابِ: مِثَالُ أَوْجَبَ حَقًّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَسَمَحَ بِحَقِّ يَجِبُ لَهُ وَقِيلَ وَاضِعَ الْمَذَرِ وَأَسْتَكْفَرَ قَلِيلَ الشُّكْرِ لِأَنَّ ذَلِكَ آيَادِيكَ فَوْقَ شُكْرِ أَوْلِيَانِكَ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَوْقَ آمَالِهِمْ فِيكَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ آخَرٍ: مَا أَتَيْتَنِي إِلَى غَايَةٍ مِنْ شُكْرِكَ إِلَّا وَجَدْتُ وِرَاءَهَا حَادِثًا مِنْ بَرَكَ فَلَا زَالَ آيَادِيكَ مُمْدُودَةٌ بَيْنَ أَمَلٍ لَكَ تَبْلُغُهُ وَأَمَلٍ فِيكَ تَحْقِيقُهُ حَتَّى تَمْلِكِي مِنَ الْأَعْمَارِ أَطْوَلَهَا وَتَنَالَ مِنَ الدَّرَجَاتِ أَفْضَلَهَا. وَقَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ: يَوْمًا يَوْمٌ لَيْتَ الْخَوْلَاشِي وَطِيءَ التَّوَاجِي وَهَذِهِ سَمَاءٌ قَدْ تَهَلَّتْ بِوَدْقِهَا وَضَحِكَتْ لِإِمَائِسِ غَيْبِهَا وَلَا مَعَ بَرَقِهَا وَأَنْتَ قَطْبُ السُّرُورِ وَظِلُّ الْأُمُورِ فَلَا تَغِبْ عَنَّا قَبِيلَ (١) وَلَا تُغْرِدْنَا (٢) فَدَسْتَوْحِشَ فَإِنَّ الْحَبِيبَ بِحَبِيبِهِ كَثِيرٌ وَبِمُسَاعَدَتِهِ جَدِيرٌ وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى تُصَادَفَ حَكِيمًا وَفَيْلَسُوفًا عَظِيمًا وَمَنْ

تَمَوَّدَ حَذَفَ فُضُولِ الْكَلَامِ وَمُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ وَمَنْ نَظَرَ فِي
الْمُنَظَرِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَسْطِرَافِ وَالنَّظَرِ
لَهَا) فَتَقُولُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ بِفَاخِرِ الْكَلَامِ وَتَادِرُهُ وَرَصِيدِهِ
وَمُحْكَمِهِ عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُهُ عَنْهُ وَيَقْبَلُهُ مِنْهُ يَمَنْ عَرَفَ الْمَعَانِي
وَالْأَلْفَاظَ عِلْمًا شَافِيًا لِنَظَرِهِ فِي أَلْفَقَةِ وَالْإِعْرَابِ وَالْمَعَانِي عَلَى جِهَةِ
الصَّنَاعَةِ لَا كَمَنْ اسْتَطَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا نَظَرَ فِيهِ نَظْرًا غَيْرَ كَامِلٍ أَوْ
أَخَذَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَنَاقَلَ مِنْ أَطْرَافِهِ فَحَكَمَى بِأَسْبِهِ وَخَلَّاسِهِ وَشَبِّهِهِ
فَإِذَا سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا سُلِّ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَ مَنْ هَذِهِ
صِفَتُهُ ذَهَبَتْ قَائِدَةُ كَلَامِهِ وَنَسَاَتْ مَنَفَعَةُ مُنَظَرِهِ لِأَنَّ الْمَعَانِي
إِذَا كَلَّمَتْهُ بِكَلَامِ أَلِيلِيَّةٍ سَخِرَ مِنْكَ وَزَدَى عَلَيْكَ كَمَا رُوِيَ عَنْ
بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ الْعَامَّةِ: يَمِ كُذِّمْتُمْ تَنْتَقِأُونَ الْبَارَحَةَ
(يَعْنِي عَلَى النَّسِيدِ) فَقَالَ: يَا أَلْمَالِينَ وَلَوْ قَالَ لَهُ: (أَيْشَ كَانَ
تَقْلُكُمُ) لَسَامَ مِنْ سَخَرِيَّتِهِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُجَابِبَ كُلَّ فَرِيقٍ بِمَا يَعْرِوْنِ
وَيَتَجَنَّبَ مَا يَجْهَلُونَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَنْ تَمَوَّدَ حَذَفَ فُضُولِ الْكَلَامِ الْخ) هُوَ أَنْ
يُسْقِطَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ اسْقَاطِهِ تَامًا غَيْرَ
مَنْقُوصٍ وَلَا يَكُونُ فِي زِيَادَتِهِ قَائِدَةً. وَذَلِكَ وَشَلَّ مَا رُوِيَ عَنْ
مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لِصُحَابِ الْعَبْدِيِّ: مَا أَلْبَلَاغَةُ فَقَالَ: أَنْ تَقُولَ فَلَا
تُحْطَى، وَتُسْرِعَ فَلَا تُبْطِئَ. ثُمَّ قَالَ: أَتِلْنِي هَوَانَ (لَا تُحْطَى) وَلَا
تُبْطِئَ. فَأَلْقَى الْفُظُوتَيْنِ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِيِّ أَبْقَى غِنًى عَنْهُمَا وَعِوَضًا مِنْهُمَا.

فَأَمَّا إِذَا كَانَ فِي زِيَادَةِ الْأَلْفَاظِ قَائِدَةٌ فَذَلِكَ مَحْمُودٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ
التَّذْيِيلِ. وَقَوْلُهُ: (وَمُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ) فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ الْإِبَانَةَ
عَنْ مَعْنَى قِيَّاسِي بِالْأَلْفَاظِ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ خَاصَّةً بَلْ يَشْتَرِكُ مَعَهُ
آخَرُ فَلَا يَعْرِفُ السَّامِعُ أَيُّهَا أَرَادَ. وَرَبَّمَا اسْتَبْهَمَ الْكَلَامَ فِي نَوْعٍ
مِنْ هَذَا الْجِنْسِ حَتَّى لَا يُوقِفَ عَلَى مَعْنَاهُ إِلَّا بِالتَّوَهُّمِ. فَمِنْ الْجِنْسِ
الْأَوَّلِ قَوْلُ جَرِيرٍ:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ قَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
فَوَجَّهَ الْأَشْرَافَ فِي هَذَا أَنَّ السَّامِعَ لَا يَذَرِي إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَشَارَ مِنْ أَفْعَالِهِ فِي قَوْلِهِ (قَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ) أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَ
إِذَا رَحَلُوا أَوْ يَتِمَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْقَمَرِ الَّذِي لِحْفُهُ أَوْ يَبْعُوهُمْ فِي
الْضِّيِّ عَلَى عَزْمَةِ الرَّحِيلِ أَوْ يَأْخُذُ مِنْهُمْ شَيْئًا يَتَذَكَّرُهُمْ بِهِ أَوْ يَذْفَعُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا يَتَذَكَّرُونَهُ بِهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْخَلِيلُ عِنْدَ
فِرَاقِ أَحَبِّتِهِ. فَلَمْ يُبَيِّنْ عَنْ غَوْضِهِ وَأَخْوَجَ إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ عَمَّا أَرَادَ
فَعَلَهُ عِنْدَ رَحِيلِهِمْ. وَلَيْسَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ: (لَوْ رَأَيْتَ عَلِيًّا بَيْنَ الصَّفَيْنِ).
لِأَنَّ دَلِيلَ الْبَلَاغَةِ وَالنِّكَايَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ بَيْنٌ وَأَمَارَةٌ
التَّضَمُّنِ فِي بَيْتِ جَرِيرٍ وَاجْتِهَادٌ مَنْ يَسْمَعُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ
الْبَلَاغَةِ يَسْتَبْرِدُهُ وَيَسْتَعْمِلُهُ وَيَسْتَرْجِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَحْيِدُهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ
سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ الْأَذْدِيِّ:

فَلَا نَكَ لَوْ لَا قَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لِلْأَقَيْتِ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَلَمْ يُبَيِّنْ عَمَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (لِلْأَقَيْتِ) أَخِيرًا أَرَادَ أَمْ شَرًّا إِلَّا

أَنْ تَسْمَعَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ فَيَتَيْنَ مَعْنَاهُ وَأَمَّا فِي نَفْسِ أَلَيْتِ
فَلَا يَتَيْنَ مَعْنَاهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَقَمْنَا قَعْلَنَا بَعْدَ أَنْ أُوْدِعَ الْتَرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُفْلَعُ
فَقَوْلُ النَّاسِ فِي السَّحَابِ إِذَا أَتْلَعَ عَلَى وُجُوهِ قَهْنِهِمْ مَنْ يَدْعُهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ انْتِلَاعَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُ انْتِلَاعَهُ
عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ حَالَاتُهَا عِنْدَهُمْ وَمَوَاقِعُهَا مِنْهُمْ فَلَمْ يَسْتَقِنْ
بِقَوْلِهِ مَعْنَى يَعْتَبِدُهُ السَّامِعُ. عَلَى أَنَّ الْمُتَخَيَّرَ لَهُ لَوْ قَالَ : إِنَّ أَكْثَرَ
الْعَادَةِ فِي السَّحَابِ أَنْ يُحْمَدَ آثَرُهُ وَيُثْنَى عَلَيْهِ بَعْدَهُ لَمْ كَانَ ذَمُّهَا.
وَلَمْ أُرِدْ عَيْبَ أَبِي تَمَّامٍ بَلَا قُلْتُ وَأَمَّا أَرَدْتُ الْإِخْبَارَ عَنْ وُجُوهِ
الْأَشْتِرَاكِ وَذِكْرِ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ بَابِهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ
مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. وَمِنْ أَلْفِظِ الْمُشْتَرَكِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَحَبْنُ مَا يُخْبِنُ مِنْ آخِرٍ مِنْهُ وَالطَّائِنُ آمَهَارُ (١)

الْآمَهَارُ هَاهُنَا جَمْعُ مَهْرٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : مَهْرٌ يَهْرُ مَهْرًا. وَالْمَصَادِرُ لَا
تُجْتَمِعُ وَلَا يَشْكُ سَامِعُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ يُرِيدُ جَمْعَ مَهْرٍ فَيَشْكِلُ
الْمَعْنَى عَلَيْهِ. وَخَطَبَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى :
لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يُدْرَكُ بِالْأَلْسَانِ. أَرَادَ جَمْعَ لِمَسْ فَاتَّسَبَّ
السَّجْمُ وَأَخْطَأَ الْمَعْنَى. وَأَمَّا مَا بَيْنَهُمْ فَلَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِأَثَرِهِمْ. وَمِنْ
الْكَلَامِ الْخَالِي مِنَ الْأَشْتِمَالِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِأَخِي لَهُ أَرَادَ فِرَاقَهُ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي دِيوانِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَحَبْنُ مَا يُخْبِنُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْهُ وَالطَّائِنُ آمَهَارُ

لَمَّا تَصَحَّحْتُ أَخْلَاقَكَ فَوَجَدْتُهَا مُبَايَنَةً لِمُشَاكَلَتِي رَاضَةً عَنْ قُضْدِ
طَرِيقَتِي صَدَرَتْ عَلَيْهَا رِيَاضَةٌ لِنَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ لِمَسَاوِيهِ أَخْلَاقِ
الْمُعَاشِرِينَ وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعُدْوَانِ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِينَ. وَالَّذِي رَجَوْتُ
مِنْ مَرَّةٍ خَصَالِكَ بِمَا أَقَابَ بِهَا مِنْ التَّجَارُزِ وَأَنْحَبَ عَنْ سُوءِ أَثَارِهَا
أَذْيَالِ التَّمَايُضِيِّ. وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَا تُقَوِّمُ أَعْوَجَاجَ مَذَاهِبِكَ وَلَا
يَعْطِفُ بِكَ الرَّأْيُ عَلَى رُشْدِكَ. فَلَمَّا فَنَيْتَ حِيلَتِي فِيكَ وَأَنْقَطَعَتْ
أَسْبَابُ أَمَلِي وَنُكْتُ وَرَأَيْتُ الدَّاءَ لَا يُزِيدُنِي عَلَى التَّمَهُدِ بِالْإِدْوَاءِ
إِلَّا قَسَادًا وَالْخُرْقَ عَلَى التَّرْقِيعِ إِلَّا اتِّسَاعًا قَدَّمْتُ أَلْيَاسَ مِنْكَ عَلَى
الرَّجَاءِ فِيكَ فَاحْتَسَبْتُ أَيَّامِي السَّالِفَةَ فِي اسْتِصْلَاحِي لَكَ
وَقَوْلُهُ: (وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا) أَيُّ
يَكُونَ الْإِسْمُ طَبَقًا لِلْفِعْلِ بِقَدْرِ الْمَعْنَى غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهِ وَلَا نَاقِصٍ
عَنْهُ فَكَانَ كَالطَّبَقِ عَلَى الْإِنَاءِ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ
وَقَوْلُهُ: (وَلَا يَكُونُ الْإِسْمُ فَاضِلًا وَلَا مُقْصِرًا) فَهَذَا دَاخِلٌ فِي
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ: وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا. وَمِثَالُ
الْفَاعِلِ مِنَ الَّلَفْظِ عَنِ الْمَعْنَى قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْنَةَ:
وَأَسْقَى الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَأَعْلَمَ لَهُ بِالْنَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكُمَا
وَأَجَرَ الْكَرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْ لَهُ يَوْمًا بَذَلَتْ كَرَامَةُ حَبْرَاكُمَا
وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ مَحْضُورٌ تَحْتَ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ: اجْزَأَ كَلًّا
يَفْعَلُهُ. وَكَانَ الشُّكُوتُ لِعُرْوَةَ خَيْرًا مِنْهُ. وَمِنْ الْكَلَامِ الْفَاعِلِ
عَنْ مَعْنَاهُ قَوْلُ أَبِي الْعِيَالِ الْهَذَلِيِّ.

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَادَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَعْبُ
 فَذَكَرْتُ الرَّأْسَ مَعَ الصُّدَاعِ فَضِلَّ
 وَالْقَصْرُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يُنْبِتُكَ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ سَمَاعِكَ أَيَّاهُ
 وَيُخَوِّجُكَ إِلَى شَرْحِ كَيْتِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ:
 وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ الثُّلُوكِ مِنْ رَامِ كَدًّا
 وَقَوْلُهُ: (وَلَا مُضْمَنًا) التَّضْيِينُ أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ
 مُفْتَتِحًا إِلَى الْفَضْلِ الثَّانِي وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مُخْتِجًا إِلَى الْآخِرِ كَقَوْلِ
 الشَّاعِرِ:

كَانَ الْقَلْبَ لَبَّةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يَرَأِحُ
 نَظْمًا عَرَّهَا شَرْكَ قَبَّاتٍ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
 فَلَمْ يَتِمَّ الْمَعْنَى إِلَّا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَهُوَ قَبِيحٌ . وَمِثَالُهُ مِنْ
 نَثْرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: وَجَعَلَ سَيِّدَنَا أَخْذَا مِنْ كُلِّ مَا دُعِيَ
 وَيُدْعَى بِهِ فِي الْأَعْيَادِ بِأَجْزَلِ الْأَقْسَامِ وَأَوْفَرِ الْأَعْدَادِ
 وَقَدْ تُسَمَّى اسْتِعَارَتُكَ الْأَنْصَافَ وَالْأَيَّاتِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِكَ
 وَإِذَا خَالَكَ أَيَّاهُ فِي أَثَاءِ قَصِيدَتِكَ تَضْيِينًا . وَبَاقِي كَلَامِهِ
 يَتَضَمَّنُ صِفَةَ التَّنْكِيمِ لَا صِفَةَ الْكَلَامِ إِلَّا قَوْلُهُ: (وَيَكُونُ تَضْمِينُهُ
 لِمَوَارِدِهِ بِقَدْرِ تَضْمِينِهِ لِصَادِرِهِ) وَسَنَأْتِي عَلَى الْكَلَامِ فِي هَذَا
 وَنَسْتَقْصِيهِ فِي فَضْلِ الْقَاطِعِ وَالْمَبَادِي



البحث الثاني

في وسائل الاقتناع التي يتخذها الخطيب البليغ

(من تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الخطابة لابن رشد)

أَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ التَّصْدِيقَاتِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَمِنْهَا مَا هِيَ صِنَاعِيَّةٌ وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا وَرَبْرِيَّتِنَا وَنَحْنُ الْقَائِلُونَ لَهَا. وَمِنْهَا مَا هِيَ غَيْرُ صِنَاعِيَّةٍ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا وَرَبْرِيَّتِنَا مِثْلُ الشُّهُودِ وَالتَّعْذِيبِ وَالْعُقُودِ وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ. وَالْأَشْيَاءُ الصَّنَاعِيَّةُ الَّتِي نَحْنُ الْقَائِلُونَ لَهَا مِنْهَا أَشْيَاءٌ قَدْ نَقَدَّمْ غَيْرُنَا فَصَنَعَهَا مِثْلُ الْإِخْتِجَاجِ بِالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ الَّتِي قَدْ وَضِعَتْ وَاشْتَهَرَتْ وَمِنْهَا مَا تَحْتَزُّعُهَا نَحْنُ عِنْدَ الْقَوْلِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْإِقْنَاعُ وَنَسْتَنْطِئُهَا. فَأَمَّا التَّصْدِيقَاتُ الَّتِي نَفْعُهَا نَحْنُ وَتَحْتَزُّعُهَا فَبِهَا ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ :

(أَحَدُهَا) إِثْبَاتُ التَّكَلُّمِ فَضِيَّةَ نَفْسِهِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا أَهْلًا أَنْ يُصَدَّقَ وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ بَيِّنَةً فِي وَجْهِهِ وَأَعْضَانِهِ شَأْنُهَا أَنْ تُوقَعَ التَّصْدِيقَ بِالشَّيْءِ التَّكَلُّمِ فِيهِ وَثَلِ التَّوَدُّعِ وَالنُّوْقَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالْقَضِيَّةُ الَّتِي شَأْنُهَا هَذَا هِيَ الَّتِي يَعْنِي أَرِسْطُو بِأَكْثَرِهَا. وَالْهَيْئَةُ الَّتِي شَأْنُهَا هَذَا هُوَ الَّذِي يَعْنِي بِالسَّنَتِ. وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْقَضِيَّةِ تَأْثِيرًا فِي التَّصْدِيقِ أَنَّ الدَّالِّحِينَ الْقَاضِلِينَ يُصَدِّقُونَ سَرِيعًا

دُونَ قَوْلِ يَتَكَلَّمُونَهُ فِي الشَّيْءِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ
 لِحَسَنِ الْآتِي يَرْغُمُونَ أَنَّهُمْ أَحْسَوْهَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ شَرِبَ أَوْ قَتَلَ.
 فَأَمَّا إِخْبَارُهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ عِنْدَ الْحَسَنِ وَهِيَ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّهُ خَفِيَ
 عَنْهُمْ مَا أَحْسَوْا مِنْ ذَلِكَ أَوْ وَهَمُوا فِيهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ
 مُمَكِّنًا أَنْ يَهْمَ فِيهِ الْحَسَنُ فَلَيْسَ يُصَدِّقُونَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَدْعُونَهَا
 فِي أَشْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دُونَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا فِي تَثْبِيتِ ذَلِكَ الشَّيْءِ
 الْقَوْلَ. وَعَلَيْهِ قَدْ أَخْطَأَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِي الْخَطَابَةِ
 فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْقَضِيَّةَ وَالْإِنَاءَةَ إِنَّمَا هِيَ نَافِعَةٌ فِي بَابِ الْإِنْفِعَالِ
 فَقَطُّ. وَأَمَّا (الصَّنْفُ الثَّلَاثِي مِنْ التَّضَدِّيقَاتِ) فَهُوَ الصَّنْفُ الَّذِي
 يَكُونُ بِأَنْ يَكْسِبَ السَّامِعُ بِالْقَوْلِ أَنْفِعَالًا مَا يُوجِبُ لَهُ التَّضَدِّيقَ
 بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْقَوْلُ. فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضَدِّيقًا بِالشَّيْءِ وَإِقْرَارًا بِهِ
 وَتَحْنٌ فِي حَالِ الْقَرَحِ أَوْ الْحُزْنِ تَضَدِّيقًا وَاحِدًا. وَكَذَلِكَ إِذَا كُنَّا
 فِي حَالِ السُّخْطِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ حَالِ الرِّضَا عَنْهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تَكَلَّمُ فِيهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا (الصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذِهِ التَّضَدِّيقَاتِ) فَهُوَ تَثْبِيتُ
 الشَّيْءِ بِالْكَلَامِ الْمُنْفَعِ أَوْ مَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُنْفَعٌ وَذَلِكَ فِي الْأُمُورِ
 الْجُزْئِيَّةِ الَّتِي تُنْفَعُ فِيهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ. وَإِذَا كَانَتِ التَّضَدِّيقَاتُ إِنَّمَا
 تَكُونُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ فَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ الَّذِي يَقْدَرُ أَنْ
 يُنْفَعُ الْإِنْفِعَالُ الْمُمْكِنُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا هُوَ الَّذِي
 يَكُونُ عَالِمًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: (أَوَّلُهَا) مَعْرِفَةُ الْأَقَاوِيلِ الْمُفْتَعَةِ. (وِثَانِيهَا)

مَعْرِفَةُ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ . (وَأَمَّا هِيَ) مَعْرِفَةُ الْإِنْفِعَالَاتِ (١)
وَذَلِكَ بِأَن يَعْرفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْفِعَالَاتِ مَا هُوَ وَمِنْ أَيِّ
شَيْءٍ يَكُونُ وَسَيِّئُ يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
فَهَذِهِ الصَّاعَةُ كَأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ وَالصَّاعَةُ الْخَلْقِيَّةُ
أَعْنِي الْمَدِينَةَ . وَإِنَّمَا لَمْ يُوجَدْ لَهَا تَقَدَّمَ قَوْلُ مُسْتَوْفٍ فِي أَجْزَائِهَا
إِمَّا مِنْ قِبَلِ جَهْلِهِمْ وَإِمَّا مِنْ قِبَلِ أَنَّهُمْ صَنَعُوا عَلَى غَيْرِهِمْ وَتَجَلَّوْا
عَلَيْهِمْ بِمَا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي وَنَ خَارِجَ .
فَهَذِهِ الصَّاعَةُ هِيَ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ النَّطْقِ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْجَدَلِ
فِي أَنَّهَا تَنْظُرُ فِي كِلَا التَّقَابِلَيْنِ وَفِي أَنَّهَا لَيْسَا يَنْظُرَانِ فِي شَيْءٍ
مَحْدُودٍ نَظَرًا يَتَأَنَّى بِهِ الْيَقِينَ لَكِنْ إِنَّمَا يَلْفَافَانِ مِنَ النَّظَرِ مَا
دُونَ الْيَقِينِ

(١) هذا التقسيم قد اخذهُ عن ارسطاطليس كل من تكلموا في الخطابة .
وناهيك به من تقسيم يفي بالمقصود ويشمل كل اجزاء الخطابة والفرع يدعون
هذه الاقسام الثلاثة (Preuves, mœurs oratoires, passions)



الفصل الثالث

في الاقاول المقنعة

البحث الاول

في ان الخطيب لا بد له للاقتناع من معرفة القياس وعلم المنطق

(من تلخيص كتاب ارسطاطليس في الخطابة لابن رشد)

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
رَغْمًا يَصْدُقُ بِهَا التَّصْدِيقُ وَالْإِعْتِرَافُ مِنَ الْخُطَّابِ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ
الدَّعْوَى وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَثْبِيتِ الشَّيْءِ عِنْدَ الْمَعْرِفَةِ بِهِ. وَذَلِكَ
أَنَّا نَعْتَرِفُ بِالشَّيْءِ الَّذِي رَأَيْنَا أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا وَالشَّيْءِ الَّذِي
تَثَبَّتَ بِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى طَرِيقِ الْخُطَابَةِ هُوَ الضَّمِيرُ (١) لِأَنَّ هَذَا هُوَ
أَصْلُ التَّصْدِيقِ وَعَمُودُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَوْقَعُ هَذَا النُّحُو مِنْ التَّصْدِيقِ
أَعْنِي التَّصْدِيقَ الْبَلَاغِيَّ. وَالضَّمِيرُ هُوَ تَوْعٌ مِنَ الْقِيَاسِ وَمَعْرِفَةٌ
الْقِيَاسِ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ
الْمُنْطِقِ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَمَّا فِي كُلِّهَا وَإِمَّا فِي أَحْزَاءِ
مِنْهَا. وَبَيِّنُ أَنْ الَّذِي يَعْرِفُ الْقِيَاسَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَلْتَمِزُ وَيَكُونُ وَمَتَى
يَكُونُ فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى عَمَلِ الضَّمِيرِ مِمَّنْ يَعْرِفُ الضَّمِيرَ فَقَطْ دُونَ أَنْ

(١) يريد بالضمير القياس الاضماري (Enthymème) وهو القياس

الذي قدّرت إحدى مقدّمته أما الكبرى وأما الصغرى

تَعْرِفَ الْقِيَّاسَ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ. وَالَّذِي يَرِيدُ عَلَى هَذَا فَيَعْلَمُ لِمَاذَا
تُعْمَلُ الصَّمَاوِيُّ وَالْفُضُولُ الَّتِي بَيْنَ الصَّيْرِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمَقَائِيسِ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ فِي الصَّنَائِعِ الْآخَرِ فَهُوَ أَقْدَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَالْمَعْرِفَةُ بِهَذَا كُلِّهِ
إِنَّمَا هِيَ لِصِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ. فَإِنَّ لِلْقُوَّةِ الْوَاحِدَةِ بَيْنَهَا أَعْنَى لِلصِّنَاعَةِ
الْوَّاحِدَةِ بَيْنَهَا أَنْ تُعْرِفَ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ حَقٌّ وَالَّذِي هُوَ شَيْءٌ
بِالْحَقِّ. وَالتَّصْدِيقَاتُ الْخَطِيئَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَهِيَ شَيْءٌ بِالْحَقِّ
وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّاسَ مُتَبَيِّنُونَ بِطَبِيعِهِمْ كُلَّ التَّهْنِئَةِ نَحْوَ الْوُفُوفِ عَلَى
الْحَقِّ نَفْسِهِ. وَهُمْ أَكْثَرُ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ وَيَقْنَعُونَ عَنْهُ. وَالْحُجُودَاتُ
وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ وَتَبْنَى الصَّمَاوِيُّ شَيْءٌ بِالْحَقِّ مِنْ قَبْلِ أَنَّنَا نَأْتِيهِ عِنْدَ
الْجُمْهُورِ مَتَابَ الْحَقِّ. وَالشَّيْءُ بِالْحَقِّ قَدْ يَنْخَلُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ
الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمُنْطِقِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ اسْتَبَانَ أَنْ
قُصِدَ هَؤُلَاءِ فِيمَا تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْخَطَايَةِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالْمُنْطِقِ. وَأَنْ سَائِرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي
الْخَطَايَةِ وَمَنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَقَاوِيلَ الْخَطِيئَةَ فَقَطُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَتَقَدَّمُوا فَيَعْرِفُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي هِيَ عُمُودُ الْبَلَاغَةِ إِنَّهُمْ إِنَّمَا
يَتَكَلَّمُونَ فِي أَشْيَاءٍ تَجْرِي مِنَ الْبَلَاغَةِ تَجْرِي الدَّرَجَاتِ وَالْتِمَاقِ
الَّذِي يَكُونُ فِي ظَاهِرِ الشَّيْءِ وَصَفَتِهِ لَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَسْتَدِلُّ
بِهَا نَزَلَتْ مَا بِهِ قِيَامُ الشَّيْءِ وَوُجُودُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُظَنُّ بِمَا فَعَلُوا
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا الْقَايَةَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنَّمَايَةِ وَجَرَوْا فِي
ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالْعَدْلِ

البحث الثاني

في الطريق اي الدليل وتقسيمه (*)

(من كتاب المواقف لعبد الرحمن الايجي)

(راجع صفحة ١١ من الجزء الثاني من علم الادب)

الطَّرِيقُ هُوَ التَّوَصُّلُ إِلَى الْمَقْصُودِ وَحْدَهُ هُوَ مَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ
بِصَحِّحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ. وَلَمَّا كَانَ الْإِدْرَاكُ إِمَّا تَصَوُّرًا أَوْ
تَصْدِيقًا فَكَذَا الْمَطْلُوبُ. فَإِنْ كَانَ تَصَوُّرًا سُمِّيَ طَرِيقَهُ مُعْرِفًا
وَأِنْ كَانَ تَصْدِيقًا سُمِّيَ دَلِيلًا وَهُوَ يَشْمَلُ الظَّنَّ وَالْقَطْعِيَّ وَقَدْ
يُخَصُّ بِالْقَطْعِيِّ. وَيُسَمَّى الظَّنُّ إِمَارَةً وَقَدْ يُخَصُّ بِمَا يَكُونُ وَنَ
الْمَعْلُومِ عَلَى الْعِلْقَةِ وَيُسَمَّى عَكْسَهُ تَعْلِيلًا

شرح هذه المقالة للسيد الجرجاني

(١) قال : (الطريق) اي ما يقع فيه النظر (وهو الموصول الى
المقصود) بتوسط النظر. (وحده) اي تحديده وتقسيمه الى اقسامه الاولى (هو)
اي الطريق (ما يمكن التوصل بصحح النظر فيه الى المطلوب) اعتبر الامكان لان
الطريق لا يخرج عن كونه طريقاً بعدم التوصل بل يكفيه امكانه. وقد النظر
بالصحيح لان العاسد لا يستلزم المطلوب فلا يمكن ان يتوصل به اليه اذ ليس في
نفسه وسيلة له. واراد بالنظر فيه ما يعم النظر في نفسه والنظر في احواله
ليتناول المفرد الذي من شأنه انه اذا نظر في احواله اوصل الى المطلوب كالعلم
مثلاً فانه يسمى عندهم دليلاً. ويتناول ايضاً التصورات المتعددة غير مأخوذة
مع الترتيب وحينئذ يلزم تناوله للقدماء اذ لم تؤخذ مع ترتيبها. واطلق المطلوب

البحث الثالث

في المواضع

(عن تلخيص كتاب ارسطو في الخطابة لابن رشد)

(راجع صفحة ٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

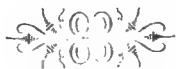
(قَالَ) كُلُّ مَا كَانَ الْقَوْلُ أَصْنَرَّ عُمُومًا كَانَ أَكْثَرَ مُوَاتَاةً
وَتَأْتِيهَا لِأَن يَنْتَفِعَلَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ . وَكُلَّمَا كَانَ أَقْلَ عُمُومًا
كَانَ آخَرَى أَنْ يَكُونَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةٍ مَخْصُوعَةٍ . وَلِذَلِكَ كَانَتْ
الْمَوَاضِعُ مِنْ الْقِيَاسَاتِ الْخَطِيئَةِ وَالْقِيَاسَاتِ الْجَدَلِيَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّ
الْمَوَاضِعَ تَوْجِدُ تَعَمُّ الْأُورَ الْمُنْطَقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالنِّيَاسِيَّةِ أَغْنَى
الْإِرَادِيَّةِ . وَذَلِكَ مِثْلُ مَوَاضِعِ الْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ (*) قَائِمًا لَيْسَ

(٥) يريد بمواضع الاقل والاكثر المقابلة في غير الاضداد (راجع الجزء

الثاني من علم الادب صفحة ٢٩)

لِيتناول المطلوب التصوري والتصديقي . (ولما كان الادراك اما تصورًا او تصديقًا
فكذلك المطلوب) الادراكي الذي يطلب بالنظر . (فان كان) المطلوب (تصورًا
سُمي طريقته) الذي يمكن ان يتوصل بالنظر فيه اليه (معرفًا) . (وان كان) المطلوب
(تصديقًا سُمي) طريقته (دليلاً وهو) اي الدليل بالمعنى المذكور (بشمل الظني)
الموصل الى الظن كالنعم (الرطب الموصل الى ظن المطر . والقطني) الموصل الى الجزم
والقطع كالعلم الموصل الى العلم بوجود الصانع . (وقد ينحصر) الدليل (بالقطني) .
(ويسمى الظني اشارة وقد ينحصر) الدليل ايضاً مع التخصيص الاول (بما يكون)
الاستدلال فيه (من المعلول) كالحمى (على العلة) كتمفن الاخلاط ويسمى هذا برهاناً
أثباتاً ويسمى عكسه وهو ما يستدل فيه من العلة على المعلول (تعليلًا) وبرهاناً ثباتاً

تَعْمَلُ مِنْهَا أَلْقَائِيْسُ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ أَلَّتِي ذَكَرْنَا
 بَلْ فِي جَمِيعِهَا إِذْ كَانَتْ لَا تُسْتَعْمَلُ نَفْسُهَا وَإِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ قُوَّتُهَا. وَأَمَّا
 الْأَنْوَاعُ فَهِيَ الْمُقَدَّمَاتُ الْخَاصَّةُ بِصِنَاعَةٍ صِنَاعَةٍ وَنَ الصَّنَائِعِ الْجُزْئِيَّةِ مِثْلُ
 أَلْمُقَدَّمَاتِ أَلَّتِي تُعْمَلُ مِنْهَا أَلْمَقَائِيْسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ فَإِنَّهَا لَا تُعْمَلُ
 مِنْهَا أَلْمَقَائِيْسُ فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ وَلَا أَلَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ تُعْمَلُ
 مِنْهَا أَلْمَقَائِيْسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا قَادِرَ
 الْمَوَاضِعِ لَا يُؤَلَّفُ مِنْهَا قِيَاسٌ فِي صِنَاعَةٍ مُخْصُوصَةٍ إِذْ مَا يُتَصَوَّرُ مِنْهَا
 هُوَ عَامٌّ لَا كَثَرٌ مِنْ صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَمَّا الْأَنْوَاعُ فَهِيَ أَلَّتِي
 تُؤَلَّفُ مِنْهَا أَلْمَقَائِيْسُ أَلَّتِي تَلْتَمِ مِنْهَا الصِّنَاعَةُ أَلَّتِي يَتَكَلَّفُ الْأَنْوَاعُ
 مُخْصُوصَةً بِهَا. لَكِنْ الْأَنْوَاعُ أَلَّتِي نَحْنُ عَازُونَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى
 ذِكْرِهَا لَيْسَتْ هِيَ مُقَدَّمَاتٌ يَقِينَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
 لَكَانَتْ أَلْمَقَائِيْسُ الْخَطِيئَةُ مَقَائِيْسٌ يَقِينَةٌ وَلَمْ تَكُنْ مَقَائِيْسَ
 جَدَلِيَّةً فَضْلًا عَنْ خُطِيئَةٍ. وَالضَّامِرُ الْمَعْمُولُ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَكْثَرُ
 ذَلِكَ إِنَّمَا تُؤَلَّفُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مَا كَانَ مِنْهَا خَاصًا بِجِنْسٍ جِنْسٍ
 وَنَ أَجْنَاسٍ الْخَطَابَةِ الثَّلَاثَةِ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَامًّا لِلْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ
 أَلَّتِي تُحَدِّدُ بَعْدُ



البحث الرابع

في التعريف والحد والرسم

(من كتاب الشفاء لابن سينا والمواقف للابنبي وغيرهما)

(راجع صفحة ١٤ من علم الخطابة)

التعريفُ عندَ أهلِ العَرَبِيَّةِ هُوَ جَعْلُ الذَّاتِ مُشَارًا بِهَا إِلَى
خَارِجٍ إِشَارَةً وَضَمِيَّةً وَيُقَابَلُهَا التَّنْكِيرُ. وَعِنْدَ الْمُتَطَهِّينَ هُوَ الطَّرِيقُ
الْمُوصِلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ التَّصَوُّرِيِّ وَيُسَمَّى مَعْرِفًا وَقَوْلًا شَارِحًا أَيْضًا
وَيُسَمَّى حَدًّا أَيْضًا عِنْدَ الْأَعُولِيِّينَ. وَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ التَّصَوُّرِيُّ
يُسَمَّى مَعْرِفًا وَمَحْدُودًا. وَبِالْحَقِيقَةِ فَإِلْمُكَ بِمَا يُكْتَسَبُ بِهِ التَّصَوُّرُ
فَخَرَجَ مَا يَحْضُرُ بِطَرِيقِ الْخُذْسِ وَمَا يَحْضُرُ مِنَ الْمَلْزُومَاتِ الْبَيِّنَةِ مِنْ
الْعِلْمِ بِاللَّوْازِمِ فَإِنَّ الْأَكْثَرِيَّةَ إِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ. وَقَالَ الْمُتَطَهِّينَ: لَا
بُدَّ فِي الْمَعْرِفِ مِنْ مُمَيِّزٍ فَإِنْ كَانَ الْمُمَيِّزُ ذَاتِيًا سُمِّيَ الْمَعْرِفُ حَدًّا
وَإِنْ كَانَ عَرَضِيًّا سُمِّيَ الْمَعْرِفُ رَسْمًا. وَقَالَ الْمُتَقَسِّدُونَ: إِنْ
أَرْتَمَ مِنْهُ تَأَمُّلٌ يُمَيِّزُ الرُّسُومَ مِنْ كُلِّ مَا يُغَايِرُهُ وَهُوَ يَتَرَكَّبُ مِنْ
الْجُلُوسِ الْقَرِيبِ وَالْخَاصَّةِ كَتَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَوَانِ الضَّاحِكِ.
وَمِنْهُ نَاقِصٌ يُمَيِّزُهُ عَنِ بَعْضِ مَا يُغَايِرُهُ وَيَكُونُ بِالْخَاصَّةِ وَخَدَّهَا أَوْ
بِهَا وَبِالْجُلُوسِ الْبَعِيدِ كَتَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ بِالضَّاحِكِ أَوْ بِالْجُلُوسِ
الضَّاحِكِ أَوْ بِعَرَضِيَّاتٍ تَخْتَصُّ بِجَمَلَتِهَا بِحَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِنَا فِي

تَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ : إِنَّهُ مَا شَ عَلَى قَدَمِهِ عَرِيضُ الْأَطْفَارِ بَادِي الْبَشَرَةِ
مُسْتَقِيمُ الْقَامَةِ صَحَاكُ بِالطَّبْعِ . وَصَرَحُوا بِأَنَّ السَّوَادَةَ شَرْطُ جُلُودَةِ
الرَّسْمِ وَجَرَّزُوا الرَّسْمَ بِالْأَعْمِ وَالْأَخَصِ وَأَيَّدَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَعْرِفَ
لَا بُدَّ أَنْ يُفِيدَ التَّمْيِزَ عَنْ بَعْضِ الْأَغْيَارِ كَمَا يَفْتَضِيهِ تَعْرِيفُهُمْ
لِلْمَعْرِفِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ . فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَقْتَضِي التَّمْيِزَ فِي الْجُمْلَةِ .
وَأَمَّا التَّمْيِزُ عَنْ جَمِيعِهَا فَلَيْسَ بِشَرْطٍ لِأَنَّ التَّصَوُّرَاتِ الْمَكْتَسَبَةَ
كَمَا قَدْ تَكُونُ بِوَجْهِ خَاصٍّ بِالشَّيْءِ إِمَّا ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ كَذَلِكَ
تَكُونُ بِوَجْهِ عَامٍّ ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ . فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَاسِبٌ كُلِّ
مِنْهُمَا مَعْرِفًا قَائِمًا سَوَاءً شَرْطُ الْمَعْرِفِ التَّامِّ دُونَ غَيْرِهِ حَدًّا سَكَنًا
أَوْ رَسْمًا

قَالَ الْأَيْبِيُّ : (*) الْمَعْرِفُ نَجِبُ مَعْرِفَتِهِ قَبْلَ الْمَعْرِفِ فَيَكُونُ
غَيْرُهُ أَوْ أَجْلَى مِنْهُ فَلَا يُعْرِفُ بِمَا لَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ بِجَرْتِهِ أَوْ أَكْثَرِ .

شرح مقالة الأيبجي للنجاني

يقول : (الْمَعْرِفُ نَجِبُ مَعْرِفَتِهِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ (الْمَعْرِفِ) لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ طَرِيقٌ إِلَى
مَعْرِفَتِهِ وَسَبَبٌ لَهَا فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَقَدَّمَهَا . (فَيَكُونُ غَيْرُهُ) إِذَا لَوْ كَانَ عَيْنُهُ لَمْ يَكُنْ
الشَّيْءُ مَعْلُومًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا (أَوْ) يَكُونُ أَيْضًا (أَجْلَى مِنْهُ) إِذَا لَوْ سَوَاءٌ فِي
الْجُلَاءِ أَوْ كَانَ أَخْفَى مِنْهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا قَبْلَهُ . (فَلَا يُعْرِفُ) هَذَا تَفْرِيعٌ عَلَى كَوْنِهِ
أَجْلَى أَوْ لَا يُعْرِفُ الشَّيْءُ (بِمَا لَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ) فَانَّهُ لَا يَكُونُ أَجْلَى مِنْهُ سِوَاهُ تَوَقُّفِ
مَعْرِفَتِهِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ (بِجَرْتِهِ) وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى دَوْرًا صَرِيحًا كَقَوْلِكَ : الشَّمْسُ
كُوكَبٌ خَارِيٌّ وَالنَّهَارُ زَمَانٌ = كَوْنُ الشَّمْسِ طَالِعَةً . (أَوْ أَكْثَرُ) وَيُسَمَّى دَوْرًا
مَضْمُورًا كَقَوْلِكَ : الْحَرَكَةُ خُرُوجُ الشَّيْءِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالتَّدرِجِ وَالتَّدرِجِ
وَقَوِّعُ الشَّيْءِ فِي زَمَانٍ وَالزَّمَانُ مَقْدَارُ الْحَرَكَةِ . (وَلَا بُدَّ) إِشَارَةٌ إِلَى شَرْطِ آخِرِ الْمَعْرِفِ
أَيْ لَا بُدَّ مِنْ (أَنْ يَسَاوِيَهُ فِي الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ لِيُحْصَلَ) بِهِ (التَّمْيِزُ) . (إِذَا لَوْلَا)

وَلَا بُدَّ أَنْ يُسَاوِيَهُ فِي الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ لِيَحْصُلَ التَّمَيُّزُ إِذَا لَوْلَاهُ
لَدَخَلَ فِيهِ غَيْرُ الْمَعْرِفِ فَلَمْ يَكُنْ مَانِعًا وَمُطَرِّدًا . أَوْ خَرَجَ عَنْهُ بَعْضُ
أَفْرَادِهِ فَلَمْ يَكُنْ جَائِعًا وَمُنْعَكِسًا وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تُمَيُّزٍ فَإِنْ كَانَ
ذَاتِيًا سُمِّيَ حَدًّا وَالْآسَمِيُّ رَسْمًا . وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ إِنْ كَانَ ذِكْرُ
فِيهِ قَامَ الذَّاتِيُّ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ الْمُسَمَّى بِالْجِنْسِ الْقَرِيبِ
فَقَامَ وَالْآفَاقِيُّ . وَالْمُرَكَّبُ يُحْدِثُ دُونَ الْبَسِيطِ فَإِنْ تَرَكَّبَ عَنْهُمَا
غَيْرُهُمَا حَدٌّ بِنِهَا وَالْآفَلَا . وَكُلُّ كَسْبِي لَهُ خَاصَّةٌ بِنِهَا يُرْسَمُ وَالْآفَلَا .

اي لولا كونه مساويا (لدخل فيه غير المعرفة) على تقدير كونه اعم مطلقا او
من وجه (فلم يكن مانعا) من دخول غير المعرفة فيه (و لا مطردا) وهو ان
يكون بحيث كلما صدق على شيء صدق عليه المعرفة ايضا . (او خرج عنه بعض افراده)
على تقدير كونه اخص اما مطلقا او من وجه (فلم يكن جاععا) لجميع افراد المعرفة
(و لا منمكسا) وهو ان يكون بحيث يصدق على كل ما صدق عليه المعرفة .
وعلم ان اشتراط المساواة في الصدق ما ذهب اليه المتأخرون اذ حينئذ يحصل
استميز اتمام بحيث يمتاز جميع افراد المعرفة عن جميع ما عدلها ولا يلبس شيء منها
بغيرها . . . (ولا بد فيه) اي في المعرفة (من مميز مساو لتعريف (فان كان) المميز
(ذاتيا سمي) المعرفة (حدّا) (والا سمي رسما) . وعلى التقديرين فان ذكر فيه قام
الذاتي المشترك بينه وبين غيره المسمى بالجنس القريب فقام (اما حد تام مركب
من الجنس والفصل القريبين واما رسم تام مركب من الخاصة والجنس القريب .
(والا فناقص) اما حد ناقص سواء كان بالفصل وحده او مع الجنس البعيد او
العرض العام عند من يجوز اخذه في الحد . واما رسم ناقص بالخاصة وحدها او مع الجنس
البعيد او العرض العام عند من يجوز اخذه في الرسم . (والمركب) اذا لم يكن بدعي
التصور (يحد) باجزائه حدّا تاما وناقصا (دون البسيط) فانه لا يمكن تحديده اذ لا
جزء له (فان تركب عنهما) عن المركب والبسيط (غيرهما) ولا يكون ذلك النير
بدعي التصور (حد بهما والافلا) يحد بهما اذ لم يقعا جزء الشيء . (وكل) . تصور
(كبي) مركب او بسيط (له خاصة) شاملة لازمة (بينه) بحيث يكون تصورهما

فَإِنْ كَانَ مُرَكَّبًا امْكَنْ رَسْمُهُ أَلْتَامٌ وَإِلَّا فَالْتَأَقِصْ. وَهَهُنَا نَوَعَانِ
آخَرَانِ مِنَ التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ بِأَلْتِمَالٍ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ تَعْرِيفٌ بِأَلْمُشَابَهَةِ.
فَإِنْ كَانَتْ مُفِيدَةً لِلتَّمْيِيزِ فَهِيَ خَاصَّةٌ فَيَكُونُ رَسْمًا نَاقِصًا وَإِلَّا
لَمْ تَصْلُحْ لِلتَّعْرِيفِ. وَالثَّانِي التَّعْرِيفُ اللفظيُّ وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ اللفظُ

مستلزماً لتصوره (يرسم. والا) اي وان لم تكن له خاصة كذلك (فلا) يرسم. (فان
كان) ذلك الكسبي الذي له تلك الخاصة (مركباً امكن رسمه التام) بتركيب
جنسه القريب مع خاصته (والا فالناقص. وههنا نوعان آخران من التعريف الاول)
التعريف (بالمثال) سواء كان جزئياً للمعرف كقولك الاسم كزبد والفعل كضرب
او لا يكون جزئياً له كقولك: العلم كالنور والجهل كالظلمة. (وهو بالحققة
تعريف بالمشابهة) التي بين ذلك المعرف وبين المثال. (فان كانت) تلك المشابهة
(مفيدة للتمييز فهي خاصة) لذلك المعرف (فيكون) التعريف بها (رسماً ناقصاً)
داخلاً في الاقسام الاربعة المذكورة للمعرف (والأ) اي وان لم تكن تلك المشابهة
مفيدة للتمييز (لم تصلح للتعريف) بها فليس التعريف بالمثال قسماً على حدة. ولما كان
استنباس العقول القاصرة بالامثلة أكثر شاع في مخاطبات المتعلمين التعريفات بها.
(والثاني التعريف اللفظي. وهو ان لا يكون اللفظ واضح الدلالة) على معنى (يفسر
بلفظ اوضح دلالة) على ذلك المعنى كقولك: الفضفر الاسد. واهل هذا تعريفاً حقيقياً
يراد به افادة تصور غير حاصل. اما المراد تبيين ما وضع له لفظ الفضفر من بين
سائر المعاني ليلتفت اليه ويعلم انه موضوع بازانة. فآله الى التصديق وهو طريقة
اهل اللغة وخارج عن المعرف الحقيقي واقسامه الاربعة التي ذكرت. وحقه ان
يكون بالفاظ مفردة مرادفة فان لم يوجد ذكر مركب يقصد به تبيين المعنى لا
تفصيله. واعلم ان التعريف الحقيقي الذي يقصد به تحصيل ما ليس بمجاصل من
التصورات ينقسم الى قسمين: احدهما ما يقصد به تصور مفهومات غير معلومة
الوجود في الخارج ويسمى تعريفاً بحسب الاسم. فاذا علم مثلاً مفهوم الجنس
اجمالاً واريد تصوره بوجه اكمل فان فصل نفس مفهومه باجزائه كان ذلك حداً
له اسماً. وان ذكر في تعريفه عوارضه كان ذلك له رسماً اسماً. والثاني ما يقصد
به تصور حقائق موجودة ويسمى تعريفاً بحسب الحقيقة اما حداً او رسماً...

وَأَضَحَ الدَّلَالَةَ فَيَفْسَرُ بِلَفْظٍ أَوْضَحَ دَلَالَةً. ثُمَّ إِنَّهُ يُقَدِّمُ فِي التَّعْرِيفِ
الْأَعْمَ وَيُخْتَرِذُ عَنِ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَعَنِ الْمَشْتَرَكِ وَالْإِجْزَائِ
بِلَا قَرِينَةٍ وَبِالْجُمْلَةِ فَعَنْ كُلِّ لَفْظٍ غَيْرِ ظَاهِرِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ

البحث الخامس

في الكلي والحزني

(من كتاب الشفاء لابن سينا وتعريفات السيد الجرجاني وشرح الشنبة

(راجع صفحة ١٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْكَلِّيُّ عِنْدَ الْمُنْطَلِقِيِّينَ هُوَ الْمَقْهُومُ الَّذِي لَا يَنْبَغُ تَصَوُّرُهُ مِنْ
وُقُوعِ شَرَكَةٍ كَثِيرِينَ فِيهِ بَحْثُ يُمْكِنُ تَفْسِيهِ إِلَى أَجْزَائِهِ. وَالْمُفْتَبِّرُ
فِي الْكَلِّيِّ إِمَّا كَانَ فَوْضَ صِدْقِهِ عَلَى كَثِيرِينَ سَوَاءً كَانَ صَادِقًا أَوْ
لَمْ يَكُنْ وَسَوَاءً فَوْضَ الْعَقْلِ صِدْقَهُ أَوْ لَمْ يَفْرُضْ قَطُّ. وَيَقَابِلُهُ

(ثم انه يقدم في التعريف الاعم) لكونه اظهر عند العقل فتقديمه اولى ولان الاخص
قيد له فمفهوم اياه فكان تقديمه عليه انطباق وما يقل من انه واجب في الحد التام
محصل لجزئه الصوري حتى اذا اُخِرَ الجنس فيه كان حدًا ناقصًا فليس بشيء اذ
ليس للحد التام جزء خارج عن اجزاء الماهية المختصة في الجنس والفصل. (ويتعزز)
فيه (عن الالفاظ الغريبة الوحشية) التي لا يفهم السامع معناها فيحتاج الى تفسيرها
فتطول المسافة ولذلك ما يختلف بالقياس الى السامعين فان اصطلاحات كل قوم
مشهورة عند اربابها غريبة عند غيرهم. (وعن المشترك والمجاز بلا قرينة) ظاهرة
فيتردد السامع حينئذ في المشترك بين المصور وغيره ويتبادر ذهنه في المجاز الى
غيره. وبالحملة فمن كل لفظ غير ظاهر الدلالة على المقصود) وذلك لانه يصدر
الانتهار والتوضيح فلا بد من ظهور الدلالة

الْجُزْئِيَّ وَهُوَ الْفَعْلُومُ مِمَّا يَتَرَكَّبُ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ كَانَ
 مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ أَوْ فِي الْعَمَلِ. وَلِلْكَلِّيِّ تَقْسِيمَاتٌ فَهُوَ أَمَّا
 حَقِيقِيٌّ وَهُوَ الَّذِي مَرَّ تَحْدِيدُهُ. وَأَمَّا إِشْغَافِيٌّ وَهُوَ مَا أُنْذِرُخَ تَحْتَهُ
 شَيْءٌ آخَرُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ أَخَصُّ مِنَ الْكَلِّيِّ الْحَقِيقِيِّ.
 وَالْكَلِّيُّ أَيْضًا أَمَّا جِنْسٌ أَوْ نَوْعٌ أَوْ فَضْلٌ أَوْ خَاصَّةٌ أَوْ عَرَضٌ
 عَامٌّ. وَيُقَسَّمُ أَيْضًا إِلَى كَلِّيٍّ طَبِيعِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ عَلَى حَسَبِ مَا
 يَكُونُ مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ أَوْ يَفْتَرِضُهُ الْعَمَلُ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَفْهُومٍ
 آخَرَ سِوَاهُ كَانَا كِلَيْتَيْنِ أَوْ جُزْئِيَّتَيْنِ أَحَدُهُمَا كَلِمًا وَالْآخَرُ جُزْئًا
 قَالِيبَةً بَيْنَهُمَا مُخَصِّرَةٌ فِي أَرْبَعٍ: الْمَسَاوَاةُ. وَالْعُمُومُ. مُطْلَقًا.
 وَالْعُمُومُ مِنْ وَجْهِ. وَالْمَبَايَنَةُ الْكَلِمَةُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَّصِدَّقَا عَلَى
 شَيْءٍ أَصْلًا فَهُمَا مُتَبَايِنَانِ تَبَايُنًا كَلِمًا. وَإِنْ تَصَادَقَا قَانَ تَلَاوُظًا فِي
 الصِّدْقِ فَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ وَإِلَّا فَإِنَّهُمَا اسْتَلْزَمَ صِدْقُ أَحَدِهِمَا صِدْقَ
 الْآخَرِ فَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا: (أَعْمٌ) مِنْ
 الْآخَرِ مِنْ وَجْهِ وَهُوَ كَوْنُهُ شَامِلًا لِلْآخَرِ وَلِغَيْرِهِ. (وَأَخَصُّ) مِنْهُ
 مِنْ وَجْهِ وَهُوَ كَوْنُهُ مَشْمُولًا لِلْآخَرِ فَالْمَسَاوَاةُ بَيْنَهُمَا أَنْ يَصْدُقَ
 كُلُّ مِنْهُمَا بِالْفِعْلِ عَلَى كُلِّ مَا صَدَقَ عَلَيْهِ الْآخَرُ سِوَاهُ وَجَبَ ذَلِكَ
 الصِّدْقُ أَوْ لَا

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الْكِتَابَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالشِّعْرِ مَوْفِعًا لِلْكَلِّيِّ
 وَالْجُزْئِيِّ. وَعِنْدَ الْبَدِيعِيِّينَ نَوْعٌ يَتَرَفَعُهُ بَحْضُ الْجُزْئِيِّ وَالْخَافِقِ
 بِالْكَلِّيِّ. فَحْضُ الْجُزْئِيِّ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ التَّكْلِيمُ إِلَى نَوْعٍ مِنْ

الأنواع فيجعله جنساً تعظيماً له وتنجيهاً لأمره بعد أن يختصر جميع
أقسامه. والمراد عندهم بالأنوع أعم من أن يكون صادقاً على
متعدد ذواتها كما هو النوع المفهود عند علماء المنطق أو لا يصدق
إلا على فرد واحد كالجزئي المعروف عندهم. والمراد بالكلية
الجنس وهو ما صدق على متعدد اختلفت حقيقة أفرادها. ومثال
ذلك عندهم كقول المتنبي:

هي الغرض الأقصى ورويتك ألتى

ومثال الدنيا وأنت الخلائق
فقد قصد تعظيم تدوحيه فجعل مثله الذي هو جزئي كلياً وهو
الدنيا وجعل ذاته التي هي جزئية كليةً وهي الخلائق. وأما حصر
أقسام الجزئي فلأن العالم عبارة عن حيوان ونبات وجماد والمثل
شاملها

البحث السادس

في الجنس والنوع

(عن السيف الآمدي وشرح الشمسية وانجاة لابن سينا)

(راجع صفحة ١٧ من علم الخطابة)

الجنس في اللغة الضرب في كل شيء وهو أعم من النوع.
يقال: الإنسان نوع والحيوان جنس. ويراد به عند أهل العربية
الماهية. وكل ما دل على شيء وعلى كل ما أشبهه وبالنظر إلى

هَذَا قِيلَ أَيْ أَمْ أَلْجَسِ أَيْ مَوْضِعُ اللَّاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ . وَالْجَسُ
 عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَقُولٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مُخْتَلِفِينَ بِالْأَفْرَاضِ دُونَ الْحَقَائِقِ .
 وَقِيلَ أَيْضًا : الْجَسُ هُوَ الْقَوْلُ عَلَى أَفْرَادٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ حَيْثُ الْقَاصِدُ
 وَالْأَحْكَامُ . وَالنَّوعُ كُلُّ مَقُولٍ عَلَى أَفْرَادٍ مُتَّفِقَةٍ مِنْ حَيْثُ الْقَاصِدُ
 وَالْأَحْكَامُ مُخْتَلِفِينَ بِالْعَدَدِ فَقَطْ كَالْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ مَقُولٌ عَلَى زَيْدٍ
 وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ فِي جَوَابٍ مَا هُوَ . وَزَيْدًا أُطْلِقَ الْجَسُ عَلَى الْآلِ
 أَلْعَامِ سِوَاهُ كَانَ جِنْسًا عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ أَوْ نَوْعًا . كَالْحَرْ وَالْعَبْدِ مَثَلًا
 فَهَذَا نَوْعَانِ يَتَدَرَّجَانِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ وَيَشْتَرِكَانِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ .
 ثُمَّ إِنَّ الْجَسَ يُقَدِّمُ إِلَى قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْ
 اللَّاهِيَةِ وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْجَسِ وَاحِدًا فَهُوَ قَرِيبٌ .
 وَيَكُونُ الْجَوَابُ ذَلِكَ الْجَسَ فَقَطْ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ
 وَعَنْ جَمِيعِ مَا يَشَارِكُهُ فِي الْحَيَوَانِيَّةِ كَالْفَرَسِ وَالْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَخَوَافِهَا .
 وَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْهَا وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْجَسِ
 مُتَعَدِّدًا فَهُوَ بَعِيدٌ وَيَكُونُ الْجَوَابُ هُوَ غَيْرُهُ كَالْجَسِ النَّامِي
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ جَوَابٌ عَنِ الْإِنْسَانِ وَعَنْ بَعْضِ
 مُشَارِكَاتِهَا فِيهِ كَالنَّبَاتَاتِ . . وَالْأَجْنَاسُ تَتَرْتَّبُ مُتَعَادِلَةً وَالْأَنْوَاعُ
 مُتَنَازِلَةٌ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ إِلَى جِسِّ لَيْسَ فَوْقَهُ جِسٌّ آخَرُ وَهُوَ الْجَسُ
 الْعَالِي وَالْإِلَهِ نَوْعٌ لَيْسَ تَحْتَهُ نَوْعٌ آخَرُ وَهُوَ الْجَسُ الْفَرْدُ



البحث السابع

في تعريف العلة والمعلول

(من كتاب المواقف لعبد الرحمن الايبكي)

راجع صفحة ٢٠ من علم الخطابة

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلِّيَّةَ وَالْمَعْلُولِيَّةَ مِنَ الْقَوَارِضِ الشَّامِلَةِ لِلْمَوْجُودَاتِ
عَلَى سَبِيلِ التَّقَابُلِ كَالْإِمْكَانِ وَالْوُجُوبِ. وَتَصَوَّرُ أَحْتِيَاجَ الشَّيْءِ
إِلَى غَيْرِهِ ضَرْوِيٌّ. فَالْحَتَّاجُ إِلَيْهِ يُسَمَّى عِلَّةً وَالْحَتَّاجُ مَعْلُولًا.
وَالْعِلَّةُ إِمَّا جُزْءُ الشَّيْءِ أَوْ خَارِجٌ عَنْهُ. (وَالْأَوَّلُ) إِنْ كَانَ بِهِ الشَّيْءُ
بِالْفِعْلِ كَالْمَيْتَةِ لِلْسَّرِيرِ فَهُوَ الصُّورَةُ. وَإِنْ كَانَ بِالْقُوَّةِ كَالْحَشَبِ لَهُ
فَهُوَ الْمَادَّةُ. وَهَاتَا إِنْمَا بِاعْتِبَارَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ: قَادَّةٌ إِذَا تَوَارَدُ عَلَيْهَا
الصُّورُ الْمُخْتَلِفَةُ. وَقَابِلٌ مِنْ جِهَةٍ اسْتَعْدَادِهَا لِلصُّورِ. وَعَنْصَرٌ إِذَا مِنْهَا
يُبْتَدَأُ التَّرْكِيبُ. وَاسْطَقْسٌ إِذَا إِلَيْهَا يَنْتَهِي التَّحْلِيلُ. وَهَاتَانِ عِلَّتَانِ
لِلْمَاهِيَةِ كَمَا أَنَّهُمَا عِلَّتَانِ لِلْوُجُودِ فَيُخَصَّانِ بِأَسْمِ عِلَّةِ الْمَاهِيَةِ.
(وَالثَّانِي) إِمَّا مَا بِهِ الشَّيْءُ كَالْتَّجَارِ لِلْسَّرِيرِ وَهُوَ الْفَاعِلُ. وَإِمَّا لِأَجْلِهِ
الشَّيْءُ كَالْجُلُوسِ عَلَيْهِ لَهُ وَهُوَ النَّايِبُ. وَهَاتَانِ تُخَصَّانِ بِأَسْمِ عِلَّةِ
الْوُجُودِ. وَالْأَوَّلِيَّانِ لَا تُوجَدَانِ إِلَّا لِلْمُرَكَّبِ. وَالثَّانِيَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
لِلْفَاعِلِ بِإِلَّاخِيَارٍ. وَقَدْ تُسَمَّى فَائِدَةُ فِعْلِ الْمَوْجِبِ غَايَةً أَيْضًا تَشْبِيهًِا.
وَالثَّانِيَةُ مَعْلُومَةٌ فِي الْخَارِجِ وَإِنْ كَانَتْ عِلَّةً فِي الذِّهْنِ فَلَهَا عِلَاقَةٌ

الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولَةِ. وَيُسَمَّى جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ عِلَّةً تَامَةً وَهِيَ
قَدْ تَكُونُ عِلَّةً فَاعِلَةً أَوْ مَعَ الْعَالِيَةِ كَمَا فِي الْبَسِيطِ. وَقَدْ تَكُونُ
مُجْتَمِعَةً مِنَ الْأَرْبَعِ كَمَا فِي الْمَرْكَبِ... وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالشَّرْطِ
أَنَّ الْعِلَّةَ مُطْرَدَةٌ فَحِينَئِذٍ وَجِدَتْ وَجِدَ الْحُكْمُ وَتَأْثِيرُهَا بِالذَّاتِ. أَمَّا
الشَّرْطُ فَيَتَرَقَّفُ عَلَيْهِ تَأْثِيرُ الْمَوْثِرِ لَا ذَاتُهُ كَيْمُوسَةِ الْحَطَبِ لِلْإِحْرَاقِ
إِذَا أُنْارَ لَا تَوْثُرُ فِي الْحَطَبِ بِالْإِحْرَاقِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ يَابِسًا

الفصل الرابع

في آداب الخطابة

البحث الأول

في آداب كلام الخطيب

(من كتاب الدنيا والدين للماوردي)

(راجع صفحة ٣٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

أَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَلامِ آدَابًا إِنْ أَغْفَلَهَا اَلْمُتَكَلِّمُ أَذْهَبَ رَوْقَ
كَلَامِهِ وَطَمَسَ بَهْجَةَ بَيَانِهِ وَلَمَّا النَّاسَ عَنْ عَمَائِينَ فَضْلِهِ بِمِثَالِهِ أَدَبِهِ
قَعْدُوا عَنْ مَنَاقِبِهِ بِذِكْرِ مِثَالِهِ. (فَمِنْ آدَابِهِ) أَنْ لَا يَجَاوِزَ فِي
مَذْحِرٍ وَلَا يُسْرِفَ فِي ذَمٍّ وَإِنْ كَانَتْ الزَّهْرَةُ عَنْ الذَّمِّ كَرَمًا.
وَالْجَاوِزُ فِي الْمَذْحِرِ مَلَقًا يَصْدُرُ عَنْ مَهَانَةٍ وَالسَّرْفُ فِي الذَّمِّ اِنْتِقَامًا

يَصْدُرُ عَنْ سِرٍّ. وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ. عَلَى أَنْ
 أَسْلَمَ مِنَ الْكَذِبِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ. مُتَعَذِّرَةٌ لِأَيِّهَا إِذَا مَدَحَ
 تَقَرَّبًا وَذَمَّ تَحَنُّنًا. وَحُكِيَ عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ سَهَرْتُ
 لَيْلِي أَفْكِرُ فِي كَلِمَةٍ أُرْضِي بِهَا سُلْطَانِي وَلَا أُخْطِ بِهَا رَبِّي قَالَا
 وَجَدْتُهَا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى
 السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيُخْرِجُ وَمَا مَعَهُ دِينُهُ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ.
 قَالَ: يُرْضِيهِ بِمَا يُخْطِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَسَمِعَ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ رَجُلًا
 يَصِفُ رَجُلًا وَيَبَالِغُ فِي مَدْحِهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَا وَصَفْتَ أَمْرًا لَا مَرِيءَ
 فَأَنْتَ إِنْ تَغَلُّ تَغَلُّ الظُّنُّ
 قِيَّالُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتْهُ
 لِفَضْلِ الْغَيْبِ عَلَى الشَّهَدِ

(وَمِنْ آدَابِهِ) أَنْ لَا تَبْعَثَ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ عَلَى الْإِسْتِزْسَالِ
 فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يُخْرِجُ عَنْهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهَا. فَإِنْ مَنْ
 أَطْلَقَ بِهَا لِسَانَهُ وَأَرْسَلَ فِيهَا عِيَانَهُ وَلَمْ يَسْتَقْبَلْ مِنْ الْقَوْلِ مَا
 يَسْتَقْبَلُهُ مِنَ الْعَمَلِ صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا وَوَعِيدُهُ عَجْزًا. (وَمِنْ آدَابِهِ)
 إِنْ قَالَ قَوْلًا حَقَّقَهُ بِفِعْلِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ صَدَقَهُ بِعَمَلِهِ فَإِنَّ
 إِرْسَالَ الْقَوْلِ اخْتِيَارٌ وَالْعَمَلُ بِهِ اضْطِرَارٌ وَلَئِنْ يَفْعَلْ مَا لَمْ يَقُلْ
 أَحْمَلُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَحْسَنُ
 الْكَلَامِ مَا لَا يُجْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْكَلَامِ. أَيِ يَكْتَفِي بِالْفِعْلِ مِنْ
 الْقَوْلِ. وَقَالَ عَمْرُو الْأَوْدَاعِ:

الْقَوْلُ مَا صَدَقَهُ الْفِعْلُ وَالْفِعْلُ مَا وَكَّدَهُ الْعَمَلُ
لَا يَثْبُتُ الْقَوْلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُعْقَلُهُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَصْلُ

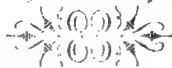
(وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يُرَاعِيَ تَحَارِجَ كَلَامِهِ بِحَسَبِ مَقَاصِدِهِ
وَأَعْرَاضِهِ فَإِنْ كَانَ تَرْغِيئًا قَرَنَهُ بِاللَّيْنِ وَاللُّطْفِ. وَإِنْ كَانَ تَرْهِيئًا
خَاطَبَهُ بِالْخُسُوفَةِ وَالْعَنْفِ. فَإِنَّ لَيْنَ اللَّفْظِ فِي التَّرْهِيْبِ وَخُسُوفَتُهُ فِي
التَّرْغِيْبِ خُرُوجٌ عَنْ مَوْضِعِهِمَا وَتَطْيِيلٌ لِلْمَقْصُودِ بِمَا قَيَّصِرُ الْكَلَامُ
لَقَوًا وَالْقَرَضُ الْمَقْصُودُ هُوَا. وَقَدْ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيُّ لِأَبْنِهِ :
يَا بُنَيَّ إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ فَوْقَكَ
فَيَمَقْنُوكَ. وَلَا بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ دُونَكَ فَيَزْدُرُوكَ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ
لَا يَرْفَعَ بِكَلَامِهِ صَوْتًا مُسْتَنَكِرًا وَلَا يَنْزِلَ لَهُ أَتْرَعًا مُسْتَهْجَأًا
وَلْيَكُفَّ عَنْ حَرَكَتِهِ تَكُونُ طِينًا وَعَنْ حَرَكَتِهِ تَكُونُ عِيًا. فَإِنْ
نَعَصَ الطَّلِسُ أَكْثَرُ مِنْ فَضْلِ الْبَلَاغَةِ. وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ
لِأَعْرَابِيٍّ : أَخْطِيبُ أَنَا. قَالَ : نَعَمْ لَوْلَا أَنَّكَ تُكْثِرُ الرَّدَّ وَتَشِيرُ
بِالْيَدِ وَتَقُولُ أَمَّا بَعْدُ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يَتَجَافَى هُجْرَ الْقَوْلِ
وَيُسْتَشْجَعَ الْكَلَامُ وَلِيَعْدِلَ إِلَى الْكِبَايَةِ عَمَّا يُسْتَشْجَعُ صَرِيحُهُ
وَيُسْتَهْجَنُ فَصِيحُهُ لِيَبْلُغَ الْقَرَضَ وَلِسَانُهُ تَرَهُ وَآدَابُهُ مَضُونٌ كَمَا أَنَّهُ
يَضُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَهَكَذَا يَضُونُ عَنْهُ سَمْعُهُ فَلَا يَسْمَعُ حَقًّا وَلَا
يُضْغِي إِلَى خُفْشٍ فَإِنَّ سَمَاعَ الْخُفْشِ دَاعٍ إِلَى إِظْهَارِهِ وَذَرِيسَةٌ إِلَى
إِنْكَارِهِ وَإِذَا وُجِدَ عَنِ الْخُفْشِ مُعْرَضًا كَفَّ قَائِلُهُ وَكَانَ إِعْرَاضُهُ
أَحَدَ التَّكْبِيرَيْنِ كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدَ الْبَلَاغَتَيْنِ. وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ

ابْنُ الْحَارِثِ الْهَاشِمِيُّ :

تَحَرَّى مِنَ الطَّرْقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنِ التَّوَضُّعِ الشُّبَّةَ
وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ التَّلَطُّقِ بِهِ
فَأَمَّاكَ عِنْدَ اسْتِجَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِهِ فَأَنْتَبَهَ
وَمَا تَجْرِي تَجْرَى فَحَسَّ الْقَوْلِ وَتَجَرَّوْا فِي وَجُوبِ اجْتِنَابِهِ وَلَزُومِ
تَنَكُّهِ مَا كَانَ شَنِيعَ الْبِدْيَةِ مُسْتَكْرَ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ عُمَبَ
الْتِمَامِ سَلَامًا وَبَعْدَ الْكُشْفِ وَالرَّوِيَّةِ مُسْتَقِيمًا كَالَّذِي رَوَاهُ الْأَزْدِيُّ
عَنِ الصَّوَلِيِّ لِبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ :

إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ كَافِرٌ يَا اللَّهُ يَبِيرِي
أَنْتَ رَبِّي وَإِلَهِي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ

يُرِيدُ بِقَوْلِهِ (كَافِرٌ) أَيُّ لَا يَسُُّ لِأَنَّ الْكُفْرَ التَّغَطُّيَّةَ . وَلِذَلِكَ
سَمَّى الْكَافِرُ يَا اللَّهُ كَافِرًا لِأَنَّهُ قَدْ عَطَى نِعْمَةً اللَّهُ بِمَعْصِيَتِهِ . وَقَوْلُهُ :
(يَا اللَّهُ يَبِيرِي) يُقْسِمُ عَلَيْهَا أَنْ تَبِيرَ . وَقَوْلُهُ : (أَنْتَ رَبِّي) يَعْنِي رَبِّي
وَلَدَيْكَ مِنَ التَّوْبَةِ . وَإِلَهِي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ كَمَا أَنَّهُ رَازِقُ الْوَلَدِ
الْكَبِيرِ . فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا اتِّكَلُّفِ الشَّيْخِ وَالتَّعَمُّقِ الْبَشِيعِ . مَا
أَعْتَاضَ مِنْ حَيْثُ الْبِدْيَةِ إِذَا سَلِمَ بَعْدَ الْفَسَادِ وَالرَّوِيَّةِ إِلَّا لَوْحًا
إِنْ حَسَنَ فِيهِ الظَّنُّ أَوْ دَمًا إِنْ قَوِيَ فِيهِ الْإِرْتِيَابُ . وَقَلَمًا يَكُونُ
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خَائِعٍ بَهِيرٍ أَوْ مُرَكَّبٍ آيِسٍ



البحث الثاني

في خصال الخطيب

(عن الماوردي والغزالي ببعض تصرف)

(راجع صفحة ٣٩ من علم الخطابة)

إِنَّ الْخَطِيبَ الْحَرِيَّ بِالْإِزْشَادِ مَنْ قَدْ اسْتَكَمَلَتْ فِيهِ خَمْسٌ
 خِصَالٌ : (إِحْدَاهُنَّ) عَقْلٌ كَامِلٌ مَعَ تَجَرِبَةٍ سَالِفَةٍ فَإِنَّ بِكَثْرَةِ
 الْأَشْجَابِ تَصِحُّ الرُّوْيَةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : اسْتَشِدُّوا الْعَاقِلَ
 تَرُشِدُوا وَلَا تَعَصُرْهُ فَيُذْمَرُوا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ :
 اخَذُوا مَسْوَرَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا كَمَا تَحْذَرُ عِدَاؤُهُ الْعَاقِلِ
 إِذَا كَانَ عَدُوًّا فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُورِطَكَ بِمَشُورَتِهِ فَيَسْبِقُ إِلَيْكَ
 مَكْرُ الْعَاقِلِ وَتُورِطُ الْجَاهِلُ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ
 صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَنَحْنُ نَطِيعُهُ فَكَمَا نَا
 أَلْفُ حَازِمٍ . وَكَانَ يُقَالُ إِيَّاكَ وَمَشَاوَرَةَ رَجُلَيْنِ شَابٍ مُنْجِبٍ
 بِنَفْسِهِ قَلِيلُ الْأَشْجَابِ فِي غَيْرِهِ أَوْ كَثِيرٌ قَدْ اخَذَ الذَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا
 أَخَذَ مِنْ جَسَدِهِ . وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحُكَمِ : كُلُّ شَيْءٍ لَا يَخْتِاجُ إِلَى
 الْعَقْلِ وَالْعَقْلُ يَخْتِاجُ إِلَى الْأَشْجَابِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : الْيَوْمَ تَهْتِكُ لَكَ عَنْ
 الْأَسْتَارِ الْكَامِنَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْأَشْجَابُ لَيْسَ لَهَا غَايَةٌ
 وَالْعَاقِلُ مِنْهَا فِي زِيَادَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ اسْتَعَانَ بِذَوِي
 الْعُقُولِ فَادَّرَكَ الْمَأْمُولَ . وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيْلَمِيُّ :

وَمَا كُلُّ ذِي نَفْسٍ بِمِثْلِكَ نَفْسُهُ وَلَا كُلُّ مَوْتٍ نَفْسُهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعْنَا عِنْدَ صَاحِبِ نَفْسٍ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِصَيْبٍ
(وَالْحَصْلَةُ الثَّانِيَّةُ) أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ ذَا دِينٍ وَتَقَى قَائِنَ
ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلاحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الدِّينُ فَهُوَ
مَأْمُونُ السَّرِيرَةِ مُوقِنُ الْعَزِيمَةِ. (وَالْحَصْلَةُ الثَّلَاثَةُ) أَنْ يَكُونَ
نَاصِحًا وَدَوْدًا فَإِنَّ النُّصْحَ وَالْمُودَّةَ يُضَادُّانِ الْفِكْرَةَ وَيَخْتَصِمَانِ الرَّأْيَ.
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُشَاوِرْ إِلَّا الْخَازِمَ غَيْرَ الْخُسُودِ وَاللَّيْبِ
غَيْرَ الْحَقُودِ وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ الْأَسَاءِ فَإِنَّ زَائِلِينَ إِلَى الْأَفْنِ وَعَزَمِينَ
إِلَى الْوَهْنِ. وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ: مَشُورَةُ الْمَشْفِقِ الْخَازِمُ ظَفَرُ
وَمَشُورَةُ غَيْرِ الْخَازِمِ خَطَرٌ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَصْبَحَ غَمِيرًا بَيْنَ تَعَايِيرِهِ وَأَسْكُنُ إِنِّي نَاصِحَ تَشَاوِرِهِ
وَأَرْضَ مِنْ أَرَى فِي مَوَدَّتِهِ بِمَا يُؤْدِي إِلَيْكَ ظَاهِرِهِ
مَنْ يَكْتُمُ النَّاسَ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا تَنْصَحُ وَنَهْمُ لَهُ سِرَابِرُهُ
أَوْشَكَ أَنْ لَا يَدْرِمَ وَضَلَّ أَحْمَرُ فِي كُلِّ زَلَاةٍ تَنْسَافِرُهُ

(وَالْحَصْلَةُ الرَّابِعَةُ) أَنْ يَكُونَ سَائِمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ
وَعَمْرٍ شَاقِلٍ. فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرُهُ شَوَائِبُ الْهَوَمِ لَا يَسْلَمُ لَهُ
رَأْيٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ خَاطِرٌ. وَكَانَ كَثَرَى إِذَا دَبَّحَهُ أَمْرٌ بَعَثَ إِلَى
مَرَاذِيهِ فَاسْتَشَارَهُمْ فَإِنْ قَصَرُوا بِالرَّأْيِ ضَرَبَ قَهَارَتَهُ وَقَالَ: أَبْطَأْتُمْ
بَارِزَاتِهِمْ فَأَخْطَأُوا فِي آرَائِهِمْ. وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:
وَلَا مُشِيرَ كَذِبِي نُصَحٍ وَتَقْدَرَةُ فِي مُشْكِالِ الْأَمْرِ فَاحْذَرِ ذَلِكَ مُنْتَحِيحًا

(وَالْخُصْلَةُ الْخَامِسَةُ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارِ
غَرَضٌ يُتَابِعُهُ وَلَا هَوًى يُسَاعِدُهُ فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جاذِبَةً وَالْهَوًى صَادُّ
وَالرَّأْيَ إِذَا عَادَهُ الْهَوًى وَجاذِبَةً الْأَغْرَاضُ قَسَدٌ. وَقَدْ قَالَ
الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

وَقَدْ يُحْكِمُ الْأَيَّامُ مَنْ كَانَ جَاهِلًا

وَيَزِدِّي الْهَوَى ذَا الرِّأْيِ وَهُوَ لَيْبٌ

وَيُجِدُّ فِي الْأَمْرِ الْقَتَى وَهُوَ خَطِيءٌ

وَيُعْذَلُ فِي الْإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبٌ

فَإِذَا اسْتَكَلَّتْ هَذِهِ الْخُصَالُ الْخَمْسُ فِي رَجُلٍ كَانَ أَهْلًا
لِلْإِشَارَةِ وَالْمَشُورَةِ وَمَعْنَا الرِّأْيِ فَلَا تَعْدِلُ عَنْ اسْتِشَارَتِهِ اعْتِمَادًا
عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَضْلِ رَأْيِكَ وَثِقَةً بِمَا تَسْتَشْعِرُهُ مِنْ صِحَّةِ رَوَيْتِكَ.
فَإِنَّ رَأْيَ غَيْرِ ذِي الْحَاجَةِ أَسْلَمَ وَهُوَ مِنَ الصَّوَابِ أَقْرَبُ لِلْخُلُوصِ
أَلْفِكْرٍ وَخُلُوصِ الْخَاطِرِ مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَارْتِفَاعِ الشَّهْوَةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ : إِنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَمَا
اسْتَقْنَى مُسْتَبْدُّ بَرَأْيِهِ وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ فَلَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِعَبْدٍ هَلَكَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يُهْلِكُهُ رَأْيُهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
الْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهُدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَقْنَى بَرَأْيِهِ. وَقَالَ الْقِمَامُ
الْحَكِيمُ لَا يَنْبَغُ شَاوِرُهُ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا
قَامَ عَلَيْهِ بِالْقَلَاءِ وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ بِجَنَانَا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : نِصْفُ
رَأْيِكَ مَعَ أَخِيكَ شَاوِرُهُ لِيَكْمُلَ الرِّأْيُ

البحث الثالث

في طباع الناس على اختلاف اطوار الحياة

(من كتاب مشهد الاحوال لفتح الله مراه)

(راجع صفحة ٤٣ من علم الخطابة)

(حَالُ الطُّفُولِيَّةِ) هَذَا هُوَ الدَّوْرُ الْأَوَّلُ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ. وَالْقَلْوَةُ
 الْأُولَى فِي طَرِيقِ الزَّمَانِ. حِينَ يُقَالُ لِلدَّخْلِ طِفْلٌ مَوْلُودٌ.
 وَلِلخَارِجِ سَخِجٌ مَفْقُودٌ. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الدَّخْلِ عَدِيمَ
 الْبَصِيرَةِ. خَالِي السَّرِيرَةِ. عَارِيًا مِنْ كُلِّ الْكَمَالَاتِ الْأَدَبِيَّةِ. غَيْرَ
 حَاصِلٍ عَلَى قَامٍ. أَوْ ظَانِفٍ الْعَقْلِيَّةِ. فَلَا يَرَى إِلَّا مَا يَقُومُ قُرْبَهُ. وَلَا
 يَشْعُرُ إِلَّا بِمَا يَسْتَعِظُ قَلْبَهُ. فَيَلْعَبُ بِالْأَرَابِ وَيَذَرِيهِ. وَيَعْبَثُ بِالْأَيْدِ
 وَيَزْرِيهِ. وَيَسْتَحِرُّ بِالتَّقْبُولَاتِ وَالْمُزْدِرَاتِ. وَيَضْحَكُ عَلَى كُلِّ
 أَلْوَجُودَاتٍ. فَلَا يَحْتَمُّ إِلَّا بِطَلَبِ الْغِنَاءِ. وَلَا يَحْفَلُ إِلَّا بِمَا يُورِثُ
 الْأَذَى. وَإِذْ لَا يَدْرِي طَائِفًا بِحَقِّهِ بَيْتِهِ. وَضَائِعًا فِي تَبَةِ بَيْتِهِ. فَلَا
 يَسْعُ دَوِيَّ ضَوْضَاءِ الْعَوَالِمِ. وَلَا رَوِيَّ قَوَائِمِ الْعُظَامِ. بَيْنَمَا
 يَكُونُ بَاصِيًا تَحْتَ تَأْثِيرَاتِهَا وَقَوَائِمِهَا. وَمُتَحَرِّكًا وَسَاكِنًا تَحْتَ
 جَوَازِمِهَا وَعَوَامِلِهَا. وَمُسْرِعًا فِي طَرِيقِ حَيَاتِهِ إِلَى الدَّخُولِ فِي
 أَبْوَابِهَا. وَأَقْرَظٍ فِي عُيَابِهَا. فَلَمَّا عَيْنُهُ تَرَى مَا يَسْتَمْلِكُهُ مِنْ
 الْأَوْصَابِ. وَمَا يَسْتَنْظِرُهُ مِنَ الْأَنْعَابِ. قَدْ أَشْدَى الْأَرْمَرُ أَرْدَى
 فِي طَلَبِ الْقَوْتِ. وَمَا أَلْهَدُ إِلَّا إِشَارَةَ التَّائِبِ

(حَالُ الْقُتُورِ) هَذَا هُوَ الدُّورُ الثَّانِي فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَالْمَسَاحَةُ
الْأُولَى لِإِنْتِشَارِ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ أَوْ الثَّلُ الْأَوَّلُ فِي طَرِيقِ الْأَجَلِ.
وَمَسَلِكُ الْعَمَلِ. فَيَضَعُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ الْعَالَمَ بِعَيْنَيْهِ. فَيَرَاهُ
مَشْهُدًا بِدَيْعِ الْجَمَالِ. وَمَلَبًا تَلْعَبُ بِهِ الْآ مَالُ. وَتَرْقُصُ فِيهِ
الْمَلَكَاتُ وَالْأَمَانِي. وَتَحُومُ حَوْلَهُ الْبَشَائِرُ وَالْتِهَانِي. فَشَلُهُ سُؤْلُ هَذَا
الظُّهُورِ. وَتَلْعَبُ بِرَأْسِهِ حَيَّةُ هَذِهِ الْأُمُورِ. فَيَسْتُسْكِرَانِ بِالْأَفْرَاحِ.
وَمَأْخُودًا بِرَيْنِ تِلْكَ الْأَقْدَاحِ. فَيَتَسِيمُ مَدَى الْأَزْقَاتِ. وَلَا يَعْلَمُ مَا
الْآ قَاتُ. إِذْ يَطْلُ مُلْتَمًا بِكِسَاءِ الْآ مَالِ. وَتُحْتَفًا بِأَوْهَامِ الْأَعْمَالِ.
وَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى ذَاتِهِ. وَلَا يَحْفَلُ إِلَّا بِصِفَاتِهِ. هَائِمًا فِي مَلَاهِي
ذُنْيَاهُ. وَمُتَهَانِنًا عَلَى حَدَاثَةِ قُوَاهُ. وَهَكَذَا يَهْبِطُ فِي وَادِي هَذَا
الْعَالَمِ الْأَلِيمِ. وَيَخْوَطُ فِي ذَلِكَ الْخَجَرِ الْخِصَمِ. وَلَا يَزَالُ بَيْنَ هُبُوبِ
وَأَنْكِبَابِهِ. إِلَى أَنْ يَشْلُهُ الصَّوَابُ. وَيُدْرِكُهُ الشَّبَابُ

(حَالُ الشُّبُورَةِ) أَمَّا الشُّبُورَةُ فَفِي الدُّورِ الثَّلَاثِ لِلْأَجَلِ. وَتَحُلُّ الْكَدَّ
وَالْعَمَلَ. وَمَوْقِعُ الْإِلْسِ وَالْأَمَلِ. حَيْثُ يُوجَدُ الْإِنْسَانُ ضَائِعًا فِي مَقَازَةِ
الْعُمُرِ. حَازِرًا فِي تَنَوُّهِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ. فَيَرَى نَفْسَهُ قَائِمًا فِي وَسْطِ
هَذِهِ الدُّنْيَا. مُنْطَبِحًا بِكَافَّةِ الْأَشْيَاءِ. مُلْتَطِعًا بِأَمْوَاجِ الْعَالَمِ وَأَهْوَانِهِ.
مَضْرُوعًا وَمَأْخُودًا بِعَجَائِهِ وَضَوْغَانِهِ. وَهَكَذَا تَنْهَضُ فِي قَلْبِهِ تَوَرُّدَةُ
أَحْوَاسِهِ. وَتَشُبُّ فِي دِمَاعِهِ نَارُ الْوَسْوَاسِ. وَتَضْفِرُ فِي سِرِّيَرَتِهِ رِيحُ
الْأَهْجَاسِ. فَيَتَدَفَّعُ إِلَى مُنَازَلَةِ الْأَقْدَارِ وَالْأَيَّامِ. وَمُعَاتَلَةِ الْحَقَائِقِ
وَالْأَوْهَامِ. فَتَارَةً تَهْبُ بِهِ الْآ مَالُ إِلَى أَوْجِ الْأَفْرَاحِ وَالْمَسَرَّاتِ.

وَطَوَّرًا تَكْبُ بِهِ الْحَيَاتُ فِي حَضِيضِ الْأَتْرَاحِ وَالْحَسَرَاتِ. يَرَى
 الْعَالَمَ قَرِيبَ الْمَالِ. فَيَتَدَفَّعُ وَرَاءَهُ عَلَى نُتُونِ الْأَهْوَالِ. حَتَّى إِذَا
 مَا ظَفَرَ بِالْبُغْضِ طَلِيمَ بِالْكُلِّ. وَإِذَا قَارَ بِالسَّجَمِ رَغَبَ فِي الظَّلَمِ.
 فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُضْمَعَةً فِي أَفْوَاءِ الطَّامِعِ. وَكَرَّةً تَتَلَقَّهَا الْقَوَامِعُ.
 وَذَلِكَ إِنَّمَا يُوجِدُ مُهْطًا لِحَوَادِثِ الْجِدَتَانِ. وَمُسْتَعِطًا لِصَارِبِ
 الزَّوَالِ. وَلَا تَرَالُ ذَهْرُهُ هَذَا السَّبَابُ الزَّاهِي بَيْنَ ذُبُولِ وَأَقْتِرَابِ.
 وَلَا يَبْرَحُ بَذَرُ هَذَا الْمَضَرِّ النَّاهِي بَيْنَ خُسُوفٍ وَأَنْفِرَابِ. إِلَى أَنْ
 تَدْمُرَ السَّخِوَّةُ تِلَاجَ تِلْكَ الزَّهْرَةِ. وَيَضَعَّ الْحَرَمُ وَجْهَ هَانِكِ الْقَدَرَةِ.
 حِينَمَا يَسْفُطُ السَّبَابُ مِنْ قَرْنِهِ. وَيَرْتَفِعُ الْمَشِيبُ عَلَى عَرْشِهِ
 (حَالُ السَّخِوَّةِ) فَلَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ سَارِبًا فِي طَرِيقِ غَمْرِهِ
 سَيْرَ الْمُسَافِرِ فِي الْقَفَارِ. إِلَى أَنْ يَبْلُغَ رَابِعَ الْأَدْوَارِ. وَهُوَ دَوْرُ الدُّنْيَا.
 هَذَا إِذَا امْتَكَنَ الْخَلَاصُ مِنْ نُصُوصِ الْحَوَادِثِ. وَالْمُلَاصُ مِنْ أَسَدِ
 الْكَوَارِثِ. وَنَهَبَ الْأَعْرَاضِ. وَقَتَلَهُ الْأَمْرَاضُ قَيْلَتْ هُنَاكَ مِنْهُوَكَا
 مِنْ تَعَبِ الْمَسِيرِ. وَمَضَضِ التَّأْيِيرِ. إِذْ يَبُودُ مُخْنِبًا تَحْتَ أَحْمَالِ الْحَيَاةِ
 وَأَثْقَالِهَا. وَمَرْمُوضًا مِنْ عَمَدَاتِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا. فَتَضَعُ ضَوْضَاهُ
 حَوَاسِيَهُ وَهَوَاجِسَهُ. وَيَخْرُسُ رَيْنِينَ أَنْفَاسِهِ وَوَسَاوِسِهِ. يَكْفُ بِصَرَّةٍ.
 وَتَجْفُ فِكْرُهُ. وَيَقِلُّ ذَوْقُهُ. وَيَكْثُرُ سُوقُهُ. وَيَجُولُ حَتَّى بِأَقْلَاسِ.
 وَيَرِيدُ جَرْعَهُ عَلَى النَّفْسِ. وَيَجُودُ بِأَقْلَاسِ. فَإِذَا أَلْتَمَتِ إِلَى وَرَائِهِ
 وَرَأَى الدُّنْيَا الَّتِي قَطَعَهَا. وَالطَّرِيقَ الَّتِي تَتَبَّهَا. ظَهَرَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ
 أَشْبَاحَ أَمْثَلَامٍ. وَمَلَاعِبَ أَوْهَامٍ. وَكُلُّهَا تَجْرِي ظِلِيلُهُ إِلَى الزَّوَالِ.

كَالطَّيْفِ وَالْخَيَالِ. فَيَضْحَكُ عَلَى الْجَمِيعِ. ضَحِكُ الْوَلَدِ الرُّضِيعِ. أَمَّا إِذَا تَلَقَّتْ إِلَى الْأَمَامِ. وَطَمَعَ بِبَقِيَّةِ الْأَيَّامِ. حَنَّ إِلَى الْوُجُودِ. وَهَامَ بِحُبِّ الْخُلُودِ. وَلَا يَزَالُ الْآضِي يَدْفَعُهُ. وَالْحَاضِرُ يَرُدُّهُ. وَالْمُسْتَقْبَلُ يُطْعِمُهُ. حَتَّى تَحْتَطِفَ يَأَمَّةُ نَفْسِهِ بُرَاةَ الْمَنِيَّةِ. وَتَسْلِبَهُ كُلَّ بُغْيَةٍ وَأَمْنِيَّةٍ. فَيَهْطُ هُبُوطَ الْبُتَيَّانِ. وَيَعُورُ فِي قَبْرِ الْإِنْسَانِ. حَيْثُمَا تَسْتَرْجِعُ الْكَلِمَاتُ جُزْئِيَّاتَهَا. وَتَسْتَرُدُّ الْجُمُوعَاتُ مُفْرَدَاتَهَا

البحث الرابع

في سياسة الخطيب مع الجمهور ومواخاة طباعهم

(عن رسائل خط للفارابي بتصرف)

(راجع صفحة ٤٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخَطِيبَ إِذَا مَا أَرَادَ بُلُوغَ غَايَتِهِ وَحُسْنَ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ فِي أُمُورِهِ فَلْيَتَوَخَّ طِبَاعَهُمْ وَتَأَوَّنْ أَخْلَاقَهُمْ وَتَبَايُنَ أَخْوَالِهِمْ. قَالَ أَفَلَاطُونُ: لِكُلِّ أَمْرٍ حَقِيقَةٌ. وَلِكُلِّ زَمَانٍ طَرِيقَةٌ. وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ خَلِيقَةٌ. فَعَالِلِ النَّاسَ عَلَى خَلَائِقِهِمْ وَالتَّبَسُّؤِ مِنَ الْأُمُورِ حَقَائِقِهَا وَأَجْرِ مَعَ الزَّمَانِ عَلَى طَرَائِقِهِ (اهـ). وَهَذِهِ قَوَائِنُ تَنْفَعُ الْخَطِيبَ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ طَبَقَتِهِ وَمَنْ دُونَهُ وَمَنْ فَوْقَهُ عَلَى سَبِيلِ الْأَيْحَازِ وَالْإِخْتِصَارِ. عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغُ قَوْلُنَا هَذَا مِنْ ذِكْرِ مَا يَخْتَصُّ بِإِسْتِعْمَالِهِ طَائِفَةٌ دُونَ طَائِفَةٍ وَوَاحِدٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي وَقْتٍ

دُونَ وَقْتٍ وَمَعَ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ إِذِ الْوَاحِدُ مِنَ النَّاسِ لَا يُمَكِّنُهُ
 أَنْ يَسْتَمْلِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ كُلَّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ
 السِّيَاسَاتِ. وَنُقَدِّمُ لِذَلِكَ مُقَدِّمَاتٍ وَهِيَ أَنَّ نَقُولَ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنَ النَّاسِ مَتَى مَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهَا وَأَحْوَالَ غَيْرِهِ
 مِنْ فِتْنَاتِ النَّاسِ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي رُتْبَةٍ يَشْرَكُهُ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ .
 وَوَجَدَ قَوْقَ رُتْبَتِهِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَى مَرْتَبًا مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ. وَوَجَدَ
 دُونَهَا طَائِفَةٌ هُمْ أَوْضَعُ مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ. لِأَنَّ أَلْبَلَّكَ الْأَعْظَمُ مِثْلًا
 وَإِنْ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَحَلٍّ لَا يَرَى لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي رَمَانِهِ مِثْلَهُ
 أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِهِ فَإِنَّهُ مَتَى تَأَمَّلَ حَالَهُ نِعْمًا وَجَدَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْضُلُهُ
 بِنَوْعٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ الْفَضِيلَةِ إِذْ لَيْسَ فِي أَجْزَاءِ الْعَالَمِ مَا هُوَ
 كَامِلٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. وَكَذَلِكَ الْوَضِيعُ الْخَامِلُ الَّذِي يُرِيدُ
 فِي نَفْسِهِ أَشْيَاءَ لَا يَفْزِيهَا مِنْهُ هُوَ فَوْقَهُ. فَقَدْ صَحَّ مَا وَصَفْنَا. وَيَنْتَعِمُ
 الْخَطِيبُ بِاسْتِعْمَالِ السِّيَاسَاتِ مَعَ هَؤُلَاءِ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ... وَنَقُولُ
 أَيْضًا إِنَّ أَنْفَعَ الطَّرِيقَ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْخَطِيبُ فِي ذَلِكَ تَأَمُّلُ أَحْوَالِ
 النَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ وَمُتَصَرِّفَاتِهِمْ مَا شَهِدَهَا وَمَا غَابَ عَنْهَا بِمَا سَبَقَ
 وَتَنَاسَى إِلَيْهِ مِنْهَا وَأَنْ يُبَيِّنَ الْفُتُورَ فِيهَا وَيُبَيِّنَ خَاسِبَاتِهَا وَمَسَائِرِهَا
 وَبَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ لَهُمْ مِنْهَا. ثُمَّ لِيَجْتَهِدَ فِي التَّمَسُّكِ بِخَاسِبَاتِهَا وَحَضْرِ
 النَّاسِ عَلَى طَلِبِهَا لِيَأْكُلُوا مِنْ مَنَافِعِهَا وَمِثْلَ مَا نَالَهُ مِنْ تَقْدِيمِهِمْ وَيَجْتَهِدَ
 فِي التَّنْكِيبِ عَنْ مَسَائِرِهَا لِيَأْمَنَ مِنْ مَضَارِهَا وَيَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهَا
 مِثْلَ مَا سَلِدُوا. وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ أَشْخَاصِ

الذاس قوتين احدهما ناطقة والاخرى بهيمة ولكل واحدة منهما
 راع غالب. فراع القرة الهمجية نحو اللذات العاجية الشهوانية مثل
 انواع الغداء وراع القرة الطيبة نحو الامور الحمودة العواقب..
 فعلى كل من يرشد الجمهور ويحضرهم على نيل الفضائل ان لا
 يتعاقل عن تحريضهم على ما هو اشد لهم وان لا يهملهم فانه متى
 ما اهملهم تحركوا نحو الطرف الآخر الذي هو الهمجي. واذا
 تحركوا نحوه تشبثوا ببعض منه حتى اذا اراد ردّهم عما تحركوا
 نحوه ختمه من التصب انزعاف ما كان يلصقه اذا لم يكن اهملهم.
 ونقول ايضا ان الخطيب لا ينبغي في جميع متصرفاته ان يلقى
 الجمهور مائلا الى امر محمود او امر مذموم. وله في كل واحد
 من الامرين قاعدة وموضع رياضية للتصرف وهو ان يحاول دفع
 السامعين الى ذلك الامر الحمود الذي يلقاه ان وجد السبيل الى
 الدفع اليه وينبهم على فضيلته ويوجب عليهم التمسك بها متى
 وجد الفرصة لذلك. واذا يلقاه الامر المذموم فليجتهد في التخدير
 منه والتجنب منه. وان لم يجد الى ذلك سبيلا فلينبهم على
 الاعتبار بمن تاهم مضر مثلها. فقد ظهر ان الخطيب في جميع
 احواله عليها وذوقها خيرها وسرها موضع الرياسة لنفسه وإرشاد
 الجمهور. واذا تبين ذلك فنبغي ان يقدم على سياسة الاحوال
 بقلب قوي ونية صادقة وسحر واسع وثقة ان ما يأتيه من ذلك
 وان قل ينجدي عليه نفعاً يحل. ونبدأ بتعهد الخطيب للروساء انه

يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُلَازِمًا لِمَا هُوَ فِي صَدَدِهِ مُوَاطِعًا عَلَى مَا فُوضَ
إِلَيْهِ وَلَا يَخْشَى أَلَلَالًا وَخُصُوصًا مِنَ الْمُلُوكِ. وَأَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا فِي
طَلَبِ وَجْهِهِ حِسَانِ لِكُلِّ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ إِذْ لَا شَيْءَ مِنَ الْأُمُورِ
فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَلَهُ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا جَمِيلٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ فَلْيَطْلُبْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَجْهًا جَمِيلًا يَضُرُّهُ إِلَيْهِ وَيَتَكَلَّفُ لِذِكْرِهِ بِخُضْرَةٍ
فَإِنَّ الْخَطِيبَ الْمَفُوضَ إِلَيْهِ تَذْيِيرُ ذَلِكَ الرَّئِيسِ كَالسَّيْلِ الْخُضِرِ مِنَ
الرُّبُوعَةِ إِنْ أَرَادَ الْمَرْءُ أَنْ يُوَاجِهَهُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَآتَى عَلَيْهِ السَّيْلُ
فَاغْرَقَهُ. وَإِنْ سَعَى مَعَهُ وَعَلَى جَانِبِهِ وَتَلَطَّفَ لِيَضُرُّهُ إِلَى النَّاحِيَةِ
بِأَنْ يَطْلُحَ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ مُشَدَّادًا مِنَ السَّدِّ وَيَطْرُقَ لَهُ مِنْ
أُجَانِبِ الْآخَرِ لَا يَنْشُبُ أَنْ يَضُرُّهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ. فَيَنْبَغِي لَهُ كَذَاكَ
أَنْ يَسْتَمِيلَ مَعَ الرَّئِيسِ فِي صَرْفِ وَجْهِهِ عَمَّا يُرِيدُ صَرْفَهُ عَنْ أَمْرٍ
يُرِيدُ أَنْ يُجْرَى مَعَهُ فِيمَا هُوَ جَارِ نَحْوَهُ وَلَا يُوَاجِهَهُ وَإِنْ كَانَ فِي
غَايَةِ الْأَنْبَاطِ مَعَهُ وَلَا يَقْرَبُ بِمَا يُلْقِي مِنْهُ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُسْتَفْجَى
فَسَيَانِ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْأَقْرَارِ.. وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَلَطَّفَ كُلُّ التَّلَطُّفِ فِي
مِثْلِ الْمَنَافِعِ مِنْ جِهَةِ الرُّؤَسَاءِ بِأَنْ لَا يُبْلَغَ فِي السُّؤَالِ وَلَا يُدْعَى
وَلَا يُظْهِرَ الطَّمَعُ وَالشَّرَّ مِنْ نَفْسِهِ وَيُجْتَهِدُ فِي أَنْ يَطْلُبَ مِنَ
الرُّؤَسَاءِ سَبَابَ الْمَنَافِعِ لَا الْمَنَافِعِ أَنْفُسَهَا.. وَلْيُجْتَهِدُ فِي أَنْ يُظْهِرَ
فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ زِينَةً وَجَمَالًا لِلرَّئِيسِ لَا
لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ الصَّلَاحِ فِي خِلَافِ مَا يَأْبِيهِ وَيَذْكُرُ لَهُ فِي
الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَاتِ عَنْ غَيْرِهِ وَالْحِيلِ الطَّيْفَةِ

بَعْضَ مَا يَعْزُ بِمَا هُوَ فِيهِ . فَإِنَّهُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الطَّرِيقَ لَا يَنْشُبُ أَنْ يُوَدَّ الْحَالُ بِرَأْدِهِ .. وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلرُّؤْسَاءِ هِمًّا يَنْقُودُونَ بِهَا عَنْ سِوَاهُمْ مِنْ النَّاسِ وَهِيَ أَنَّهُمْ يَتَقَدُّونَ فِي جَمِيعِ مَنْ دُونِهِمْ إِلَّا سِخْدَامَ وَالْإِسْتِعْبَادَ وَفِي أَنْفُسِهِمُ الْإِعَابَةَ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتُونَ وَإِنَّمَا يَحْدُثُ هَذَا بِهَيْئَتِهِمْ كَثَرَةً مَدَحِ النَّاسِ لَهُمْ وَإِطْرَاقِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَتَصَوُّبِهِمْ آرَاءَهُمْ

فَهَذِهِ قَوَائِنُ يَنْتَفِعُ بِاسْتِعْمَالِهَا الْخَطِيبُ فِي مَعَاشِرِ الرُّؤْسَاءِ الَّتِي يَتَّبِعِي أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا الْمَرْءُ مَعَ الْأَكْفَاءِ فَسَنَذْكُرُ مِنْهَا جُمْلًا وَنَقُولُ إِنَّ الْأَكْفَاءَ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونُوا أَدْبِقَاءَ أَوْ أَعْدَاءَ أَوْ لَيْسُوا بِأَصْدِقَاءَ وَلَا أَعْدَاءَ . وَالْأَعْدِقَاءُ عِشْقَانِ أَحَدُهُمَا الْأَعْفِيَاءُ الْمُخْلَصُونَ فِي الصَّدَاقَةِ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْكَلَمِ أَنْ يُدِيمَ مُلَاطَفَتَهُمْ وَتَعَهُدَ أَسْبَابِهِمْ وَرَاهِدَاءَ مَا يَسْتَحْسِنُهُ وَمَا يَتَسَرَّلُهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ . وَبِحَسْبِ الْحَالِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِذَلِكَ بِغَيْرِ أَنْ يُظْهَرَ مِنْهُ مَلَالًا أَوْ تَقْصِيرًا وَيُجْتَنَدُ فِي الْأَكْثَارِ مِنْهُمْ غَايَةُ الْجَهْدِ فَإِنَّ الصَّدِيقَ زَيْنُ الْمَرْءِ وَعِضْدُهُ وَعَوْنُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُذِيعُ قَضَائِهِ وَكَاتِمُ هَوَايِهِ وَخَفِيُّ ذَلَالَتِهِ وَمَهْمَا كَانَ هُوَ لِأَدَاةٍ أَكْثَرُ كَانَتْ أَحْوَالُ الْخَطِيبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَحْسَنَ وَأَقْوَمَ . وَالصَّنْفُ الْآخَرُ أَيْ الْأَصْدِقَاءُ فِي الظَّاهِرِ عَنْ لَا صَدِيقٍ فِيمَا يُظْهَرُ وَهُوَ بَلْ يَنْشُبُ وَتَضَعُ فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِمُدَارَاةٍ وَتُخْسِنَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُطْلِمَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ وَخُصُوصًا مِنْ غُيُوبِهِ . وَلْيُجْتَنَدِ فِي أَسْتِمَالَتِهِمْ وَالصَّبْرِ مَعَهُمْ وَوَعَامِلَتِهِمْ بِحَسْبِ الظَّاهِرِ

دُونَ أَخَذِهِمْ بِالْبَاطِنِ وَلَا يَأْخُذُهُمْ بِالْتَّفَصِيرِ فَإِنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ ذَلِكَ
 يُرْجَى صَلَاحُهُمْ وَرُجُوعُهُمْ إِلَى مَرَادِهِ وَلَعَلَّهُمْ يَصِيرُونَ فِي رُتَبَةِ
 الْأَصْفِيَاءِ لَهُ . أَمَّا الْأَكْفَاءُ الْأَعْدَاءُ فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ
 وَيَكْشِفَ دَسَائِسَهُمْ وَدَغَلِ نِيَّاتِهِمْ . وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا
 بِصَادِقِينَ وَلَا عَدُوِّ فِهِمْ طَبَقَاتٌ سَنَذْكُرُ جُلُهَا فِيهِمْ الشُّحَاءُ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ بِالتَّصَيُّعِ قَالُوا جِبُ أَنْ لَا يَذْكُرَ كُلُّ مَا يُنْهَى إِلَيْهِ
 وَيَعِزُّ عَلَى قَلْبِهِ أَوْ لَا بَانَ لَا يَغْتَرِ بِكُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ بَلْ يَتَأَمَّلَ
 أَقْوَالَهُمْ وَيَتَعَرَّفَ أَغْرَاضَهُمْ غَايَةَ التَّعَرُّفِ لِيَقِفَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَغْرَاضِهِمْ
 عَلَى حَقِيقَةِ أَقْوَالِهِمْ فَإِذَا لَاحَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ حَقِيقَةً بَادَرَ إِلَى
 إِنْفَازِ الْأَمْرِ . وَهَنُهمُ الشُّحَاءُ وَهُمْ أَتَّاسٌ يَتَّبِعُونَ لِإِغْلَاحِ
 مَا بَيْنَ النَّاسِ فَجِبُّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَمْدَحَهُمْ أَبَدًا عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ
 وَأَنْ يَنْشَبَهُ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَإِنْ مَذَاهِبُهُمْ مَوْضِئَةٌ عِنْدَ
 كُلِّ النَّاسِ وَمَهْمَا مَالَ الْخَطِيبِ إِلَيْهِمْ عُرِفَ بِالْخَيْرِ وَخَسِرَ
 أَلَيْسَ . وَهَنُهمُ السُّفَهَاءُ فَجِبُّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ لَا يُؤَاتِيَهُمْ وَلَا
 يُقَابِلَهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَسْفَاهَةٍ بَلْ يَتَلَقَّاهُمْ أَبَدًا بِجِلْمٍ رَزِينٍ
 وَكُونِ بَلِيعٍ لِيَسْأُوا مِنْ مَتَالَتِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ وَلَا يُؤْذُوهُ بَعْدَ
 ذَلِكَ مَتَى يَأْتُوهُ بِالْمُنَاقَشَةِ فَجِبُّ أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ بِقَلَّةِ الْأَكْثَرَاتِ .
 وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِبَرِ وَالْمُنَاقَشَةِ فَجِبُّ أَنْ يُقَابِلَهُمْ بِجَمْلَةٍ لِأَنَّهُ إِنْ
 تَوَاضَعَ لَهُمْ أَحْسَوْا مِنْهُ بِضَعْفٍ وَتَوَهَّمُوا أَنَّ فِعْلَهُمْ ذَلِكَ صَوَابٌ
 وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوَاضُعِ لَهُمْ . وَمَتَى تَكَبَّرَ الْمَرْءُ عَلَيْهِمْ

وَكَاثِرُهُمْ فِي الْأَحْوَالِ وَكَادُّوْا بِهِ عِلْمُوْا أَنَّ الذَّنْبَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ
وَرَجَعُوا إِلَى التَّوَّاضُعِ.

وَأَمَّا الَّذِي يَتَّبِعِي لِلْحُطْبِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ مَعَ مَنْ دُونَهُ مِنَ
النَّاسِ فَإِنَّا نَصِفُ مِنْهُ مَا تَسَّرَ وَنَقُولُ : فَيَنْبَغِي أَنْ
يَتَعَدَّهُمْ بِالْمَوَاسِقَةِ وَرَقَّةِ الْكَلَامِ بِعَايَةِ مَا أَمَكَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُخْلَ بِأَحْوَالِ نَفْسِهِ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ فَإِنْ كَانُوا أُولَى طَبَائِعِ رَدِيئَةٍ
يَقْصِدُونَ الْعُلُومَ لِيَسْتَعْمِلُوهَا فِي الشَّرُّورِ فَعَلَى الْحُطْبِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ
عَلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَلَا يَحْمِلَهُمْ شَيْئًا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهُ فَيَا لَا
يُحِبُّ وَيَجْتَهِدُ فِي كَشْفِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ رَدَاءَةِ الطَّبَعِ لِيُحَذِّرَهُمْ مِنْهُ .
وَمِنْهُمْ الْبُلْدَاءُ الَّذِينَ لَا يُرْجَى ذِكَاؤُهُمْ وَبَرَاعَتُهُمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمِلَهُمْ
عَلَى مَا هُوَ أَعُوذٌ عَلَيْهِمْ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ ذَوُوا الْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ
وَالطَّبَائِعِ الْحَيَّةِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَدَّجِرَهُمْ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ .
فَهَذِهِ أُصُولُ وَقَوَائِينُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَهَا الْحُطْبُ فِي كَلَامِهِ وَقَاسَ
عَلَيْهَا فِي مُتَصَرِّقَاتِ أُمُورِهِ وَأَسْبَابِهِ اسْتَقَامَتْ بِهِ أَحْوَالُهُ وَجَمَعَ فِي
الْعُلُومِ كَلَامُهُ



الفصل الخامس

في الاخلاق والاهواء

البحث الاول

في تعريف الاخلاق

(من كتاب تهذيب الاخلاق لتركيب ابن مدي)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخُلُقَ هُوَ حَالٌ بِهِ يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ بِسَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
 اخْتِيَارٍ. وَالْخُلُقُ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزَةً وَطَبْعًا وَفِي بَعْضِ
 النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ وَالْإِجْتِهَادِ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ
 مِنَ النَّاسِ بَغْيٌ رِيَاضَةً وَلَا تَعْلَمُ كَأَشْجَاعَةٍ وَالْجُلْمِ وَالْعِفَّةِ وَالْعَدْلِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمُودَةِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُوجَدُ فِيهِمْ
 ذَلِكَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيرُ إِلَيْهِ بِالرِّيَاضَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى عَلَى عَادَتِهِ
 وَيَجْرِي عَلَى مَسِيرَتِهِ. فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَذْمُومَةُ فَلَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
 النَّاسِ كَالْتَجَلُّ وَالْجُبْنِ وَالنَّشْرُ فَإِنَّ هَذِهِ الْعَادَاتِ غَالِبَةٌ عَلَى أَكْثَرِ
 النَّاسِ مَا لَكِنَّهُمْ مُتَسَلِّطَةٌ عَلَيْهِمْ بَلْ قِيلَ لَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ مَنْ
 يَخْلُو مِنْ خُلُقٍ مَكْرُوهٍ وَيَسْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَلَكِنَّهُمْ يَتَفَاضُونَ

فِي ذَلِكَ كَمَا يَتَفَاضَلُونَ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمْدُودَةِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ النَّاسُ
فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمْدُودَةِ بِالتَّفَاعُلِ إِلَّا أَنَّ التَّجْبُورِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ
الْجَمِيَّةِ قَلِيلُونَ جِدًّا وَالْمُبْغِضِينَ لَهَا كَثِيرُونَ. قَامًا التَّجْبُورُونَ عَلَى
الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ فَاصْتَرُ النَّاسُ لِأَنَّ الْعَالِبَ عَلَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ
النَّشْرُ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَرْسَلَ مَعَ طَبِيعِهِ وَلَمْ يَسْتَعِزْ
بِالْفِكْرِ وَلَا التَّيْزِزِ وَلَا الْحَيَاءِ وَلَا التَّحَفُّظِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ كَانَ الْعَالِبُ
عَلَيْهِ أَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَتَيَزَّرُ عَنِ الْبَهَائِمِ
بِالْفِكْرِ وَالتَّيْزِزِ فَقَطْ فَإِذَا لَمْ يَسْتَعِزَّ بِمَا كَانَ مُشَارِكًا لَهَا فِي
عَادَاتِهَا وَالشَّهَوَاتِ مُسْتَوَلِيَّةٍ عَلَيْهِ وَالْحَيَاءِ غَائِبٍ عَنْهُ وَالْقَضْبُ مُسْتَقْبَرٌ
بِهِ وَالسَّكِينَةُ غَيْرُ حَاضِرَةٍ عِنْدَهُ وَالْخُرُصُ وَالْإِحْتِشَادُ دَائِدُهُ وَالشَّرُّ
لَا يُفَارِقُهُ. وَإِذَا كَانَ النَّاسُ مَطْبُوعِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ
مُنْهَادِينَ لِلشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَقَعَ الْأَفْقَارُ إِلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ
وَالسِّيَاسَاتِ الْحَمْدُودَةِ وَعَظُمَ الْأَنْتِفَاعُ بِالْمُلُوكِ الْحِدَانِ السَّيْقَةِ
لِيَرُدُّوا الظُّلْمَ عَنْ ظُلْمِهِ وَيَتَّبِعُوا الْقَاصِبَ عَنْ غَضَبِهِ وَيُعَاقِبُوا الْقَاجِرَ
عَلَى تَجَوُّرِهِ وَيَقْعَمُوا الْجَائِرَ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.
أَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَكْرُوهَةُ فِي طَبَاعِ النَّاسِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّظَاهَرُ بِهَا
وَيَتَقَادُّ إِلَيْهَا وَهُمْ أَشْرَارُ النَّاسِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّهُ بِجُودَةِ الْفِكْرِ وَقُوَّةِ
التَّيْزِزِ عَلَى قُبْحِهَا فَيَأْتِفُ مِنْهَا وَيَتَضَنَعُ لِاجْتِنَابِهَا (١) وَذَلِكَ يَكُونُ
عَنْ طَبِيعِ كَرِيمٍ وَنَفْسٍ شَرِيفَةٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ

إِذَا بُنِيَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ بَيْتٍ فَرَبَّمَا حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى ثَرَكِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا
تَنَبَّهَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ التَّقَابُصِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا وَرَامَ الدُّلُولَ عَنْهَا تَعَدَّرَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ طَبْعُهُ وَلَوْ كَانَ مُؤَثِّرًا لِلدُّلُولِ عَنْهَا مُجْتَهِدًا فِي
ذَلِكَ . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ تَحْتَاجُ أَنْ تُرْشَدَ إِلَى طَرِيقِ التَّدْرِبِ وَالتَّعَلُّمِ
بِالْعَادَاتِ الْحَمُودَةِ حَتَّى تَصِيرَ إِلَيْهَا عَلَى التَّذَرُّجِ . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
إِذَا تَنَبَّهَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا فَلَا يَجْنُ إِلَى مُجَنَّبِهَا وَلَا
تَسْمَحُ نَفْسُهُ بِمُفَارَقَتِهَا بَلْ يُؤْثِرُ الْأَضْرَارَ عَلَيْهَا مَعَ عَلَيْهِ بِرَدَائِهَا
وَقُبْحِهَا . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ لَيْسَ إِلَى تَهْذِيبِهَا طَرِيقٌ إِلَّا بِالْفَقْرِ
وَالْعُقُوبَةِ إِنْ لَمْ يَرُدَّهَا التَّخْوِيفُ وَالتَّهْذِيبُ . فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْحَمُودَةُ
فَالنَّاسُ وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزَةً فَلَيْسَتْ فِي جَمِيعِهِمْ
فَعَلَى الْبَاقِينَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهَا بِالتَّدْرِبِ وَالزِّيَاةِ وَيَرْتَقُوا إِلَيْهَا
بِالْإِعْتِيَادِ وَالتَّأَلُّفِ وَقَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ النَّاسِ مَنْ لَا يَقْبَلُ
طَبْعُهُ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةَ وَلَا الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ وَذَلِكَ يَكُونُ لِرَدَائَةِ
جَوْهَرِهِ وَخُبْثِ عُنْصُرِهِ . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا
يُرْجَى صِلَاؤُهُمْ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْبَلُ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ
الْحَمُودَةِ وَيَأْتِفُ طَبْعُهُ عَنْ بَعْضِهَا فَلَا يُعَدُّ هَذَا شَرًّا بَلْ تَكُونُ
رُتْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ بِحَسَبِ مَحَاسِنِهِ



البحث الثاني

في الاخلاق الحسنة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لكريا بن عدي)

(راجع صفحة ٤٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

أَمَّا الْأَخْلَاقُ الَّتِي تُعَدُّ فَضَائِلَ فَإِنَّ مِنْهَا (الْعِفَّةُ) وَهِيَ ضَبْطُ
النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَرُّهَا عَلَى الْإِسْتِقَاءِ بِمَا يُقِيمُ أَوْدَ الْجَسَدِ
وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ قَطْعَ وَاجْتِنَابُ السَّرَفِ وَالْتِقَاصِيرِ فِي جَمِيعِ اللَّذَاتِ
وَقَصْدُ الْإِعْدَالِ . وَأَنْ يَكُونَ مَا يُقْتَصَرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ عَلَى
الْوَجْهِ الْمُسْتَحَبِّ الْمُنْتَقَى عَلَى الْأَرْثَاءِ بِهِ وَفِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا
غِنَاءَ عَنْهَا وَعَلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ . وَهَذِهِ الْحَالَةُ هِيَ
غَايَةُ الْعِفَّةِ

(وَمِنْهَا أَيْضًا الْقَنَاعَةُ) وَهِيَ الْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا سَمَحَ بِهِ الْعَيْشُ
وَالرِّضَى بِمَا تَسَهَّلَ مِنَ الْمَعِاشِ وَتَرَكَ الْخِرَاصَ عَلَى اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ
وَطَلَبِ الْمُرَاتِبِ الْعَالِيَةِ مَعَ الرِّغْبَةِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَإِيثارِهِ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ
وَقَهْرِ النَّفْسِ عَلَى ذَلِكَ وَالْقَنَعِ بِالْيُسِيرِ مِنْهُ . وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ
مِنْ أَوَاسِطِ النَّاسِ وَأَصَاغِرِهِمْ فَأَمَّا أَلْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ فَلَيْسَ ذَلِكَ
مُسْتَحْسَنًا مِنْهُمْ وَلَا تُعَدُّ الْقَنَاعَةُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ
(وَمِنْهَا التَّصَوُّنُ) وَهُوَ التَّحَفُّظُ مِنَ التَّبَدُّلِ . فَمَنْ التَّصَوَّنَ التَّحَفُّظُ

مِنْ أَهْزَلِ التَّبَجِّ وَخَالِطَةِ أَهْلِهِ وَخُضُورِ مَجَالِسِهِ وَضَبْطِ اللِّسَانِ عَنْ
 الْفُحْشِ وَذِكْرِ الْحَقِّ وَالنَّحْرِ وَالشَّيْفِ وَخَاصَّةً فِي الْأَحَافِلِ وَمَجَالِسِ
 الْخُشِيِّينَ إِذْ لَا أَهْأَءَ لَنْ يُسْرِفَ فِي الْمَزْحِ وَيُفْخِشُ فِيهِ . وَمَنْ
 اتَّصَوَّنَ إِلَّا نِقْبَاضُ عَنْ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَأَصَاغِرِهِمْ وَمَعَادِقَتِهِمْ وَمَجَالِسَتِهِمْ
 وَاتَّعَزَّزَ مِنَ الْعَيْشَةِ الزُّرِّيَّةِ وَأَسَابِ الْأَمِّ وَالِ مِنْ أَلْوَجُوهِ
 الْحَسِيَّةِ وَآلِ تَرْفَعُ عَنْ طَلِبِ طَلَابَتٍ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ وَسَقَلَتِهِمْ
 وَالتَّوَاضُّعِ . لَنْ لَا قَدْرَ لَهُ وَالْأَقْلَالُ مِنَ الْبُرُوزِ أَغْنِي الطُّوُوفَ مِنْ
 غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَالتَّبَدُّلَ بِالْجُلُوسِ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَوَاعِ الطُّرُقِ مِنْ
 غَيْرِ حَاجَةٍ حَيْثُ إِنْ الْإِكْتِنَارَ مِنْ ذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْ أَلْيُوبِ
 فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدَرًا كَمَا قِيلَ مَنْ ظَهَرَ أَسْهُ وَخَفِيَ جِسْمُهُ

(وَمِنْهَا أَيْلِمُ) وَهُوَ تَرْكُ الْإِتِّقَامِ عِنْدَ شِدَّةِ الْقَضْبِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى
 ذَلِكَ وَهَذَا الْحَالُ مَحْمُودٌ . أَلَمْ يُؤَدَّ إِلَى ثَلَمٍ جَاءَ أَوْ فَسَادِ سِيَاسَةٍ وَهُوَ
 يَا أَمْرُكَ وَالرُّؤْسَاءُ أَحْسَنُ لَأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْإِتِّقَامِ مِنْ مُغْضِبِيهِمْ .
 وَلَا يُعَدُّ قَضِيَّةً جَلَمُ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى مُقَابَلَتِهِ
 فِي الْحَالِ فَإِنَّهُ وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ فَإِنَّا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنْهُ خَوْفًا لَا جَلَمًا
 (وَمِنْهَا أَلْوَقَارُ) وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ قُضُولِ الْكَلَامِ وَالْقَسْبِ
 وَكَثْرَةِ الْإِشَارَةِ وَالْحَرَكَةِ فِيمَا يُسْتَمَعَى عَنِ التَّحْرُكِ فِيهِ وَقِلَّةِ الْقَضْبِ
 وَالْإِصْفَاءِ عِنْدَ الْإِسْتِفْهَامِ وَالتَّوَقُّفُ عِنْدَ الْجَوَابِ وَالتَّحْفُظُ عِنْدَ الشَّرْعَةِ
 وَالْمُبَادَرَةِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ . وَمَنْ قَسَلَ أَلْوَقَارَ آيْضًا الْحَيَاءُ وَهُوَ
 غَضُّ الطَّرْفِ وَالْإِنْقِبَاضُ مِنَ الْكَلَامِ حِشْمَةً لِلْمُسْتَحْيِينَ مِنْهُ وَهَذِهِ

الْعَادَةُ مُحْمُودَةٌ مَا لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً عَنْ عِيٍّ أَوْ غَجْرِ
 (وَمِنْهَا الْوُدُّ) وَهُوَ الْحُبُّ الْمُتَعَدِّلُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ الشَّهْوَةِ
 وَالْوُدُّ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْثَبَلِ
 وَذَوِي الْوَقَارِ وَالْأَهْلِ وَالْمُتَعَدِّلِينَ مِنَ النَّاسِ. فَأَمَّا التَّوَدُّدُ إِلَى أَرَادِلِ
 النَّاسِ وَأَصَاغِرِهِمْ وَأَهْلِ الْخِلَاعَةِ وَمَا شَابَهُمْ فَكَرُوهٌ جِدًّا. وَحَسَنُ
 الْوُدِّ مَا تَسَجَّهَتْ عَلَى مَنَوَالٍ مُنَاسِبٍ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ أَوْثَقُ الْوُدِّ وَأَثْبَتُهُ
 فَأَمَّا مَا كَانَ أَبْتَدَأُوهُ اجْتِمَاعًا عَلَى هَزَلٍ أَوْ طَلَبِ لَذَّةٍ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ
 فَانْسَ بِمُحْمُودٍ وَلَا بَاقٍ وَلَا ثَابِتٍ وَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الشَّرِّ.

(وَمِنْهَا الرَّحْمَةُ) وَهِيَ خُلُقٌ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوُدِّ وَالْجَرِّ وَالرَّحْمَةُ لَا
 يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ لِإِجَابَةِ خَلْقٍ مَكْرُوهَةٍ أَمَّا تَقِصَّةٌ فِي
 نَفْسِهِ وَأَمَّا حُجَّةٌ عَارِضَةٌ لَهُ. فَالرَّحْمَةُ هِيَ حُبُّهُ لِلْمَرْحُومِ مَعَ جَرِّهِ مِنْ
 أَحَالَةٍ أَلْيَ رَجَمٍ لِأَجْلِهَا. وَهَذِهِ أَحَالَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ مَا لَمْ تَخْرُجْ بِصَاحِبِهَا
 عَنْ الْعَدْلِ وَلَمْ تَنْتَسِبْ بِهِ إِلَى الْجَوْرِ وَإِلَى فُسَادِ السِّيَاسَةِ. وَلَيْسَتْ
 بِمُحْمُودَةٍ رَحْمَةً الْقَاتِلِ عِنْدَ الْقَوْدِ وَالْجَانِي عِنْدَ الْقِتَاصِ.

(وَمِنْهَا الْوَقَارُ) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
 وَيَرْهَنُ بِهِ لِسَانَهُ وَعَدَمُ الْخُرُوجِ مِمَّا يَضُمُّهُ وَلَوْ كَانَ مُفْرَطًا وَلَا
 يَعُدُّ وَفَاءً مَنْ لَمْ يُلْحَقْهُ بَوَقَايِهِ أَذِيَّةٌ وَلَوْ قَلِيلَةٌ وَكُلَّمَا أَضْرَبَ بِهِ الدُّخُولُ
 تَحْتَ مَا حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَلْبَغَ فِي الْوَقَارِ. وَهَذَا الْخُلُقُ
 مُحْمُودٌ يَتَّبَعُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ فَإِنْ مَنْ عُرِفَ بِالْوَقَارِ كَانَ مَقْبُولًا
 الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ مَا يَعْدُ بِهِ وَمَنْ كَانَ مَقْبُولًا كَانَ عَظِيمًا

الْجَاهِ إِلَّا أَنْ أَنْتَفَاعَ الْمُلُوكِ بِهَذَا الْخَلْقِ أَنْفَعُ وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ أَشَدُّ لِأَنَّهُ مَتَى عُرِفَ مِنْهُمْ قِلَّةُ الْوَفَاءِ لَمْ يُوثِقْ بِمَوَاعِيدِهِمْ وَلَمْ تَقَمَّ أَعْرَاضُهُمْ وَلَمْ تَسْكُنِ الْيَمِيمُ جُنْدُهُمْ وَأَعْوَانُهُمْ
(وَمِنْهَا إِدَاءُ الْأَمَانَةِ) وَهُوَ التَّعَقُّفُ عَمَّا يَتَصَرَّفُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مِنْ مَالٍ غَيْرِهِ وَمَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَرَدِّ مَا يُسْتَوْدَعُ إِلَى مُودِعِهِ

(وَمِنْهَا كِتْمَانُ السِّرِّ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنْ الْوَقَارِ وَإِدَاءِ الْأَمَانَةِ. فَإِنْ إِظْهَرَ السِّرَّ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ. وَلَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْفُضُولِ وَالْفُضُولِيُّ نَاقِصُ الشَّرَفِ. فَكَمَا أَنَّ مَنْ اسْتَوْدَعَ مَالًا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ مُودِعِهِ قَدْ حَقَرِ الْأَمَانَةَ كَذَلِكَ مَنْ اسْتَوْدَعَ سِرًّا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ فَقَدْ حَقَرِ الْأَمَانَةَ أَيْضًا. وَكِتْمَانُ السِّرِّ مَحْمُودٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً مَنْ يَخْتَبُ السُّلْطَانَ وَأَوْلِيَاءَ الْأُمُورِ فَإِنْ إِخْرَاجَهُ أَسْرَارَهُمْ قَبِيحٌ فِي نَفْسِهِ يُؤْذِي إِلَى ضَرْبٍ عَظِيمٍ وَبَلَاءٍ

جسيم

(وَمِنْهَا التَّوَاضُّعُ) وَهُوَ تَرْكُ التَّدْرُسِ وَإِظْهَارُ الْخُذُولِ وَكَرَاهِيَةِ التَّعْظِيمِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَحْكَامِ وَأَنْ يَتَجَبَّ الْإِنْسَانُ التَّهَابَةَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْفَقَارَةِ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَأَنْ يَتَحَرَّرَ مِنَ الْإِغْلَابِ وَالْكِبَرِ وَلَا يُجْحَدُ التَّوَاضُّعُ إِلَّا مِنْ أَكْبَرِ النَّاسِ وَرُؤَسَائِهِمْ وَأَهْلِ الْقُضَلِ وَالْعِلْمِ وَأَمَّا مَا سِوَى هَؤُلَاءِ فَلَا يَكُونُونَ مُتَوَاضِعِينَ بِالتَّوَاضُّعِ لِأَنَّ الْأَضْعَاءَ هِيَ مُحَلُّهُمْ وَمَرَاتِبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُتَضَعِينَ

(وَمِنْهَا الْبُشْرُ) وَهُوَ إِظْهَارُ الشُّرُورِ لِمَنْ يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ
إِخْوَانِهِ وَأَوْدَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَمَعَارِفِهِ وَالتَّبَسُّمُ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَهَذَا
الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ أَحْسَنُ
لِأَنَّ الْبُشْرَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبُ الرِّعَى وَالْأَعْوَانِ
وَالْحَاشِيَةِ وَيَزْدَادُ بِهِ تَحَبُّبًا إِلَيْهِمْ وَلَا يُعَدُّ سَعِيدًا مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ الْوُلَاةِ
مَنْ كَانَ مُبْغِضًا لِرِعْيِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى فُسَادِ أَمْرِهِ
وَزَوَالِ حُكْمِهِ وَمُلْكِهِ

(وَمِنْهَا صِدْقُ اللَّهِ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ
وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى ضَرَرٍ مُفْرِطٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ
بِمُسْتَحْسَنٍ عِنْدَ الْإِنْسَانِ إِنْ سُبِّلَ عَنْ فَاحِشَةٍ كَانَ أَرْكَبَهَا فَاتَهُ لَا
يَنْبَغِي حُسْنُ صِدْقِهِ بِمَا يُلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ وَالْمَنْقَصَةِ الْبَاقِيَةِ
الْإِزْمَةِ وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَحْسَنُ صِدْقُهُ إِذَا سُبِّلَ عَنْ مُشْجِرِ اسْتِجَارَةٍ
فَأَخْفَاهُ وَلَا إِنْ سُبِّلَ عَنْ جُنَايَةٍ مَتَى صَدَقَ عَنْهَا عُقُوبَ عَلَيْهَا عُقُوبَةٌ
مُؤَلَّةٌ وَالصِّدْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ
أَحْسَنُ فَلَا يَسْتَهْمُ الْكَذِبُ مَا لَمْ يَهْدِ الصِّدْقُ عَلَيْهِمْ بَضَرٌ
(وَمِنْهَا سَلَامَةُ النَّيَّةِ) وَهُوَ اعْتِقَادُ الْخَيْرِ بِجَمِيعِ النَّاسِ وَتَكْتُمُ
الْخُبْرَ وَالْأَمْلِيَّةَ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَهَذَا الْخَلْقُ مُخَوِّدٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يَضَعُ لِلْمُلُوكِ الْخَفَاقُ بِهِ دَائِمًا وَقَدْ لَا يَتِمُّ أَمْرُكُمْ إِلَّا
بِاسْتِغْمَالِ الْمَكْرِ وَالْخَيْلِ وَالْإِغْتِيَالِ مَعَ الْأَعْدَاءِ وَلَكِنْ لَا يَحْسَنُ
بِهِمْ اسْتِغْمَالُهُ مَعَ إِخْصَانِهِمْ وَأَصْفِيَانِهِمْ وَأَهْلِ طَاعَتِهِمْ

(وَمِنْهَا السَّخَاءُ) وَهُوَ بَذْلُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَسَآلَةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ.
 وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَى السَّرَفِ وَالتَّبْذِيرِ فَإِنْ مَنْ بَذَلَ
 جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ لَا يُسَمَّى سَخِيًّا بَلْ يُسَمَّى مُبَذِّرًا
 وَبُخِيصًا. وَالسَّخَاءُ فِي سَائِرِ النَّاسِ قُضِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ وَأَمَّا فِي الْمُلُوكِ
 وَالْأَوْلِيَاءِ فَآمَرٌ وَاجِبٌ لِأَنَّ الْجَمَلَ يُؤَدِّي إِلَى الضَّرَرِ الْعَظِيمِ فِي
 الْأَحْكَامِ. وَالسَّخَاءُ وَالْبَذْلُ تَرْتَبُ بِهَا قُلُوبُ الرِّعْيَةِ وَتُجْبَدُ
 وَالْأَعْوَابُ فَيَعِظُمُ الْإِتِّبَاعُ بِهِ

(وَمِنْهَا الشُّجَاعَةُ) وَهِيَ الْإِقْدَامُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْمَهَالِكِ عِنْدَ
 الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ وَثَبَاتُ الْجَلَسِ إِي الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوَافِ وَالْإِسْتِهَانَةِ
 بِالْمَوْتِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ
 وَأَعْوَادِهِمُ الْيَقُ وَأَحْسَنُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْمَلِكِ مِنْ عَدَمِ هَذِهِ
 الْخَلَّةِ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ أَخْطَارًا وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى اتِّحَامِ أَعْمَارِهِمْ
 الْمُلُوكُ وَالْحُكَّامُ فَالشُّجَاعَةُ إِذَا وَنَ أَخْلَاقِهِمْ الْخَاصَّةُ بِهِمْ

(وَمِنْهَا الْمُنَافَسَةُ) وَهِيَ مُنَازَعَةُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ بِالتَّغْيِيرِ فِيمَا
 يَرَاهُ وَيَرْغَبُ فِيهِ لِنَفْسِهِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي التَّرَقِّيِ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْ
 دَرَجَتِهِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مَحْمُودٌ إِذَا سَكَتِ الْمُنَافَسَةُ فِي الْقُضَائِلِ وَالْمُرَاتِبِ
 أَلْعَالِيَةِ أَوْ فِيمَا يُكْسِبُ بِحَدٍّ وَسُودَدًا قَامًا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اتِّبَاعِ
 الشَّهَوَاتِ وَالْمُبَاهَاةِ بِاللَّذَاتِ وَأَزْيَنَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكُفْرُهُ جِدًّا

(وَمِنْهَا الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ) وَهَذَا الْخُلُقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوَقَارِ
 وَالشُّجَاعَةِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مَا لَمْ يَكُنْ الْجُرْعُ نَافِعًا وَالْحَزَنُ وَالْقَلَقُ

مُجْدِيًا وَالْأَجْتِهَادَ دَافِعَةً ضَرَرِ تِلْكَ السَّدَائِدِ فَمَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِذَا
عَدِمْتَ أَلِيَّةَ وَمَا أَقْبَحَ الْجَزَعَ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُفِيدًا

(وَمِنْهَا عَظَمُ الْهَيْمَةِ) وَهُوَ اسْتِصْفَاءُ مَا دُونَ الْبَهَائِيَةِ مِنْ مَعَالِي
الْأُمُورِ وَطَلَبُ الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ وَاسْتِحْقَاقُ مَا يُجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ
الْعَطِيَّةِ وَالْإِسْتِحْقَافُ بِأَوَاطِطِ الْأُمُورِ وَطَلَبُ الْغَايَاتِ وَالتَّهَانُ بِمَا
يَلِكُهُ وَبَذْلُهُ لِمَنْ يَسَالُهُ مِنْ غَيْرِ أَمْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ
مِنْ خُصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ وَقَدْ يَحْسُنُ بِالرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ
وَمَنْ تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى مَرَاتِبِهِمْ . وَمَنْ عَظِمَ الْهَيْمَةُ الْآنَقَةُ وَالْحَيَّةُ
وَالْقَيْدَةُ . فَالْآنَقَةُ هِيَ بَعْدُ النَّفْسِ عَنِ الْأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْحَيَّةُ وَالْقَيْدَةُ
مَعَ وَالْعُصْبُ عِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِالنَّفْسِ . وَتَلْحَقُ الْإِنْسَانُ الْقَيْدَةُ عَلَى
الْحَرَمِ لِأَنَّ فِي التَّعَرُّضِ لَهَا عَارًا وَمَنْقَصَةً فَإِنَّ التَّعَرُّضَ لِلْحَرَمِ
مُهْتَضِمٌ لِصَاحِبِهَا وَمُتَصَرِّفٌ فِي غَيْرِ حَقِّ لَهُ وَالْإِهْتِزَامُ نَقِيصَةٌ
وَمِنْ أَعْظَمِ الْهَيْمَةِ الْآنَقَةُ مِنْهُ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ

(وَمِنْهَا الْعَدْلُ) وَهُوَ التَّقْسُطُ الْأَلَزِمُ لِلِاسْتِزْوَاءِ وَاسْتِعْمَالِ
الْأُمُورِ فِي مَوَاجِعِهَا وَأَوْقَاتِهَا وَوُجُوهِهَا وَمَقَادِيرِهَا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ
وَلَا تَقْصِيرٍ وَلَا تَقْدِيرٍ وَلَا تَأْخِيرٍ



المبحث الثالث

في الاخلاق الرديئة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لركريا بن عدي)

فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الرَّدِيئَةُ الَّتِي تُعَدُّ نَقَاصًا وَمَعَانِبَ فَإِنَّ وَثَنَهَا
الْفُجُورَ وَهِيَ الْإِنْتِهَاكُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالِاسْتِكْثَارُ فِيهَا وَإِدَارُ الْأَذَاتِ
وَالْإِدْمَانُ عَلَيْهَا وَأَرْكَابُ الْفَوَاحِشِ وَالْمُجَاهَرَةُ بِهَا وَبِالْجُلْمَةِ السَّرْفُ
فِي جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ جِدًّا يَهْدِمُ الْحَيَاءَ وَيَذْهَبُ
بِمَاءِ الْوُجْهِ وَيَخْرُقُ حِجَابَ الْجِلْمَةِ

(وَمِنْهَا الشَّرُّ) وَهُوَ الْجُرْصُ عَلَى اسْتِثَابِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا
وَطَلَبُهَا مِنْ كُلِّ وَجَعٍ وَلَوْ قُبْحُ طَرِيقِ اسْتِثَابِهَا وَالْمُتَاوَسُّةُ عَلَيْهَا
وَالِاسْتِكْثَارُ مِنَ الْقَنِيِّ وَأَذْخَارُ الْأَعْرَاضِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ مِنْ
جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مِنَ الْمُدُولِ وَالْحُكَّامِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَمْوَالِ
وَالْذَّخَائِرِ وَالْأَعْرَاضِ يُعِينُهُمْ وَيُرِيدُهُمْ هَيْئَةً فِي نَفُوسِ رَعِيَّتِهِمْ
وَأَعْوَانِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ وَأَضْدَادِهِمْ

(وَمِنْهَا التَّبَذُّلُ) وَهُوَ اضْطِرَاحُ الْجِلْمَةِ وَتَرْكُ التَّحَفُّظِ وَالِاسْتِكْثَارِ
مِنْ الْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَتَحَالُطَةِ الشُّغْلَاءِ وَحُضُورِ مَجَالِسِ السُّخْفِ وَالْهَزْلِ
وَالْفُحْشِ وَالْتَعَمُّهُ بِالْحُلَا وَذِكْرُ الْأَعْرَاضِ وَالنَّحْرِ وَالْجُلُوسُ فِي
الْأَسْوَاقِ وَعَلَى قَوَائِعِ الطَّرِيقِ وَالتَّكَسُّبُ بِالْمَعَاشِ الرَّزِيَّةِ وَالتَّوَاضُّعُ

لِلسَّفَلَاءِ وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ بِجَمِيعِ النَّاسِ
 (وَمِنْهَا السَّعَةُ) وَهُوَ ضِدُّ الْجَلْمِ وَهُوَ سِرْعَةُ الْقَضَبِ وَالطَّلِيشِ
 مِنْ يَسِيرِ الْأُمُورِ وَالْمُبَادَرَةُ فِي الْبَطْشِ وَالْإِيْتَاعُ بِالْمُوْذِي وَالسَّرَفُ
 فِي الْعُقُوبَةِ وَالْعَارُ الْخُرْعُ مِنْ أَدْنَى ضَرَرٍ وَالسَّبُّ الْفَاحِشُ. وَهَذَا الْخَلْقُ
 مُسْتَشْجٌّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا أَنَّهُ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَقْبَحُ مِنْهُ بَغَيْرِهِمْ
 (وَمِنْهَا الْخُرْقُ) وَهُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَالْخُرْكَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
 وَشِدَّةُ الصَّحْكِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّبٍ وَسُرْعَةُ
 الْجَوَابِ وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَشْجٌّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ
 وَذَوِي النَّبَاهَةِ أَقْبَحُ. وَمِنْ قَبِيلِهِ قِلَّةُ الْإِحْتِشَامِ لِيَنْ يَحِبَّ احْتِشَامُهُ
 وَالْجَاهَرَةُ بِالْأَجُوبَةِ الْفَلِيطَةِ الْفَلِطَةُ الْمُسْتَشْنَعَةُ وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
 وَخَاصَّةً بِذَوِي الْوَقَارِ

(وَمِنْهَا الْهَوَى) وَهُوَ إِفْرَاطُ الْحُبِّ وَالسَّرَفُ فِيهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ
 مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَحْمِلُ صَاحِبُهُ عَلَى الْفُجُورِ وَأَرْتِكَابِ
 الْفَوَاحِشِ وَكَثْرَةِ التَّبَدُّلِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَهُوَ يَشِينُ الْإِنْسَانَ كَثِيرًا
 (وَمِنْهَا الْقِسَاوَةُ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْبَغْضِ وَالشَّجَاعَةِ
 وَهُوَ اتِّهَانُ بِنَا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنَ الْأَلَمِ وَالْأَذَى. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
 مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنَ الْبُخْسِ وَأَصْحَابِ السِّلَاحِ وَالْمُتَوَلِّينَ
 الْخُرُوبَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَكْرُوهٍ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعِهِ
 (وَمِنْهَا الْقُدْرُ) وَهُوَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
 وَيَضْمَنُ الْوَفَاءَ بِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَشْجٌّ إِنْ كَانَ لِصَاحِبِهِ فِيهِ مَضْلَعَةٌ

وَنَفْعَةٍ. وَهُوَ بِالْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ أَقْبَحُ وَأَضْرَقَانَّ مَنْ عُرِفَ مِنْهُمْ
بِالْقَدْرِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَمْ يَثِقْ بِهِ إِنْسَانٌ فَلَذَا كَانَ كَذَلِكَ
قَسَدَ نِظَامِ مُلْكِهِ

(وَمِنْهَا الْحَيَاةُ) وَهِيَ الْأَسْتِدَالُ بِمَا يُؤْتَمَنُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ وَتَمَلُّكَ مَا يُسْتَرَدَعُ وَحُبُّ أَحَدَةٍ مُودِعِهِ .
وَمِنْ الْحَيَاةِ أَيْضًا طَيُّ الْأَخْبَارِ إِذَا نَدَبَ الْإِنْسَانُ لِتَأْدِيبِهَا وَتَحْرِيفِ
الرِّسَائِلِ إِذَا حَمَلَهَا وَصَرَفَهَا عَنْ وَجْهٍ . وَهَذَا الْخَلْقُ أَغْنَى الْحَيَاةَ
مَكْرُوهَ بَنِ جَمِيعِ النَّاسِ وَيَثْلُمُ آجَاءَ وَيَقْطَعُ وَجُوهَ الْمَاشِ

(وَمِنْهَا إِفْشَاءُ السِّرِّ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْخُرْقِ وَالْحَيَاةِ
فَإِنَّهُ لَيْسَ بِوُجُودٍ مَنْ لَمْ يَضْطُرَّ لِسَانَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ صَدْرُهُ لِحِفْظِ مَا
يُسْتَسَرُّ بِهِ وَالسِّرُّ أَحَدُ الْوَدَائِعِ وَإِفْشَاؤُهُ تَقِيعَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ
فَالْفَيْشِي بِالسِّرِّ خَائِنٌ وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَخَاصَّةً بَيْنَ يَضْعُبُ
الْمُلُوكِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَيَتَدَاخَلُ مَعَهُمْ . وَمَنْ قَبِيلُ إِفْشَاءِ السِّرِّ
أَيْضًا الْغَيْبَةُ وَالنِّمِيسَةُ وَهِيَ أَنْ يُبْلَغَ إِنْسَانٌ إِنْسَانًا عَنْ آخَرٍ قَوْلًا
مَكْرُوهًا وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَلَوْ لَمْ يُسْتَسَرَّ أَيْضًا بِمَا يَسْمَعُهُ أَوْ
يَبْلُغُهُ فَتَقْلُهُ إِلَى مَنْ يَكْرَهُ قَبِيحٌ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ إِيقَاعَ وَخْشَةٍ بَيْنَ
الْمُبْلَغِ وَالْمُبْلَغِ عَنْهُ وَذَلِكَ غَايَةُ الشَّرِّ

(وَمِنْهَا الْكِبَرُ) وَهُوَ اسْتِعْظَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَاسْتِحْسَانُ مَا
فِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ وَاسْتِصْفَاؤُهُمْ وَالتَّرْفُّعُ عَلَى مَا
يُحِبُّ التَّوَاضُّعُ لَهُ . وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ جِدًّا وَمُضِرٌّ بِصَاحِبِهِ لِأَنَّ

مَنْ أَحْبَبَتْهُ نَفْسُهُ لَمْ يَسْتَزِدْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَدَبِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَزِدْ
بَقِيَ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنَ النَّقْصِ قَبْلَ مَا يَنْتَهِي
إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُبْعِثُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَمَنْ
تَبَعُضُهُ النَّاسُ سَاءَتْ أَحْوَالُهُ

(وَمِنْهَا الْبُوسُ) وَهُوَ التَّقَطُّبُ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَقَلَّةُ التَّبَسُّمِ. وَإِظْهَارُ
الْكَرَاهِيَةِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْكِبَرِ وَغِلْظِ الطَّبَعِ. فَإِنَّ قَلَّةَ
الْبَشَاشَةِ هِيَ اسْتِهَانَةٌ بِالنَّاسِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ تَكُونُ مِنَ الْإِعْجَابِ
وَالْكَبَرِ وَقَلَّةُ التَّبَسُّمِ أَيْضًا خَاصَّةٌ عِنْدَ إِقَامَةِ الْإِخْوَانِ تَكُونُ مِنَ
غِلْظِ الطَّبَعِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَقْبَحٌ وَخَاصَّةً بِالرُّؤْسَاءِ وَالْأَفَاضِلِ
(وَمِنْهَا الْكُذِبُ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ
عَلَيْهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَسْكُورَةٌ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤْسَاءِ أَكْثَرُ فُجَاءًا
لِأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ النَّقْصِ يَشِينُهُمْ

(وَمِنْهَا الْخُبْتُ) وَهُوَ إِضَارُ الشَّرِّ لِلْغَيْرِ وَإِظْهَارُ الْخَيْرِ لَهُ رِيَاءً
وَأَسْتِعْمَالُ الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مَسْكُورَةٌ جِدًّا. (وَمِنْ قَبِيلِ الْخُبْتِ الْحَقْدُ) وَهُوَ إِضَارُ الشَّرِّ لِلْجَانِبِ إِذَا لَمْ
يَتِمَكَّنْ مِنَ الْإِسْقَامِ مِنْهُ فَيُخْفِي إِلَى وَقْتِ الْفُرْصَةِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مِنْ أَخْلَاقِ الْأَشْرَارِ وَهُوَ مَذْمُومٌ جِدًّا

(وَمِنْهَا التَّجَلُّلُ) وَهُوَ مَنَعُ الْمُسْتَطْعِي مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى إِعْطَائِهِ.
وَهَذَا الْخَلْقُ مَسْكُورَةٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّجَلُّلَ يُبْعِثُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مَا يُبْعِثُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَقْدَحُ

فِي حُكْمِهِمْ وَيَعْضُهُمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ

(وَمِنْهَا الْخَلْبُ) وَهُوَ تَوَهُّمُ الْخَوَافِ وَتَحْكِيمُهَا فِي الْعَقْلِ بِدُونِ طَائِلٍ وَعَدَمُ الْأَقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ عِنْدَ الزُّومِ وَالرُّعْبِ مِنْ مُوَاجَهَةِ ذَوِي الْأَمْرِ عِنْدَ الْاِقْتِضَاءِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ إِلَّا أَنَّهُ بِالْجُنُودِ وَأَصْحَابِ الْخُرُوبِ مُضِرٌّ جَدًّا

(وَمِنْهَا الْحَسَدُ) وَهُوَ التَّالُمُ بِمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْدَهُ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْأَجْتِهَادُ فِي إِعْدَامِ الْغَيْرِ مَا هُوَ لَهُ . وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ وَقَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ

(وَمِنْهَا الْجَنَاحُ عِنْدَ الشَّدَةِ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْخُلُقِ وَالْخَلْبِ . وَهُوَ مُسْتَشْعَجٌ جَدًّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُجْتَدِيًا نَفْعًا وَأَمَّا إِظْهَارُهُ الْحَيَلَةَ عِنْدَ الْوُقُوعِ فِي الشَّدَةِ أَوْ لِاسْتِنَاقَةِ مُعِيثٍ أَوْ اجْتِلَابِ مُعِينٍ لِلْمُسَاعَدَةِ فَغَيْرُ مَكْرُوهٍ وَلَا يُعَدُّ تَقِيحَةً

(وَمِنْهَا بَغْرُ الْهَمَّةِ) وَهُوَ ضَعْفُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمُرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَقُصُورُ الْأَمَلِ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَاتِ وَاسْتِكْثَارُ التَّسْوِيرِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَاسْتِعْظَامُ الْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَايَا وَالْإِعْتِدَادُ بِذَلِكَ وَالرِّضَى بِأَوَاسِطِ الْأُمُورِ وَأَصَاغِرِهَا . وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ بِأَلْمَلُوكِ وَالْمُظَلَّاءِ أَقْبَحُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْإِعْتِيَادِ مِنْ صَغُورِ هِمَّتِهِ (وَمِنْهَا الْجَوْرُ) وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْعَدْلِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ كَأَخْذِ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا الْحَلَالِ وَالْمُطَالَبَةُ بِمَا لَا جُبَّ مِنْ الْحَقُوقِ وَفِعْلِ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ مَوَاقِعِهَا وَلَا أَوْقَاتِهَا وَلَا عَلَى الْقَدَرِ

الَّذِي يَجِبُ لَهَا وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِيهَا وَمِنْ قَيْسِلَ ذَلِكَ
السَّرَفُ وَالْتَبَذِيرُ أَيْضًا

البحث الرابع

في بعض الاخلاق التي تكون في بعض الناس
فضيلة وفي بعضهم رذيلة

(من كتاب عذيب الاخلاق لتركيا بن عدي)

(مِنْهَا حُبُّ الْكَرَامَةِ) وَهُوَ أَنْ يُسَّرَ الْإِنْسَانُ بِالْمُعْظِمِ
وَالْتَّجْمِيلِ وَالْمُعَاقَبَةِ بِالْمَذْحِ وَأَثْنَاءِ الْجَمِيلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُحَمَّدٌ فِي
الْأَحْدَاثِ وَالْصِّبْيَانِ لِأَنَّ حُبَّ الْكَرَامَةِ تَحْتُمُّهُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي اكْتِسَابِ
الْفَضَائِلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْاَحْدَثَ وَالصَّبِيَّ إِذَا مَدَّحًا عَلَى فَضِيلَةٍ وَجَدَتْ
فِيهَا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمَا إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِي الْفَضَائِلِ . وَأَمَّا الْأَفَاضِلُ
مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْهُمْ تَقِيصَةً . لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَدَّحَ
عَلَى الْفَضِيلَةِ إِذَا كَانَتْ مُسْتَقْبَرَةً مِنْهُ أَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَرَّ أَوْ يُسْتَقْرَبَ مَا يَطْهَرُ مِنْهُ مِنَ الْفَضَائِلِ . وَكَذَلِكَ
الْإِكْرَامُ وَالْتَّجْمِيلُ إِذَا كَانَ زَائِدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى
الْمَلَقِ وَالسُّرُورِ بِالْمَلَقِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْحَدِيقَةِ

(وَمِنْهَا حُبُّ الرِّيَّةِ) وَهُوَ التَّصَنُّعُ بِأَنْسِ أَشْيَاءِ الْفَاجِرَةِ
وَرُكُوبِ الْخَلِيلِ وَكَثْرَةِ الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ وَهَذَا مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالْعُظَمَاءِ وَالْأَحْدَاثِ وَالظُّرَفَاءِ وَالنِّسَاءِ . فَأَمَّا الرُّهْبَانُ وَالزُّهَّادُ

وَالشُّيْخُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَخَاصَّةً الْخُطَبَاءُ وَالْوَاعِظُونَ وَرُؤَسَاءُ الدِّينِ
فَإِنَّ التَّصَنُّعَ بِالزِّيَافَةِ مُسْتَنْجَبٌ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَحْسَنُ بِهِمْ هُوَ لِبَسُ
الْحُسْنِ وَكَرَاهِيَةِ التَّنَمُّ وَلِزُومِ يُوتِ الصَّلَاةِ

(وَمِنْهَا الْجُحَاذَةُ عَلَى الْمَدْحِ) وَهُوَ جُحَاذَةٌ مَنْ يَمْدَحُ الْإِنْسَانَ
وَيَشْكُرُهُ فِي الْحَالِ وَالْحَافِلِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالرُّؤَسَاءِ لِأَنَّهُ يَدْعُو الْمَدْحَ إِلَى الْأَزْدِيَادِ فِي مَذْهَبِهِ فَيَكْتَسِبُ
الْحَمْدُوحَ ذِكْرًا جَمِيلًا يَبْقَى إِلَى الدَّهْرِ. وَمَنْ فَضَّلَ الْمُلُوكَ وَالرُّؤَسَاءَ
بَعْدَ ذِكْرِهِمُ الْجَمِيلِ. وَمَا حَبَّتْهُمْ سَمَاعُ الْمَدْحِ مِنَ الْمَدْحِ مُوَاجَهَةً
فَ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمَلَقِ وَحُبُّ الْمَلَقِ مَكْرُوهٌ
لِكَوْنِهِ مِنْ قَبْلِ الْخِدِيمَةِ كَمَا تَقَدَّمَ. نَأْمَا إِيثَارُهُمْ أَنْبَاءُ ذِمَّتِهِمْ
وَمَذْجُهُمْ وَتَنَاوُلُ النَّاسِ لَهُ وَبَقَاؤُهُ بَعْدَهُمْ فَإِنَّهُ مَحْمُودٌ. وَجُحَاذَةُ الْمَدْحِ
مُسْتَحْسَنَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَمِنْهُمْ مُسْتَنْجَبٌ وَعَادَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو
إِلَى ذِمَّتِهِمْ وَذِمَّتُهُمْ يَبْقَى أَيْضًا إِلَى النَّهْرِ فَيَنْشِئُ لَهُمْ ذِكْرًا قَبِيحًا
وَذَلِكَ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ. أَمَّا أَعَاغِرُ النَّاسِ فَحَبَّتْهُمْ جَزَاءُ
الْمَدْحِ. لَهُمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ لِأَنَّ الْمَدْحَ إِذَا مَدَحَ الدُّنْيَى مِنَ النَّاسِ
فَأَنَّمَا يَجْعَلُهُ قَارِذَا أَجَارَهُ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ تِلْكَ الْجَازِيَةَ بِالْحِلَّةِ .
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَدَحُوا بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ يُبَادِرُونَ إِلَى جُحَاذَةِ
الْمَدْحِ فَيَكُونُونَ قَدْ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَلَوْ صَرُّوا ذَلِكَ
الشَّيْءَ إِلَى أَصْغَفَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ كَانَ ذَلِكَ أَجْمَلَ بِهِمْ وَالْيَقِ
(وَمِنْهَا الرُّهْدُ) وَهُوَ قِلَّةُ الرَّغْبَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَذْخَارِ وَغَيْرِهَا

وَأَيُّهَا الْقَنَاعَةُ يَا يَقِيمُ الرِّمَقَ وَالْإِسْتِحْقَافُ بِالدُّنْيَا وَمَحَاسِنِهَا وَلَذَائِهَا
وَقَلَّةُ الْأَكْثَرِ أَثَرُ بِالْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَاسْتِغْفَارُ الْمُلُوكِ وَمَتَابِكِهِمْ
وَأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِهِمْ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَرُؤَسَاءِ الدِّينِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْوَاعِظِينَ وَمَنْ يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الْمَعَادِ
وَالْبَقَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ
مِنْهُمْ وَلَا لَائِقٌ بِهِمْ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَظْهَرَ الرِّهْدَ صَارَ نَاقِصًا إِذَا إِنَّ
مُلْكَهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاِحْتِشَادِ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَأَذْخَارِهَا لِيُدَبَّرَ
بِهَا مُلْكُهُ وَيَصُونَ بِوَاسِطَتِهَا حَوَازَتُهُ وَيَتَّقَدَّ بِهَا رَعِيَّتُهُ وَهَذَا مُضَادٌّ
لِلزُّهْدِ فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْأَذْخَارَ أَبْطَلَ مُلْكَهُ وَصَارَ مَعْدُودًا فِي
جَمَلَةِ الْمُلُوكِ الْخَائِدِينَ عَنْ طَرِيقِ السِّيَاسَةِ

فَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ أَخْلَاقُ جَمِيعِ النَّاسِ
أَمَّا الْمَدْمُوحَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَضَائِلٌ فَقَلَّمَا تَجْتَمِعُ كُلُّهَا فِي
إِنْسَانٍ وَاحِدٍ وَأَمَّا الْمَذْمُومَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَعَاقِبٌ وَمَعَابٍ
فَقَلَّمَا يَجِدُ إِنْسَانٌ يَخْلُو مِنْ جَمِيعِهَا حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ خَائِقٌ مَكْرُوهٌ
وَخَاصَّةً مَنْ يَرُوضُ نَفْسَهُ وَيُؤَدِّبُهَا. فَإِنَّ مَنْ لَا يَتَعَمَّلُ بِإِضْطِاطِ نَفْسِهِ
وَتَقَقُّدِ عُيُوبِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْ عُيُوبٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ لَمْ يُحْسَ بِهَا وَلَمْ يَفْطَنْ
إِلَيْهَا. وَإِذَا كَانَ الْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ كَانَ أَوَّلَى الْأُمُورِ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَقَقَّدَ أَخْلَاقَهُ وَيَتَأَمَّلَ عُيُوبَهُ وَيَتَجَهَّدَ فِي إِصْلَاحِهَا
وَنَفْيِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيَتَّبِعِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ وَيُجْهِلَ نَفْسَهُ عَلَى
اعْتِيَادِهَا وَالْتِقَاطِ بِهَا لِأَنَّ النَّاسَ لَغَا يَتَفَاضُلُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِفَضَائِلِهِمْ

لَا كَمَا يَتَّبَعُ الْجَاهِلُ وَالْعَامَّةُ أَنَّهُمْ يَتَفَاضِلُونَ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
وَكثْرَةِ دَخَائِرِهِمْ. وَأَقْتَحَارَ أَكْثَرُ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْآلَاتِ
وَتَعْظِيمُهُمُ الْاَغْنِيَاءَ وَذَوِي الْاَنْجَاهِ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ كَثْرَةَ
الْمَالِ إِنَّمَا تَتَفَاعَلُ بِهَا أَحْوَالُ النَّاسِ وَأَمَّا نُفُوسُهُمْ فَلَا تَكُونُ
أَفْضَلَ مِنْ نُفُوسٍ غَيْرِهِمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَاجِرَ السَّيِّئَةَ
الْجَاهِلَ الشَّرِيرَ وَإِنْ حَوَى أَمْوَالًا عَظِيمَةً فَلَا تَكُونُ بِأَفْضَلَ مِنْ
الْعَاقِلِ الْحَكِيمِ الْخَيْرِ الْعَالِمِ وَلَوْ كَانَ فَقِيرًا بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ
بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ أَغْنَى مِمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ مُغْبِرًا فَقِيرًا وَأَمَّا التَّفْضِيلُ
فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِكَثْرَةِ التَّضَائِلِ قَطُّ. وَلَكِنْ إِنْ اجْتَمَعَ بِالْإِنْسَانِ
مَعَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ وَالْعَادَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ أَيْضًا
فَلَعَمْرِي أَنَّهُ يَكُونُ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الْفَاقِلِ الْمَغْبِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ
مِنْ جَمَلَةِ سَعَادَاتِ الْإِنْسَانِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ فَاضِلًا عَادِلًا عَاقِلًا
يَضْرِفُ مَالَهُ فِي وَجْهِهِ وَيُذِقُهُ فِي حَقِّهِ وَيَتَّقَدُّ بِهِ مَنْ يَحِبُّ عَلَيْهِ
وَلَا يَتَهَامَلُ فِي مَكْرَمَةِ تَرْيَدِهِ فِي مَحَاسِنِهِ

أَمَّا النَّاقِصُ الْجَاهِلُ السَّيِّئُ الْعَادَاتِ فَإِنَّ الْغِنَى رُبَّمَا زَادَهُ
نَقْصًا وَغُيُوبًا وَأَضَافَ إِلَى مَعَانِيهِ غُيُوبًا أُخْرَى. وَلَا يُعَدُّ نَجِيصًا
مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَإِنْ كَانَ الْبُخْلُ مِنْ طَبِيعِهِ لِأَنَّ فَقْرَهُ يُخْفِي ذَلِكَ
مِنْهُ وَمَتَى لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ هَذَا الْأَمْرُ فَلَا يُعَابُ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
إِنَّمَا يُعَابُ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ وَأَمَّا مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَابْسَارٍ وَلَمْ يَجِدْ بِهِ
ظَهَرَ بُخْلِهِ قَصِيرَ الْمَالِ جَالِبًا عَلَيْهِ عَارًا. وَأَيْضًا فَإِنَّ أَكْثَرَ الْفُجُورِ

وَالْخُطُوبَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الرَّدِيئَةِ لَا تُنَالُ غَالِيًا إِلَّا بِالْأَمْوَالِ
فَالْفَقِيرُ الْمُعْسِرُ وَإِنْ كَانَ فَجُورًا فَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْهُ أَمَا إِذَا
كَانَ ذَا مَالٍ تَمَكَّنَ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَتَظْهَرُ حَبْنَةُ عُيُوبِهِ . وَبَاءَ عَلَيْهِ
يَكُونُ الْفَقِيرُ مُكْسِبًا لِصَاحِبِهِ أَحْيَانًا عُيُوبًا وَنَقَائِصَ وَالْفَقْرُ قَضَائِلُ
وَحَاسِنٌ . فَيُتَمَسَّحُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَنَّ النَّاسَ لَا تَتَفَاضَلُ حَقِيقَةُ بِالْأَمْوَالِ
وَالذَّخَائِرِ بَلْ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْآدَابِ وَالْحَاسِنِ الذَّائِيَةِ . فَالْخَلِيقُ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَسُوسَ نَفْسَهُ بِالْآدَابِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَيَسْلُكَ بِهَا
الطَّرِيقَ الْحَمِيدَةَ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مُحَبُّوبًا عِنْدَ النَّاسِ مَقْبُولًا
لَدَيْهِمْ مُعْظَمًا فِي نَفُوسِهِمْ مُفَضَّلًا عَنْ غَيْرِهِ مُوقَّرًا عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ
وَالْمُلُوكِ مَقْبُولَ الْقَوْلِ عَظِيمَ الْجَاهِ

فَهَذِهِ حَالَةُ الْعَظَمَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُكْتَسَبَةِ بِالْأَمْوَالِ لِأَنَّ أَلْمَالَ
قَدْ تَلْعَمَهُ الْمَصَائِبُ فَإِذَا فَارَقَ صَاحِبَهُ سَقَطَتْ مَرْئِيَّتُهُ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ
وَسَادَى الْعَامَّةُ وَالسُّوقَةُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَظَمَ لَهُ كَانَ مَالُهُ لَا نَفْسُهُ
فَتَمَيَّزَ ذَلِكَ أَلْمَالَ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ يُعْظَمُ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَيْسَ
كَذَلِكَ أَلْعَالِمُ النَّفِيسِ الْقَاضِلِ الْمُهَذَّبِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ عَظَمَتَهُ
بِفَضْلَانِهِ وَهِيَ غَيْرُ مُقَارِقَةٍ لَهُ فَهُوَ مُعْتَبَرٌ دَائِمًا وَمُعْظَمٌ مِنْ أَجْلِ
ذَاتِهِ لَا لِشَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ



البحث الخامس

في الارتياض بمكارم الاخلاق (*)

(من كتاب غذيب الاخلاق لوكريّا بن عدي)

وَبِمَا أَنَّ الرَّائِبَ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ الْمُوَثَّرَ تَهْذِيبَ أَخْلَاقِهِ إِذَا
 بُنِيَ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ وَجَدَ فِيهِ وَاحِبَ اجْتِنَابِهِ رُبَّمَا صَعِبَ عَلَيْهِ
 إِلَّا تَقَالَ عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَلِ الْخُلُصَ مِنْهُ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ
 طَبْعُهُ أَوْ رُبَّمَا اسْتَحْسَنَ أَيْضًا خُلُقًا مَحْمُودًا لَا يَجِدُهُ لِنَفْسِهِ وَأَثَرَ اتِّخَافٍ
 بِهِ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ عَادَتُهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مُرَادِهِ. لِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ تُرْسِمَ
 الْمُرَائِبِينَ فِي السِّيَاسَةِ اتِّخُودَ طُرُقًا يَتَدَبَّرُونَ بِهَا وَيَتَدَرَّجُونَ فِيهَا
 حَتَّى يَتَنَهَوْا إِلَى مُرَادِهِمْ مِنْ اعْتِيَادِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْإِنْطِبَاعِ عَلَيْهَا
 وَتَجَنُّبِ الْأَخْلَاقِ الْقَبِيحَةِ وَالْفُرْعِغِ مِنْهَا وَهَذَا تَذَكُّرُ طَرِيقِ الْإِرْتِيَاضِ
 بِالْأَخْلَاقِ اتِّخُودَ وَالتَّعَمُّلِ لِاعْتِيَادِهَا لِكَيْ يُمَكِّنَ لِلرَّائِبِ
 أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا فَنَقُولُ:

إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُعَرَّرٌ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْأَخْلَاقِ فِي النَّاسِ هُوَ
 اخْتِلَافُ قُوَى النَّفْسِ الثَّلَاثِ فِيهِمْ وَهِيَ الشَّهْوَانِيَّةُ وَالْقَضِيَّةُ وَالنَّاطِقَةُ
 وَأَنَّ إِصْلَاحَ الْأَخْلَاقِ هُوَ تَذْلِيلُ الشَّهْوَانِيَّةِ مِنْهَا وَالْقَضِيَّةِ وَتَمْيِيزُ

(*) اعلم ان ما يقوله هنا لوكريّا بن عدي في سياسة الانسان نفسه يصلح
 للتطبيق لسياسة غيره. لانه موكول بتحصين طباع الجمهور منقوض اليه حملهم
 على الخير وصرفهم عن مضار الاهواء المخترقة

عَادَاتِ النَّفْسِ الطَّائِفَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْحَمُودِ مِنْ أَفْعَائِهَا. فَطَرِيقُ التَّدَرُّجِ
لِاسْتِعْمَالِ الْعَادَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْعُدُولِ عَنِ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ هُوَ التَّدَرُّجُ
فِي تَذَلُّلِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ

أَمَّا النَّفْسُ الشَّهَوَانِيَّةُ فَالطَّرِيقُ إِلَى قَبْعِهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي أَوْقَاتِ
شَهَوَاتِهِ وَعِنْدَ شِدَّةِ الْعَزْمِ إِلَى لَذَاتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ تَذَلُّلَ نَفْسِهِ الشَّهَوَانِيَّةِ
فَيَعْدِلُ عَمَّا تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهْوَةِ الرَّدِيئَةِ إِلَى مَا هُوَ مُخْتَسِنٌ
مِنْ جِنْسِ تِلْكَ الشَّهْوَةِ وَهُوَ تَقَرُّعُ عَلَى ارْتِضَائِهِ وَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ. فَإِنْ لَمْ
تَنْكَسِرْ شَهَوَاتُهُ يَبْلُغْهَا وَيَعِدْهَا فَإِنْ سَكَنْتِ اتَّخَصَرَ وَالْأَعَادُ لِلْفِعْلِ
مِنْ الْوَجْهِ الْمُسْتَحْسِنِ. فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَكْرَرَهُ كَفَتْ النَّفْسُ وَإِذَا
اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا الْحَالِ أَلْقَتْ هَذِهِ الْعَادَةَ وَتَأَثَّسَتْ بِهَا وَاسْتَوْحِشَتْ
بِمَا سِوَاهَا. وَيَتَّبِعِي لِمَنْ أَرَادَ قَعْمَ نَفْسِهِ الشَّهَوَانِيَّةِ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ
مُجَالَسَةِ الزُّهَادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ الْوَرَعِ وَالْوَعَائِظِينَ وَيَلَازِمَ
مُجَالِسَ الرُّؤَسَاءِ وَأَهْلَ الْعِلْمِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَخَاصَّةً رُؤَسَاءَ الدِّينِ
يُعْظِمُونَ مَنْ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْعَمَةِ وَيَسْتَرْزُونَ مَنْ كَانَ فَاجِرًا مِنْهُمْ كَمَا
فَعَالَسَتْهُ وَمُلَازَمَتْهُ لِهَذِهِ الْمُجَالِسِ تَضَطُّرُّهُ إِلَى التَّصَوُّفِ وَالْتِفَافِ
وَالْتَّجَمُّلِ لِذَوِقِهِمْ لِئَلَّا يَسْتَرْزُوهُ وَيَغْضَبُوا مِنْهُ وَيَلْحَقُ بِرُبَّتِهِ مَنْ
يُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ وَالْمُجَالِسِ. وَيَتَّبِعِي لَهُ أَيْضًا أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي
كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَأَخْبَارِ الزُّهَادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ
الْوَرَعِ وَيَتَجَنَّبَ مُجَالِسَ الْخُلَعَاءِ وَالسُّقَهَاءِ وَالْمُنْهَجِكِينَ وَمَنْ يُكْثِرُ
الْهَزَلَ وَاللَّعِبَ وَجَيْتَذِ يَلْحَقُ بِرُبَّتِهِ وَيُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ. وَأَكْثَرُ مَا

يَجِبُ لَهُ أَنْ يَجْتَنِبَ السُّكْرَ فَلَّانَهُ يَمَّا يُشِيرُ نَفْسُهُ الشَّهْوَانِيَّةَ وَيَقْوِيهَا
وَيَحْبِبُهَا عَلَى التَّهْتِكِ وَأَرْتِكَابِ الْقَوَاجِشِ وَالْمُجَاهَرَةِ بِهَا... وَيَتَّبِعِي لَنْ
أَرَادَ قَمَعَ نَفْسِهِ الشَّهْوَانِيَّةَ أَنْ يُقِلَّ مِنْ أَسْتِمَاعِ الْعِيَاءِ وَخَاصَّةً مِنْ
النِّسَاءِ الْمُتَصَبِّعَاتِ وَالشَّبَابِ الطَّرْقَاءِ فَلَنْ السَّمَاعِ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي إِثَارَةِ
الشَّهْوَةِ... أَمَّا الطَّعَامُ فَيَتَّبِعِي أَنْ تَعْلَمَ أَنْ غَايَتَهُ هُوَ الشَّبَعُ لِإِدْفَعِ أَلَمَ
الْجُوعِ . وَفَآخِرُ الطَّعَامِ وَدَيْنُهُ جَمِيعُهُمَا مُشِيمَانِ قَلِيلَسَ لِلْمُبَالِغَةِ فِي
تَجْوِيدِ الطَّعَامِ الْكَثِيرِ حِطٌّ وَلَا فَائِدَةٌ . وَالْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ فِي
أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجُلُوسِ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ
وَأَعْتَادَهُ وَالْقَمَّةَ... وَطَرِيقُ التَّدْرُجِ إِلَى الْإِقْتِصَارِ فِي الطَّعَامِ هُوَ أَنْ
يُبَادِرَ ذُو الشَّهْوَةِ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ وَجَدَهُ مِنَ الْمَأْكَلِ فَإِنْ كَانَ
الْمُشْتَعَى الَّذِي تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ حُلُوا قَالَا أَيُّ حَلَاوَةٍ وَجَدَهَا
وَأِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَا مَا يَشْتَبِيهِ مِنَ الطَّعَامِ فَلَنَّهُ إِذَا تَنَاوَلَ
الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ تَكَرَّارًا وَشَبَعٌ مِنْهُ سَكَنَتْ شَهْوَتُهُ وَكَفَّتْ
نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ

وَيَتَّبِعِي لَنْ أَحَبَّ الْعِلْمَةَ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا مُتَّقِظًا ذَاكِرًا لِمَا يَلْحَقُ
الْفَاجِرَ وَالنِّهَمَ وَالشَّرَّهَ وَالْمُتَهْتِكِ مِنَ الْقَبَاحَةِ وَالْعَارِ فِي الدُّنْيَا جَاعِلًا
ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وَسَعَادَةً وَمَدَاوِمًا عَلَى ذِكْرِهِ . فَإِنْ نَفْسُهُ حِينَئِذٍ تُبْغِضُ
الشَّهَوَاتِ الرَّدِيَّةَ وَتَشْتَاقُ إِلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَتَطْرَبُ عِنْدَ الْعُدُولِ
عَنِ الْقَوَاجِشِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَتَرْتَاحُ لِمَا يُنْشَرُ عَنْهَا وَمَا يَبْلُغُهَا عَنْ
النَّاسِ مِنَ الشَّنَاءِ الْجَمِيلِ عَلَى صَاحِبِهَا . فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ

إِلَى قَهْرِ الْقُوَّةِ الشَّهَوَانَةِ وَتَذْلِيلِهَا وَفَعْلِهَا أَعْنَى طَرِيقَ الْإِرْتِيَاضِ
بِالْعَادَاتِ الْمُخْمُودَةِ الْمُرْضِيَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهَوَاتِ وَالذَّلَاتِ الدَّيْنِيَّةِ
فَأَمَّا النَّفْسُ الْغَضَبِيَّةُ فَإِنَّ طَرِيقَ فَعْلِهَا وَتَذْلِيلِهَا هُوَ أَنْ يُصْرِفَ
الْإِنْسَانُ هِمَّتَهُ إِلَى تَقْصِدِ السُّفْهَاءِ الَّذِينَ يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَضَبُ فِي
أَوْقَاتِ طَيْشِهِمْ وَحِدْثِهِمْ وَيُلَاحِظُ تَسْفِهَهُمْ عَلَى أَخْصَابِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ
لِحَدِيثِهِمْ وَعَيْبِهِمْ فَلَمَّا يُشَاهِدُ إِذْ ذَاكَ مَنْظَرًا شَنِيعًا يَأْتِي مِنْهُ
الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَأَنْ يَتَذَكَّرَ فِي أَوْقَاتِ غَضَبِهِ وَعِنْدَ جُنَايَاتِ خَدَمِهِ
وَعَيْبِهِمْ وَثُوبِ إِخْوَانِهِ وَأَوْدَانِهِ فِي جَمِيعِ مُحَاورَاتِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ مَا
شَهِدَهُ مِنْ أَوْلِيائِهِ. فَلَمَّا إِذَا تَفَكَّرَ فِيمَا كَانَ اسْتَحَقَّهُ مِنْهُمْ
فَتَنَكَّرَ بِذَلِكَ سُورَةَ غَضَبِهِ وَيُخَيِّجُهُ عَنْهُمْ بِالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ مِنْ
السَّبِّ وَالْوُتُوبِ فَإِنْ لَمْ يَكْفِ بِالْكُلِّيَّةِ قَصَرَ وَلَمْ يَتَّبِعْ إِلَى غَايَةِ
النُّفْحِ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْزِلَ نَفْسَهُ الْغَضَبِيَّةَ أَنْ يَتَذَكَّرَ فِي
أَوْقَاتِ غَضَبِهِ عَلَى مَنْ يُؤْذِيهِ أَوْ يَتَجَنَّبُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ هُوَ الْجَانِي
مَا الَّذِي كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَاقَبَ بِهِ عَلَى جُنَايَتِهِ فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ يَعْتَقِدُ
أَنْ دَرَكَ تِلْكَ الْجُنَايَةَ وَذَلِكَ الْأَذَى يَسِيرٌ جِدًّا فَإِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ
كَانَتْ مُعَابَلَتُهُ لِلْجَانِي الْمُوْذِي بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ خَفِيفَةً وَحَيْثُ لَا
يُسْرِفُ فِي الْإِنْتِقَامِ وَلَا يُفْشِي فِي الْغَضَبِ قَتَى فَصَلَ ذَلِكَ دَائِمًا
وَجَعَلَهُ دِينًا وَتَقَعَّدَ مَعَاقِبَ السُّفْهَاءِ وَمَنْ يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ لَمْ
يُعِدْ أَنْ تَنكسرَ نَفْسُهُ الْغَضَبِيَّةُ وَتَتَقَاعَدَ إِلَيْهِ وَإِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا

الْعَمَلِ مُدَّةً صَارَ لَهُ خُلُقًا وَعَادَةً

وَيَتَّبِعِي لَنْ رَغَبَ فِي تَذْلِيلِ قُوَّةِ الْغَضَبِ أَنْ يَحْتَجَّ بِحُلِّ السِّلَاحِ
فِي مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَحُضُورِ مَوَاضِعِ الْفَتَنِ وَمَقَامَاتِ الْخُرُوبِ وَفِي
مَجَالِسَةِ الْأَثَرِ وَيَحْتَجُّ بِمُعَاشَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَةِ الشَّرْطِ قَانَ هَذِهِ
الْمَوَاضِعَ تُكْسِبُ قِسَاوَةَ الْقَلْبِ وَتُغْلُظُهُ وَتُقَدِّمُهُ الرَّاغَةَ فَتَشْتَدُّ
إِذْكَ الْقُوَّةُ الْغَضَبِيَّةُ فَإِذَا أَرَادَ تَذْلِيلَهَا وَتَسْكِينَهَا حَاجِبٌ أَنْ يَجْعَلَ
مُجَاسَمَتَهُ لِأَهْلِ الْوَقَارِ وَالشُّيُخِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْأَفَاضِلِ وَمَنْ يَقِلُّ غَضَبُهُ
وَيَكْثُرُ حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمُسْكِرَ مِنَ الشَّرَابِ فَإِنَّهُ يُهْنِجُ الْقُوَّةَ
الْغَضَبِيَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يُهْنِجُ أَثْمَرَةُ الشَّهْوَانِيَّةِ ...

وَيَتَّبِعِي إِنْ أَرَادَ تَذْلِيلَ قُوَّتِهِ الْغَضَبِيَّةِ وَالشَّهْوَانِيَّةِ مَعًا أَنْ
يَسْتَعْمَلَ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ الْفِكْرَ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
يُرَوِّي فِيهِ وَيَجْعَلَ الْفِكْرَةَ وَاتِّبَاعَ الرَّأْيِ دَيْدَنَهُ وَعَادَتَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ
وَجُودَةَ الْفِكْرِ يُقْتَضِيَانِ لَهُ السَّهْفَ وَسُرْعَةَ الْغَضَبِ وَالْإِنْهَادَ فِي
الشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعِ اللَّذَاتِ . فَإِذَا اسْتَقْبَحَ ذَلِكَ أَحْجَمَ عَنْهُ وَعَدَلَ إِلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ وَالْفِكْرُ وَإِنْ لَمْ يَزِدْ بِإِلْكَلِيَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يُؤَثِّرَ
فِيهِ ذَلِكَ فَيُتَجَنَّبَ عَمَّا يُرِيدُ التَّسْرُعَ إِلَيْهِ

وَمِلَاكُ الْأَمْرِ فِي تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَضَبْطِ الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ
وَالْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ هِيَ الْقُوَّةُ النَّاطِقَةُ فَإِنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ تَكُونُ جَمِيعُ
السِّيَاسَاتِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةً مُتَمَكِّنَةً مِنْ صَاحِبِهَا أَمَكَّنَهُ أَنْ

يُسَوِّسُ بِهَا قُوَّتَيْهِ الْبَاقِيَتَيْنِ وَيَكْفِ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْقَبَاحِ وَيَتَّبِعُ
أَبَدًا مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ قُوَّةً فِي صَاحِبِهَا كَانَتْ
مَغْمُورَةً خَافِيَةً

قَائِلٌ مَا يَتَّبِعِي أَنْ يَتَّبِعِدْهُ فِي سِيَاسَةِ أَخْلَاقِهِ هُوَ أَنْ يَرُوضَ هَذِهِ
الْقُوَّةَ وَتَرَوِيضُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِي هَذِهِ
الْعُلُومِ وَدَقَّقَ النَّظَرَ فِيهَا وَدَرَسَ كُتُبَ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَدَاوَمَ عَلَيْهَا
تَيَقَّظَتْ نَفْسُهُ وَانْدَهَبَتْ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَانْتَعَشَتْ مِنْ خَوَلِهَا وَاحْسَتْ
بِفَضَائِلِهَا وَارْتَفَتْ مِنْ رَذَائِلِهَا لِأَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ إِنَّمَا تَضَعُفُ وَتَخْفُفُ
إِذَا عَدِمَتْ الْفَضَائِلَ وَالْمَنَاقِبَ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الرَّذَائِلُ . أَمَّا إِذَا
اِفْتَنَتْ الْفَضَائِلُ وَاسْتَسْبَتِ الْأَدَابُ تَيَقَّظَتْ مِنْ غَشِيَتِهَا وَثَارَتْ
بِنُ سُكْرُهَا وَقَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفِهَا . وَفَضَائِلُ هَذِهِ الْقُوَّةِ هِيَ الْعُلُومُ
الْعَقْلِيَّةُ وَخَاصَّةً مَا دَقَّ مِنْهَا فَإِذَا ارْتَاضَ الْإِنْسَانُ بِهَا شَرَفَتْ نَفْسُهُ
وَعَظُمَتْ هِمَّتُهُ وَقَوِيَ فِكْرُهُ وَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَلَكَ أَخْلَاقَهُ
وَقَدَّرَ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَأَنْقَازِ لَه طَبْعُهُ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ تَهْذِيبَهُ وَادَّعَتْ لَهُ
الْقُوَّةَ الْقَضِيَّةَ وَالشَّهَوَانِيَّةَ وَهَانَ عَلَيْهِ قَعْمُهُمَا وَتَهْذِيبُهُمَا

وَأَوَّلُ مَا يَتَّبِعِي أَنْ يَبْتَدِيَ بِهِ مَنْ يُحِبُّ سِيَاسَةَ أَخْلَاقِهِ هُوَ النَّظَرُ
فِي كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَاتِ ثُمَّ الْإِرْتِيَاضُ بِالْعُلُومِ الْحَقَائِقِ فَإِنَّ
أَشْرَفَ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكُهَا حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَإِطْلَاعُهَا عَلَى
هَيْئَاتِ الْمَوْجُودَاتِ مَتَى شَرَفَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَعَلَتْ هِمَّتُهُ رَفِيَ إِلَى
مَرَاتِبِ الْفَضْلِ

وَمَا يُضْلِعُ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ وَيُقَوِّمُهَا أَيْضًا مُجَالِسَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَمُخَالَطَتُهُمْ وَالْإِقْتِدَاءُ بِأَخْلَاقِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَخَاصَّةً أَصْحَابَ عُلُومِ
الْحَقَائِقِ وَالْمُتَبَقِّلُونَ مِنْهُمْ الْمُسْتَعْمِلُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَا تَقْتَضِيهِ
عُلُومُهُمْ وَتَوْجِبُهُ عُقُولُهُمْ

أَمَّا تَمْيِيزُ عَادَاتِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَاسْتِعْمَالُ مَا حَسُنَ فِيهَا وَأَطْرَاحُ
مَا قَبِيحٌ فَإِنَّمَا يُمَكِّنُ وَيَسْهِّلُ إِذَا رَاضَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ النَّاطِقَةَ فَإِنَّمَا
إِذَا ارْتَأَتْ بِالْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَتَقَطَّطَتْ وَتَشَرَّفَتْ أُنْفَتَ مِنْ
الْعَادَاتِ الْمُسْتَشْجَةِ وَتَذَهَبَتْ عَنِ التَّدْنِيسِ بِهَا فَهَيُونُ حَيْثُ عَلَى
الْإِنْسَانِ تَجَنَّبَ مَا يُسْتَكْرَهُ مِنَ الْعَادَاتِ وَيَقْلِبَ عَلَيْهِ اسْتِحْسَانُ
الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْجَلِيلَةِ وَالْخَلْقِ بِهَا

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ طَرِيقَ الْإِدْرِيَاضِ بِالْأَخْلَاقِ
الْحَمِيدَةِ وَالْتَّصُّعِ لِإِعْيَادِهَا وَاتِّبَاعِ الْحَمُودِ الْمَرْضِيِّ مِنْهَا وَتَرْكِ
الْمَذْمُومِ الْمُسْتَشْجِ وَتَذَلِيلِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ الْغَضَبِيَّةِ وَضَبْطِهَا وَقَهْرُهَا هُوَ
إِضْلَاحُ الْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ وَتَقْوِيَتُهَا وَتَحْلِيَّتُهَا بِالْفَضَائِلِ وَالْآدَابِ
وَالْحَاسِنِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ آلَةُ السِّيَاسَةِ وَمَرْكَبُ الْإِيَاضَةِ

وَمَنْ يَسْكُنُ مِنْ أَصْغَابِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِيهَا
وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلْيَسْتَلْ جُهْدَهُ فِي تَدْقِيقِ الْفِكْرَةِ وَمُجَاهَدَةِ
النَّفْسِ وَيُصَوِّرِ الْفَرْقَ مَا بَيْنَ عَادَتِهِ الْهَبِيجَةِ وَالْجَلِيلَةِ وَيَنْظُرْ إِلَيْهَا
أَجْدَى عَلَيْهِ وَأَنْفَعُ وَإِلَيْهَا أَجْدَرُ عَاقِبَةً وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ فَإِنَّهُ
إِذَا صَدَقَ مَا تَأَكَّدَتْهُ نَفْسُهُ وَجَدَ أَنَّ شَهَوَاتِهِ وَلَذَائِعَ إِغَاثَتِهَا مَدَّةٌ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا فَقَطَّ أَمَّا بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا فَلَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ عَلَيْهِ وَلَا نَافِعَةٍ
لَهُ وَيَجِدُ عَارَهَا وَشَيْئَهَا بَاقِيًا إِلَى الدَّهْرِ مُتَدَاوِلًا فِيَا بَيْنَ النَّاسِ يُعَابُ
بِهِ وَيُزْرَى عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْإِضْرَاعِ إِلَى الْإِسْتِقَامِ
وَالسَّبِّ وَالْفُحْشِ فَتَى انْخَلَّتْ غَمْرَتُهُ وَسَكَتَتْ ثَوْرَتُهُ تَأَمَّلْ أَمْرَهُ
قَرَأَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ قَبِيحًا وَلَمْ يَجِدْهُ مُجْدِيًا وَلَا مُفِيدًا وَقَدْ صَارَ
مَا فَعَلَهُ وَقْتُ الْغَضَبِ نَقِصَةً يَوْمَ بِهَا وَمَعِيرَةً يُسَبُّ عَلَيْهَا وَرَبَّمَا
أَرْتَكَبَ حَالَ الْغَضَبِ جَنَائِتَ كَثِيرَةً يُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَيُرَدَّبُ مِنْ
أَجْلِهَا. كَذَلِكَ الْعَادَاتُ الْمَكْرُوهَةُ فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ هِيَ أَيْضًا غَيْرُ
نَافِعَةٍ وَلَا مُجْدِيَةٍ لِلْإِنْسَانِ نَفْعًا كَالْحَسَدِ مَثَلًا وَالْحَقْدِ وَالْخُبْثِ
وَأَمْثَالِ هَذِهِ إِذَا لَا يَنْتَفِعُ بِهَا صَاحِبُهَا وَإِنْ أَنْتَفَعَ كَانَ شَرًّا مُنْقَمَةً
وَمَعَ ذَلِكَ قَبِيحٌ مُضِرٌّ لَهُ لِأَنَّ مَنْ تَشَرَّرَ قَصْدُهُ النَّاسُ بِالشَّرِّ
وَأَسْتَعْدُوا لِأَذْيَتِهِ وَتَعَمَّدُوا لِلْإِضْرَارِ بِهِ وَتَوَقَّوْهُ وَاحْتَرَزُوا مِنْهُ
وَكَرَهُوا نَفْعَهُ وَقَصَرُوا عَلَيْهِ وَجُوهَ الْخَيْرِ.. فَإِذَا حَاسَبَ الْإِنْسَانُ
نَفْسَهُ وَآجَدَ فِكْرَتَهُ وَتَمَيَّزَهُ عِلْمَ أَنَّ الضَّرَرَ فِي مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ
أَكْثَرُ مِنَ النِّفْعِ بِهَا وَأَنَّ الَّذِي يَعُدُّ فِيهَا نَفْعًا فَلَيْسَ هُوَ بِنَفْعٍ عَلَى
الْحَقِيقَةِ وَإِذَا كَانَ نَفْعًا فَهُوَ يَسِيرٌ جَدًّا وَغَيْرُ بَاقٍ وَلَا مُسْتَمِرٌّ وَإِنَّ
هَذَا الْيَسِيرَ الَّذِي يَعُدُّ نَفْعًا لَا يَنْبَغِي بِالضَّرَرِ الْكَثِيرِ وَالْعَارِ الدَّائِمِ
الْمُتَّصِلِ...

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ سِيَاسَةَ اخْلَاقِهِ أَنْ يَجْعَلَ غَوْضَهُ مِنْ كُلِّ
قُضِيَّةٍ غَايَتَهَا وَنَهَايَتَهَا وَلَا يَقْنَعَ مِنْهَا بِمَا دُونَ الْغَايَةِ وَلَا يَرْضَى إِلَّا

بِأَعْلَى دَرَجَةٍ فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ غَرَضَهُ كَانَ حَرِيًّا أَنْ يَتَوَسَّطَ فِي
الْفَضَائِلِ وَيَبْلُغَ فِيهَا رُتَبَةً مُرْضِيَةً إِنْ قَاتَتْهُ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا وَأَمَّا إِنْ
قَبِعَ بِالتَّوَسُّطِ يَأْمَنُ أَنْ يُقْصَرَ عَنْ بُلُوغِهِ فَيَنْقُصَ فِي أَدْنَى الْمَرَاتِبِ
وَيَقُوتَهُ الطَّلُوبُ وَلَا يَطْمَعُ أَبَدًا فِي التَّمَامِ.

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ طَرِيقُ الْأَرِيَّاضِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَنْعُ
الْتِدْرُجِ فِي مَحْمُودِهَا وَكَيْفِيَّةُ تَهْذِيبِهَا فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ بِتَدْرِيبِ
نَفْسِهِ بِهِ وَأَكْثَرَ مِنْ مُرَاعَاةِ وَتَعَهُدِهِ صَارَتْ لَهُ الْفَضَائِلُ ذِيْدًا
وَالْحَاسِنُ خُلُقًا وَطَبْعًا

هَذَا وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ أَوْصَافَ الْإِنْسَانِ التَّامِّ.
الْجَامِعِ لِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ... فَقَوْلُ إِنْ الْإِنْسَانُ أَتَمَّ هُوَ الَّذِي
لَمْ تَشْهَدْ قُضِيَّةً بَيْنَ الْفَضَائِلِ وَلَمْ تَشْهَدْ رَذِيَّةً مِنَ الرَّذَائِلِ وَهَذَا
الْحَدُّ قَلْبًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِنْسَانٌ وَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ اقْتِرَاضًا كَانَ
أَشْبَهَ بِنَفْسِهِ بِالنَّاسِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَضْرُوبٌ بِأَنْوَاعِ النُّقْصِ
مُسْتَوِلٌ عَلَى طَبَقِهِ ضَرْبُ الْأَشْرِّ وَبَيِّءٌ عَلَى ذَلِكَ قَلْبًا يَخْلُصُ مِنْ
جَمِيعِهَا حَتَّى تَسْلَمَ نَفْسُهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَمَنْقُصَةٍ وَتُحِيطَ بِهِ كُلُّ
قُضِيَّةٍ وَتَنْقَبِ حَسَنَةً فَالتَّمَامُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا بَعِيدَ التَّمَاوُلِ إِلَّا أَنَّهُ
مُمْكِنٌ وَهُوَ غَايَةٌ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فَإِذَا صَدَقَتْ عَزِيمَتُهُ
وَأَعْطِيَ الْأَجْتِهَادَ حَقَّهُ كَانَ مُمَكِّنًا لَهُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْآخِرَةِ
الْمَقْصُودَةِ الْمُنْتَهَى هُوَ لَهَا تِلْكَ الْبَلْوَى تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَيْهَا

أَمَّا تَفْصِيلُ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَكُونَ مُتَقَبِّدًا لِجَمِيعِ أَخْلَاقِهِ مُتَعَبِّظًا

لِسَائِرِ مَعَايِهِ مُتَحَرِّزًا مِنْ دُخُولِ نَقْصٍ عَلَيْهِ مُسْتَعِلاً لِكُلِّ فَضِيلَةٍ
مُجْتَهِدًا فِي بُلُوغِ أَعْلَايَةِ عَاشِقًا لِصُورَةِ الْكَمَالِ مُسْتَلْبِدًا بِحَاسِنِ
الْأَخْلَاقِ مُتَيَقِّظًا لِمُذْمُومِ الْعَادَاتِ مُعْتَنِيًا بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ غَيْرَ
مُسْتَكْثِرٍ لِمَا يَفْتَنِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ مُسْتَعِظًا لِلْيَسِيرِ مِنَ الرَّدَائِلِ
مُسْتَضْعِرًا لِلرُّتْبَةِ الْأَعْلَى مُسْتَحْزِرًا لِلْعَايَةِ الْقُضْوَى بَرَى التَّمَامِ دُونَ مَحَلِّهِ
وَأَلْكَامَالِ أَقَلِّ أَوْصَافِهِ . .

فَمَا أَوَّلَى مَنْ نَظَرَ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَتَصَفَّحَهَا وَفَهِمَ مَضْمُونَهَا
وَتَدَبَّرَهَا وَآخَذَ نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ مَا تَنَبَّأَ فِي قُصُولِهِ وَسَاقَ أَخْلَاقَهُ
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَا فُتِنَ فِي آيَاتِهِ وَاجْتَهَدَ كُلَّ الْجَهْدِ فِي تَكْمِيلِ
نَفْسِهِ وَأَسْتَفْرَعَ غَايَةَ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ التَّمَامِ . وَمَا أَفْجَحَ الْقَصْ
بِالْقَدْرِ عَلَى التَّمَامِ وَالْحُجْزِ عَنِ الْقُتْدِيرِ



الفصل السادس

في تنسيق الخطابة وبيان القضية والقياس

البحث الأول

في مبادئ الخطابة والاقتراحات

من كتاب الصناعتين لابن هلال السكري بتصرف

(راجع صفحة ٧٧ من علم الخطابة)

قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : أَمَّا بَعْدَ الْكُتَّابِ أَخْبِنُوا الْإِبْتِدَاءَاتِ
فَإِنَّهُمْ دَلِيلُ الْبَيَانِ . وَذَلِكَ أَنَّ يَحْمِلُ الْخُطِيبُ فَاتِحَةً كَلَامِهِ وَأَوَّلَهُ
دَلِيلًا عَلَى الْمَقْصُودِ الَّذِي دَعَاهُ لِلِقَائِهِ فَيَنْظُرُ إِلَى الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ
فَيَجْعَلُ التَّحْمِيدَ أَوْ الدُّعَاءَ أَوْ التَّضْيِينَ مُشْعِرًا بِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَى
مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ وَإِنَّمَا خُذَتْ الْإِبْتِدَاءَاتُ بِالْإِخْتِيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعُ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْتِدَاءُ مُؤْنِقًا بَدِيعًا رَشِيقًا
لَانْتِقًا بِالْعَنَى أَوَّارِدَ بَعْدَهُ تَوَقَّرَتِ الدَّوَاعِي لِاسْتِمَاعِ مَا يَجِيءُ بَعْدَهُ
فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ شَيْءٌ بَدِيعٌ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ عَهْدٌ فَيَرْغَبُونَ أَنْ
يَسْتَمِعُوا مَا بَعْدَهُ لِقَهْمِهِ . وَلِذَا جَعَلَ الْكُتَّابُ وَأَلْوَاعِظُونَ أَكْثَرَ
الْإِبْتِدَاءَاتِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَشَوَّقُ لِلشَّاءِ عَلَى أَهْلِهَا فَهُوَ دَاعِيَةٌ

إِلَى الْأَسْتِمَاعِ . وَقَدْ قِيلَ : كُلُّ كَلَامٍ لَا يُتَدَأُّ فِيهِ بِالْحَمْدِ لَهُ فَهُوَ
 آتَرٌ . وَحَقِيقَةُ هَذَا الْبَابِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنْ الْخُطْبِ أَوْ
 الرِّسَالِ أَوْ الشِّعْرِ دَأً لَا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ . إِنْ
 فَتَحْنَا فَتْحًا وَإِنْ كَانَ هُنَا فَهَنًا أَوْ كَانَ عَزَاءً فَعَزَاءً . وَكَذَلِكَ يُجْرَى
 الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي . وَقَائِدُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنَ الْكَلَامِ
 مَا الْمُرَادُ بِهِ وَيُسْتَفْتَحَ الْمُسْكَبُ أَبْوَابَ الْأَسْمَاعِ وَيُسْتَحْضَرُ الْأَذْهَانُ
 لِلْأَسْتِمَاعِ . وَهَذَا الشُّعْبُ عَظِيمُ النِّفَعِ لِمَنْ حَقَّقَهُ وَلَا يُفْتَحُ بِأَبَةٍ إِلَّا
 لِمَنْ طَرَفَهُ وَقَدْ يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النَّوعُ بِرَاعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ وَسَيَأْتِي
 عَنْهُ الْكَلَامُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا التَّجْمُوعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَنْ
 الشِّعْرِ

البحث الثاني

في القضية والقياس

(من كتاب شرح مطالع السعود وكتابات أبي البقاء والشفاء لابن سينا باختصار)

(راجع صفحة ٩٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْقَضِيَّةُ قَوْلٌ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ وَهِيَ
 مَجْمُوعُ الْمَعْلُومَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ وَالْحُكْمُ بِهِ وَالنِّسْبَةُ
 الْحُكْمِيَّةُ وَالْحُكْمُ وَإِذْرَاكَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَصْدِيقٌ . وَالْقَضِيَّةُ أَمَّا حَمَلِيَّةٌ
 وَأَمَّا شَرْطِيَّةٌ . قَالُوا : إِنْ كَانَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ وَالْحُكْمُ بِهِ قَضِيَّتَيْنِ
 عِنْدَ التَّحْلِيلِ أَيْ عِنْدَ حَذْفِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا مِنَ النَّسْبَةِ

الْحَكْمِيَّةُ سُمِّيَتْ شَرْطِيَّةً وَالْأُخْرَى حَكْمِيَّةً. فَإِنَّ قَوْلَنَا مَثَلًا: (زَيْدٌ نَائِمٌ). قَضِيَّةٌ حَكْمِيَّةٌ لِأَنَّ طَرَفَيْهَا مُفْرَدَانِ عِنْدَ التَّحْلِيلِ وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْحَكْمِيَّةِ وَهُوَ الْمُخْبِرُ عَنْهُ مَوْضُوعًا وَالثَّانِي مَحْمُولًا. وَقَوْلُنَا: (إِنَّ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ طَالَعَةٌ فَإِنَّهَا مُوجُودٌ) قَضِيَّةٌ شَرْطِيَّةٌ. لِأَنَّهُ إِذَا حَدَّثَنَا (إِنْ وَالْقَاءُ) الْمُوجِبَتَيْنِ لِلرِّبْطِ بَقِيَ: (الشَّمْسُ طَالَعَةٌ) (وَالنَّهَارُ مُوجُودٌ) وَهُمَا قَضِيَّتَانِ. وَالْقَضِيَّةُ الْحَكْمِيَّةُ أَمَّا خُصِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا جُزْئًا مُعَيَّنًا كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ كَاتِبٌ. وَأَمَّا حَكْمِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا كُلِّيًّا يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْمَوْضُوعِ. وَتَكُونُ كِلَاهُمَا إِمَّا مُوجِبَةً وَإِمَّا سَالِبَةً. وَإِنَّمَا يُحْكَمُ فِي الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ عَلَى اتِّعَاقٍ وَهُوَ وَجُودُ أَحَدِ قَضِيَّتَيْهَا مُعْتَقًى عَلَى وَجُودِ الْأُخْرَى أَوْ عَلَى نَفْيِهَا وَهِيَ قِسْمَانِ مُتَّصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِإِزْدَامِ قَضِيَّةٍ أُخْرَى أَوْ لَا لَزُومِهَا وَهِيَ الَّتِي تُوجِبُ التَّلَازُمَ بَيْنَ جُزْئَيْهَا نَحْوُ: لَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا. وَمُنْفَصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِأَمْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ قَضِيَّتَيْنِ فَكَثُرَ فِي الصِّدْقِ وَهِيَ الَّتِي جُزْأَاهَا مُتَعَادِلَانِ نَحْوُ: الْعَالَمُ إِمَّا قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ. وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ مُقَدِّمًا وَالثَّانِي تَالِيًا. وَلَا بُدَّ مِنْ رَابِطٍ بَيْنَ الْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ

وَلِلْقَضِيَّةِ أَقْسَامٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا (الْقَضِيَّةُ الْبَسِيطَةُ) وَهِيَ الَّتِي حَقِيقَتُهَا أَوْ مَعْنَاهَا إِمَّا إِيحَابٌ فَقَطْ نَحْوُ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَأَمَّا سَلْبُ فَقَطْ نَحْوُ: لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ يَجْرِي بِالضَّرُورَةِ. وَمِنْهَا
 (الْقَضِيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ) وَهِيَ الَّتِي حَقِيقَتُهَا مُلْتَبِئَةٌ مِنْ إِيْجَابٍ وَسَلْبٍ
 مَعًا نَحْوُ: كُلُّ إِنْسَانٍ صَاحِكٌ لَا دَائِمًا. وَمِنْهَا (الْقَضِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ)
 وَهِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا وَيُطْلَبُ بِالْأَدْلِيلِ اثْبَاتُهَا فِي الْعَالَمِ. فَهِيَ مِنْ
 حَيْثُ أَنَّهَا يُسْأَلُ عَنْهَا تُنْسَى مَسْأَلَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يُطْلَبُ حُصُولُهَا
 مَطْلَبًا. وَمِنْ حَيْثُ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الدَّرَاهِينِ نَتِيجَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يُبْتَنَى
 عَلَيْهَا الشَّيْءُ أَصُولًا. وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جُزْئِيَّاتٍ مُوضُوعَةٍ
 تَتَعَرَّفُ أَحْكَامُهَا مِنْهَا قَاعِدَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يَتَأَلَّفُ مِنْهَا الْحُجَّةُ مُقَدِّمَةٌ
 وَقَضِيَّةٌ. وَمِنْ حَيْثُ تَحْتَوِي عَلَى الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ خَبَرًا

البحث الثالث

في القياس واقسامه وانواعه

(من كتاب النجاة لابن سينا والكلبيات لابي البنا)

(راجع صفحة ٩٧ من علم الخطابة)

وَأَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ قَوْلُ مُؤَلِّفٍ مِنْ قَضَايَا إِذَا وُضِعَتْ لَزِمَ عَنْهَا
 بِذَاتِهَا لَا بِالْعَرَضِيِّ قَوْلُ آخَرٍ اضْطِرَّارًا كَقَوْلِنَا: الْعَالَمُ مُتَنَسِّدٌ وَكُلُّ
 مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ فَإِنَّهُ مُؤَلِّفٌ مِنْ قَضِيَّتَيْنِ وَلَزِمَ عَنْهَا أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ
 وَهُوَ الْقِيَاسُ الْعَقْلِيُّ وَالْمُنْطَقِيُّ. وَالْقَوْلُ الْأَخِيرُ يُسَمَّى مَطْلُوبًا قَبْلَ
 إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ. وَنَتِيجَةٌ بَعْدَ تَرْكِيبِ الْقِيَاسِ لَهُ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ

عَلَيْهِ وَيُسَمَّى بِالزَّفَرِ أَيْضًا. وَمَوْضُوعُ النَّتِيجَةِ هُوَ الْحَدُّ الْأَضْفَرُ
وَالْمَحْكُومُ فِيهَا هُوَ الْحَدُّ الْأَكْبَرُ. وَمَا كُرِّرَ فِي الْفَضْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ
يُسَمَّى حَدًّا أَوْسَطَ. وَيَدْعُونَ الْقَضِيَّةَ الْمُسْتَشِيلَةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَكْبَرِ
مُقَدِّمَةً كُبْرَى وَالْمُسْتَشِيلَةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَضْفَرِ مُقَدِّمَةً صُغْرَى. وَتَجْمُوعُ
الْمُقَدِّمَةِ الصُّغْرَى بِالْكُبْرَى فِي الْقِيَاسِ يُعْرَفُ بِالضَّرْبِ. وَنِسْبَةُ
الْحَدِّ الْأَوْسَطِ إِلَى الْأَضْفَرِ وَالْأَكْبَرِ هُوَ الشَّكْلُ. وَاشْكَالُ
الْقِيَاسِ أَرْبَعَةٌ لِأَنَّ الْأَوْسَطَ إِنْ كَانَ مَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى مَوْضُوعًا
فِي الْكُبْرَى فَهُوَ (الشَّكْلُ الْأَوَّلُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ بَدْعَةٍ صَالَاةٌ
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِ هَذَا الشَّكْلِ إِيحَابُ الصُّغْرَى
وَكِلْيَةُ الْكُبْرَى وَهُوَ يَخْتَصُّ بِأَنَّهُ يُنْتِجُ الْمَوْجِبَةَ الْكِلْيَةَ. وَبَاقِي
الْأَشْكَالِ لَا يُنْتِجُ الْمَوْجِبَةَ الْكِلْيَةَ بَلْ إِمَّا مُوجِبَةَ جُزْئِيَّةٍ أَوْ
سَالِيَةٍ. وَإِنْ كَانَ الْحَدُّ الْأَوْسَطُ مَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّانِي) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَلَا شَيْءٌ مِنْ
الْجَمَادِ يَحْيَوَانٌ فَلَا شَيْءٌ مِنَ الْجَمَادِ بِإِنْسَانٍ. وَكَقَوْلِ الْبَعْضِ: كُلُّ
غَائِبٍ تَجْهُولُ الصِّفَةِ وَكُلُّ مَا يَصِحُّ نَبْعُهُ لَيْسَ يَجْهُولُ الصِّفَةِ فَالنَّاتِجَةُ
كُلُّ غَائِبٍ لَا يَصِحُّ نَبْعُهُ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِهِ اخْتِلَافُ مُقَدِّمَتَيْهِ فِي
الْإِيحَابِ وَالسَّلْبِ وَكِلْيَةِ كُبْرَاهُ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنَّهُ لَا يُنْتِجُ إِلَّا
سَالِيَةً. وَإِنْ كَانَ الْأَوْسَطُ مَوْضُوعًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّلَاثُ) تَحْوِ كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ
فَبَعْضُ الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِهِ أَنْ تَكُونَ صُغْرَاهُ مُوجِبَةً

وَأَنْ تَكُونَ إِحْدَى مُقَدِّمَتَيْ سُكِّيَّةٍ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنْ تَنْجَحَهُ لَا
تَكُونَ إِلَّا جُزْئِيَّةً. وَإِنْ كَانَ الْحَدُّ الْأَوْسَطُ عَكْسَ الْأَوَّلِ بَانَ
يَكُونُ مَوْضِعًا فِي الصُّغْرَى نَحْوًا فِي التَّكْبَرَى فَهُوَ (الشَّكْلُ
الرَّابِعُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ نَاطِقٍ إِنْسَانٌ فَبَعْضُ
الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ

وَالْقِيَاسُ يُقَسَّمُ إِلَى كَامِلٍ وَغَيْرِ كَامِلٍ فَالْقِيَاسُ الْكَامِلُ هُوَ
الْقِيَاسُ الَّذِي يَكُونُ لِرُومٍ مَا يَلْزَمُ عَنْهُ بَيِّنَاتٌ عِنْدَ وَضْعِهِ فَلَا يَحْتَاجُ
أَنْ تُبَيِّنَ أَنْ ذَلِكَ لَا يَزِمُ عَنْهُ. وَالْغَيْرُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَلْزَمُ عَنْهُ
شَيْءٌ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ بَيِّنًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنْ ذَلِكَ يَلْزَمُ عَنْهُ.
بَلْ إِذَا أُريدَ أَنْ تُبَيِّنَ ذَلِكَ بَيِّنَ شَيْءٍ آخَرَ لِكُنْهِ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ
مُجْمَعَةٍ مَا قِيلَ بَلْ إِمَّا نَقِيضُ مَا قِيلَ أَوْ عَكْضُهُ تَعْيِيرُ شَيْءٍ مِنْهُ
وَأَقْتِرَاضُهُ. وَالْقِيَاسُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُهُ لَيْسَ هُوَ وَلَا نَقِيضُهُ
مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ يُوْجِهَ بَلْ بِالْقُوَّةِ وَيُسَمَّى قِيَاسًا اقْتِرَائِيًّا كَقَوْلِكَ:
كُلُّ جِسْمٍ مُؤَاتٍ وَكُلُّ مُؤَاتٍ مُخْذَتٌ سُمِّيَ بِهِ لِاقْتِرَائِهِ الْخُدُودِ فِيهِ.
وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُهُ هُوَ أَوْ نَقِيضُهُ مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ وَيُسَمَّى
قِيَاسًا اسْتِثْنَائِيًّا كَقَوْلِكَ: إِنْ كَانَتْ النَّفْسُ لَهَا فِعْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ
قَانِمَةٌ بِذَاتِهَا لَكِنْ لَهَا فِعْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ قَانِمَةٌ بِذَاتِهَا



البحث الثالث

في ملحقات القياس

(من كتاب شرح المطالع وشرح الشبهة والكلية لابي البقا)

(راجع صفحة ١١١ من علم الخطابة)

وَلَا قِسَامَ الْقِيَاسِ مُلْحَقَاتُ أُخَرُ يُقَسَمُ إِلَيْهَا. (أَوَّلُهَا) الْقِيَاسُ
الْمُرَكَّبُ وَهُوَ قِيَاسٌ ذَكَبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يَتَّبِعُ مُقَدَّمَتَانِ مِنْهَا نَتِيجَةٌ
وَهِيَ مَعَ الْقَدِّمَةِ الْأُخْرَى نَتِيجَةٌ أُخْرَى وَلَا تَرَالُ تَتَأَمَّلُ بَعْضُهَا
مُقَدَّمَاتٍ لِبَعْضٍ إِلَى أَنْ يَحْصَلَ الْمَطْلُوبُ. فَإِنْ صُرِحَ بِتَتَأَمَّلُ تِلْكَ
أَلَا قِسْمَةً سَمِيَّ وَضُولُ النَّتَائِجِ لَوْضُلِ تِلْكَ النَّتَائِجِ بِالْمُقَدَّمَاتِ
كَقَوْلِكَ: كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ
حَيَوَانٌ. وَكُلُّ حَيَوَانٍ ذُو حَسٍّ فَكُلُّ كَاتِبٍ ذُو حَسٍّ. وَكُلُّ ذُو
حَسٍّ جِسْمٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ جِسْمٌ. وَإِنْ لَمْ يُصْرَحْ بِتَتَأَمَّلُ تِلْكَ
أَلَا قِسْمَةً سَمِيَّ مَفْضُولُ النَّتَائِجِ وَمَطْوِيَّهَا كَقَوْلِكَ: كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ.
وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ. وَكُلُّ حَيَوَانٍ ذُو حَسٍّ. وَكُلُّ ذِي حَسٍّ نَامٌ.
وَكُلُّ نَامٍ جِسْمٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ جِسْمٌ. (وَالثَّانِي) قِيَاسُ الْخَلْفِ. وَهُوَ
قِيَاسٌ اسْتِثْنَائِيٌّ يُنْصَدُّ فِيهِ اثْبَاتُ الْمَطْلُوبِ بِإِبْطَالِ نَقِيضِهِ كَمَا إِذَا
قِيلَ كُلُّ نَبَاتٍ نَامٌ وَلَا شَيْءٌ مِنْ الْجَبَادِ نَامٌ فَلَا شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ
بِجَبَادٍ. فَيَقَالُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَطْلُوبُ حَقًّا أَيْ لَا شَيْءٌ مِنَ النَّبَاتِ
بِجَبَادٍ لَصَدَقَ نَقِيضُهُ أَيْ بَعْضُ النَّبَاتِ جَبَادٌ. لَكِنْ لَوْ كَانَ هَذَا

الْقَيْصُ حَقًّا لَمَّا صَدَقَ كَوْنُ كُلِّ نَبَاتٍ نَامِيًّا. وَقَدْ سُبِّيَ هَذَا الْقِيَاسُ
 خَلْفًا لِأَنَّ الْمَتَسَكَّ بِهِ يُثَبِّتَ مَطْلُوبُهُ مِنْ خَلْفِهِ أَيَّ مِنْ وَرَائِهِ .
 (وَالثَّالِثُ) قِيَاسُ الْأَسْتِقْرَاءِ وَهُوَ قَوْلُ: «وَلَفَّ مِنْ قَضَايَا تَشْتِمِلُ
 عَلَى الْحُكْمِ عَلَى الْخُرَيْيَاتِ لِإِبْثَاتِ الْحُكْمِ الْكُلِّيِّ». وَيُحَدِّثُ أَيْضًا
 الْحُكْمَ عَلَى كُلِّيٍّ لِيُجَوِّدَهُ فِي أَكْثَرِ جُزْئِيَّاتِهِ وَقِيلَ أَيْضًا: «هُوَ تَصْفَحُ
 الْخُرَيْيَاتِ لِإِبْثَاتِ حُكْمِ كُلِّيٍّ ثُمَّ الْأَسْتِقْرَاءُ قِسْمَانِ (تَامٌ) وَيَسَى
 قِيَاسًا مُفْتَمًا وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِجَمِيعِ الْخُرَيْيَاتِ وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ
 وَهُوَ قَلِيلٌ الْأَسْتِعْمَالُ كَمَا يُقَالُ: كُلُّ جِسْمٍ إِمَّا حَيَوَانٌ أَوْ نَبَاتٌ
 أَوْ جَمَادٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَحَيِّزٌ فَيَنْتَجِ أَنْ كُلَّ جِسْمٍ مُتَحَيِّزٌ وَهُوَ
 يُفِيدُ الْيَقِينَ. (وَالْأَوَّلُ) وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِأَكْثَرِ الْخُرَيْيَاتِ فَقَطْ
 وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ وَهُوَ قِسْمُ الْقِيَاسِ وَلِذَا عُدَّ مِنْ لَوَاحِقِ
 الْقِيَاسِ وَتَوَابِعِهِ وَهُوَ يُفِيدُ الظَّنَّ كَقَوْلِنَا: كُلُّ حَيَوَانٍ يَحْرُكُ فَكُنْهُ
 الْأَسْفَلُ عِنْدَ الْمُضْغِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ وَالْفَرَسَ وَالْخِمَارَ وَالْبَقَرَ وَغَيْرَ
 ذَلِكَ يَمَّا تَتَبَعْنَاهُ كَذَلِكَ . فَإِنَّهُ يُفِيدُ الظَّنَّ بِجَوَازِ التَّخَلُّفِ كَمَا فِي
 التَّسْحَارِ. (وَالرَّابِعُ) قِيَاسُ التَّشْبِيلِ وَهُوَ إِبْثَاتُ حُكْمٍ فِي جُزْئِيٍّ
 لِثَبُوتِهِ فِي جُزْئِيٍّ آخَرَ لِمَعْنَى مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا مُؤَثِّرٍ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ
 كَقَوْلِكَ: «الْعَالَمُ مُؤَلَّفٌ فَهُوَ مُخْدَتٌ كَالِدَيَّةٍ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا مُرَكَّبٌ
 مِنْ أَجْزَاءٍ وَهُوَ يُقَسَّمُ إِلَى تَمَثُّلٍ قَطْعِيٍّ يُفِيدُ الْيَقِينَ وَإِلَى غَيْرِ
 قَطْعِيٍّ يُفِيدُ الظَّنَّ
 أَمَّا أَنْوَاعُ الْقِيَاسِ فَخَمْسَةٌ. (أَحَدُهَا) الْقِيَاسُ الْبُرْهَانِيُّ وَهُوَ

مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يَقِينَةٍ كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ إِنْسَانٌ فَهُوَ قَابِلٌ
 الْعِلْمِ. (وَالثَّانِي) الْجَدُِّي وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مَشْهُورَةٍ
 يُسَلِّمُ بِهَا أَخْصَمُ وَلَا يَتَوَرَّى عَلَى انْكَارِهَا لِشَهْرَتِهَا بَيْنَ الْجُمْهُورِ
 نَحْوُ: الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ فَهُوَ مُحَدَّثٌ. (وَالثَّالِثُ) الْخَطَائِي وَهُوَ مَا
 رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مَقْبُولَةٍ يَرَادُ بِهَا تَرْغِيبُ السَّامِعِ أَوْ تَرْهيبُهُ نَحْوُ:
 الصَّلَاةُ يَرْفَعُ فِيهَا مَنَاجَاةً لِلْإِنْسَانِ. وَاهْمُهَا مَعْصِيَةُ فَهُوَ مُرِيدُكَ.
 (وَالرَّابِعُ) الشَّعْرِيُّ وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مُحِبَّةٍ نَوَّرَ
 فِي أَنْفُسِ بَسِطَاءٍ أَوْ قَبَضَا ضَادِقَةً كَانَتْ أَوْ كَاذِبَةً نَحْوُ: الْخَمْرُ
 قَوْمِيَّةٌ سَاطِعَةٌ فِيهِ تَبْهِيجُ النَّظَرِ أَوْ هِيَ مُرَّةٌ مُبَوَّعَةٌ فِيهِ تَرْجِيعُ
 الْفَسْ. (وَالْخَامِسُ) الْفَلَاطِي وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ كَاذِبَةٍ
 شَدِيدَةٍ بِالْحَادِقَةِ كَقَوْلِكَ عَنْ بُرْجِ الْأَسَدِ: هَذَا أَسَدٌ فَهُوَ يَرَأَى.
 وَالْعَمْدَةُ فِي الْخُطَابَةِ عَلَى الْبَرْهَانِ الْخَطَائِي أَيِ ذِي الْمَقَدَّمَاتِ الْمَقْبُولَةِ

المبحث الرابع

في القياسات المستعملة في الخطابة واخصها القياس الاضماري

والتمثيل

(من تلخيص خطابة ارسطو لابن رشد)

(راجع الصفحة ١٠٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

نَقُولُ إِنَّ الْأَقَاوِيلَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِنْبَاتُ وَالْإِنْبَاتُ كَمَا
 إِنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا الْأَسْتِقْوَاءُ وَمَا يُطْنُ بِهِ أَنَّهُ

اسْتِقْرَاءَ وَالصَّنْفُ الثَّانِي الْقِيَاسُ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ كَذَلِكَ
 الْأَقَاوِيلُ الْمُنْتَهَتْ فِي الصَّنَاعَةِ وَالْمُطْلَقَةُ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا شَبِيهُ بِالْإِسْتِقْرَاءِ
 وَهُوَ الْمِثَالُ وَالْآخَرُ شَبِيهُ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ الضَّمِيرُ وَالضَّمِيرُ الَّذِي
 يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ ضَمِيرٌ وَلَيْسَ بِضَمِيرٍ يُشَبَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ هُنَاكَ أَنَّهُ
 قِيَاسٌ وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ . وَكَذَلِكَ الْمِثَالُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مِثَالٌ
 وَلَيْسَ بِمِثَالٍ يُشَبَّهُ بِالْإِسْتِقْرَاءِ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ اسْتِقْرَاءٌ وَلَيْسَ
 بِالْإِسْتِقْرَاءِ . فَالضَّمِيرُ هُوَ الْقِيَاسُ الْخَطْبِيُّ وَالْمِثَالُ هُوَ الْإِسْتِقْرَاءُ الْخَطْبِيُّ .
 وَالْخَطْبَاءُ إِذَا تَوَقَّلَ أَمْرُهُمْ ظَهَرَتْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ جَمِيعَ التَّضَدِيقَاتِ
 الَّتِي تَكُونُ بِالْقَوْلِ بِهَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ أَعْنَى إِمَّا بِالْمِثَالِ وَإِمَّا بِالضَّمِيرِ .
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَوْمُونَ بِفَعْلِهِمْ هَذَا أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْإِسْتِقْرَاءِ وَالْقِيَاسِ .
 وَالَّذِي يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِمَا هُوَ وَمِثَالٌ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ
 بِمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَتَبَيَّنَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ أَنَّ كُلَّ تَضَدِيقٍ
 فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالْقِيَاسِ وَأَنَّ الْإِسْتِقْرَاءَ وَالْمِثَالِ إِنَّمَا يُفِيدَانِ
 التَّضَدِيقَ بِمَا فِيهِمَا مِنْ قُوَّةِ الْقِيَاسِ . فَأَمَّا مَا هُوَ الْقِيَاسُ وَمَا الْفَضْلُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَرَهَانِ فَقَدْ قِيلَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ وَقَدْ تَبَيَّنَ هُنَاكَ
 أَيْضًا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقِيَاسِ وَالْإِسْتِقْرَاءِ . وَالْإِسْتِقْرَاءِ وَالْمِثَالِ يَشْتَرِكَانِ
 فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا يُثَبِّتَانِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَوْجُودٌ كَذَا أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ كَذَا
 مِنْ أَجْلِ وُجُودِ ذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ لَا وُجُودِهِ فِي شَبِيهِهِ . وَالضَّمِيرُ
 وَالْقِيَاسُ يَشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا قَوْلٌ يُوضَعُ فِيهِ شَيْءٌ قِلَازُ مِنْهُ
 شَيْءٌ آخَرُ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

هَذَيْنِ الْجَنَسَيْنِ مِنَ الْقَوْلِ نَوْعًا خُطْبِيًّا وَنَوْعًا جَدِيًّا وَنَوْعًا بُرْهَانِيًّا
وَنَوْعًا سُوفِسْطَانِيًّا . فَإِنَّهُ كَمَا يُوجَدُ الْأَسْتِقْرَاءُ وَالْقِيَاسُ فِي هَذِهِ
الْصَّنَائِعِ . كَذَلِكَ يُوجَدُ فِي الْخُطَابَةِ الْإِثْلَالُ وَالضَّحِيرُ وَإِنَّمَا يُخْتَلَفُ فِي
هَذِهِ الصَّنَائِعِ بِمَجْهَةِ الْأَسْتِعْمَالِ أَنِّي فِي صِنَاعَةِ الدُّرَاهَنِ وَصِنَاعَةِ
الْجَدَلِ . وَالْقِيَاسُ فِي الْجَدَلِ أَوْثَقُ مِنَ الْأَسْتِقْرَاءِ وَالْإِثْلَالِ فِي
الْخُطَابَةِ أَقْنَعُ مِنَ الضَّحِيرِ لِأَنَّ الضَّحِيرَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ أَكْثَرَ
مَنْ تَطَرَّقَ إِلَى الْإِثْلَالِ وَسَبَبُ هَذَا سَخِيَرُهُ فَمَا بَعْدَ وَكَذَلِكَ كَيْفَ
نَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ . فَأَمَّا الْآنَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْدَثَ هَذَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ
مِنَ الْإِقْتِنَاعِ إِنِّي الضَّحِيرَ وَالْإِثْلَالِ فَقُولُ :

إِنَّ الْقَوْلَ الْقَائِلُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْعَلًا لِوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ
جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لِأَكْثَرِ النَّاسِ . وَإِنَّمَا مِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ
فِي أَمْرِ كُلِّيٍّ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي أَمْرِ جَزْئِيٍّ . وَكِلَا هَذَيْنِ مِنْهُ مَا
يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بَيْنًا بِنَفْسِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ . وَالَّذِي
يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ فِي الْخُرُنِّيَّاتِ ضَرْبَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنْ يَقُولَ
الْقَائِلُ : إِنْ كَذَا إِنَّمَا هُوَ كَذَا الْمَوْضِعُ كَذَا . وَمِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ :
إِنَّ شَرَابَ السَّكَّاجِينَ يَنْفَعُ فَلَانًا لِأَنَّهُ مَحْمُومٌ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي
يُسَمَّى الضَّحِيرَ . (وَالضَّرْبُ الثَّلَاثِي) أَنْ يَقُولَ : إِنْ كَذَا إِنَّمَا كَانَ
كَذَا لِأَنَّهُ مِثْلُ كَذَا . وَمِثْلُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فَلَانًا يَنْفَعُ بِشَرَابِ
السَّكَّاجِينَ لِأَنَّ فَلَانًا أَتَمَّعَ بِهِ . وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْإِثْلَالِ .
وَالْمُفْعَلَاتُ الَّتِي هِيَ مُفْعَلَةٌ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ تَسْتَعْمَلُهَا

هَذِهِ الصِّنَاعَةُ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُتَّاهٍ وَغَيْرُ مَعْلُومٍ عِنْدَ الْمُسْتَعْمِلِ
لَهَا وَلِذَلِكَ لَيْسَتْ تَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الْمَحْمُودَةِ
أَعْنِي الْمَقْبُولَةَ مَا كَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ . وَتِلْكَ هِيَ
الْأَرَاءُ الْخَادِثَةُ لِلنَّاسِ عِنْدَ الشُّوقِ وَالْهَوَى بَلْ إِنَّمَا تَسْتَعْمِلُ
الْمَحْمُودَةَ عِنْدَ الْأَكْثَرِ أَوِ الْجَمِيعِ عَلَى مِثْلِ مَا تَسْتَعْمِلُهُ صِنَاعَةُ
الْجَدَلِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَالَّذِي يَقْتَرِنُ بِهِ الْقِيَاسُ
الْمُسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ وَفِي صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ مِنَ الصِّغِيرِ الْمُسْتَعْمَلِ
فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَنَّ الْقِيَاسَ يُرْتَّبُ التَّرْتِيبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْقَوْلُ
مُنْتِجًا بِالضَّرُورَةِ . وَأَمَّا الْخَيْرُ فَإِنَّهُ تَتَرْتَّبُ مُقَدِّمَاتُهُ التَّرْتِيبَ الَّذِي
هُوَ مُعْتَادٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنْ يُقْبَلَ . وَذَلِكَ هُوَ بِخِلَافِ التَّرْتِيبِ
الْصِّغَاعِيِّ فَإِنَّ النَّاسَ يَسْتَرَيَّبُونَ بِالْقَوْلِ الْأَلَزَمِ عَنِ الْقَوْلِ الصِّغَاعِيِّ
وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا لَزِمَ مِنْ جِهَةِ الصِّغَاعَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْأَمْرِ فِي
نَفْسِهِ . وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّرْتِيبَ الصِّغَاعِيَّ يَقْتَضِي أَنْ يُصْرَحَ فِيهِ بِجَمِيعِ
الْمَقْدَمَاتِ الضَّرُورِيَّةِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَالْجُمْهُورُ لَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْهَمُوا لَزُومَ النَّتِيجَةِ الَّتِي تَلْزَمُ عَنْ مُقَدِّمَاتٍ كَثِيرَةٍ .
وَأَيْضًا فَلَهُمْ لَا يُبَاعِدُونَ بَيْنَ النَّتِيجَةِ وَالشَّيْءِ الَّذِي تَلْزَمُ عَنْهُ النَّتِيجَةُ
أَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يُصْرَحُونَ فِي الْقِيَاسِ بِالْمَقْدَمَتَيْنِ جَمِيعًا مَعَ النَّتِيجَةِ
بَلْ إِنَّمَا يَأْتُونَ بِمُقَدِّمَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يُرَدُّفُونَهَا بِالنَّتِيجَةِ . وَمِثْلُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ : هَذَا يَدُورُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ . وَلَا يَقُولُونَ : كُلُّ مَنْ يَدُورُ
بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ وَهِيَ الْمُقَدِّمَةُ الْكُبْرَى . وَأَيْضًا فَإِنَّ الضَّامِرَ لَمَّا

كَانَتْ تُضَعُ فِي الْأَصْغَرِ فِي الْأُمُورِ الْمُسَكَّنَةِ وَذَلِكَ بَيْنَ فِي
 الْأُمُورِ الْمَشَاوِرَةِ فَلِأَنَّهُ لَيْسَ يُشِيرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ بِأَمْرِ ضَرْوِيٍّ
 الْوُجُودِ وَلَا مُتَمَتِّعِ الْوُجُودِ وَكَانَتْ الْقَدَمَةُ الْكُبْرَى فِي أَمْتَالِ
 هَذِهِ الْمَوَادِّ كاذِبَةٌ بِالْجُزْءِ لَمْ يُضَرَّحُوا بِهَا فِي الْمَقَاسِ الَّتِي
 يَسْتَعِينُونَ بِهَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّهَا لَمْ تُطَنِّ بِكَذِبِهَا . وَأَيْضًا فَلَمَّا كَانَتْ
 الْقَاسِيَةُ الْخِدَّةُ الصَّغِيرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِنَّمَا هِيَ أَحَدُ صِفَتَيْنِ إِمَّا
 الْقَاسِيَةُ الَّتِي تَوَلَّى مِنْ الْقَدَمَاتِ الْبَيْنَتِ إِقْبَاعُهَا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا مِنْ
 مُقَدَّمَاتِ تَلَبُّسٍ مُقَدَّمَاتِهَا بِقَدَمَاتِ الْآخَرِ تَحْلُطُ بِهَا وَلَا لَمْ يَتَبَيَّنْ
 حُدُودُهَا . فَقَدْ يُلْحَقُ ضَرُورَةً فِي هَذَا الصَّنِيفِ الثَّانِي أَنْ يَعْبُرَ تَأْلِيفُ
 الْقَدَمَاتِ وَتَرْتِيبُهَا التَّرْتِيبَ الصَّائِبَ لِمَكَانِ كَثْرَةِ الْقَدَمَاتِ وَطُولِ
 الزَّمَانِ الَّذِي يَصْرُحُ فِيهِ بِجَمْعِهَا وَتَرْتِيبُ تَرْتِيبًا صَائِبًا وَذَلِكَ الشَّيْءُ
 لَا يُسَاعِدُ عَلَيْهِ الْحُكَّامُ بَلْ يَحْبِطُونَ التَّكَلُّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَنْ يَكُونَ
 كَلَامُهُمْ بَسِيطًا غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ فِيهِ صَنْعَةٌ عَلَى الْجَهْلِ فِي ذَلِكَ فَلِأَنَّهُ
 مَتَى كَانَ الْكَلَامُ لَيْسَ عَلَى غَدْوِ الْحَقِّ كَانَ غَيْرَ مُفْنِعٍ . وَذَلِكَ
 فِي الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونُ فِيهِمَا الْإِفْتِنَاعُ أَغْنَى فِي أَنْ الشَّيْءُ مَوْجُودٌ
 أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَبِئْسَ إِذَا وَجَدَ مَحْمُودٌ أَوْ غَيْرَ مَحْمُودٍ . وَكَذَلِكَ
 إِذَا اسْتَمْلَ التَّضَدِيقُ بِطَرِيقِ أَخْذِ الْأَشْيَاءِ وَاسْتَنْقَضِيَ وَجُعِلَ عَلَى
 طَرِيقِ الْإِسْتِقْرَاءِ عَرَضُ الْقَسْرِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ مِنَ الطُّوْلِ وَالْكَثْرَةِ .
 وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَإِذَا نَ الْهِيَاسُ الْخَطِيئُ وَهُوَ الضَّيْعُ وَالْإِنْفَالُ إِنَّمَا
 يَكُونَانِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقِيَاسُ وَالْإِسْتِقْرَاءُ بِإِطْلَاقِ وَتِلْكَ

الْأَشْيَاءَ مَأْخُودَةٌ بِحَالٍ غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي أُخِذَتْ بِهَا فِي الْقِيَاسِ
وَالِاسْتِقْرَاءِ. فَإِذَا اسْتَعْمِلْتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بِالْحَالِ الَّتِي بُرِينَ فِي
كِتَابِ الْقِيَاسِ عَادَ الْإِتْمَالُ اسْتِقْرَاءً وَالضَّمِيرُ قِيَاسًا. وَإِذَا أُخِذَتْ
بِهَذِهِ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَادَ الْإِسْتِقْرَاءُ مِثَالًا وَالْقِيَاسُ ضَمِيرًا.
وَتِلْكَ الْحَالُ هِيَ اخْذُ الْقِيَاسِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَقَدِّمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَجَيِّدَةٍ
فَإِنَّ الْإِقْتِنَاعَ إِنَّمَا يَكُونُ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِالْمَقَدِّمَاتِ الَّتِي هِيَ فِي
غَايَةِ الظُّهُورِ وَحَذْفِ مَا خَفِيَ مِنْهَا وَإِذَا كَانَ الْخَمُودُ فِي
هَذِهِ الصَّاعَةِ أَنْ يُحْذَفَ اللَّازِمُ عَنْهُ وَيُوثَّقَ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَلْزَمُ
إِذَا أُخِيرَ بِاللَّازِمِ وَاللَّازِمُ فَكَأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ الشَّيْءَ مَرَّتَيْنِ فَيَكُونُ
هَذَا فِي بَإَدِي الرَّأْيِ. وَعَلَى هَذَا فَلَا يُصْرَحُ بِالْحَذْفِ الْأَوْسَطِ فِي
الْقِيَاسِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا فِي الْإِعْتِبَارِ إِلَّا بِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَيَكُونُ
الْقِيَاسُ ضَرُورَةً ضَمِيرًا أَيْ مَحْذُوفًا إِحْدَى مُقَدِّمَتَيْهِ وَهَذَا سَمِيَّ ضَمِيرًا
إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مُضْمَرَةً وَيَكُونُ الْإِسْتِقْرَاءُ ضَرُورَةً تَمَثُّلًا

البحث الخامس

في مقدمات القياسات الخطئية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَمُقَدِّمَاتُ الْقِيَاسَاتِ الْخَطِئَةِ قَدْ تَكُونُ ضَرُورِيَّةً وَذَلِكَ
فِي الْأَقَلِّ وَتَكُونُ مُمَكِّنَةً وَذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْقَصَصِ
الْجُهْرِيِّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِحَالٍ وَيُمْكِنُ إِلَّا يَكُونُ

بِتِلْكَ الْحَالِ . وَذَلِكَ بَيْنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلُّهَا
أُمُورٌ مَفْعُولَةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا ضَرُورَةَ الوجودِ وَلَا مُتَمَيِّعَةَ الوجودِ .
وَالْتَنَاجُ الضَّرُورِيَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ بِالذَّاتِ عَنْ مُقَدَّمَاتِ ضَرُورِيَّةِ
وَالْمُكِنَّةِ عَنْ مُقَدَّمَاتِ مُكِنَّةٍ . وَالضَّمَاكُ مِنْهَا مَا يَكُونُ عَنْ مُقَدَّمَاتِ
مَحْدُودَةٍ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الدَّلَائِلِ . وَأَعْنِي بِالْمُقَدَّمَاتِ الْمُحْمُودَةِ
الَّتِي لَيْسَتْ دَلَالًا . بِمِثْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُشْكِرَ الْنَعِيمُ وَأَنْ يُسَاءَ
إِلَى الْمُسِيءِ . . وَأَعْنِي بِالْأَدْلَائِلِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وجودِ شَيْءٍ
إِشِيءٍ . وَهَذَانِ الْجَنْفَانِ مِنَ الْمُقَدَّمَاتِ يُوجَدَانِ فِي الْمَوَادِّ الضَّرُورِيَّةِ
وَالْمُكِنَّةِ أَعْنِي الْمُحْمُودَاتِ وَالْأَدْلَائِلِ . وَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي الْمُكِنَّةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ فَقَطْ بَلْ وَفِي الْمُكِنَّةِ عَلَى السَّوَاوِي . وَهِيَ الَّتِي
نَسَبَتْهَا إِلَى الْمُقَدَّمَاتِ الْمُكِنَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ نِسْبَةً الَّتِي عَلَى الْأَكْثَرِ
إِلَى الضَّرُورِيِّ وَهِيَ نِسْبَةُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ
فِي الضَّرُورِيَّةِ أَعْمُ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُكِنَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ إِذْ
كَانَتْ الضَّرُورِيَّةُ تُوجَدُ كُلَّ الْمَوْضُوعِ وَالْمُكِنَّةُ عَلَى الْأَكْثَرِ لَا
تُوجَدُ لِكُلِّهِ . وَكَذَلِكَ نِسْبَةُ الْمُكِنَّةِ عَلَى السَّوَاوِي إِلَى الْمُكِنَّةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ هِيَ هَذِهِ النِّسْبَةُ أَعْمُ أَنَّ الْمُكِنَّةَ عَلَى الْأَكْثَرِ
تَصَدِّقُ مِنْ مَوْضُوعَاتِهَا عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَصَدِّقُ الْمُكِنَّةُ عَلَى
السَّوَاوِي . وَالْأَدْلَائِلُ الْمَأْخُودَةُ حَدًّا أَوْسَطَ مِنْهَا مَا هُوَ أَعْمُ مِنَ
الْطَّرَفِ الْأَضْعَفِ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْثَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ أَعْمُ مِنَ
الْطَّرَفَيْنِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ أَخْصُ مِنْهُمَا . أَمَّا الَّذِي هُوَ أَعْمُ مِنَ الطَّرَفِ

الْأَصْغَرُ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْبَرِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ ضَرُورَةً فِي الشَّكْلِ
 الْأَوَّلِ. وَإِذَا كَانَ فِي الْمَادَّةِ الْمُسَكَّتَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ فَهُوَ الَّذِي
 يَعْرِفُهُ الْقَدَمَاءُ بِالْأَشْيَاءِ. وَمِثَالُهُ فِي الْمَادَّةِ الضَّرُورِيَّةِ: هَذِهِ أَنْثَى الْحَيَوَانِ
 لَهَا لَبَنٌ فَهِيَ قَدْ وَلَدَتْ. وَفِي الْمُسَكَّتَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ: فَلَانٌ يُعِدُّ
 السِّلَاحَ وَيَجْمَعُ الرِّجَالَ وَلَيْسَ قُرْبَهُ عَدُوٌّ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَعْصِيَ الْمَلِكَ.
 وَمِثَالُ الْمُسَكَّتَةِ عَلَى الْأَسَاوِي: فَلَانٌ قَدْ تَبَّ وَالتَّعُوبُ مُحْمُومٌ
 فَلَانٌ مُحْمُومٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْرِفُ بِالْمُشَبَّهِ. وَأَمَّا مَا هُوَ أَعَمُّ
 مِنَ الطَّرَفَيْنِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ فِي الشَّكْلِ الثَّانِي إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُتَّبِعٍ إِلَّا
 فِي بَادِي الرَّأْيِ. مِثَالُ ذَلِكَ فِي الْمَادَّةِ الْمُسَكَّتَةِ عَلَى الْأَكْبَرِ
 قَوْلُ الْقَائِلِ: سُقْرَاطُ يَنْتَفَسُ مُتَوَاتِرًا وَالْمُحْمُومُ يَنْتَفَسُ مُتَوَاتِرًا فَسُقْرَاطُ
 مُحْمُومٌ. كَهَاتَيْنِ الْقَدَمَتَيْنِ صَادِقَتَانِ وَالتَّبَتُّعُ قَدْ تَكُونُ كَاذِبَةً إِذَا
 قَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَنْتَفَسُ سُقْرَاطُ مُتَوَاتِرًا لِمَوْضِعِ إِخْضَارِهِ.
 وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ خَافِيًا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ
 الْقَدَمَتِ الصَّادِقَةَ أَنَّهَا تَتَّبِعُ كَذِبًا ظَنُّوا لِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أُظْهِرَ فِيهَا
 كَذِبٌ فَيَرْمُونَ أَنْ يُعَارِدُوا الْقَدَمَتِ فَيَعْسُرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِمَكَانِ
 صِدْقِهَا فَيُحْيِرُونَ لِذَلِكَ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَخْصُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ فَتَتَّبِعُ فِي
 الشَّكْلِ الثَّلَاثِ جُزْئِيًّا لَا كُلِّيًّا لَكِنْ تَوَاضَعُ تَبَتُّعُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 كُلِّيَّةٌ. مِثَالُ ذَلِكَ فِي الْمَادَّةِ الضَّرُورِيَّةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
 فِي كُرَّةِ الْعَالَمِ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الزَّمَانِ فَالزَّمَانُ كُرَّةُ الْعَالَمِ. وَفِي
 الْمُسَكَّتَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْحَكَمَاءُ عُدُولٌ لِأَنَّ سُقْرَاطَ حَكِيمٌ وَعَدْلٌ.

وَالدَّلَائِلُ الَّتِي تَكُونُ فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثُ وَالثَّلَاثِي يُخَصُّ بِاسْمِ
 الْعَلَامَةِ وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الشَّكْلِ الْأَوَّلِ يُخَصُّ بِاسْمِ الدَّلِيلِ .
 وَالثَّوْنِي فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثِي هُوَ اخْصُ بِاسْمِ الْعَلَامَةِ مِنَ الثَّلَاثِ
 كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْكِنَةِ الْأَصْغَرِ يُخَصُّ بِاسْمِ
 الْأَشْبَةِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُسْكِنَةِ عَلَى التَّسَاوِي خُصُّ بِاسْمِ الضَّمِيرِ
 الْمَشْتَبِه . فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا هِيَ الْمُحْذَرَاتُ وَالِدَّلَائِلُ
 وَالْعَلَامَاتُ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا . نَكُنْ الَّذِي تَبَيَّنَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ
 الْقِيَاسِيَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ فَإِنَّهُ هُنَاكَ تَبَيَّنَ مَا
 هُوَ الْقِيَاسُ وَنَحْنُ آجِنُ الْأَقَاوِيلِ الْقِيَاسِيَّةِ وَتَبَيَّنَ فِي جِنْسِ جِنْسٍ
 وَبِهَا مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ . وَأَمَّا (الْمِثَالُ) فَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا تَقَدَّمَ
 أَنَّهُ اسْتِقْرَاءٌ مَا لَكِنْ بَيَّنَّا الْإِسْتِقْرَاءَ بِأَنَّهُ لَيْسَ يُصَادَرُ فِيهِ لَا مِنْ
 الْجُزْئِيِّ إِلَى بَيَانِ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ كَمَا يُصَادَرُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ
 الْإِسْتِقْرَاءِ وَلَا مِنْ الْكُلِّيِّ إِلَى الْجُزْئِيِّ كَمَا قَدْ صَادَرُ فِي
 بَعْضِ أَنْوَاعِ الْإِسْتِقْرَاءِ . وَذَلِكَ إِذَا بَيَّنَّا بِالْكُلِّيِّ الَّذِي أَتَتْهُ
 بِالْإِسْتِقْرَاءِ جُزْئِيًّا آخَرَ غَيْرَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي أَتَتْهَا الْكُلِّيُّ بِاسْتِقْرَاءِهَا
 وَيُؤَافِقُهُ فِي أَنَّهُ يُعَيِّرُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي أَمْرٍ
 كُلِّيٍّ . وَذَلِكَ إِذَا جُمِعَا فِي الْإِسْتِقْرَاءِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا أَنْفِي أَنْ تُصَيِّرَ فِيهِ
 مِنَ الْجُزْئِيِّ إِلَى الْكُلِّيِّ ثُمَّ مِنَ الْكُلِّيِّ إِلَى جُزْئِيٍّ آخَرَ قَرَأْنَا
 فِي هَذَا الْفِعْلِ قَدْ صِرْنَا مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ يَتَوَسَّطُ الْكُلِّيُّ
 كَالْحَالِ فِي الْمِثَالِ فَإِنَّ الْمِثَالَ إِنَّمَا يُصَيِّرُ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ

لَأَشْتَرَاكِهْمَا فِي أَمْرِ كُلِّي إِذَا كَانَ الْحُكْمُ الْمَقُولُ مِنْ أَحَدِهِمَا
إِلَى الْآخَرِ مَرْجُودًا لِلْجُزْئِيَةِ الْأَعْرَفِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ أَوْ
يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ وَالْأَلَمْ تَصِحَّ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى
جُزْئِيٍّ آغْنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كُلِّيٌّ وَكَانَ وَجُودُ ذَلِكَ الْحُكْمِ
مِنْ أَجْلِ الْجُزْئِيِّ الْأَعْرَفِ وَمِثَالُ مَا يَفْرَضُ مِنْ هَذَا فِي الْأَسْتِقْرَاءِ
آغْنِي إِذَا كَانَتِ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوَسُّطِ الثَّقَلَةِ إِلَى
الْكُلِّيِّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنْ فُلَانًا طَلَبَ أَنْ يَكُونَ مِنْ
جُمْلَةِ الْعَسَرِ وَقَدْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ عَدُوِّكَ فَلَا تُبْعِ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يَفْتِكَ بِالْمَلِكِ لِأَنَّهُ فُلَانًا طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ الْمَلِكِ وَفُلَانًا مِنْ
فُلَانٍ الْمَلِكِ لَا قَوَامَ يُعَذِّدُهُمْ فَتَنَكُّوا بِمَا وَكِهِمْ . فَإِنَّ قَائِلَ هَذَا
الْقَوْلِ قَدْ جَعَلَ الثَّقَلَةَ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوَسُّطِ الْكُلِّيِّ
الَّذِي هُوَ: إِنْ كُلٌّ مِنْ طَلَبَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحَرْسِ مِمَّنْ كَانَ فِي
جُمْلَةِ عَدُوِّ الْمَلِكِ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ . إِلَّا إِنْ هَذَا الْكُلِّيُّ الَّذِي
ارْتَسَمَ فِي النَّفْسِ بِالْقُوَّةِ وَإِنْ لَمْ يُصْرَحْ بِهِ يَسْتَعْمِلُ الثَّقَلَةَ مِنْ
جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ إِذَا كَانَتِ الثَّقَلَةُ إِلَيْهِ فِي الذَّهْنِ مِنْ أَكْثَرِ
الْخُرَافَاتِ كَانَ اسْتِقْرَاءً وَإِنْ كَانَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْ مِنَ الْأَقْلَى
كَانَ تَمْثِيلًا . (قَالَ) فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مِثَالَاتٌ
فَقَدْ يُكْتَفَى هَاهُنَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمَعْطَى مِنْهَا

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي فُضُولِ الضَّمَاكِ مِنْ جِهَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا
تُعْمَلُ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهَا غَاوِضٌ وَخَفِيٌّ دَهْوٌ عَظِيمٌ أَلْعَاءُ فِيمَا نَقَصْدُهُ

هَاهُنَا. وَسَبَبُ مُغَوِّهِ أَنْ الصَّمَاوِيَّاتُ تَكُونُ فِي جَمْعِ الْقَوْلَاتِ
 الْعَشَرِ كَمَا تَكُونُ الْقِيَاسَاتُ الْجَدِيدَةُ لَكِنَّ مِنَ الصَّمَاوِيَّاتِ مَا يَكُونُ فِي
 الْمَوَادِّ الَّتِي فِي الصَّنَائِعِ. مِثْلَ الصَّمَاوِيَّاتِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ
 الْكُلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ. وَهَذِهِ
 فَيَتَّبِعِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ عَلَى تَحْوِيلِ تَعْمَالِ الْبَرَاهِينِ فِي
 تِلْكَ الصَّنَاعَةِ لَا عَلَى مَا يَسْتَعْمَلُهَا الْخَطِيبُ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي تُحْصُ
 الْخُطَابَةُ مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا جُزْءًا مِنْ خُطْبَةٍ. وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
 تَكُونُ بِهَا الْأَقَاوِيلُ الْخُطْبِيَّةُ أَمَّ فَعَلًا وَانْقِذْ مَا يُذَكَّرُ بَعْدُ. وَمِنْ
 الصَّمَاوِيَّاتِ مَا يَكُونُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تُحْصُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِحَسَبِ مَا
 تَبَيَّنَ مِنْ نَفَقَتِهَا وَهِيَ الْأُمُورُ الْإِرَادِيَّةُ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي يَتَّبِعِي أَنْ
 تُسْتَعْمَلَ عَلَى جِهَةٍ مَا يَسْتَعْمِلُ الْخُطْبَاءُ الْأَقَاوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ. وَمِنْ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ يَتَّبِعِي أَنْ تُعَدَّ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي هِيَ فُضُولُ
 الصَّمَاوِيَّاتِ لَا مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَيْهَا صِنَاعَةُ صِنَاعَةٍ



الفصل السابع

في التفيد

البحث الأول

في المناظرة والمجدال

(عن رسائل الفارابي وابن سينا ومقدمة ابن خلدون وآداب البحث للميرفتدي)

(راجع الصفحة ١١٦ من علم الخطابة)

أَلْمُنَاطَرَةُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ إِثْبَاتِ الْمَطْلُوبِ وَنَفْيِهِ أَوْ نَفْيِ دَلِيلِهِ مَعَ الْخُصْمِ. وَالْآدَابُ الطَّرِيقُ. وَوَضْعُ هَذَا الْعِلْمِ الْآدَتُ وَنَ حَيْثُ أَنْهَا يُثْبِتُ بِهَا الْمُدَّعِي عَلَى الْغَيْرِ. وَمَسَادَّتُهُ أُمُورٌ بَيِّنَةٌ بِنَفْسِهَا. وَالْعَرَضُ مِنْهُ تَحْصِيلُ مَلَكَتِ طَرِيقِ الْمُنَاطَرَةِ لِئَلَّا يَقَعَ الْخَبْطُ فِي الْبَحْثِ فَيَتَضَاعَفَ الصَّوَابُ. وَتُطْلَقُ الْمُنَاطَرَةُ أَيْضًا فِي أَصْطِلَاحِ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى الظُّهْرِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا لِلصَّوَابِ. وَقِيلَ أَيْضًا هِيَ تَوَجُّهُ الْخَصْمَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا لِلصَّوَابِ أَيْ تَوَجُّهُ الْمُتَحَاجِضَيْنِ اللَّذَيْنِ طَلَبَ أَحَدُهُمَا غَيْرَ مُطْلَبِ الْآخَرِ إِذَا تَوَجَّهَا فِي النِّسْبَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ التَّوَجُّهُ فِي النَّفْسِ كَمَا كَانَ لِلْحُكَمَاءِ الْأَشْرَاقِيِّينَ وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِظْهَارُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ. وَالْمَسَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ تَتَرَايَدُ يَوْمًا بِيَوْمٍ بِتَفْلَاحٍ الْأَفْكَارِ

وَالْأَنْظَارُ فَلْتَفَاوَتْ مَرَاتِبَ الطَّبَائِعِ وَالْأَذْهَانُ لَا يَخْلُو عِلْمٌ مِنَ
الْعُلُومِ عَنْ تَصَادُمِ آلَاءِ وَتَبَايُنِ الْأَفْكَارِ وَإِدَارَةِ الْكَلَامِ مِنْ
الْجَرَحِ وَالْتَعْدِيلِ وَالرَّدِّ وَالْقَبُولِ إِلَّا أَنَّهُ بِشُرُوطٍ مُعْتَبَرَةٍ مُشْرُوطٌ
وَبِرِعَايَةِ الْأَصُولِ مُنَوِّطٌ وَإِلَّا لَكَانَ مُكَابَرَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ . فَلَا بُدَّ
مِنْ قَانُونٍ يَعْرِفُ مَرَاتِبَ الْجَبْثِ عَلَى وَجْهِ تَمَيُّزٍ بِهِ الْقَبُولُ عَمَّا هُوَ
مَرْدُودٌ وَتِلْكَ الْقَوَائِنُ هِيَ عِلْمُ آدَابِ الْجَبْثِ

أَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ عِلْمٌ يَنْبَغُ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى إِبْرَامِ
وَنَقْشٍ وَهُوَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ النُّظَرِ وَمَبْنَى لِعِلْمِ الْخِلَافِ الْمَأْخُذُ مِنْ
الْجِدَالِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَجْزَاءِ مَبَاحِثِ الْمُنَظَرِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا مُبَيَّنَةٌ
فِي عِلْمِ النُّظَرِ وَبَعْضُهَا خَطَائِبِيَّةٌ وَبَعْضُهَا أُمُورٌ عَادِيَّةٌ . وَلَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ
عِلْمِ الْمُنَظَرَةِ الشَّهِورِ بِآدَابِ الْجَبْثِ . وَمَوْضُوعُهُ تِلْكَ الطَّرِيقُ وَالْقَرَضُ
مِنْهُ تَحْصِيلُ مَلَكََةِ النَّقْشِ وَالْإِبْرَامِ وَقَائِدُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْأَحْكَامِ
الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْإِزْزَامِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ . وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ
عِلْمَ الْجِدَالِ هُوَ عِلْمُ الْمُنَازَعَةِ لِأَنَّ الْمَالَ وَنَهْمًا وَاحِدًا إِلَّا أَنَّ الْجِدَالَ
أَخْصٌ مِنْهُ . وَيُؤَيِّدُهُ كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونَ فِي الْمَقْدَمَةِ حَيْثُ قَالَ :
وَأَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَظَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ
الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَظَرَةِ فِي الرَّدِّ
وَالْقَبُولِ مُتَسِمًا وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَ الْمُنَظَرِينَ فِي الْأَسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ
بُرْسِلُ عَنَانِهِ فِي الْإِخْتِجَاجِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
خَطَأً فَاحْتَاجَ الْإِيْمَةُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُتَنَظِّرَانِ

عِنْدَ حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدِلِّ
وَالْمُجِيبِ وَحَيْثُ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ
مَخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَمَحَلَّ اعْتِرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيْنَ يَجِبُ عَلَيْهِ
السُّكُوتُ وَلِخَصِّصِهِ الْكَلَامَ وَالْإِسْتِدْلَالَ. وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ
مَعْرِفَةٌ بِالْقَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ
بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيٍ وَهَذِهِ كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْقَبْلِ أَوْ غَيْرِهِ.
وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبَرْدَوِيِّ الَّتِي تُوَفِّي سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٩٠ م) وَهِيَ
خَاصَّةٌ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ. وَطَرِيقَةُ
رُكْنِ الَّذِينَ الْعَمِيدِيِّ الَّتِي تُوَفِّي سَنَةَ ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) وَهِيَ عَامَّةٌ فِي
كُلِّ دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيْ عِلْمٍ كَانَ. وَكَثَرَتْ اسْتِدْلَالُهُ وَهُوَ
مِنَ الْمَنَاجِي الْحَسَنَةِ وَالْمُعَالَطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا
اعْتَبَرْنَا النُّظَرَ الْمُطْلِقِي كَانَ فِي الْقَالِبِ أَشْبَهَ بِالْقِيَاسِ الْمُعَالَطِي
وَالسُّوْفِيَّاتِي. إِلَّا أَنَّ صُورَ الْأَدِلَّةِ وَالْأَقْسِمَةِ فِيهِ مُحْفُوظَةٌ مُرَاعَاةً
تُحَرَّى فِيهَا طُرُقُ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ
مَنْ كَتَبَ فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَوَضَعَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى
بِالْإِرْشَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسَفِيِّ
الَّتِي تُوَفِّي سَنَةَ ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) وَغَيْرُهُ جَاءُوا عَلَى آثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ
وَكَثُرَتْ فِي الطَّرِيقَةِ التَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ
وَالْعَلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ

البحث الثاني

في آداب المناظرة

(من كتاب إجماع الولد للغزالي)

(راجع الصفحة ١٢٤ من علم الحطابة)

لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَحْوٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ
 فِيهَا أَنْ تَظْهَرَ الْحَقُّ وَلَا تُضَيِّعَ جَارَكَ الْبَحْثُ. لَكِنْ لَيْتَكَ الْإِرَادَةُ
 عَلَامَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَنْ يَتَكَشَّفَ الْحَقُّ عَلَى
 لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ. وَثَانِيهَا أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ
 إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ وَأَسْمَعِ. إِيَّيْ أَذْكُرُكَ هُنَا فَائِدَةً.
 أَعْلَمْ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَشْكَلَاتِ عَرَضُ مَرَضِ الْقَلْبِ إِلَى الطَّبِيبِ
 وَالْجَوَابُ لَهُ سَعْيٌ لِإِصْلَاحِ مَرَضِهِ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْجَاهِلِينَ الْمَرْضَى
 قُلُوبُهُمْ وَالْعُلَمَاءُ الْأَطِبَاءُ. وَالْعَالِمُ النَّاقِصُ لَا يُحْسِنُ الْمَعَالِجَةَ وَالْعَالِمُ
 الْكَامِلُ لَا يُعَالِجُ كُلَّ مَرَضٍ بَلْ يُعَالِجُ مَنْ يَرْجُو فِيهِ قَبُولَ الْمَعَالِجَةِ
 وَالْإِصْلَاحِ. وَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ مُزْمِنَةً أَوْ عَقِيًّا لَا تَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَخَذَاقَةُ
 الطَّبِيبِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَلَا يَشْتَعِلُ بِدَوَائِهِ
 وَمَعَالِجَتِهِ لِأَنَّ فِيهِ تَضَيُّعَ الْعَمَلِ.

أَعْلَمْ أَنَّ مَرَضَ الْجَهْلِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ أَحَدُهُمْ يَقْبَلُ
 الْمَعَالِجَةَ وَالْبَاقِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ. وَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي يَقْبَلُ الْعِلَاجَ

فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرَشِدًا عَالِمًا عَاقِلًا فَيَهْمَا لَا يَكُونُ مَغْلُوبَ الْحَسَدِ
وَالْقَصْبِ وَحُبِّ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَالشَّهْوَةِ وَيَكُونُ طَالِبَ الطَّرِيقِ
الْمُسْتَقِيمِ وَلَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدِهِ وَتَقَنَّتْ وَأُمْتِحَانُ
وَبَحْثُ. وَهَذَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَيَجُوزُ أَنْ تَشْتَغَلَ بِجَوَابِ سُؤَالِهِ بَلْ يَجِبُ
عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ. أَمَّا الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ أَحَدُهُمْ مَنْ كَانَ سُؤَالُهُ
وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدِهِ وَبُغْضِهِ وَالْحَسَدُ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ لِأَنَّهُ مِنْ
الْعِلَّةِ الْمُزِمَّةِ فَكُلَّمَا تَحَيَّيْهُ بِأَحْسَنِ الْجَوَابِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْضَحِهِ لَا
يَزِيدُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا غَيْظًا وَحَسَدًا فَالطَّرِيقُ أَنْ لَا تَشْتَغَلَ بِجَوَابِهِ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَّى إِذَا لَتَبَا إِلَّا عَدَاوَةٌ مِنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ
فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ وَتَتَرَكَّهُ مَعَ مَرَضِهِ قَالَ : فَأَعْرِضْ
عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَزِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْدُنْيَا وَتَبَعَ هَوَاهُ
فَتَرَدَّى وَالْحُسُودَ بِكُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ يُوقِدُ النَّارَ فِي زَرْعِ عَمَلِهِ
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْخَطْبَ. وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ عِلَّةً مِنَ الْحَمَاقَةِ وَهُوَ أَيْضًا كَالْحُسُودِ
لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ كَمَا قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : (١) إِنِّي مَا عَجَزْتُ عَنْ
إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْأَحْمَقِ وَذَلِكَ رَجُلٌ يَشْتَغَلُ
بِطَلَبِ الْعِلْمِ زَمَانًا قَلِيلًا وَيَتَعَلَّمُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ الْعَثَلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ
فَيَسْأَلُ وَيُعْتَرِضُ مِنْ حِمَاقَتِهِ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَفْهَمُ عَلَى الْعَالِمِ الْكَبِيرِ

(١) لم يرو هذا الكلام للسيد المسيح لذكره السجود لافي الانجيل ولا في

التقليد . ولا نعلم عمن رواه الغزالي

فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ . وَهَذَا الْأَحَقُّ لَا يَعْلَمُ وَيَطْنُ أَنْ مَا
 أَشْكَلَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضًا مُشْكَلٌ لِلْعَالِمِ الْكَبِيرِ فَإِذَا لَمْ يَتَفَكَّرْ هَذَا
 الْقَدْرَ يَكُونُ سُؤَالُهُ وَأَعْتِرَاضُهُ مِنَ الْحَقَاقَةِ قَبْلِيَّيْنِ أَنْ لَا يُشْتَغَلَ
 بِجَوَابِهِ . وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِدًا وَيَحْتَمِلُ كُلَّ مَا لَا يَفْهَمُ مِنْ
 كَلَامِ الْأَكْبَارِ عَلَى قُصُورِ قُوَّةِهِ وَيَكُونُ سُؤَالُهُ لِلِاسْتِيفَادَةِ لَكِنْ
 يَكُونُ بَلِيدًا لَا يُدْرِكُ الْحَقَّ فَلَا يَنْبَغِي الْأَشْتَغَالُ بِجَوَابِهِ أَيْضًا . وَفِي
 الْحَدِيثِ : نَحْنُ مَعَاشِرَ الْحُكَمَاءِ أُرْنَا أَنَّ نَكَلَّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ
 وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ : إِيَّاكَ أَنْ تُشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ
 بَعْدَ انْقِرَاضِ الْأَكْبَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُعَدُّ عَنْ أَمْنِهِ وَيُضِيعُ
 الْمَعْرُوفَ وَيُورِثُ الْوَحْشَةَ وَالْمَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ شَرَّاطِ السَّاعَةِ كَذَا
 وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ وَلِلَّهِ ذَرُّ الْقَائِلِ :

أَرَى فَقَهَاءَ هَذَا الْعَصْرِ طَرَأَ اسْتَأْعَاوُ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَعَاوُوا بَلَمَ لَمْ
 إِذَا تَأَذَّرْتَهُمْ لَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ سِوَى حَرْفَيْنِ لَمْ يَلَمْ لَا نَسْلَمَ
 وَالْإِنْصَافُ أَنَّ الْجَدَلَ لِإِظْهَارِ الصُّوَابِ لَا بَأْسَ بِهِ وَرَبَّاهُ يَنْتَفِعُ بِهِ فِي
 تَشْخِيزِ الْأَذْهَانِ . وَالْمَنْوَعُ الْجَدَلُ الَّذِي يُضِيعُ الْأَوْقَاتَ وَلَا يَحْتَمِلُ
 مِنْهُ طَائِلٌ . قَالَ مَوْفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : إِيَّاكَ الْغِلَظَةُ فِي الْخِطَابِ .
 وَالْجَفَاءُ فِي الْمُنَازَعَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْهَبُ بِنَهْجَةِ الْكَلَامِ وَيَنْسَقِطُ
 قَائِدَتُهُ . وَيُعْلِمُ حَلَاوَتَهُ . وَيَجْنِبُ الصَّغَائِرَ . وَيَخْفَى الْمَوَدَّاتِ . وَيَصِيرُ
 الْقَائِلُ مُسْتَقْلِلًا . سُكُوتُهُ أَشْهَى إِلَى السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ . وَيُثِيرُ
 النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ الْأَلْسُنَ نِجَاشَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

في الجوابات على الخصم

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع صفحة ١١٣ من علم الخطابة)

إِنَّ الْجَوَابَاتِ هِيَ أَضْعَبُ الْكَلَامِ كُلِّهِ مَرْكَبًا وَأَعَزُّهُ مَطْلَبًا
 وَأَعْمَضُهُ مَنْصَبًا وَأَضْيَعُهُ مَسْلَكًا لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُجِلُّ مُنَاجَاةَ الْفِكْرَةِ
 وَأَسْتِعْمَالَ الْقَرِيحَةِ يَرُومُ فِي بَدِيئَتِهِ نَقْضَ مَا آتَمَ الْقَائِلُ فِي رَوِيَّتِهِ
 فَهُوَ كَمَنْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ الْحَاجَةُ وَسَدَّتْ لَهُ الْحَاجِجُ قَدْ اعْتَرَضَ الْأَيْسَنَةُ
 وَأَسْتَهْدَفَ لِلْمَرَامِيِّ لَا يَذَرِي مَا يُقَرِّعُ لَهُ فَيَسْأَلُ لَهُ وَلَا مَا يَنْجَاهُ
 مِنْ خَصْمِهِ فَيَقَرِّعُهُ بِغَثِّهِ وَلَا سِيْمًا إِذَا كَانَ الْقَائِلُ قَدْ أَخَذَ بِجَمَاعِ
 الْكَلَامِ فَقَادَهُ بِزَمَانِهِ بَعْدَ أَنْ رَأَى فِيهِ وَاحْتَمَلَ وَجَمَعَ خَوَاطِرَهُ
 وَاجْتَهَدَ وَتَرَكَ الرَّأْيَ يَغْبُ حَتَّى يَحْتَمِرَ فَقَدْ كَرِهُوا الرَّأْيَ الْقَطِيرَ كَمَا
 كَرِهُوا الْجَوَابَ الدَّهْرِيَّ فَلَا يَزَالُ فِي نَسْجِ الْكَلَامِ وَأَسْتِثْنَاهُ حَتَّى
 إِذَا أَطْلَأْنَا شَارِدَهُ وَسَكَنَ نَافَهُ صَكَّ بِهِ خَصْمَهُ جُمْلَةً وَاجِدَةً ثُمَّ
 قِيلَ لَهُ أَجِبْ وَلَا تَخْطِئْ وَأَسْرِعْ وَلَا تَبْطِئْ. فَتَرَاهُ بِجَوَابِهِ مِنْ غَيْرِ
 آتَاةٍ وَلَا اسْتِعْدَادٍ يُطَبِّقُ الْفَوَاصِلَ وَيَنْفِذُ الْمَقَاتِلَ كَمَا يُرْمِي الْجَدْلُ
 بِالْجَدَلِ وَيُقَرِّعُ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ فَيَجْلُ بِهِ غَرَاهُ وَيَنْقُضُ بِهِ مَرَارِيَهُ
 وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى أَكْثَرِ كَلَامِهِ كَسْتَحَابَةٍ لَدَتْ عَجَاجَتَهُ فَلَا شَيْءَ
 أَعْضَلُ مِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ وَلَا أَعَزُّ مِنَ الْخَفْمِ الْأَلَدِيِّ الَّذِي يُقَرِّعُ

صَاحِبُهُ وَيَصْرَعُ مُنَازَعَةً يَقُولُ كَيْثُلُ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْخِزْلِ

البحث الرابع

في المغالطة

(من كتاب كشف اصطلاحات العلوم للتهانوي وكتاب شرح المطالع)

(راجع صفحة ١١٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْمَغَالِطَةُ هِيَ قِيَاسٌ قَاسِدٌ أَمَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
الْمَادَّةِ أَوْ مِنْ جِهَتَيْهَا مَعَ وَالْآخِي بِهَا غَالِطٌ فِي نَفْسِهِ مُغَالِطٌ لِغَيْرِهِ .
وَكُلُّوَا الْقُصُورُ وَهُوَ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَا هُوَ هُوَ وَبَيْنَ مَا هُوَ غَيْرُهُ لَمَّا
تَمَّ لِلْمَغَالِطِ صِنَاعَةٌ فِي صِنَاعَةٍ كَاذِبَةٌ تَتَّقِعُ بِالْفَرْضِ إِذَا الْفَرْضُ مِنْ
مَعْرِفَتِهَا الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَا وَرَبَّمَا يُتَمَكَّنُ بِهَا أَنْ يُرَادَ امْتِحَانُهُ فِي
الْعِلْمِ لِيُعْلَمَ بِهِ يَعْدَمُ ذَهَابِ الْغَلْطِ عَلَيْهِ كِمَالُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَلَيْهِ قُصُورُهُ
وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا امْتِحَانِيًّا وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي تَبْكِيَتٍ مِنْ
يُوهِمُ الْعَوَامَّ أَنَّهُ عَالِمٌ لِيُظْهِرَ لَهُمْ عَجْزُهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَا
فَيَصُدُّونَ عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا عِنَادِيًّا . قَالَ
شَارِحُ إِشْرَاقِ الْحِكْمَةِ : مَوَادُّ الْمَغَالِطَةِ الْمَشْهُاتُ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى
وَلِهَذَا الصِّبَاةُ أَجْزَاءُ دَائِيَّةٌ صِنَاعِيَّةٌ وَخَارِجِيَّةٌ . وَالْأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّقُ
بِالتَّبْكِيَتِ الْمَغَالِطِيَّةِ .

وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ : إِنَّ أَسْبَابَ الْغَلْطِ عَلَى كَثَرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى

أمر واحد وهو عدم التميز بين الشيء وأشابهه ثم إننا تنقسم إلى
 ما يتعلق بالالفاظ وإلى ما يتعلق بالمعاني. (والأول) ينقسم إلى ما
 يتعلق بالالفاظ لا من حيث تركبها وإلى ما يتعلق بها من حيث
 تركبها. (والأول) لا يخلو إما أن يتعلق بالالفاظ أنفسها وهو أن
 تكون مختلفة الدلالة فيمع الأشباه بين ما هو المراد وبين غيره.
 ويدخل فيه الاشتراك والتشابه والجزاء والاستعارة وما يجري
 مجراها ويسمى جميعا بالأشراك اللفظي. وإما أن يتعلق بأحوال
 الالفاظ وهي إما أحوال ذاتية داخلية في صيغ الالفاظ قبل
 تحصيلها كالاشتباو في اللفظ المختار بسبب التصريف إذا كان بمعنى
 الفاعل أو المفعول. وإما أحوال عارضة لها بعد تحصيلها كالاشتباو
 بسبب الإعجام والأغراب. (والثانية بالتركيب) تنقسم إلى ما
 يتعلق بالأشباه في نفس التركيب كما يقال: كل ما يتصوره
 العاقل فهو كذا يتصوره. فإن لفظ (هو) يعود تارة إلى المفعول
 وتارة أخرى إلى الفاعل وإلى ما يتعلق بوجوده وعدمه أي بوجود
 التركيب وعدمه. وهذا الآخر ينقسم إلى ما لا يكون التركيب
 فيه موجودا فيظن معدوما ويسمى تفصيل المركب. وإلى عكسه
 ويسمى تركيب الفصل وأما (الثالثة بالمعاني) فلا بد أن تتعلق
 بالتأليف بين المعاني إذ الأفراد لا تصور فيها غلط لو لم يقع في
 تأليفها بخبر ما ولا يخلو من أن تتعلق بتأليف يقع بين القضايا
 أو بتأليف يقع في قضية واحدة. والواقعة بين القضايا إما قياسي

أَوْ غَيْرُ قِيَاسِيٍّ. وَالْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّأْلِيفِ الْقِيَاسِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَتَّعَ فِي الْقِيَاسِ
نَفْسَهُ لَا بِقِيَاسِهِ إِلَى نَتِيجَةٍ أَوْ تَتَّعَ فِيهِ بِقِيَاسِهِ إِلَى نَتِيجَتِهِ.
وَالْوَاقِعَةُ فِي نَفْسِ الْقِيَاسِ إِمَّا أَنْ تَتَّعَلَ بِعَادَةٍ أَوْ بِصُورَةٍ. وَأَمَّا
(الْمَلَذِيَّةُ) فَكَمَا تَكُونُ مَشْلًا بِحَيْثُ إِذَا رُبَّتِ الْمَلَا فِي فِيهَا
عَلَى وَجْهِ يَكُونُ صَادِقًا لَمْ تَكُنْ قِيَاسًا وَإِذَا رُبَّتْ عَلَى وَجْهِ
يَكُونُ قِيَاسًا لَمْ يَكُنْ صَادِقًا كَقَوْلِنَا: كُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ مِنْ حَيْثُ
هُوَ نَاطِقٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ النَّاطِقِ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ بِحَيَوَانٍ إِذَا مَعَ
إِثْبَاتِ قَيْدٍ (مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ) فِيهَا تَكْذِيبُ الصُّغَرَى وَمَعَ حَذْفِ
عَنْهَا تَكْذِيبُ الْكُبْرَى. وَإِنْ حُذِفَ مِنَ الصُّغَرَى وَأُثْبِتَ فِي
الْكُبْرَى تَقَابُ صُورَةِ الْقِيَاسِ لِهَدْمِ اشْتِرَاكِ الْأَوْسَطِ وَأَمَّا (الصُّورِيَّةُ)
فَكَمَا تَكُونُ مِنْهُ لَمْ يَضَرْبُ غَيْرُ مُنْتَجِجٍ تَكُونُ أَيْضًا عَلَى ضَرْبِ مُنْتَجِجٍ
وَهَذَا يُسَمَّى سُوءَ التَّأْلِيفِ بِإِعْتِبَارِ الْبَرْهَانِ وَسُوءَ التَّرَكِيبِ بِإِعْتِبَارِ
غَيْرِهِ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي الْقِيَاسِ بِالْقِيَاسِ إِلَى النَّتِيجَةِ) فَتَقْسِمُ إِلَى
مَا لَا يَكُونُ النَّتِيجَةُ مُغَايِرَةً لِأَحَدِ أَجْزَاءِ الْقِيَاسِ فَلَا يَحْصُلُ
بِالْقِيَاسِ عِلْمٌ دَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْمَقْدَمَاتِ وَتَسَمَّى مُصَادَرَةً عَلَى
الْمَطْلُوبِ. وَإِلَى مَا تَكُونُ مُغَايِرَةً لِكُنْهَا لَا تَكُونُ مَا هِيَ الْمَطْلُوبُ
مِنْ ذَلِكَ الْقِيَاسِ وَيُسَمَّى وَضْعُ مَا لَيْسَ بِمُتَعَلِّقَةٍ كَقَوْلِنَا: الْإِنْسَانُ
وَحَدُهُ ضَخَّاكٌ كُلُّ ضَخَّاكٍ حَيَوَانٌ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي قَضَايَا لَيْسَتْ
بِقِيَاسٍ) فَتَقْسَمُ جَمْعَ الْمَسَائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ كَمَا يُقَالُ: ذَيْدٌ وَحَدُهُ
كَاتِبٌ فَإِنَّهُ قَضَيْتَانِ لِإِفَادَتِهِ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُهُ كَاتِبًا. وَأَمَّا (الْمُتَعَلِّقَةُ

بِالْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ) فَمَا أَنْ تَقَعَ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِجُزْئِي الْقَضِيَّةِ حَيْثُمَا وَذَلِكَ
يَكُونُ يَوْفُوعَ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ وَيُسَمَّى إِيَّاهُمَا الْعَكْسَ. وَمِنْهُ
الْحُكْمُ عَلَى الْجَنَسِ بِحُكْمِ نَوْعٍ مِنْهُ مُنْدَرِجٌ تَحْتَهُ نَحْوُ: هَذَا لَوْنٌ
وَاللَّوْنُ سَوَادٌ فَهَذَا سَوَادٌ. وَمِنْهُ الْحُكْمُ عَلَى الْمَطْلُوقِ بِحُكْمِ الْقَيِّدِ
بِحَالٍ أَوْ وَقْتٍ نَحْوُ: هَذِهِ رَقَبَةٌ وَالرَّقَبَةُ مُؤَمَّنَةٌ. وَإِنَّمَا أَنْ تَقَعَ فِيهَا
يَتَعَلَّقُ بِجُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا. وَتَنْقَسِمُ إِلَى مَا يُوْرَدُ فِيهِ بِدَلِّ الْخِزْيَةِ غَيْرُهُ بِمَا
يُشَبِّهُهُ كَعَوَاضِهِ أَوْ مَعْرُوضَاتِهِ مِنْهُ وَيُسَمَّى أَخْذَ مَا بِالْعَرَضِ مَكَانَ
مَا بِالذَّاتِ كَمَنْ رَأَى الْإِنْسَانَ أَنَّهُ يَلْزَمُ لَهُ التَّوَهُّمُ وَالتَّكْلِيفُ فَظَنَّ
أَنْ كُلَّ مَتَوَهُّمٍ مُكَلَّفٌ. وَإِلَى مَا يُوْرَدُ فِيهِ الْخِزْيَةُ نَفْسُهُ وَلَكِنْ لَا عَلَى
الْوَجْهِ الَّذِي يَأْتِيهِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْهُ مَا لَيْسَ فِيهِ نَحْوُ: زَيْدُ الْكَاتِبِ
إِنْسَانٌ. أَوْ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ مَا هُوَ مِنَ الشَّرْطِ أَوْ الْقَيِّدِ كَمَنْ يَأْخُذُ
غَيْرَ الْمَوْجُودِ كَاتِبًا غَيْرَ تَوْجُودِهِ مُطْلَقًا وَيُسَمَّى سُوءَ اعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَقَدْ
حَصَلَ مِنَ الْجَمِيعِ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَعَا سِتَّةً مِنْهَا لَفْظِيَّةٌ يَتَعَلَّقُ ثَلَاثَةٌ
مِنْهَا بِالْبَسَائِطِ هِيَ الْأَشْرَافُ فِي جَوْهَرِ اللَّفْظِ وَفِي أَحْوَالِهِ الذَّاتِيَّةِ
وَفِي أَحْوَالِهِ الْعَرَضِيَّةِ وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا بِالتَّرَكِيبِ وَهِيَ الَّتِي فِي نَفْسِ
التَّرَكِيبِ وَتَفْصِيلِ الْمُرَكَّبِ وَتَرْكِيبِ الْمُفْصَلِ وَسَبْعَةٌ مَتَوَيَّةٌ أَرْبَعَةٌ
مِنْهَا بِاعْتِبَارِ اقْتضَايَا الْمُرَكَّبَةِ وَهِيَ سُوءُ التَّأْلِيفِ وَالْمُضَادَّةُ عَلَى
الْمَطْلُوبِ وَوَضْعُ مَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ وَجَمْعُ الْمَسَائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ وَاحِدَةٍ.
وِثَلَاثَةٌ بِاعْتِبَارِ الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ وَهِيَ إِيَّاهُمَا الْعَكْسُ وَأَخْذُ مَا
بِالْعَرَضِ مَكَانَ مَا بِالذَّاتِ وَسُوءُ اعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَهَذِهِ هِيَ الْأَجْزَاءُ

الذاتية الصناعية لصناعة المفاصلة. وأما الخارجيات فما يقتضي المفاصلة
بالعرض كالشنيع على الخاطب وسوق كلامه إلى الكذب بزيادة
أو تأويل ولا يراد ما يحتره أو يحينه من إغلاق العبارة أو المبالغة
في أن الغنى دقيق أو ما ينم عن ألفهم كالحلط بالحشو والهديان
الشكرار وغير ذلك بما أشتمل عليه كتاب الشفاء وغيره من
الطولات

البحث الخامس

في مقاطع الكلام

(من كتاب الصنائع لابن هلال العسكري)

(راجع الصفحة ١٢٥ من علم الخطابة)

قال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس قال من قرب الأمر
البعيد والمتناول الصعب الدرك بالآفاظ اليسيرة. قال: ما عدل
سهلك عن العرض ولكن أبلغ من كان كلامه في مقدار
حاجته لا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب من الآفاظ ولا
يكره المعاني على إثرها في غير منزلها ولا يتعمد الغريب
اللوحي ولا أساقط السوقي لأن البلاغة إذا أغتركتها المعرفة
بمواضع الفضل والوصل كانت كاللآلي بها نظام. وقال أبو
العباس السفاح لكتابه: وقف عند مقاطع الكلام وحدوده
ورأيتك أن تحاط المرعي بالهمل ومن حلية البلاغة المعرفة

بِمَرَاضِعِ الْفَضْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ الْأَخْفُفُ بْنُ قَيْسٍ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْوُقُوفَ عِنْدَ مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَلَا عَرَفَ حُدُودَهُ
إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَفَقَّدَ مَقَاطِعَ الْكَلَامِ وَأَعْطَى
حَقَّ الْمَقَامِ وَغَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي بِالطَّفِّ مُخْرَجٍ حَتَّى كَانَ
يَقِفُ عِنْدَ الْمَقَاطِعِ وَقُوفاً يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغِيهِ مِنَ الْأَلْقَاطِ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ :

إِذَا مَا بَدَأَ بَيْنَ النَّارِ قَائِلًا أَصَابَ بَمَا يُوحَى إِلَيْهِ الْمَفَاصِلَا
وَلَا أَعْرِفُ فَضْلًا فِي كَلَامٍ مَشْهُورٍ أَحْسَنَ مِنْهُ أُخْبِرَ عَنْ شَيْبِ
أَبْنِ شُبَّةٍ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمًا قَاعِدًا بِبَابِ الْهَيْدِي أَقْبَلَ عَبْدُ
الصَّغْدِ بْنِ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيَّ فَلَمَّا رَأَاهُ شَيْبٌ قَالَ : أَتَاكُمْ وَاللَّهِ
كَلِيمُ النَّاسِ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ شَيْبٌ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ . فَقَالَ :
أَمَعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ حَظِيئُنَا وَسَيِّدُنَا . قَالَ : نَعَمْ قَوْلَاؤُ مَا
رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ لِسَانٍ مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ . فَقَالَ أَيُّ نَبِيٍّ
تُحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ . (قَالَ) وَإِذَا شِئْخٌ مَعَهُ عَصَا يَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فَقَالَ شَيْبٌ :
صِفْ هَذِهِ الْعَصَا . فَخَيَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ
فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَجَعَلَ فِيهَا نُجُومَ رَجَمٍ وَنُجُومَ أَهْبَدَاءٍ وَآدَارَ
فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا لَتَعْلَمُوا عَدَدَ النِّجِينَ وَالْحَبَابِ وَأَنْزَلَ مِنْهَا مَاءً
مُبَارَكًا أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالنَّخْلَ وَآذَرَ بِهِ الْأَقْوَاتَ وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ
وَأَنْبَتَ بِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً يَصْرِفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ تَكُونُ حَبَّةُ
تَمْرٍ يَجْمَعُهَا عِرْقًا ثُمَّ يُقْسِمُهَا عَلَى سَاتِي . فَلَبِثْنَا تَرَاهَا حَضْرًا تَرْفَعُ إِذَا

صَارَتْ يَابِسَةً تَتَّصِفُ بِهَا الْعِبَادُ وَيُعَرِّ بِهَا الْبِلَادُ وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِهَا
هَذِهِ الْعَصَا. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّجَرِ وَقَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بَعْدَ
عَدَمِهِ. وَأَنْشَأَهُ أَمْرَدَ وَشَابًا وَبَعْدَهُ مُكْتَهِلًا ثُمَّ شَيْخًا حَتَّى صَارَ إِلَى
هَذِهِ الْحَالِ مِنْ الْكِبَرِ فَاحْتِاجَ فِي آخِرِ حَالَتِهِ إِلَى هَذِهِ الْعَصَا
فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَرْزُقُ الْعِبَادَ. قَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ: فَمَا سَمِعْتُ كَلَامًا
عَلَى يَدَيْهِ أَحْسَنَ مِنْهُ. وَلَمَّا أَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ دَاجِلًا حَطِيبًا بِحَضْرَةِ
شَيْبِ بْنِ شُبَّةٍ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ أَقْبَلَ شَيْبُ فَقَالَ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَبْيَنَ بَيَانًا وَلَا أَرَبَطَ جَنَانًا وَلَا
أَفْقَحَ لِسَانًا وَلَا أَبْلَ دِيَّةً وَلَا أَعْمَضَ غُرُوقًا وَلَا أَحْسَنَ طَرِيقًا إِلَّا
أَنَّ الْجَوَادَ عَسِيرٌ لَمْ يُرْضَ فَحَمَلَتْهُ الْقُوَّةُ عَلَى تَعَسُّفِ الْأَكْثَامِ
وَحُطْبُهَا دَمْرُكَ الطَّرِيقِ الْأَحَبِّ وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ لَوْ عَرَفَ فِي حُطْبَتِهِ
مَقَاطِعَ الْكَلَامِ لَكَانَ أَفْقَحَ مَنْ نَطَقَ بِلِسَانٍ. وَقَالَ الْأَمَامُونَ:
مَا أَعْجَبَ بِكِتَابِ أَحَدٍ كَأَعْجَابِي بِكِتَابِ الْقَسَمِ. بِنِ عَيْسَى قَالَتْهُ فِي غُرَّةِ
عُمُرِهِ وَجِبِ مَقَاطِلَ الْكَلَامِ وَلَا تَدْعُوهُ الْقُدْرَةُ إِلَى الْأَطْلَابِ
وَلَا تَمِيلُ بِهِ الْقَوَادِرُ إِلَى الْأَسْهَابِ يُجْلِي عَنْ مُرَادِهِ فِي كُتُبِهِ وَيُعِيبُ
الْمَغْرَى فِي الْقَاطِظِ. وَكَانَ يَرِيدُ بِنِ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا
الْفَضْلَ وَضَلًا قَالَتْهُ أَشَدُّ وَأَعْجَبُ وَأَعِيبُ مِنَ الْخَنِّ. وَلَيْكُنْ
الْتِمَظُّدُ لِقَاطِعِ الْكَلَامِ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ. وَكَانَ أَكْثَمُ بِنِ صَنِيعِي
إِذَا كَانَتْ مُلُوكُ الْجَاهِلِيَّةِ تَسْتَكْبِتُهُ قَالَ لِكِتَابَتِهِ: أَفْصَلُوا بَيْنَ
مُنْقَضَى قَضَلٍ وَصَلُوا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَعْبُورًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. وَكَانَ

أَخَارِثُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ الْقَسَائِي يَقُولُ لِكَاتِبِهِ الْمُرْقَشُ : إِذَا تَرَعَ بِكَ
 الْكَلَامَ إِلَى آتِدَاءِ مَعْنَى غَيْرِ مَا أَنْتَ فِيهِ قِصْلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا
 تَبْتَغِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّكَ إِنْ مَذَقْتَ الْفَاضِلَ بِغَيْرِ مَا يَحْسُنُ أَنْ
 تَمَذِّقَ بِهِ نَفَرَتْ الْقُلُوبُ عَنْ وَعْيِهَا وَمَلَّتْهُ الْأَسْمَاعُ وَاسْتَقَمَّتْهُ الرُّوَاةُ.
 وَكَانَ بَرَزْجَمَهَر يَقُولُ : إِذَا مَدَحْتَ رَجُلًا وَهَجَوْتَ آخَرَ فَأَجْعَلْ بَيْنَ
 الْقَوْلَيْنِ فُضْلًا حَتَّى تَعْرِفَ الْمَدْحَ مِنَ الْهَجَاءِ كَمَا تَفْعَلُ فِي كِتَابِكَ إِذَا
 اسْتَأْنَفْتَ الْقَوْلَ وَأَكْمَلْتَ مَا سَأَفَ مِنَ اللَّفْظِ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ
 سَهْلٍ لِكَاتِبِهِ الْخَرَّازِي : مَا مَثَلُ الْكَاتِبِ فِي قَوْلِهِ وَفَعْلِهِ. قَالَ :
 أَنْ يَكُونَ مَطْبُوعًا مُحْتَبَسًا بِالتَّجَرُّبَةِ سَالِمًا بِجَلَالِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 وَحَرَامًا بِالذُّهُورِ فِي تَدَاوُلِهَا وَتَصَرُّفِهَا وَبِالْمُلُوكِ فِي سِيرَتِهَا وَأَيَّامِهَا
 مَعَ بَرَاعَةِ اللَّفْظِ وَحُسْنِ النِّسْقِ وَتَأْيِيفِ الْأَوْصَالِ بِمُشَاكَلَةِ
 الْأَسْتِعَادَةِ وَيُشْرَحِ الْمَعْنَى حَتَّى يُنْصَبَ صُورُهَا. وَبِقِطَاعِ الْكَلَامِ
 وَمَعْرِفَةِ الْفُضْلِ مِنَ الْوُضَلِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ كَاتِبٌ
 مُجِيدٌ. وَقَالَ الْمَلَامُونُ : مَا الْحَفَظُ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا كَتَحْفَظِي عَنْ الْفَعْلِ
 وَالْوُضَلِ فِي كِتَابِهِ وَالْخُلَاصِ مِنَ الْخَوَالِ إِلَى الْمُعْقُودِ وَإِنْ لِسِكَلِ
 شَيْءٍ جَمَالًا وَجِلِيَّةً الْكِتَابِ وَجَمَالُهُ إِيْقَاعُ الْفُضْلِ وَقَعَهُ وَمُخَذُّ
 الْفِكْرِ وَاجَالَتُهَا فِي لُطْفِ الْخُلَاصِ مِنَ الْمُعْقُودِ إِلَى الْخَوَالِ. (فُلَانًا) :
 وَمَعْنَى الْمُعْقُودِ وَالْخَوَالِ هَاهُنَا هُوَ أَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ مُخَاطَبَةً ثُمَّ لَمْ
 تَنْتَهَ إِلَى مَوْضِعِ الْخُلَاصِ فَأَعَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ سُمِّيَ الْكَلَامُ
 مُعْقُودًا. وَإِذَا شَرَحْتَ الشُّوْرَ وَأَبْلَغْتَ عَنِ الْفَرَضِ الْمَذْرُوعِ إِلَيْهِ

سُبِّيَ الْكَلَامُ مَخَولًا مِثَالُ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ أَنْظَرَ سَدَّدَ اللَّهُ
رَأْيَكَ أَنْ لَا تَدْعُوكَ مَقْدَرُكَ عَلَى الْكَلَامِ إِلَى إِطَالَةِ الْقُعُودِ فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْسَاهُ مَا أَكْنَنَتْهُ فِي صَدْرِكَ وَأَوْرَدَتْ تَضْيِيقَهُ فِي كِتَابِكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ إِطَالََةَ الْقُعُودِ تُورِثُ نِسْيَانَ مَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ
وَأَرْتَمَنْتَ بِهِ فِكْرَكَ . وَكَانَ شَيْبُ بْنُ شَبَّةٍ يَقُولُ لَمْ أَرُ مُتَكَلِّمًا
قَطُّ أَذْكَرَ لِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَلَا أَحْفَظَ لِمَا سَلَفَ مِنْ نُطْقِهِ مِنْ
حَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ يُشِيعُ الْقُعُودَ بِالْعَالِي يَضَعُ الْخُرُوجَ مِنْهَا إِلَى
غَيْرِهَا ثُمَّ يَأْتِي بِالْمَخُولِ وَارْحَايَتَنَا وَمَشْرُوحَا مُنَوَّرًا وَكَانَ السَّامِعَ لَا
يَعْرِفُ مَقْرَأَهُ وَمَقْصِدَهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى آخِرِهِ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ : لَيْسَ عَمَلٌ مِنَ الْقَائِلِ أَنْ يَكْتُمَ مَقْرَأَهُ عَنِ السَّامِعِ بِكَلَامِهِ
فِي أَوَّلِ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ بَلِ الْأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ
فِي عَدْرِ كَلَامِهِ دَلِيلٌ عَلَى حَاجَتِهِ وَمُيِّنٌ لِمَقْرَأِهِ وَمَقْصِدِهِ كَمَا أَنَّ
آخِرَ آيَاتِ الشِّعْرِ مَا إِذَا سَمِعْتَ صَدْرَهُ عَرَفْتَ قَافِيَتَهُ . وَكَانَ
شَيْبُ بْنُ شَبَّةٍ يَقُولُ : النَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَعْظِيمِ جُودَةٍ الْإِبْتِدَاءِ
وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُوَكَّلٌ بِتَعْظِيمِ جُودَةِ الْقَطْعِ وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ
وَخَيْرَ الْكَلَامِ مَا وَقِفَ عِنْدَ مَقَاطِعِهِ وَبَيَّنَ مَوْجِعَ فُصُولِهِ



الفصل الثامن

في التعبير

البحث الأول

في خواصّ تعبير الخطيب

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع الصفحة ١٣٢ من علم الخطابة)

مَرَّ بِشَرْبِنُ الْعَتِيرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَخُومَةَ السَّكُونِي
الْخَطِيبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخُطَابَةَ فَوَقَفَ بِشَرْبِنُ يَسْتَمِعُ فَظَنَّ
إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لِيَسْتَفِيدَ أَوْ يَكُونَ رَجُلًا مِنَ النُّظَارَةِ فَقَالَ
بِشَرْبِنُ: اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ فَتَحْنَا وَاطُورُوا عَنْهُ كَشْحًا. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ
صَحِيفَةً مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْيِيرِهِ فِيهَا: خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً تَشَاظُكَ وَفَرَاغَ
بَالِكَ وَاجَابَتِهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ نَفْسَكَ تِلْكَ السَّاعَةُ أَكْرَمُ جَوْهَرًا
وَأَشْرَفُ حَسَبًا وَأَحْسَنُ فِي الْإِسْتِمَاعِ وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى
بَدِيعٍ. وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ يَمَا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطْوَلَ
بِالْكَدِّ وَالطَّوْلَةَ وَالنَّجَاهَةَ بِالتَّكْلِيفِ وَالْعَاوَدَةِ. وَمَهْمَا أَخْطَاكَ

لَمْ يُخْطِطْ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا وَكَفَا
خَرَجَ مِنْ يَبُوعِهِ وَنَجَمَ مِنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُرَ فَإِنَّ التَّوَعُرَ
يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ
أَلْفَازَكَ وَمَنْ أَذَاعَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَتَمَسَّ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ
الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تَضُونَهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا
وَيُهْجِنُهَا وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ
أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهَا وَتَرْهَنَ نَفْسَكَ بِمَلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ حَقِّهَا . فَكُنْ
فِي ثَلَاثَةِ مَازِلَ قَاوِلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا أَوْ
نَحْمًا سَهْلًا وَيَكُونَ مِمَّاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا إِمَّا عِنْدَ
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ وَإِمَّا عِنْدَ الْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
أَرَدْتَ . وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَتَضَعُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ . وَإِنَّمَا
مَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى الشَّرَفِ مَعَ الصُّوَابِ وَإِحْرَازِ الْمُنْفَعَةِ مَعَ مُوَافَقَةِ
الْحَالِ وَمَا يَجِبُ إِكْلَامُ مَقَامٍ مِنَ الْقَالَ . وَكَذَلِكَ أَلْفَظُ الْعَامِي
وَالْخَاصِّي فَإِنْ أَمَكْنَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ لَفْظِكَ
وَلُطْفِ مَدَاخِلِكَ وَقَدْرِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي
الْخَاصَّةِ وَتَكْشُوهَا أَلْفَاظَ الْتَوَسِّطَةِ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنِ الدَّهَاءِ وَلَا
تَجْفُو عَنِ الْإِكْفَاءِ . فَأَنْتَ أَلْبَلِغُ النَّامُ . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبَلَةَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ أَنَا أَخُوجُ إِلَى تَعْلِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ

البحث الثاني

في بلاغة كلام العرب وكلام العجم

(من رسالة)

(راجع الصفحة ٢٠٧ من علم الادب)

كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ أَسْعَدَكَ اللَّهُ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي
وَصْفِ الْبَلَاغَةِ وَتَعْرِيفِهِمْ الْقَوْلَ فِي أَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنَّهَا الْقَاطِئُ
يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَيَنْهَا مَا يَكُونُ فِي الظُّمِّ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
النَّثْرِ وَيَكُونُ فِي الْمَكَاتِبَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالنَّشِيبَاتِ
وَالْأَوْصَافِ وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَأَمَّا بَلَاغَةُ الشُّعْرِ
فَمَذُودَةٌ أَلْفَاظٍ وَتَقْرِيبُ الْمَعْنَى وَاتِّسَاقُ الظُّمِّ وَرَشَاقَةُ الْمَعْرِضِ
كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلَتْ أَنْ أَلْتَمَتَايَ عَنْكَ وَاسِعُ
وَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَالنَّشِيبِ (بَقِيدِ الْأَوَابِدِ).
وَقَوْلِ الْأَعَشَى: (فَهُمْ سَاكِنُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ). وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
بِلِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرَعِ النُّجْجَةِ وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا الْقَاطِئُ يَسْبُدُ
بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَأَحْسَنُ مَا يَرِدُ فِي كَشْفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقْلٍ
مَا يُمَكِّنُ مِنَ الْعِبَارَةِ بِأَعْدَبِ أَلْفَاظٍ وَأَحَقِّهَا عَلَى الْأَمْتِاعِ
وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْمُتْلُوبِ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ
عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ

لِسَانٍ بَلِّ هِيَ مَشْمُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ فَهُمْ فِيهَا مُشْتَرِكُونَ
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ وَكَلَامِ الْعَجَمِ وَكَلَامِ الْهِنْدِ
وغيرهم وَلَكِنَّهَا فِي الْعَرَبِ أَكْثَرُ لِكثَرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي الشَّرِّ وَالنَّظْمِ
وَالْحُطْبِ وَالْكِتَابِ وَالسَّجْعِ وَالْمُرَدَّوْجِ وَالرَّجْزِ وَهُمْ أَيْضًا مُتَفَاوِثُونَ
فِيهَا فَقَدْ يَكُونُ الْقَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ سَيِّدُهُ وَتَكُونُ الْأُمَّةُ
بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتُهَا. فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَعْرَابِ الْبَادِيَةِ
ذُونَ مَلُوكِهَا وَقَدْ يُحْسِنُهَا الْحَبَشِيُّ وَالْمَرَاةُ... قَالَ أَشْجَعُ أَبُو أَحْمَدَ :
وَبِنْ عَجِيبَ مَا فِيهِ وَبَعْدَ تَنَافِيهِ أَنْ يَأْتِيَ بِدَوِيٍّ أَيْمِيٍّ جَلْفٍ جَافٍ
فَيَتَّبِعُ بِفِكَوهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَعْنَى الْبَدِيعَ وَالنَّشْبَةَ الْمُجِيبَ وَالسُّوَالَ
الْأَطِيفَ وَالْمَدْحَ الشَّرِيفَ وَالْعَزَلَ الرَّقِيقَ وَالْهَجَاءَ الْمَوْجِعَ وَاللَّذَمَّ
الْمُفْلِقَ يُظَلَمُ عَجِيبٌ وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٌ وَأَوْزَانٌ تَامَةٌ وَأَقْسَامٌ مُعَدَّةٌ
وَالْأَذَاظُ فَصِيحَةٌ عَذْبَةٌ يَشْتَهِي سَامِعُهَا أَنْ يُحْفَظَهَا ثُمَّ يَشْتَهِي أَنْ
يُحَاجَرَ أَهْلُ الْمُرُوتِ بِهَا مُثَبِّلًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا أَوْ مُهِنًّا أَوْ مُزِيًّا
فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا نَضَارَةً وَجَدَّةً وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا
نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسَا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ : فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي. وَقَوْلِ
الْحُطَيْيَةِ : لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ
الْأَصِيبُ وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ وَالرَّيْضُ الْحَاقِظُ أَنْ يُدْرِكَ شَأْنَهُ فَلَا
يُسْقُ غِبَارُهُ . قَالَ : سُلِّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ فَقَالَ :

اتَّقَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبَغْيَةِ وَالْتَّاعُدُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ وَالِدَّلَالَةُ
 بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ. قَالَ الشَّيْخُ: وَكَثُرَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ أَنَّهَا
 الْإِخْتِصَارُ وَتَقَرُّبُ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْقَصَارِ وَالْإِخْتِصَارُ عَلَى
 الْإِشَارَةِ إِلَى مَعَانِيهَا وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ. وَقَدْ سُئِلَ
 بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَحْظَةُ دَالَّةٌ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي
 الْحَذَفِ وَالْإِخْتِصَارِ وَكَذَلِكَ جَعَلَ أَمْرُ الْقَيْسِ إِخْصَارَ قَرِيبِهِ وَسُرْعَةَ
 حِلَاقِهِ لِلصَّيْدِ وَأَنَّ الْأَوَابِدَ لَا تَقْلَعُ فِي ثَخَانٍ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي
 قَوْلِهِ: (قَيْدُ الْأَوَابِدِ). وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ: (إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ
 هَرَمٌ). فَقَبِي قَوْلُهُ (عَلَى عِلَاتِهِ) مَا يَذُوبُ عَنْ كُلِّ مَا نَعَى كَذَلِكَ قَوْلُ
 الْأَعْمَشِيِّ: فَهَمْ سَائِكُونَ وَالْبَيْتَةُ تَنْطَلِقُ وَهَذَا يَكْثُرُ وَفِي مَا
 أوردناه بِلَاغٍ ولهذا وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كِتَابِهِ لِيَكُنْ
 كَلَامُكُمْ فِي كُتُبِكُمْ وَمِثْلُ التَّوْقِيعِ بِحُضْرِ ذَلِكَ عَلَى غَايَةِ الْحَذَفِ
 وَالْإِخْتِصَارِ. وَفِي هَذَا أَنَّ الْمَأْمُونُ أَمَرَ عَمْرُو بْنَ مَسْعُودَةَ أَنْكَتَابَ
 أَنْ يَكْتُبَ لِوَجُلٍ لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ وَأَنْ
 يَخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمَكَّنَهُ حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ فِي سَطْرِ وَاحِدٍ بِلَا
 زِيَادَةٍ فَكُتِبَ عَمْرُو: كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابٌ وَاقٍ بِنِ كُتِبَ إِلَيْهِ
 مَعْنِي بِنِ كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ أَثَقَّةٍ وَأَعْنِيَاءٍ حَامِلُهُ. وَفِي هَذَا
 مَا كُتِبَ أَوْلَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْخِجَابِ وَقَدْ تَلَسَّكَ
 عَنْ يَمِينِهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَلَاذَا
 أَتَاكَ كِتَابِي فَأَعْتَمِدْ عَلَى آيَتِيهَا سَلَامٌ. وَسَادَّ ذِكْرِي فِي هَذَا

الْمَوْضِعَ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْمُخْتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ
 أَذْكَرَ بَعْدَهُ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْعَرَبِيِّ بِمَا يَضِلُّ لِلْمَذَاكِرَةِ وَيَبْعَثُ
 عَلَى الشَّطِيطِ فَأَذَا قَرَأَهَا قَارِيٌّ دَلَّتْ عَلَى أَنْفُسِهَا فِي الْإِيحَازِ وَالْحَذَفِ
 وَاجْتِنَاعِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ :
 دَلَّ الْجَنَمُ عَلَى صَانِعِهِ . فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ مَعَانِي كَثِيرَةً
 جَلِيلَةً الْقَدْرَ لِأَنَّ الْجَنَمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا
 حَكِيمًا كَمَا يَدُلُّ الْبَاءُ عَلَى الْبَاقِي وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ .
 فَانْظُرْ ثُمَّ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا يُحْكِي عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ
 مَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ . وَثَبَّتَ الْعِلْمُ بِالْقَيْبِ فَقَالَ : إِنَّ
 كُلَّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْمًا فَهُوَ يَعْرِفُهُ وَيَحْوَطُهُ قَدْ كَانَ
 مُعْتَدِّيًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا بَارِئًا
 يُجْرِي فَلَكُهَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا . وَمَنْ أَعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةٍ
 الْحَرْدَلِ فَيَعْلَمْ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْشِئُهَا وَيُرْكِبُهَا وَيَسْدِرُ لَهَا أَقْوَاتًا مِنْ
 الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَيُوقِتُ لَهَا زَمَانًا لِهَشِيمِهَا . وَأَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ وَمَا
 يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُونَ ثُمَّ اجْتِمَاعُ الْعُلَمَاءِ
 وَالْجَاهِلِ وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ وَاجْتِمَاعُ
 مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُخَدِّثُوا أَنْفُسَهُمْ فَكُلُّ
 ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللَّهِ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ .
 (قَالَ السَّخِيحُ) وَهَذَا الْكَلَامُ عَلَى طَوِيلٍ قَدْ ائْتَمَّ بِمَعَانِيهِ فِي
 قَوْلِ سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجَنَمُ عَلَى صَانِعِهِ . (وَقَالَ الْأَسْكَنْدَرُ) وَظَنَّكَ

فَكَرَكَ وَارْشَدَكَ عَقْلَكَ جِئْنَا حَيْرَكَ سَمْعَكَ وَعَشَكَ مَحْدَرَكَ وَإِنَّ
الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمَسْئُوعِ يَحْتَرُ وَيَضِلُّ بِغَيْرِ الْخَيْرِينَ وَيُسَوِّمُهُمْ
فِي مَا يُخَيَّرُونَ بِهِ فَيَسِيرُ لَهُ عَقْلُهُ الصَّوَابُ مِنَ الْخَطِئِ وَيُرْشِدُهُ إِلَى
الْحَقَائِقِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْخَيْرَةِ. وَقَالَ مُطَلِّبُ الرَّاثِي لِلْإِسْكَدَرِ:
أَخْلَاقُكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا وَأَحْكَامُكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا وَيَشْهَدُ
لَكَ عَدَمُ مِثْلِكَ فِي مَا يَكُونُ. (قَالَ الشَّيْخُ) فَأَنْظُرْ الْآنَ صَمَّ
مَعْنَى حَسَنٍ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ يَعْنِي أَنَّ حُسْنَ خُلُقِهِ يَرُدُّ عَدُوَّهُ
إِلَى صَدَاقَتِهِ وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ وَأَنَّ
عَدَمَ مِثْلِهِ فِي مَا يَجْنِي الدُّهُورَ قَدْ شَهِدَ بِأَنَّهُ مِثْلُهُ لَا يَكُونُ فِي
مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ. وَهَذَا كَلَامٌ مَنْقُولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَلَعَلَّهُ بِأَمْتِهِ كَانَ
أَفْقَحَ وَأَحْسَنَ. وَلَمَّا شَادَرَ أَبُو مُسْلِمٍ بَعْضَ الْفَرَسِ فِي أَمْرِهِ
قَالَ لَهُ: قُلْ مَا يَقْبَلُ وَخُذْ مَا يَسْهَلُ وَاعْمَلْ مَا يَجْنَلُ. فَجَمَعَ لَهُ
بِهِذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ أَكْثَرَ مَعَانِي السِّيَاسَةِ. وَفِي مَا يَرَوَى أَنَّ
بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًا لَا أَدَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ ذَهَبٌ فَقَالَ: جَاءَ عَلَيْهِ
كَلَامُ ذَهَبٍ. وَنَظَرَ إِلَى شَابٍ آخَرَ قَالَهُ عَلَى حَجَرٍ فَقَالَ: هَذَا حَجَرٌ
قَائِدٌ عَلَى حَجَرٍ. وَقَالَ أَرِسْطَاطَلِسُ: الْحَاجَةُ إِلَى الْقَتْلِ أَقْبَحُ مِنَ
الْحَاجَةِ إِلَى الْقَتْلِ. وَقَالَ: غَيْرُ مُحِبِّ الشَّرَفِ هُوَ الَّذِي يُتَعَبُ نَفْسُهُ
بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ. وَقَالَ سُقْرَاطُ: الْإِدَّةُ خِنَاقٌ مِنَ عَسَلٍ. وَرَأَى
سُقْرَاطُ طَبِيبًا جَائِلًا فَقَالَ: هَذَا مُسْتَحِثٌّ. يَعْنِي يُعْجَلُ بَيْنَ يُعَالَجُ إِلَى
الْمَوْتِ. وَقِيلَ لِبَعْضِ تَلَامِيذِهِ: قَدْ مَاتَ أَسْتَاذُكَ. فَقَالَ: أَلَوْخُ لِي

لَمَّا ضَاعَ مِنْ عَقْلِي

(قَالَ الشَّيْخُ) وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فِي كَلَامِ الْعَجَمِ
وَلَا سِيَّامَا فِي عُلَمَائِهِمْ وَوُزَرَانِهِمْ الَّذِينَ أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مُخْرَجَ التَّوْقِيعِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَا يُحْكَمُ أَنَّ أَنْوِشِرَوَانَ وَقَعَ فِي وَلَايَةِ الْخَرَجِ: الْخَرَجُ
عُمُودُ الْمَلِكِ وَمَا اسْتَنْزَدَ بِمَثَلِ الْجَوْدِ وَلَا اسْتَفْزَرَ بِمَثَلِ الْعَدْلِ. وَوَقَعَ
أَيْضًا فِي رُفْعَةِ رَجُلٍ وَكَيْلِ لَهُ أَمْرُهُ بِنَاءِ قَصْرِ فَأَخْرَجَهُ: أَنْتَ مَا شِ
وَالْأَيَّامُ رَاكِضَةٌ وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ قِتْرٌ. (قَالَ الشَّيْخُ) وَآيَاتُ
الشَّعْرِ كَثُرَتْ أَمْثَالُ الْعَرَبِ وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ. وَأَنَّ
كَانَ فِي غَيْرِ الْعَرَبِ الشَّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الْوَقْتِ فَلِلْفَرَسِ أَمْثَالُ
لَا تُضْبَطُ كَثْرَةُ وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَمْثَالُ دُونَ الْفَرَسِ. وَكَانَ أَفْلَاطُونُ
بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ وَيَقُولُ فِي ذِمَّتِهِ: إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ
وَالْمُزَوَّنُ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ. فَأَمَّا الْفَرَسُ فَنَحْنُ مَشْهُورٌ أَخْبَارِهِمْ وَذِكْرُ
حُرُوفِهِمْ أَمْثَالُ كَانَتْ تُدَوَّنُ وَتُحْلَدُ فِي الْخَرَائِنِ الَّتِي كَانَتْ يُبَوِّتُ
الْحِكْمَةُ ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا مَعَ دَرَسِ كَلَامِهِمْ وَبَقِيَ مِنْ أَمْثَالِ
الْعَرَبِ السَّوَابِرُ مِنَ الْأَمْثَالِ النَّجْوَى عَلَى أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ. وَحَكَى
أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْلٍ
الْبَاهِلِيِّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مَثَلٍ عَرَبِيٍّ بَعْضُهَا فِي الْجُلُودِ وَبَعْضُهَا فِي
الْفُطَيْنِ وَبَعْضُهَا فِي الْفَرَطِاسِ فَتَقَرَّرَتْ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ
بِكَثْرَةِ الْأَمْثَالِ... وَمِنْ تَوَقُّعَاتِ الْعَجَمِ تَوَقُّعُ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكٍ
وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ يَحْطُوا قَوَقَمُوا إِلَيْهِ قِصَّةٌ يَشْكُونُ ذَلِكَ فَوَقَعَ

إِلَى صَاحِبِ بَيْتِ أَمَّالٍ : إِذَا فُحِطَ الظُّرُجَادَتِ مَحَابِبُ أَمَّالِكَ . فَفَرَّقَ
 فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَاتَهُمْ . وَشَكِي مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى قُبَادَ بْنِ كِنَرَى
 فَوَقَّعَ لِيَكُنْ بِنَا أَلْبَدُ لِلرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ قَارِي وَرَأْيَاهُمْ فِي
 نَفْعِ ذَلِكَ مُسْتَوُونَ . وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ الْخَاصَّةِ كِنَرَى بْنَ قُبَادَ
 بِمَدْحٍ أَطْلَبَ فِيهِ وَأَنْسَبَ وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ وَكَانَ أَلْدَحُ فِي
 رُفْعَةٍ . فَوَقَّعَ فِيهَا كِنَرَى إِيَّايَ لِلْمَدْحِ مُسْتَضْفِرٌ لِيَلْبِي بِأَشْيَاءَ قَدْ
 مُدِحَتْ وَكَانَتْ بِأَن تَذُمَّ مَحْقُوقَةٌ . وَوَقَّعَ أَبُو شِرْوَانَ فِي رُفْعَةٍ
 مُنْتَصَحٍ : ثَمَرَاتُ النَّصَاحِ شُكْرُ الْجَوَارِحِ وَخَرَجَ التَّوَقُّعُ إِلَى وَزِيرٍ
 لَهُ أَمَرَ لَهُ بِجَازِيَةٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ جَعَلْنَا إِلَى شُكْرِ اللِّسَانِ
 شُكْرَ الْيَدِ وَهُوَ الْبَذْلُ . وَوَقَّعَ كِنَرَى فِي رُفْعَةٍ رَجُلٌ سَأَلَهُ فِيهَا
 أَلْتَقَلَّ عَنْ صِنَاعَتِهِ إِلَى صِنَاعَةِ غَيْرِهَا وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ خَسِيسَةً فَأَخْتَارَ
 صِنَاعَةً رَفِيعَةً فَوَقَّعَ فِي رُفْعَتِهِ : أَنَا حَامِلٌ لِلرَّعِيَّةِ عَلَى لُزُومٍ مَثَرَتِهِمْ
 وَصَانِعُهُمْ وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يُحْمَلُ عَلَى اللُّزُومِ لَهَا

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ جَمْعُ أَلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ فِي أَلْفَاظِ الْبَسِيطَةِ
 فَقَدْ سُئِلَ خَلْفُ الْأَحْمَرُ فَقِيلَ لَهُ : مَا تَنَازَرَى فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةً
 مَعَانٍ . فَقَالَ : إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَةٌ وَأَلْمَعَانِي أَمْتَةٌ فَرُبَّمَا
 جُعِلَتْ ضَرْبٌ مِنَ الْأَمْتَةِ فِي وَعَاءٍ وَاجِدٍ ... وَحُكِيَ عَنْ جَعْفَرِ
 ابْنِ يَحْيَى وَكَانَ قَرِيبَ دَهْرِهِ بَلَاغَةً فِي الْمَكَاتِبَةِ وَجُودَةً لِسَانٍ فِي
 الْحَاطَةِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْإِيحَاذُ كَافِيَا كَانَ التَّطْوِيلُ عِيًّا وَإِنْ كَانَ
 التَّطْوِيلُ وَاجِبًا كَانَ التَّنْصِيدُ عَجْزًا . وَحُكِيَ أَلْفُضْلُ قَالَ : قُلْتُ

لَا عَرَابِي: مَا الْبَلَاغَةُ. فَقَالَ: لَا يَحْكَزُ مِنْ غَيْرِ عَجْرٍ وَالْأَطْلَابُ فِي غَيْرِ
 حَظْلٍ. وَوَصَفَ الْجَاهِظُ بِحَيٍّ بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ: كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا
 يَسْتَدْعِي مَعْنَى مِنْ بُعْدٍ. قَالُوا: وَالْيَلِيقُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي تَكُونُ
 الْأَلْفَاظُ عِنْدَهُ عَزِيزَةً وَالْعَلَامِي فِي نَفْسِهِ جَمَّةٌ كَثِيرَةٌ. وَقَالُوا:
 وَتَحْصُرُ الْبَلَاغَةُ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ: حَالًا يَخْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي
 الْعَلَامِي مِنْ أَجْلِهَا. وَحَالًا يَخْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْأَلْفَاظِ. وَحَالًا مُرَكَّبَةٌ
 مِنَ الْأَلْفَاظِ. وَالْعَلَامِي وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِأَنْسِبِهَا.
 وَلِلْبَلَاغَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا. أَحَدُهَا الْمُسَاوَاةُ وَهِيَ
 أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالِبِ لِلْمَعْنَى لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَقْصُرُ مِنْهُ.
 وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَارًا بِهِ إِلَى الْمَعْنَى بِالنَّحْوِ
 الدَّلَالَةِ. وَالثَّلَاثُ التَّبْدِيلُ وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاظِ الْمُسَاوَاةِ عَلَى الْمَعْنَى
 الْوَاحِدِ بَعْضُهُ حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ.
 وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ مَوْطِنٌ يَلِيقُ بِهِ وَوَقْتُ لَا يَضِلُّ
 فِيهِ غَيْرُهُ وَسَادُّ رُؤُوسِهَا صَدْدًا مِنَ الْقُصُولِ الْقَصَارِ مِنْ كَلَامِ
 الْأَعْرَبِ وَغَيْرِهِمْ بِمَا يَتَضَمَّنُ الْمَقَرَّ الْخُتَارَةَ وَالْعَلَامِي الْجَمْعُوعَةَ بِاللَّفْظِ
 فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجْنِسُهُ. وَكَقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِتَّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ نَوَّزَنَ كُلُّ
 سَلَكَةٍ وَهِيَ: الْأَوَّلَى قَوْلُهُ: قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُجْنِسُهُ. الثَّانِيَةُ:
 النَّاسُ أَعْدَاءُ إِلَّا جَاهَلُوا. الثَّالِثَةُ: لِسَانُكَ يَنْتَضِيكَ مَا عَوَّدَتْهُ.

الرَّابِعَةُ: رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَهُ. الْخَامِسَةُ: لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا
يُطَاعُ. السَّادِسَةُ: أَلْمَزَ تَحْبُوهُ تَحْتَ لِسَانِهِ. وَوَنَهَا قَوْلُهُمُ الشَّعْرُ مِيزَانُ
الْقَوْمِ وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ. وَقَوْلُ عُمَرَ: هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا
وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِعَظْمِهِ. وَقَوْلُهُمُ: السَّعِيدُ مَنْ كَفِيَ. وَقَوْلُهُمُ:
إِيَّاكَ وَمَا تَقْتَدِرُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُمُ: رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ. رَبِّ مَلُومٍ
غَيْرُ مُلِيمٍ. رَبِّمَا قَتَلَ الْبَلِيعَ إِسَانُهُ. أَمِيزُونَ غُنَّانُ الْقُلُوبِ. الْقُلُوبُ
أَبْصَرُ مِنَ الْعُيُونِ. مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ. وَقَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ
وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حَضَرٍ قَرِيبٍ فَقَالَ: يُخْضِرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا.
وَقَالَ آخَرُ: يَسْبِقُ الطَّرْفُ وَيَسْتَعْرِقُ الْوُضْفُ. عُوْجُ اللَّبْكَانِ طَوْعُ
الْعَنَانِ كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَورُ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُودٍ. وَقَوْلُهُمُ: الْفِكَرَةُ نَحْ
الْعَمَلِ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ إِنَّكَ لَتُحْسِنُ الْكُدِّيَّةَ. فَقَالَ: ذَاكَ غُنَّانُ
نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي. وَقَوْلُهُمُ: حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ اسْتِمَاعِهِ. دَلَّ الشَّرُّ عَلَى
نَفْسِهِ. الْبَادِي أَظْلَمُ. حِفْظُ الوجودِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ الْفَقْدِ.
مَنْ عَزَّ بَرًّا. سَرَّكَ مِنْ دَمِكَ غَمٌّ سَلِمٌ. سَيْلَ رَجُلٍ رَكِبَ الْبَحْرَ
عَنْ عَجَبٍ مَا رَأَى فَقَالَ: سَلَامَتِي. أَلَمَلْتُ شُكْرُ الضَّعِيفِ. الصَّدِيقُ
يَصْدُقُ وَالْعَدُوُّ يَتَمَلَّقُ. اقْضِ دُيُونَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِاللِّسَانِ قَبْلَ
قُدْرَةِ الْإِمْكَانِ. مَنْ وَاسَكَكَ فِي الْإِغَاءِ خَذَلَكَ فِي الْإِبْلَاءِ. عَجَبًا لِخَيْرِ
الْمَدْحِ: أَلْتَرَوْكَ وَالشَّرَّ: أَلْتَدُمُومَ الْفَعُولِ. مَنْ تَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ
مَنْ أَسَاءَ اسْتَوْحَشَ. سَاعَاتُ اللَّذَّةِ هِيَ سَاعَاتُ الْفَقْلَةِ. (قَالَ
السَّخِيُّ) هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ اللَّذَّةُ خَنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ. عِنْدَ صَفْوِ

أَلْعَيْشُ يَسْكُدُّ. أَلْمُرِيبُ يُخِيفُ. أَلْمُحْبُوبُ مَذْكُورٌ. مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
سُكْرٌ. صَدِيقُ الرَّجُلِ عَمَلُهُ وَعَدْوُهُ جَهْلُهُ. (قَالَ السَّخِيُّ) وَيُشَلُّ هَذَا قَوْلُ
أَرِسْطَاطَلِسَ فِي مَا يَرُدُّ أَفْلَاطُونُ : إِنْ كَانَ أَفْلَاطُونُ لَنَا صَدِيقًا
فَأَلْحَقْتُ أَصَدَقَ لَنَا مِنْهُ

وَمِنْ أَلْفُصُولِ أَلْكِتَابِيَّةِ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي مَحْيُ ذِكْرُكَ. وَلِسَانِي
خَادِمُ شُكْرِي وَكَتَبَ آخَرُ : فَلَانُ أَذَلُّ مِنْ شَاهِدِ دُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ
لَهُ. وَقَالَ آخَرُ : أَلْإِسْطِطَالَةُ لِسَانُ أَلْجَهَالَةِ. وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ :
أَعْلَمْ أَنَّ أَلنَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَ لَكَ أَخْلَفَ وَنَسَكَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ أَلْبَلَاغَةِ وَإِنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ يَلْبِغُ : إِنِّي
لَأَكْرَهُ أَنْ يُطَوَّلَ لِسَانُهُ. وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ أَلْفِعَالِ عَلَى أَلْقَالِ مَكْرُومَةٌ.
وَفَضْلُ أَلْقَالِ عَلَى أَلْفِعَالِ خَدِيعَةٌ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : تَرَكْتُ أَلشُّكْرَ
كَفَرْتُ أَلنِّعَمَةَ. وَقَالَ آخَرُ : أَلشُّكْرُ نَسِيمُ أَلنِّعَمَةِ. أَلْهَيْبَةُ خَيْبَةٌ وَأَلْحَيَاءُ
جِرْمَانٌ. أَلْحِكْمَةُ ضَالَّةُ أَلْمُؤْمِنِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ يَوْمًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ
أَلْحَسَنِ إِنِّي لَأَجِبُكَ. فَقَالَ : رَأَيْدُ ذَلِكَ مَعِيَ. قَرَأْتُ فِي فَضْلِ
لِسَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ : نَحْنُ فِي زَمَانِ أَلْمَعْرُوفِ فِيهِ زَلُّ وَأَلصَّوَابُ فِيهِ
خَطْلٌ وَأَلْإِنْعَامُ مَثَلٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَلْبَلَّغَاءِ : قَدْ رَخَّصَتِ أَلضَّرُورَةُ
فِي أَلْإِتْلَاحِ. أَرْجُو أَنَّ أَلنَّظَرَ كَمَا أَحْسَنْتَ أَلْإِتِّبَارَ. وَقَالَ
أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : لِسَانُ أَلْخَالِ أَفْقَحُ مِنْ لِسَانِ أَلشُّكْوَى. وَكَتَبَ
آخَرُ : أَشْكُرُ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعِمَ عَلَيَّ مِنْ شُكْرِكَ. وَكَتَبَ
آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتِي مِنْ ضَعْفِ سَبَبٍ فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْكَ

حَيَّةٌ أَمَلِ أَوْ عُدُولًا عَنِ انْعِتَارِ ذَلِكَ أَوْ قُتُورًا عَنْ لَمْ شَعَثَ وَإِصْلَاحِ
 خَلَلِهِ . كَتَبَ آخَرُ : أَنَا أَسْأَلُ الَّذِي رَحِمَ الْعِبَادَ بِكَ عَلَى حِينِ
 انْقِطَاعِهِمْ إِلَيْكَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ فَلَا يُعِيدُهُمْ إِلَى الْكَارِهِ
 الَّتِي اسْتَفْتَدَهُمْ مِنْهَا بِسَيْدِكَ . وَقَالَ أَحْسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِي
 رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْ لِي . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهْبُهُ لِمَنْ بِهِ قَدِرْتُ عَلَيْهِ .
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ : الْقَلَمُ يُحَوِّكُ وَنَحْيُ الْمَلَائِكَةِ . وَنَظَرَ إِلَى
 خَطِّ بَعْضِ كُتَاتِهِ فَلَمْ يَرْضَهُ فَقَالَ : نَحُوا هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيَّانِ
 فَلَا تَهْ عَلِيلُ الْخَطِّ وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ : الْخَطُّ لِسَانُ الْيَدِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَطْلُ
 الْقَرِيمِ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِ الْكَرِيمِ . وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مَنْ حُقِيقَ
 النُّبْلِ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ وَتُنْصِفَ
 مَنْ هُوَ مِثْلَكَ وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ



الفصل التاسع

في اجناس الخطابة الثلاثة

البحث الاول

في تقسيم الخطب الى ثلاثة اجناس

(من كتاب تعريف خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(راجع الصفحة ١٣٤ من الجزء الثاني من علم الادب)

قَدْ تَوَجَّدَ أَجْنَاسُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْظُرُ فِيهَا الْخَطَابَةُ مِنَ الْأُمُورِ
الْإِرَادِيَّةِ ثَلَاثَةً كَمَا يُوجَدُ عَدَدُ أَصْنَافِ السَّامِعِينَ لِلْقَوْلِ الْخَطْبِيِّ
ثَلَاثَةً. وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ قَائِلٍ وَهُوَ الْخَطِيبُ
وَمِنْ مَقُولٍ فِيهِ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ الْقَوْلُ وَمِنْ الَّذِينَ يُوجَّهُ
إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ وَهُمْ السَّامِعُونَ. وَالْمَايَةُ بِالْقَوْلِ إِنَّمَا هِيَ مُتَوَجَّهَةٌ نَحْوَ
هَؤُلَاءِ السَّامِعِينَ. وَالسَّامِعُونَ لَا مَحَاةَ إِمَامًا مُسَاطِرًا وَإِمَامًا حَاكِمًا وَإِمَامًا
الْقَصُودُ إِقْنَاعُهُ. وَالْحَاكِمُ إِمَامًا أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ
وَهِيَ النَّافِعَةُ وَالضَّارَّةُ. وَإِمَامًا فِي الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ سَكَتَتْ. وَالْأُمُورُ
الَّتِي قَدْ سَكَتَتْ مِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ وَتِلْكَ هِيَ
الْقَضَائِلُ وَالرَّذَائِلُ وَمِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ بَلْ مِنْ
إِنْسَانٍ آخَرَ وَهُوَ الْجُبُورُ وَالْعَدْلُ. وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ هُوَ

الرَّئِيسُ وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ هُوَ الَّذِي يَنْصِبُهُ الرَّئِيسُ (مِثْلُ
الْقَاضِي فِي مَدِينَتِنَا هَذِهِ وَهِيَ مَدُنُ الْإِسْلَامِ) . وَأَمَّا الْمُنَاطِرُ فَلَا تَمَّا
يُنَاطِرُ بِقُوَّةِ الْمَلَكَةِ الْخَطِيئَةِ فَلَا أَنْجَاسَ الْقَوْلِ الْخَطِيئَةِ ثَلَاثَةٌ
مَشُورِيٌّ وَمُشَاجِرِيٌّ وَتَنْبِيئِيٌّ

فَأَمَّا الصَّيِّدُ الْمَشُورِيٌّ فَهُوَ إِذْنٌ وَمِنْهُ مَنَعٌ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ
يُشِيرُ إِمَّا عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِمَا يَحْضُرُهُ أَوْ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ بِمَا يَعْهَدُهُمْ فَلَا تَمَّا يُشِيرُ أَبَدًا يَقُولُ هُوَ إِذْنٌ أَوْ مَنَعٌ . وَأَمَّا
الْقَوْلُ الْمُشَاجِرِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ شِكَايَةٌ وَتَشْكِيٌّ مِنَ الشِّكَايَةِ .
وَأَمَّا الْقَوْلُ التَّنْبِيئِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ إِمَّا مَدْحٌ وَإِمَّا ذَمٌّ وَالزَّمَانُ
الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْمُسْتَقْبَلُ لِأَنَّهُ لَا تَمَّا يُشِيرُ
إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ بِأَشْيَاءٍ مَعْدُومَةٍ . وَالزَّمَانُ الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ
الْمُشَاجِرِيَّةِ هُوَ الزَّمَانُ الْمَاضِي لِأَنَّهُ لَا تَمَّا يُتَشَكَّى مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
قَدْ وَقَعَتْ وَإِنْ تُشَكَّى مِنْ أُمُورٍ تُتَوَقَّعُ مِنَ الْمَشْكِيِّ بِهِ فَلَا تَمَّا
تِلْكَ شِكَايَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِشَارَةِ بِالذَّافِعِ فِي ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَدْ
يَعْرَضُ أَنْ تَكُونَ الْمُسُودَةُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ لَكِنْ مِنْ
جِهَةٍ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْهَا فَتَمَّا كَانَتْ الشَّكْوَى فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا مِنْ
أَجْلِ غَيْرِهِ فَلَا تَمَّا تَكُونُ أَبَدًا فِي الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ . وَأَمَّا
الْأَشْيَاءُ التَّنْبِيئِيَّةُ فَلَا تَمَّا أَوَّلَى الْأَزْمَنَةِ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْخَاضِرُ الْغَنِي
الْقَرِيبُ مِنَ الْآنِ فَلَا تَمَّا النَّاسَ إِنَّمَا يُمَدِّحُونَ وَيُذَمُّونَ بِالْأَشْيَاءِ
الْمَوْجُودَةِ فِي حِينِ الْمَدْحِ وَحِينِ الذَّمِّ فِي الْمَدْحِ وَالْمَذْمُومِ وَرُبَّمَا

مُدِحَ بَعْضُهُمْ عَلَى طَرِيقِ أُجْلِيَةٍ فِي اسْتِكْثَارِ فَضَائِلِ الْمُدُوحِ
وَمَذَامِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ حَدُوثُهَا مِنْهُ أَوْ يُرْتَجَى حَدُوثُهَا مِنْهُ
فَيَحْطِطُونَ مَعَ الْمَذْحِ الْإِشَارَةَ عَلَى الْمُدُوحِ بِفِعْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ

البحث الثاني

في غايات الاجناس الخطبية الثلاثة وانواع مقدماتها

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْغَايَاتُ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فَهِيَ ثَلَاثُ غَايَاتٍ لَهُنَّ
الثَّلَاثَةُ الْأَقَاوِيلُ أَمَّا الْقَوْلُ الْمُبْشِرُ فغَايَتُهُ النَّفَعُ وَالضَّارُّ فَإِنَّ الَّذِي
يُبْشِرُ فَإِنَّمَا يَأْذُنُ فِي النَّفَعِ أَوْ فِي الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ وَيَنْتَعِ مِنْ الضَّارِّ
أَوْ مِنَ الَّذِي هُوَ أَضَرُّ. وَلَمَّا الْقَوْلُ الْمُسَاجِرِيُّ فغَايَتُهُ الْعَدْلُ وَالْجَوْرُ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمُبْتِغِي فغَايَتُهُ الْقُضِيَّةُ وَالرَّذِيَّةُ وَإِنْ اسْتَعْمَلَ وَاحِدٌ مِنْ
هَذِهِ غَايَةٍ صَاحِبِهِ فَلَيْسَ عَلَى الْقَضْدِ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ أَجْلِ الْغَايَةِ
الْخَاصَّةِ بِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُبْشِرَ قَدْ يُنْفَعُ أَنَّ هَذَا عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
يُبْشِرُ بِالْإِذْنِ فِيمَا يَكُونُ عَنِ الْعَدْلِ مِنَ النِّفْعَةِ وَبِالنِّفْعِ عَنِ مَا
يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْجَوْرِ لِمَا فِي الْجَوْرِ مِنَ الْمَضَرَّةِ الَّتِي تُسَوِّغُ.
وَكَذَلِكَ قَدْ اسْتَعْمَلَ الْقُضِيَّةُ وَالرَّذِيَّةُ أَغْنَى مِنْ جِهَةٍ مَا يُلْقِيهَا مِنَ
النِّفَعِ وَالضَّارِّ. وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْغَايَاتُ ثَلَاثُ تَحْصُلُ كُلُّ وَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ أَغْنَى مِنْ جِهَةٍ مَا هِيَ غَايَاتُ عَلَى
الْقَضْدِ الْأَوَّلِ فَالْحُدُودُ الْمُبْتَدِئَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ

اَلثَّلَاثَةُ اِنَّمَا تَكُونُ اَلْفُضُولُ اَلْمُعْطَاةُ فِيهَا مِنْ قَبْلِ هَذِهِ اَلْعَلَايَاتِ .
 وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى اَنَّ هَذِهِ اَلْعَلَايَاتِ هِيَ خَاصَّةٌ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ اَلْاَجْنَاسِ اَلثَّلَاثَةِ مِنْ اَلْاَقَاوِيلِ اَنَّهُ اِذَا اَقْتَعَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا
 فِي غَايَةِ اَلْخَلْسِ اَلْآخِرِ رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُنَاطِرِ فِي ذَلِكَ مُعَاَسَرَةٌ
 وَمُشَاكَاةٌ بَلْ كَثِيرًا مَا يُسَلِّمُ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ غَايَةُ
 ذَلِكَ اَلْقَوْلُ اَلَّتِي نَحْنُ فِيهَا . مِثَالُ ذَلِكَ اَنَّ اَلْمُدَّعِي اِذَا ادَّعَى اَنَّ فُلَانًا
 اَخَذَ اَلْمَالُ مِنْ فُلَانٍ وَذَلِكَ لَا شَكَّ ضَرَّرَ بِهِ قَرِيبًا يُسَلِّمُ لَهُ اَلْخُصْمُ
 اَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ اَنَّ اَخَذَهُ اَلْمَالُ مِنْهُ كَانَ عَلَى جِهَةِ
 اَلْجَوْرِ . وَكَذَلِكَ اَلْمُشِيرُ قَدْ يُسَلِّمُ اَنَّ اَلْفِعْلَ اَلْمُمْكِنَ جَوْرٌ وَلَا
 يُسَلِّمُ اَنَّهُ ضَارٌّ وَلِكَاِنْ تَدَاخَلَ هَذِهِ اَلْعَلَايَاتُ يَغْرِضُ اَلْمُشِيرِينَ
 كَثِيرًا اَنَّ يُشِيرُوا بِأَشْيَاءَ ضَارَّةٍ عَلَى جِهَةِ اَلْمُعَاظَةِ مِنْ قَبْلِ اَنَّهَُا
 عَدْلٌ اَوْ اَنَّهُا لَيْسَتْ بِجَوْرٍ وَلَكِنْ لَا يُعْرِوْنَ بِأَنَّهُا ضَارَّةٌ بَلْ رُبَّمَا
 اُخْتَلَاوْا فِي دَعْوَى وَجُودِ اَلنَّفْعِ فِيهَا . مِثَالُ ذَلِكَ اَنَّهُمْ قَدْ يُشِيرُونَ
 بِاَلْحَبْرِ عَلَى اَلْمَوْتِ فِي اَلْحَرْبِ وَالْأُيُوفِ لِيَكُونَ اَلْفِرَارُ جَوْرًا فِي
 اَلشَّرِيعَةِ . وَكَذَلِكَ مَتَى قَهَرَ قَوْمٌ قَوْمًا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِمْ رُبَّمَا اَشَارَ
 اَلْمُشِيرُ عَلَيْهِمْ اَلَّا يَتَمَعَّضُوا لِذَلِكَ اَلْقَهْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَوْرًا وَرُبَّمَا اَوْقَمَ
 فِيهِ اَنَّهُ غَيْرُ ضَارٍّ لَهُمْ . وَكَذَلِكَ اَلْمَادِحُ قَدْ يُسَلِّمُ اَنَّ الشَّيْءَ ضَارٌّ وَلَكِنْ
 يَدَّعِي اَنَّهُ قُضِيَّةٌ وَمِثْلُ مَنْ يُخْلَصُ اِنْسَانًا مِنْ اَلْمَوْتِ وَيَعْلَمُ اَنَّهُ
 يَمُوتُ بِتَخْلِيصِهِ ذَلِكَ اَلْاِنْسَانُ . فَأَمَّا اَلْمَوْتُ يُسَلِّمُ اَلْخُصْمُ اَنَّهُ ضَارٌّ
 وَلَكِنْ يَرَى اَنَّهُ قُضِيَّةٌ . وَكَذَلِكَ رُبَّمَا مَدَحَ بِالرَّذِيَّةِ عَلَى جِهَتِهِ

الْمَغَالِطَةُ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا نَافِعَةٌ لَكِنْ لَا يُعَيَّرُ أَنَّهَا رَفِيفَةٌ بَلْ يَدْعِي
 فِيهَا أَنَّهَا قُضِيَّةٌ مَا لِمَكَانِ النَّفْعِ الَّذِي فِيهَا قَادِرٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ
 هَذِهِ الْمُخْطِطَاتِ قَدْ تَسْتَعِيلُ غَايَةَ صَاحِبَتِهَا بِالْعَرَضِ وَلِذَلِكَ لَا
 تُشَارِكُ فِيهَا وَتُشَارِكُ وَلَا بُدَّ فِي غَايَتِهَا. وَإِذَا اسْتَعْمِلْتَ الْوَاحِدَةَ
 غَايَةَ صَاحِبَتِهَا فَعَلَى جِهَةِ الْمَغَالِطَةِ . (نَالَ) وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ
 قِيَاسِيَّةً مَعْلُومٌ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيهَا مُقَدِّمَاتٌ وَمُقَدِّمَاتُهَا هِيَ
 الثَّلَاثُ الَّتِي وَصَفْنَا: الْمُحْمُودَاتِ وَالْأَدْلَائِلُ وَالْعَلَامَاتُ. وَذَلِكَ أَنَّ
 الْقِيَاسَ الْمَطْلُوقَ يَكُونُ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمَطْلُوقَةِ وَالْقِيَاسَ الْخَاصَّ
 بِصِنَاعَةٍ صِنَاعَةً يَكُونُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ خَاصَّةٍ. وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّيِّدُ
 قِيَاسًا يَأْتِلِفُ مِنْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَلِأَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
 يُشِيرُ بِهِ يَحْتَاجُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ أَمْرِهِ أَوَّلًا أَنَّهُ مُمَكِّنٌ لِأَنَّ الْأُمُورَ
 الْغَيْرَ الْمُمَكِّنَةَ لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ تُفْعَلَ لَا فِي الْخَاضِرِ وَلَا فِي
 الْمُسْتَقْبَلِ. وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ فِي الْجَنَسَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ مِنْ أَجْنَسِ هَذِهِ
 الصِّنَاعَةِ أَغْنِي أَنْ نَعَيِّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ كَانَ وَوَقَعَ أَغْنِي الْجَنَسَ
 التَّثْنِيَّتِي وَالْجَنَسَ الْأَشْجَرِيَّ. قَادِرٌ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَنْ
 تَكُونَ عِنْدَهُ مُقَدِّمَاتٌ يُقْبَعُ بِهَا فِي أَنْ الْأَمْرَ مُمَكِّنٌ أَوْ غَيْرَ مُمَكِّنٍ
 وَفِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ سِوَى الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا تِلْكَ
 الْغَايَاتِ الثَّلَاثَ. ثُمَّ أَيْضًا لَمَّا كَانَ الْمُخْطِطَاءُ لَيْسَ يَقْتَصِرُونَ عَلَى
 الْقَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْإِذْنِ وَالنَّعْرِ وَالشِّكَايَةِ وَالْإِعْتِدَارِ بَلْ يَسْكَكُونَ
 مَعَ هَذَا أَنْ يُثْبِتُوا أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ

شَرِيفٌ أَوْ حَسِيسٌ وَلَا يَلِيقُ أَوْ غَيْرُ لَا يَلِيقُ وَذَلِكَ إِمَّا عَلَى الْأَطْلَاقِ
وَأِمَّا بِالْمُقَابِلَةِ أَنْبَى أَنَّهُ أَعْظَمُ وَأَشْرَفُ أَوْ بِالضِدِّ فَعُلُومٌ أَنَّهُ يَنْبَغِي
أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الْخَطَاءِ مُقَدَّمَاتٌ يُثْبِتُونَ بِهَا أَنَّ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ
عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ وَحَسِيسٌ أَوْ شَرِيفٌ وَلَا يَلِيقُ بِالْمُسُوبِ إِلَيْهِ أَوْ غَيْرُ
لَا يَلِيقُ فَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي تَسْتَعِيهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ

البحث الثالث

في مقدمات الجنس المشوري

(من الكتاب نفسه)

وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ تَبْتَدِيَ بِتَعْدِيدِ الْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي تَحْصُرُ
غَرَضًا غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ الثَّلَاثَةِ وَتَجْعَلَ الْكَلَامَ أَوَّلًا فِي تَعْدِيدِ
الْمُقَدَّمَاتِ الْمَشُورِيَةِ ثُمَّ ثَانِيًا فِي التَّشْيِيسَةِ ثُمَّ ثَالِثًا فِي الْمُسَاجَرَةِ
فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ أَنْ تَنْظُرَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ
بِهَا مَا هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي يُشَارُ بِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ تَكُونَ الْمَشُورَةُ فِي كُلِّ
خَيْرٍ لَكِنْ فِي الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ
فَأَمَّا الْخَيْرَاتُ الَّتِي كَوْنُهَا أَوْ لَا كَوْنُهَا مِنَ الْأَضْطِرَارِ فَلَيْسَ تَكُونَ
فِيهَا مَشُورَةٌ وَلَا أَيْضًا الْمَشُورَةُ تَكُونَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الْمُمْكِنَةِ
فَإِنَّ هَاهُنَا خَيْرَاتٍ مُمَكِّنَةً وَجُودَهَا عَنِ الطَّبِيعَةِ بَلْ فِي الْخَيْرَاتِ
الْمُمْكِنَةِ الَّتِي إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ وَهِيَ الْأَشْيَاءُ

أَلَّتِي بَدَأَ كَوْنَهَا مِنْ قَبْلِ الْأَخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ . وَمِنْ هُنَا فَيَا كَانَ
وُجُودُهُ أَوْ لَا وَجُودُهُ تَابِعًا لِوُجُودِنَا وَأَفْعَالِنَا عَلَى الْأَكْثَرِ وَأَمَّا مَا
كَانَ مِنْهَا يَعْزُضُ عَنِ الرَّوْيَةِ بِالْإِتْفَاقِ وَأَقَلِّ ذَلِكَ فَلَيْسَتْ هِيَ فِي
الْأَكْثَرِ مِمَّا يُشَارُ بِهَا إِلَّا حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوْجَدَ الْجُلُوسُ الْآخَرُ
وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ الْإِنْسَانَ
إِنَّمَا يَنْظُرُ أَوْ لَا هَلْ الْأَمْرُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ مُمَكِّنٌ ثُمَّ إِنْ
كَانَ مُمَكِّنًا بِأَيِّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ شَرَعَ فِي السَّعْيِ
فِيهِ وَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ حَلَّى عَنْهُ . وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي بِهَا نُشِيرُ
هِيَ الَّتِي فِيهَا نَزَوِي . فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي نُشِيرُ
بِهِ وَفِي أَيِّ الْأَشْيَاءِ يَكُونُ وَالْأُمُورُ الْإِرَادِيَّةُ الَّتِي مَبْدَأُ وَجُودِهَا وَنَاقِضُهَا
لَا الْأُمُورُ الْأَضْطِرَّارِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ لِنَا وَجُودُهَا وَإِعْطَاءُ الْفَرْقِ الثَّلَاثِ
بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْإِرَادِيَّةِ وَغَيْرِ الْإِرَادِيَّةِ وَتَضَحُّجُ عَدَدِ أَنْوَاعِهَا وَمَعْرِفَةُ
مَاهِيَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى أَقْصَى مَا فِي طَبَاعِهَا أَنْ تُعْلَمَ قَلِيلٌ مِنْ
شَيْءٍ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ أَنْ تَبْلُغَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ الْإِرَادِيَّةِ وَلَكِنْ
ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ صِنَاعَةِ الْفَلَسَفَةِ الَّتِي لَهَا الْفَضْلُ عَلَى هَذِهِ فِي التَّصَوُّرِ
وَالْتَصَدِّيقِ وَالْمَقْدَمَاتِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِيهَا أَعَدْتُ وَأَصَحُّ مِنْ هَذِهِ .
وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا لَسْنَا تَكَلَّمُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَخْوَالِ
الذَّائِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهَا بِلَا الْأُمُورِ الْمَشْهُورَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ كَمَا وَصَفْنَا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ جَمِيعَ مَا
قُلْنَاهُ فِي أَجْزَاءِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ هُوَ حَقٌّ أَغْنَى أَنْهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ عِلْمِ

المنطقي ومن علم السياسة الحقيقية وأن فيها أشياء جديّة أو شبيهة
بالأشياء الجديّة. وأيضا سوفسطائية أو شبيهة بالسوفسطائية.
والأشياء التي في صنائع كثيرة إنما تكون أجزاء لصناعة واحدة
متى أخذ جميعها بالجهة والحال التي بها تكون تلك الأشياء
الكثيرة متعاقبة ونافعة في غرض تلك الصناعة الواحدة وطرح
منها الأحوال التي بها تختلف أعني الأشياء التي ليست تكون بها معيّنة
في غرض تلك الصناعة الواحدة. وإذا كان ذلك كذلك فالأشياء
الحقيقية إنما صارت جزءا من هذه الصناعة من حيث هي معدّة
نحو الكلام والخطابة وهي من صناعة السياسة من حيث هي أحد
الموجودات التي نقصد معرفتها وعلمها. والأشياء الجديّة
والسوفسطائية إنما صارت جزءا من هذه الصناعة من حيث أنه
الذي تستعمل فيها هذه الصناعة هو سابق المعرفة الأولى للإنسان
لأنه هو بعيد عن معرفة الجمهور مثل أنها إنما تستعمل من القياس
القياس المعروف عند الجمهور وهو التثمين والضمير وكذلك الحال
في الأمور السوفسطائية إنما تستعمل منها ما جرت العادة باستعماله
عند الجمهور مثل مواضع الإطلاقي والتقييد وغير ذلك بما يستعمله
بطبايعهم. الجمهور فهي إنما تخالف هذه مقدار النظر وقد خالف
أيضا مقدار النظر هذه الصناعة في الأمور الإرادية النظر الذي
للعلم السياسي فيما أتى أنها إنما تنظر في الأمور الإرادية النظر
الذي هو في سابق المعرفة للإنسان وتدع تقصي النظر في ذلك

لِلْعِلْمِ السِّيَاسِيِّ مِنْهَا. وَالْأُمُورُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا الْخَطِيبُ مِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ
عَلَى أَهْلِ مَدِينَةٍ بِأَسْرِهِمْ وَمِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ
تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ جَمَاعَةٍ

المبحث الرابع

في خمسة أمور يدور عليها البحث في النوع المشوري
وفي القياسات المختلفة بها

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) : فَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْمَشُورَةُ فِي
الْأُمُورِ الْعِطَامِ مِنْ أُمُورِ الْمَدْنِ فَعَبِي قَرِيبَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ
خَمْسَةً . أَحَدُهَا الْإِشَارَةُ بِالْعِدَّةِ الْمُدَّخَرَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِلْمَدِينَةِ .
وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلَمِ . وَالثَّالِثُ الْإِشَارَةُ بِحِفْظِ الْبَلَدِ
بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ . وَالرَّابِعُ الْإِشَارَةُ بِمَا يَدْخُلُ فِي الْبَلَدِ
وَيَخْرُجُ عَنْهُ . وَالْخَامِسُ الْإِشَارَةُ بِالْإِثْرَامِ السَّنِ . فَأَلْذِي يُشِيرُ بِالْعِدَّةِ
يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ ثَلَاثَةً أُمُورٍ أَحَدُهَا أَنْ يَعْرِفَ غَلَّاتِ الْمَدِينَةِ مَا
هِيَ أَعْيِي هَلْ هِيَ تَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَوْ مَعْدِنٌ أَوْ جَمِيعُ هَذِهِ أَوْ اثْنَانِ
مِنْهَا كَيْفَا إِنْ تَقَصَّ مِنَ الْفَاضِلِ مِنْهَا لِلْعِدَّةِ شَيْءٌ أَشَارَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا .
وَالثَّانِي أَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ تَقَعَّاتِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا . وَالثَّالِثُ أَنْ
يَعْرِفَ أَصْنَافَ النَّاسِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ فَإِنْ كَانَ فِيهَا إِنْسَانٌ بَهْلَالٌ

وَهُوَ الَّذِي لَا قِصَّةَ عِنْدَهُ أَوْ عَاطِلٌ وَهُوَ الَّذِي لَا صِاعَةَ لَهُ أَشَارَ
بِتَحْيِيَّتِهِ مِنَ الْبَلَدِ. وَإِنْ كَانَ هَذَا عَظِيمُ النَّفْعَاتِ فِي غَيْرِ الْجَبِيلِ أَوْ
غَيْرِ الضَّرُورِيِّ أَشَارَ بِأَخْذِ ذَلِكَ الْفَضْلِ مِنَ أَمَالٍ مِثْلِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ
يَكُونُ الْغِنَاءُ بِالْإِزَادَةِ فِي أَمَالٍ بَلْ وَبِالنَّقْصَانِ مِنَ النَّفْعَةِ وَلِذَلِكَ
قِيلَ: قَوْلُهُ الْعِيَالُ أَحَدُ الْإِسَارَيْنِ

(قَالَ) وَمِنْ الضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمِثْلُهَا
أَحَاجَةٌ إِلَيْهَا يَقِفُ الْخَطِيبُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ أَنْ يُشِيرَ بِهِ فِي وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. وَلَيْسَ يَحْتَاجُ عِنْدَ الْإِشَارَةِ بِالْإِزَادَةِ فِي
أَثْبَاتٍ أَنْ يَكُونَ فَلَا حَاجَةَ وَلَا فِي الْخِيَانَةِ أَنْ يَكُونَ دَائِعًا لَكِنْ
يَكْفِيهِ فِي ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ بِعَقْدَارِ أَحَاجَةٍ إِلَيْهَا لَكِنْ يَحْتَاجُ مَعَ هَذَا
أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالسَّيْرِ الْمَتَقَدِّمَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَا عِنْدَ النَّاسِ
فِيهَا. وَأَمَّا الْمَشِيرُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلْمِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ قُوَّةَ مَنْ
يُحَارِبُ وَقُوَّةَ مَنْ يُحَارَبُ وَمِثْلُ الْأَمْرِ الَّذِي يُنَالُ بِالْحِمَاةِ هَلْ هُوَ
يَسِيرٌ أَوْ عَظِيمٌ وَحَالُ الْمَدِينَةِ فِي وَثَاقَتِهَا وَحَصَانَتِهَا وَصَفْوَةُ أَهْلِهَا
وَقُوَّتِهِمْ. وَفِي صَغَرِ الْمَدِينَةِ أَوْ فِي عَظَمَتِهَا أَعْنِي هَلْ مِثْلُهَا أَوْ مِثْلُهَا
مَنْ يَسْتَطِيعُ الْحِمَاةَ أَمْ لَيْسَ مِثْلُهَا ذَلِكَ الْمِثْلُ. وَهَلْ هُمْ
بِصِفَةٍ مَنْ تَمَكَّنَتْهُمْ الْحِمَاةُ أَمْ لَيْسَ هُمْ. وَأَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ شَيْئًا
مِنَ الْحُرُوبِ الْمَتَقَدِّمَةِ لِيَصِفَ لَهُمْ كَيْفَ يُحَارِبُوا إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ
بِالْحَرْبِ وَيَهْوَنَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْحَرْبِ. أَوْ يَعْرِفَهُمْ بِنَا فِي الْحَرْبِ مِنْ
مَكْرُوهِه إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ الْحَرْبِ. وَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ لَيْسَ

حَالُ أَهْلِ مَدِينَتِهِ قَطُّ بَلْ وَحَالَ مَنْ فِي تَحْوِيهِ وَتَغْوِيهِ أَغْنَى كَيْفَ
 حَالُهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحَالُهُمْ مَعَ عَدُوِّهِمْ فِي الظُّغْرِ بِهِ أَوْ التَّخْزِ
 عَنْهُ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ هَاهُنَا مُعْتَمَلَاتٍ نَافِعَةً فِي الْإِسَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالْحَرْبِ
 أَوْ السَّلَامِ. وَيَحْتَاجُ مَعَ هَذَا أَنْ يَعْلَمَ الْحُرُوبَ الْجَيِّسَةَ مِنَ الْحُرُوبِ
 الْجَائِزَةِ وَأَنْ يَعْلَمَ حَالِ الْأَجَادِ هَلْ هُمْ مُتَشَابِهُونَ فِي الْقُوَّةِ
 وَالشَّجَاعَةِ وَالرَّأْيِ وَإِجَادَةِ مَا فُوضَ إِلَى صَنْفٍ صَنْفٍ مِنْهُمْ مِنْ
 الْقِيَامِ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَرْبِ. أَغْنَى أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ
 مُتَشَابِهِينَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَثُرُوا وَتَنَاسَلُوا حَتَّى يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ لَا يَضِلُّ
 لِلْحَرْبِ أَوْ لِلْجُزْءِ مِنَ الْحَرْبِ الَّذِي فُوضَ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ. وَقَدْ يَتَّبِعِي
 مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ نَظَرًا لِنَاسٍ فِيهَا أَفْضَتْ إِلَيْهِ مُحَارَبَتُهُمْ بَلْ وَفِيهَا
 أَفْضَتْ إِلَيْهِ حُرُوبُ سَائِرِ النَّاسِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَهُمْ فَإِنَّ
 الشَّيْءَ يُحْكَمُ مِنْهُ عَلَى الشَّيْءِ. أَغْنَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَفْضَتْ الْحُرُوبُ
 الشَّيْءَ يُجْزِيهِمْ إِلَى مَكْرُوهِ أَنْ يُشِيرَ بِالسَّلَامِ وَإِنْ كَانَتْ أَفْضَتْ
 إِلَى الظُّغْرِ أَنْ يُشِيرَ بِالْحَرْبِ. وَأَمَّا حِفْظُ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ الْمَشِيرَ
 بِالْحِفْظِ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَحْفَظُ الْبِلَادُ وَمَا مِقْدَارُ الْحِفْظِ الْحَاجِ
 إِلَيْهِ فِي طَلَبِ طَلَبٍ وَكَيْفَ أَنْوَاعُ الْحِفْظِ. وَيَعْرِفُ مَعَ هَذَا
 الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ حِفْظُهَا بِالزَّجَالِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَسَالِحَ. فَإِنْ
 كَانَ الْحِفْظُ لِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ قَلِيلًا رَادَّ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ لَا
 يَضِلُّ لِلْحِفْظِ نَحَاهُ مِنْ لَيْسَ يَقْصِدُ قَصْدَ الْحَمَامَةِ عَنْ الْمَدِينَةِ بَلْ يَقْصِدُ
 قَصْدَ نَفْسِهِ. وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَحْفَظَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوَاضِعِ الْحَيَّةِ

أَعْنِي أَلَّتِي أَلْنَفْعَةُ بِحِفْظِهَا أَكْثَرُ. فَمَنْ عَرَفَ هَذَا فَقَدْ يُمَكِّنُهُ أَنْ
يُشِيرَ بِأَلْخِفْظِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرًا بِأَلْبَلَدِ أَلَّتِي يُشِيرُ بِحِفْظِهَا. وَأَمَّا
أَلْإِشَارَةُ بِأَلْقُوتِ وَسَائِرِ أَلْأَشْيَاءِ أَلْضَّرَرِيَّةِ أَلَّتِي تَحْتَاجُهَا أَلْمَدِينَةُ فَإِنَّهُ
يَحْتَاجُ أَلْمَشِيرِ فِيهِ أَنْ يَعْرِفَ وَقَدَارَهَا وَكَمْ يَكْفِي أَلْمَدِينَةَ مِنْهَا وَكَمْ
أَلْخَاضِرُ أَلْمَوْجُودِ فِي أَلْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ وَهَلْ أُذْخِلَ أَلْكَافِي مِنْ
ذَلِكَ فِي أَلْمَدِينَةِ وَأُحْرَزَ أَمْ لَمْ يُدْخَلْ. وَمَا أَلْأَشْيَاءُ أَلَّتِي يَنْبَغِي أَنْ
تُخْرَجَ مِنْ أَلْمَدِينَةِ وَهُوَ أَلْفَاضِلُ عَنْ أَهْلِ أَلْمَدِينَةِ. وَمَا أَلْأَشْيَاءُ أَلَّتِي
يَنْبَغِي أَنْ تُدْخَلَ وَهُوَ مَا قَصَرَ عَنِ أَلْضَّرَرِي لِيَكُونَ شُورَتُهُ وَمَا
يُعْهَدُ بِهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ أَلْمَرْءُ أَنْ يَحْفَظَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ
لَا مَرَيْنَ: أَحَدُهُمَا لِمَكَانِ دَوِي أَلْفَضَائِلِ وَآلثَانِي لِمَكَانِ دَوِي أَلْمَالِ
أَلَّذِينَ مِنْ أَجْلِ دَوِي أَلْفَضَائِلِ. وَأَلْخَافِظُ لِلْمَدْنِ يَحْتَاجُ بِأَلْجَمْعَةِ إِلَى
أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِجَمِيعِ هَذِهِ أَلْأَنْوَاعِ أَلْخَمْسَةِ عِنْدَ حِفْظِهَا
(قَالَ) وَأَمَّا أَلنَّظَرُ فِي وَضْعِ أَلسَّنِّ وَالْإِشَارَةِ بِهَا فَلَيْسَ بِبَسِيرٍ
فِي أَمْرِ أَلْمَدْنِ فَإِنَّ أَلْمَدْنَ إِذَا تَسَلَّمَ وَلِيَّتُمْ وَجُودَهَا بِأَلسَّنِّ وَلِذَلِكَ
قَدْ يَنْبَغِي لِوَاضِعِ أَلسَّنِّ أَنْ يَعْرِفَ كَمْ أَصْنَافِ أَلتَّيَسَّاسَاتِ وَآيُ
سُنَّةٍ تَنْفَعُ فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ وَآيُ سُنَّةٍ لَا تَنْفَعُ وَآيُ نَاسٍ
تَضْلَعُ بِهِمْ سُنَّةٌ وَسُنَّةٌ وَسِيَاسَةٌ سِيَاسَةٌ وَآيُ نَاسٍ لَا تَضْلَعُ بِهِمْ وَأَنْ
يَكُونَ يَعْرِفُ أَلْأَشْيَاءَ أَلَّتِي يَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا أَلْقَسَادُ عَلَى
أَلْمَدِينَةِ. وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ أَلْأَضْدَادِ مِنْ خَارِجٍ وَإِمَّا مِنْ أَهْلِ أَلْمَدِينَةِ
فَإِنَّ سَائِرَ أَلْمَدْنِ مَا عَدَا أَلْمَدِينَةَ أَلْفَاضِلَةَ قَدْ تَفْسُدُ مِنْ قِبَلِ أَلسَّنِّ

الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا وَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ السُّنَّةُ مُفْرَطَةً الضَّعْفِ وَاللَّيْنِ أَوْ
مُفْرَطَةً الشَّدَةِ وَسَوَاءٌ كَانَتْ فِي رَأْيٍ أَوْ فِي خُلُقٍ أَوْ فِي فِعْلٍ
وَذَلِكَ أَنَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي نَسَى الْخُرَيْجَةُ قَدْ يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا
تَنْتَقِلُ كَثِيرًا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَلْعَنَى إِلَى رِئَاسَةِ الْخِصَّةِ أَعْنِي رِئَاسَةَ
الشَّهَوَاتِ أَوْ رِئَاسَةَ أَلْمَالِ وَالَّذِي قَالَهُ ظَاهِرٌ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرِ
ذَوِي السِّيَاسَاتِ الَّتِي وَصَلْنَا أَخْبَارَهُمْ

(قَالَ) وَلَيْسَ يُؤُولُ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ أَعْنِي سِيَاسَةَ
الْخُرَيْجَةِ إِلَى سِيَاسَةِ الْأَخْيَاءِ مِنْ قَبْلِ اسْتِخَاءِ السُّنَنِ وَلِينَهَا وَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ بَلْ وَ مِنْ قَبْلِ الْإِفْوَاطِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
الْأَشْيَاءِ إِذَا أَفْرَطَتْ بَطَلَ وَجُودُهَا كَمَا يَبْطُلُ وَجُودُهَا مِنْ قَبْلِ
الضَّعْفِ وَالْتِقْصِيرِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَطْسَ إِذَا أَفْوَطَ وَتَقَاقَمَ كَانَ
قَرِيبًا مِنْ أَنْ يُطْنَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَنْفٌ وَإِذَا كَانَ غَيْرُ مُفْرَطٍ
قُرْبَ مِنَ الْإِعْتِدَالِ

(قَالَ) وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ السُّنَنَ الَّتِي وَضَعَهَا كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ فَاتَّفَعُوا بِهَا فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَشْهُورَةِ
وَفِي أُمَّةٍ أُمَّةٍ لِيَسْتَعْمِلَ مِنْهَا النَّافِعَ الَّذِي يَحُضُّهُ وَالْأُمَّةُ الَّتِي تَحُضُّهُ .
وَلِذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ وَاضِعِ السُّنَنِ بِأَمْزِجَةِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ
وَعَادَاتِهِمْ يَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي وَضْعِ السُّنَنِ فَإِنَّ مِنْهَا هَاهُنَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَضَعَ السُّنَنَ النَّافِعَةَ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الطَّبَائِعِ. وَأَمَّا الْفَسَادُ
الْدَّخِلُ عَلَى الْمَدِينِ مِنْ خَارِجٍ أَعْنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ كَتَبَ النَّاسُ فِي الْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ مِنْهَا غَلَبَةُ الْأَعْدَاءِ
وَالْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَحَرَّزُ بِهَا مِنْهُمْ. وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَأْخُذُ الْمُقَدَّمَاتِ
الَّتِي يُشِيرُ بِهَا عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِهِ بِالْحَفَظِ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَمَا قُلْنَا فِي
وَضْعِ السَّنِّ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَاضِعُهَا هُوَ مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ لَا مِنْ
عِلْمِ الْخَطَايَةِ. وَإِنَّمَا يُذَكِّرُ مِنْهَا هَاهُنَا مَا يَكْفِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ

البحث الخامس

في السبب الذي من أجله يشير الخطيب وهو سعادة السامع
وفي ماهية السعادة وأنواع الخيور التي من مجموعها

تتولد السعادة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأُمُورُ الْعَظِيمَى الَّتِي بِهَا يُشِيرُ الْمُشِيرُونَ
عَلَى أَهْلِ الْأَدْنِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يُشَارُ عَلَى وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ. وَتَحْنُ قَائِلُونَ الْآنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ
الْإِذْنُ وَالنَّعْيُ لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ وَمُبْتَدِئُونَ أَوَّلًا بِالْأَخْبَارِ
عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمُشِيرُونَ فَيَأْذَنُونَ فِيهَا أَوْ يَنْعَوْنَ
مِنْ أَضْدَادِهَا. وَيُشِيرُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْفَعَالٌ
مَا وَتَشَوُّقٌ الطَّبْعِ لِلْخَيْرِ الَّذِي يَشَوُّقُهُ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ وَيُشِيرُ بِهِ عَلَى
غَيْرِهِ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَا هُوَ ذَلِكَ الْخَيْرُ فَيَحْتَازُونَهُ
وَيُؤْثِرُونَهُ عَلَى غَيْرِهِ. أَوْ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ أَجَابَ فِيهِ بِجَوَابٍ مُبْنِيٍّ عَنْ

طَبِيعَتِهِ بَلْ إِنَّمَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَجُودُهُ فَقَطُّ. وَإِذَا سُئِلَ وَاحِدٌ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُهُ أَجَابَ فِيهِ بِمَجَوَابٍ غَيْرِ أَجَوَابِ
الَّذِي يُجِيبُ فِيهِ الْآخَرُ. وَلَئِنَّمَا يُؤَثِّرُهُ الْجَمِيعُ لَكَانَ هَذَا إِلَّا نِفْعَالُ
الْمَوْجُودِ لَهُ بِالطَّبَعِ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَهَذَا الْخَيْرُ فِي الْجُمْلَةِ هُوَ صَلَاحُ
أَحَالٍ وَأَجْزَاءِ صَلَاحِ أَحَالٍ. وَلِذَلِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نُفَضِّلَ أَوَّلًا مَا
هُوَ صَلَاحُ أَحَالٍ بِقَوْلِ عَامٍ ثُمَّ نُفَضِّلَ أَجْزَاءَهُ وَنُخَيَّرَ عَنْ أَضْدَادِهَا
وَعَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْأَذْنُ وَالنَّمْعُ وَهِيَ النَّافِعَةُ فِي صَلَاحِ
أَحَالٍ أَوْ الْأَنْفَعُ فِيهِ أَوْ الضَّارَّةُ فِيهِ أَوْ الْأَضَرُّ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا يَمُتُّ
لَنَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا تَلْتَمُ الْأَقَاوِيلُ الْمُشَوَّرِيَّةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ

(قَالَ) وَالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَلَمْ يَتَكَلَّمُوا
مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا فِيمَا يَخْرُجُ مَخْرَجَ الْأُمُورِ الْكَلِمَةِ مِثْلَ
أَنَّهُمْ قَالُوا: يَنْبَغِي لِلطَّبِيعِ أَنْ يُعْظَمَ الشَّيْءُ الصَّغِيرُ إِذَا أَرَادَ
تَفْخِيمَهُ وَيُصَغَّرَ الشَّيْءَ الْكَبِيرَ إِذَا أَرَادَ تَهْوِينَهُ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا
يَأْذَنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْسِدُ صَلَاحَ أَحَالٍ وَفِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تَعُوقُ عَنْ صَلَاحِ أَحَالٍ أَوْ تَتَجَاوَزُ صَلَاحَ أَحَالٍ إِلَى ضِدِّهِ. وَلَمْ يَقُولُوا
مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بِهَا يُعْظَمُ الشَّيْءُ أَوْ يُصَغَّرُ وَلَا مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ
الَّتِي تُوجِبُ اخْتِلَالَ صَلَاحِ أَحَالٍ أَوْ تَعُوقُهُ أَوْ تَتَجَاوَزُهُ إِلَى ضِدِّهِ
(قَالَ) فَأَمَّا صَلَاحُ أَحَالٍ فَهُوَ حُسْنُ الْفِعْلِ مَعَ فِضِيَّةٍ وَطَوِيلٍ مِنْ
الْعَمْرِ وَحَيَاةٍ لَدِيدَةٍ مَعَ السَّلَامَةِ وَالسَّعَةِ فِي الْمَالِ وَحُسْنِ أَحَالٍ

عِنْدَ النَّاسِ مَعَ تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْحَافِظَةِ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْقَاعِلَةِ لَهَا .
وَقَدْ يَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ رَسْمُ صَلَاحِ أَحَالِ الشُّهُورِ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ
يَرَوْنَ أَنَّ صَلَاحَ أَحَالِ هُوَ هَذَا أَوْ شَيْءٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا وَإِذَا كَانَ
صَلَاحُ أَحَالِ هُوَ هَذَا فَاجْزَأُوهُ هِيَ كَرَمُ الْحَسْبِ وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ
وَالْأَوْلَادِ وَالْيَسَادِ وَحُسْنُ الْفِعْلِ وَالشَّيْخُوَّةُ الصَّالِحَةُ وَقَضَائِلُ الْجَسَدِ
وَمِثْلُ الْخَيْرِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَدِ وَالْجَزَالَةِ وَالْبَطْشِ وَالْعَجْدِ وَالْجَلَالَةِ
وَالسَّعَادَةِ وَالْقُضِيَّةِ وَأَجْزَأُوهَا مِثْلُ الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالْعَدَالَةِ
وَالْبِرِّ فَإِنَّهُ هَكَذَا أُخْرَى أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَوْفُورًا مَكْنِيًا
أَعْنِي إِذَا كَانَتْ لَهُ الْخَيْرَاتُ الْمَوْجُودَةُ مِنْ خَارِجٍ . وَالْخَيْرَاتُ
الْمَوْجُودَةُ فِيهِ النَّفْسَانِيَّةُ وَالْجَسَدَانِيَّةُ وَالْأَتْيَ مِنْ خَارِجٍ هِيَ الْحَسْبُ
وَالْإِخْوَانُ وَالْأَمَالُ وَالْكَرَامَةُ وَقَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ يُعَدُّ مَعَ هَذِهِ نَفُودُ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِتِّفَاقَاتِ الْجَمِيَّةِ وَهِيَ الْمَسَامَةُ عِنْدَ النَّاسِ سَعَادَةٌ
فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَكُونُ حَيَاةَ الْمَرْءِ فِي سِيرَةِ حَيَاةٍ مِنْ لَا
يَتَقَصُّ شَيْءٌ مِنْ خَارِجٍ وَلَا يَشُوبُ خَيْرُهُ شَيْءٌ مُضَادٌّ . وَإِذَا كَانَ
هَذَا هَكَذَا فَجِبُّ أَنْ نَنْظُرَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ مَا هُوَ بِمُجَسَّبِ
النَّظَرِ الْمَقْصُودِ هُنَا وَهُوَ النَّظَرُ الشُّهُورُ . فَأَمَّا الْحَسْبُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ
الْقَوْمُ الَّذِينَ هُوَ مِنْهُمْ هُمْ أَوَّلَ مَنْ تَرَى الْمَدِينَةَ أَوْ يَكُونُوا قُدَمَاءَ
الْأَزْوَاجِ فِيهَا وَيَكُونُوا مَعَ هَذَا حُكَمَاءَ أَوْ رُؤَسَاءَ دَوِي دَكْرِ جَمِيلٍ
وَكَثْرَةِ عَدَدٍ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ هَذَا أَحْرَارًا لَمْ يَخُزْ عَلَيْهِمْ سَبَاءٌ أَوْ
يَكُونُوا مِنْ تَالِ الْأُمُورِ الْجَمِيَّةِ الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ

يَكُونُوا حُكَّامًا وَلَا رُؤَسَاءَ. فَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْحَسَبِ هَلْ هُوَ مِنْ
الرِّجَالِ فَقَطْ أَوْ مِنَ النِّسَاءِ فَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ وَالتَّمَقُّقُ عَلَيْهِ عِنْدَ
الْجَمِيعِ أَنَّهُ يَكُونُ أَمُّ إِذَا كَانَ مِنْ كِلَيْهِمَا. وَيَتَّبِعِي أَنْ يَسْتَعِيلَ
الْخَطِيبُ مِنْ ذَلِكَ الشُّهُورَ فِي أُمَّةٍ أُمَّةٍ. وَمِنْ شُرُوطِ الْحَسَبِ أَنْ
يَكُونَ أَرُؤَسَاءَ وَالْأَحْرَارُ مِنْ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ شُهِرُوا بِالْفَضِيلَةِ
وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لَمْ يَنْقَطِعْ وُجُودُهُمْ فِي الْقَوْمِ
الَّذِينَ هُوَ مِنْهُمْ إِلَى وُجُودِهِ هُوَ بَسَلٌ يُوْجَدُ فِي ذَلِكَ الْجَنَسِ أَبَدًا
أَشْيَاخُ يَهْدِيهِ الْحَقُّ يَخْلِفُهُمْ غِلْمَانٌ فِي تِلْكَ الْخِصَالِ. فَإِنَّهُ إِنْ أُنْقَطِعَ
الْعَرَفُ فِي ذَلِكَ الْجَنَسِ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ حَسَبًا وَإِنْ لَمْ
يَنْقَطِعْ مِنْهُمْ فَهُوَ حَسَبٌ وَإِنْ أُنْقَطِعَ فَيَسِنُ وَادُّ مِنْهُمْ. وَأَمَّا حُسْنُ
أَحْوَالِ بِالْأَوْلَادِ وَكَثَرَتِهِمْ فَهُوَ بِمَا لَا خَفَاءَ بِهِ وَحُسْنُ أَحْوَالِ بِالْأَوْلَادِ
الْمُشْتَرَكِ لِلْجَمِيعِ. هُوَ كَثْرَةُ الْفِتْيَانِ وَصَلَاتِهِمْ فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ
وَفَضَائِلِ النَّفْسِ. أَمَّا فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ فَبِأَرْبَعٍ أَحَدَاهَا الْخِرَاطَةُ وَهِيَ
أَنْ تَكُونَ خُلُقُهُمْ خُلُقًا طَبِيعِيًّا يَفُوقُونَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.
وَالثَّانِيَةُ الْجَمَالُ. وَالثَّلَاثَةُ الشَّدَّةُ. وَالرَّابِعَةُ الْبَطْشُ فَهَذِهِ الْأَرْبَعُ
يَكُونُ الْعِلْمَانُ صَالِحِينَ فِي فَضَائِلِ أَجْسَادِهِمْ. وَأَمَّا فِي فَضَائِلِ
الْنَّفُوسِ فَيَكُونُونَ بِأَثْنَتَيْنِ بِالْعِفَافِ وَالشُّجَاعَةِ. وَأَمَّا مَا قَدْ يَكُونُ بِهِ
صَلَاحُ حَالِ بَعْضِ النَّاسِ فَكَثْرَةُ الْأَوْلَادِ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.
وَصَلَاحُ أَحْوَالِ بِالْإِنَاثِ أَيْضًا يَكُونُ بِفَضِيلَتَيْنِ فِي الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ.
أَمَّا فِي الْجَسَدِ فَاثْنَتَانِ الْمَبَالَةُ وَهُوَ عَظْمُ الْأَعْضَاءِ الْعِظَمُ الطَّبِيعِيُّ

وَكثْرَةُ النَّحْمِ الطَّيْبِيِّ لَا اللَّوْنُ وَالْجَمَالُ. وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَثَلَاثُ
الْعَفَافُ وَحُبُّ الْأَلْفَةِ وَحُبُّ الْكَدِّ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَضَائِلَ يَكْمُلُ
الْمَثَلُ وَهَذِهِ الْقَضَائِلُ الَّتِي قُلْنَا سَبِيلَهَا أَنْ تُوجَدَ فِي النِّسَاءِ كُلِّهِنَّ
الَّتِي مِنْ نَسَبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَلَى الْعُمومِ وَفِي الرِّجَالِ كُلِّهِمْ عَلَى
الْعُمومِ وَفِي أَوْلَادِهِ الذُّكُورِ خَاصَّةً إِذْ كَانَ أَوَّلُ ذَلِكَ بِهِ الصَّقَ .
وَقَدْ يَنْبَغِي لِلخَطِيبِ أَنْ يَنْظُرَ هَلْ الْقَضَائِلُ الَّتِي هِيَ مِنْهَا هِيَ هَذِهِ
الْقَضَائِلُ عِنْدَهُمْ أَعْنِي فِي أَوْلَادِهِمْ أَمْ لَيْسَ هِيَ هَذِهِ فَإِنَّ كَثِيرًا
مِنَ الْأُمَمِ يُرْبُونَ أَوْلَادَهُمُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ بِالرَّيَّةِ وَالسِّنِّ
وَهُوَ لَا يَقُولُ فِيهِمْ أَرِسْطُو رَأَيْتَهُ قَدْ قَاتَهُمُ النِّصْفُ مِنْ صَلَاحِ أَحَالِ
بِالْإِنْبَاءِ . فَأَمَّا أَجْزَاءُ الْبَسَارِ فِكثْرَةُ الدَّنَائِيرِ وَالْأَرْضِينَ وَالْعَقَارِ
وَالْأَثَلِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْمَوَاشِي وَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي النَّوعِ
وَالْجِنْسِ . وَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي حِفْظِهِ وَمَعَ حُرِّيَّةٍ
وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا مُشْتَعًا أَيْ مُلْتَذًا لَا حَافِظًا لَهَا فَقَطْ أَوْ مُنْهِيًا
(قَالَ) وَمِنْ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فِي الْبَسَارِ وَالنَّاعِيَةِ لَهُ الْأَشْجَارُ
الْمُشْرَعَةُ وَالْقَلَاتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَاللَّذِيذُ مِنْ هَذِهِ هُوَ مَا يُجْنَى
بِغَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَقَمَةٍ وَحَدُّ الْحِفْظِ وَالْأَحْزَانِ لِلْمَالِ هُوَ أَنْ يَكُونَ
فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُتَعَدَّرُ مِنْهُ عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِأَحَالِ الَّتِي
يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا وَمِثْلُ أَنْ إِذَا كَانَتْ أَرْضًا أَلَّا تَكُونَ سَجَةً وَإِنْ
كَانَ قَوْسًا أَلَّا يَكُونَ جُحُوحًا . وَحَدُّ الْحُرِّيَّةِ فِي الْمَالِ أَنْ يَكُونَ
إِلَيْهِ التَّصَرُّفُ فِي أَمَالٍ بِالْإِعْطَاءِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَأَمَّا التَّنَعُّمُ بِالْمَالِ

فَهُوَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّلَذُّذِ بِهِ . وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ فِي الْعِنَى هَذَا
الشَّرْطَ لِأَنَّهُ أَنْ يَكُونَ الْعِنَى فِي اسْتِعْمَالِ أَمَالٍ أُخْرَى مِنْهُ أَنْ
يَكُونَ فِي أَقْبَانِهِ لِأَنَّ الْأَقْبَانَ هُوَ فَاعِلُ الْعِنَى وَأَمَّا الِاسْتِعْمَالُ
فَهُوَ الْعِنَى بَعَيْنِهِ وَأَمَّا حُسْنُ الْفِعْلِ عَلَى الرَّأْيِ الصَّوَابِ فَهُوَ الَّذِي
يُظَنُّهُ الْكُلُّ قَائِلًا وَهُوَ الَّذِي يَقْتَنِي الشَّيْءَ الَّذِي يَسْتَوْفُوهُ الْأَكْثَرُ
لَا مُحَالَةً أَوْ الْأَخْيَارُ مِنَ النَّاسِ وَذَوُوا الْكَيْسِ وَالْفِطَنَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَهَا فِي ذَمَانِهَا هَذَا لِلْمَعْنَى بِحُسْنِ
الْفِعْلِ وَارْتِكَامِ النَّاسِ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِهِمْ هِيَ مُكَافَأَةُ
عَلَى طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَيْسَ تُكَافِئُهَا
الذَّكَائِرُ وَالْأَرْهَامُ . وَلَيْسَ يُكَرَّمُ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِالنَّاسِ
قَطُّ بَلْ وَالَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ أَعْنِي
الَّذِينَ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي حَالِ الْإِكْرَامِ
وَالْعِنَايَةِ بِالنَّاسِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْكَرَامَةَ هِيَ الْعِنَايَةُ تَخْلِصُهُمْ مِنَ
الشُّرُورِ الَّتِي لَيْسَ التَّخْلِصُ مِنْهَا بِهَيْئَةٍ أَوْ إِفَادَتُهُمْ الْخَيْرَاتِ الَّتِي لَيْسَ
إِفَادَتُهَا بِالسَّهْلِ . وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْجَمِيعَةُ هِيَ تَكُونُ عَنِ الْعِنَى أَوْ
السُّلْطَانِ أَوْ مَا أَشَبَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ بِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى
أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَقَدْ يُكَرَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى خَيْرَاتٍ
يَسِيرَةٍ لِكَيْفَا تَكُونُ كَثِيرَةً بِالْإِعَاقَةِ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ وَإِلَى
تِلْكَ الْحَالِ . فَكَانَ الْكَرَامَةُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْيَسِيرَةِ هِيَ بِالْعَرَضِ
أَيَّ مِنْ جِهَةٍ مَا عَرَضَ لِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ أَنْ تَكُونَ كَثِيرَةً بِالْإِعَاقَةِ

إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ أَوْ الْحَالِ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْكَرَامَةُ
فِيهَا مُشْتَرَكَةٌ لِجَمِيعِ الْأَعْمَرِ وَمِنْهَا خَاصَّةٌ. فَالْخَاصَّةُ مِثْلُ الذَّبَاحِ
وَالْقَرَابِينِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَنْ يُكْرَمُوا بِهَا
الْأَمْوَاتُ. وَمِنْهَا عَامَّةٌ وَهِيَ الْمَرَاتِبُ فِي الْجَالِسِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى
أَقْوَالِهِ وَتَرْكُ مُحَالَفَتِهِ وَالْهَدَايَا الَّتِي تُوجِبُ الْحُبَّ وَالْقُرْبَ. فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ
جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ بَذَلَ الْمَالُ وَالْكَرَامَةُ وَلِذَلِكَ كَانَتْ مُسْتَحَبَّةً لِجَمِيعِ
النَّاسِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحِبُّ فِيهَا مَا يَتَشَوَّفُ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافُ إِمَّا صِنْفٌ يُحِبُّ الْكَرَامَةَ وَإِمَّا صِنْفٌ يُحِبُّ الْمَالَ وَإِمَّا
صِنْفٌ يَجْمَعُ الْأَمْرَيْنِ. وَالْهَدِيَّةُ قَدْ جَمَعَتْ مُتَشَوِّفَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ
الثَّلَاثَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيلَةُ الْجَسَدِ فَالْحَيَّةُ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا عَرِيدِينَ
وَمِنَ الْأَسْقَامِ الْبَتَّةُ وَأَنْ يَسْتَعْمِلُوا أَبْدَانَهُمْ لِأَنَّ مِنْ لَا يَسْتَعْمِلُ
حَيَّتَهُ فَلَيْسَ تَقْبِطُ نَفْسُهُ بِالْحَيَّةِ أَيْ لَيْسَ هُوَ حَسَنُ الْخَالِ بِهَا وَهُوَ
بَعِيدٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ مِنْ أَكْثَرِهَا
(قَالَ) وَأَمَّا الْخُسْنُ فَإِنَّهُ مُخْتَلِفٌ بِاخْتِلَافِ أَصْنَافِ الْإِنْسَانِ
فَحَسَنُ الْفُلَّانِ وَجَمَاهُمْ هُوَ أَنْ تَكُونَ أَبْدَانُهُمْ وَخَلْقُهُمْ بِهَيْئَةٍ
يَعْسُرُ بِهَا قَبُولُهُمْ إِلَّا لَامٌ وَالْإِنْفِعَالُ أَيْ لَا يَكُونُونَ غَيْرَ مُحْتَمِلِينَ
لِلَّذِي وَأَنْ يَكُونُوا بِحَيْثُ يُسْتَلَذُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْجُزْيِ
وَالْقَلْبَةِ

(قَالَ) وَلِذَلِكَ مَا يَرَى النَّاسُ الْفُلَّانَ الَّذِينَ هُمْ مَهْمَاؤُنْ نَحْوَ الْخُسْنِ

الْزَوَالَاتِ وَاللَّعِبَاتِ جَسَانًا جِدًّا وَتَفَنِّي بِالْخَنَسِ الْزَوَالَاتِ وَاللَّعِبَاتِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ الْيُونَانِيُّونَ يَرَوْنَهَا جِنَانَهُمْ وَهِيَ الْعَدُوُّ
وَالْكُحْبُ وَالْمُتَأَقَّةُ وَالصَّرَاعُ وَالْمَلَاكِرَةُ

(قَالَ) وَإِنَّمَا كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ فِيمَنْ كَانَ مُهَيَّأً لِنَحْوِ هَذِهِ
الْأَفْعَالِ الْخَنَسَةَ أَنَّهُ يَجْمَلُ لِأَنَّهُ مُهَيَّأٌ بِهَا نَحْوُ الْخَفَّةِ وَالْقَلْبَةِ وَإِذَا
شَبَّ امْتَنَالُ هَؤُلَاءِ الْفُلَمَانِ كَانُوا لِيَذِي الْمُنْظَرِ عِنْدَ الْعَمَلِ فِي
الْحَرْبِ وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانُوا مُعَدِّينَ بِهَا نَحْوَ الْحَرْبِ. وَأَمَّا
الشُّيُوخُ فَجَبَاهُمْ هُوَ اسْتِلْدَاذُ أَفْعَالِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ جَدٌّ وَهِيَ
الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُرَاضُ الصَّبِيَانُ عَلَى هَذِهِ اللَّعِبَاتِ الْخَنَسِ وَهِيَ
الْحَرْبُ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ ذَلِكَ يُرَوْنَ غَيْرَ ذَوِي أَحْزَانٍ وَلَا غَمٍّ.
وَذَلِكَ أَنَّ الْأَحْزَنَ وَالْغَمَّ إِذَا ظَهَرَ بِالشَّيْخِ ذُنَّ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ أَطَارِيءُ
الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهِ يَمَا يَضُرُّ فِي شَيْخُوخَتِهِ مِثْلَ الْفَقْرِ وَالْهَوَانِ أَوْ غَيْرِ
ذَلِكَ

(قَالَ) وَأَمَّا الْبَطْشُ فَإِنَّهُ قُوَّةُ مُحْرِكِ الْمَرْءِ بِهَا غَيْرُهُ كَيْفَ
شَاءَ. فَلَئِنَّهُ إِذَا جَذَبَ غَيْرَهُ أَوْ دَفَعَهُ أَوْ أَشَالَهُ أَوْ أَخْرَجَهُ أَوْ سَطَطَهُ
وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنْهُ يَكُلُّ مَنْ يَتَصَدَّى لَهُ أَوْ بِأَكْثَرِهِمْ فَهُوَ ذُو
بَطْشٍ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّخَّامَةِ فَهُوَ أَنْ يَمُوتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
وَيُجَاوِرَهُمْ فِي الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمُقِ وَتَكُونُ مَعَ صَخَّامَتِهِ حَرَكَاتُهُ
غَيْرَ مُتَكَلِّمَةٍ لِحُدُودِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَتَكُونُ صَخَّامَتُهُ لَيْسَ سَبَبًا مِمَّنَّا

وَلَا أَمْرًا مُكْتَسَبًا

(قَالَ) وَأَمَّا الْهَيْئَةُ الَّتِي تُسَمَّى الْجِهَادِيَّةَ فَإِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ
الْعَظَمَةِ وَالْجَلْدِ وَالْحِفَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اقْتَرَنَتِ الْحِفَّةُ مَعَ الْقُوَّةِ
أَمَكَنَ أَنْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمْدًا بَعِيدًا لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ خَفِيفًا دُونَ
جَلْدٍ لَمْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمْدًا بَعِيدًا. وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي جَمَعَ الْعَظَمَةَ
وَالْقُوَّةَ هُوَ مُصَارِعٌ وَالَّذِي جَمَعَ الْعَظَمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْحِفَّةَ هُوَ
مُجَاهِدٌ. وَأَمَّا الَّذِي جَمَعَ الصَّرَاعَ وَالْحِفَّةَ مَعَ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِأَنَّهُمْ
مُشْتَقٌّ مِنْ الْجَذْقِ بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ وَالْحِفَّةِ وَأَمَّا الَّذِي جَمَعَ هَذِهِ
الْخِصَالَ كُلَّهَا فَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَا الْخَمْسِ اللَّعْبِ

(قَالَ) وَأَمَّا الشَّيْخُوخَةُ الصَّالِحَةُ فَإِنَّهَا دَوَامُ الْكِبَرِ مَعَ الْبَرَاءَةِ
مِنْ الْحُزَنِ لِأَنَّهُ إِنْ نَجَحَتْ وَفَاةُ الْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مُتَمَتَّى
الشَّيْخُوخَةِ لَمْ يَكُنْ ذَا شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا مِنَ الْأَحْزَانِ
وَلَا أَنْ أَهْمَلَ إِلَى مُتَمَتَّى الشَّيْخُوخَةِ وَكَانَ فِي كَرْبٍ وَحُزْنٍ كَانَ ذَا
شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ. وَإِنَّمَا يَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْأَحْزَانِ إِذَا كَانَ ذَا حَظٍّ
مِنْ الْجَلْدِ وَقَضَائِلِ الْبَدَنِ أَعْنِي أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَلَمْ تَعَثِرْهُ مَصَابِئُ
تُكَدِّرُ شَيْخُوخَتَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَرَضٍ أَوْ كَانَ أَلْجَدُ غَيْرَ
مُسَاعِدٍ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ قَدِ اعْتَرَتْهُ مَصَابِئُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِصَالِحٍ
الشَّيْخُوخَةِ وَإِنْ كَانَ مُعْمَرًا. وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ بِمَرَضٍ وَقَدْ يُشَكُّ
كَيْفَ يَكُونُ طُولُ الْعُمُرِ مَعَ الْأَمْرَاضِ لَكِنْ يُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ
قُوَّةُ طُولِ الْعُمُرِ غَيْرَ قُوَّةِ الصِّحَّةِ فَإِنَّا نَرَى قَوْمًا كَثِيرِينَ تَهْلُكُ

أَعْمَارُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُسْقَامُونَ. وَتَضَحُّجُ هَذَا هُوَ لِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَلَيْسَ
فِي تَضَحُّجِهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ مَنَفَعَةٌ وَالْخَطِيبُ إِنَّمَا يَكْتَفِي مِنْ ذَلِكَ
بِالشَّيْءِ الظَّاهِرِ

(قَالَ) وَأَمَّا كَثْرَةُ الْحِلَّةِ وَصَلَاحُ حَالِ الْإِنْسَانِ بِالْإِخْوَانِ
فَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ خَفِيِّ إِذَا حُدِّثَ مَا هُوَ الْخَلِيلُ وَالصَّاحِبُ. وَهُوَ أَنْ
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُ بِهِ
الْآخَرَ لَا الْخَيْرَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ فِي نَفْسِهِ فَقَطْ. وَإِذَا كَانَتِ الْحِلَّةُ
وَالضُّعْفَةُ هِيَ هَذِهِ فَبَيِّنْ أَنَّ الْمَرْءَ يَكُونُ صَالِحًا أَلْحَالِ بِالْإِخْوَانِ
الْكَثِيرَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا صَلَاحُ الْخَيْرِ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ لِلْإِنْسَانِ مَا
عِلَّةُ لَوْجُودِ الْخَيْرِ لَهُ. وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَاتِهِ وَإِمَّا
مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ لَهُ مِنْ خَارِجٍ. وَعِلَّةُ الْإِتِّفَاقِ قَدْ تَكُونُ
الْصَّنَاعَةُ وَقَدْ تَكُونُ الطَّبِيعَةُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ. فَبَيِّنْ مَا يَكُونُ عَنْ
الْإِتِّفَاقِ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُولَدَ الْإِنْسَانُ ذَا قُوَّةٍ وَهَيْئَةٍ يَعْصُرُ بِهَا قَوْلَهُ
الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ. فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا
فَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ الْإِتِّفَاقُ الطَّبِيعِيُّ وَثَلِ أَنْ يُولَدَ صَحِيحًا. وَقَدْ يَكُونُ
الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ مِثْلَ أَنْ يُسَمَّى سَمًا فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضٍ كَانَ بِهِ.
وَأَمَّا أَجْبَالُ وَالضُّعْفَةُ فَعِلَّتُهُمَا الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ وَالطَّبِيعِيُّ وَجَمْعُهُ
الْأَمْرُ أَنَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي سَبَبُهَا الْجَدُّ الَّذِي هُوَ حُسْنُ الْإِتِّفَاقِ هِيَ
الْخَيْرَاتُ الَّتِي يَكُونُ الْمَرْءُ مَقْبُوطًا بِهَا مَحْسُودًا عَلَيْهَا. وَقَدْ يَكُونُ

أَجْدُ عِلَّةَ خَيْرَاتٍ لَيْسَتْ هِيَ خَيْرَاتٍ بِالْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا تُرَى خَيْرَاتٍ
 بِالْإِصَاقَةِ وَالْمَقَايِسَةِ إِلَى الْغَيْرِ. كَمَا قَدْ يَكُونُ الْقُبْحُ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ
 خَيْرًا مَّا إِذَا رُئِيَ غَيْرُهُ أَقْبَحُ مِنْهُ وَمِثْلَ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانَانِ وَقَفَا مِنْ
 الْحَرْبِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَ أَحَدُهُمَا السَّهْمُ وَلَمْ يُصِبِ الثَّانِي
 فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يُصِبْ السَّهْمُ يَرَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْإِصَاقَةِ إِلَى صَاحِبِهِ خَيْرٌ
 كَثِيرٌ. وَبِخَاصَّةٍ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُصِبْ السَّهْمُ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ
 يَشْهَدَ الْحُرُوبَ كَثِيرًا وَالْآخِرُ لَمْ يَشْهَدْ قَطُّ إِلَّا تِلْكَ الْحَرْبَ
 وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدَ الْكَثْرَ وَاحِدٌ مِنْ طَلَبِهِ. قَدْ يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ
 بِالْإِصَاقَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يُصِبْهُ وَإِنْ كَانَ الْكَثْرُ يَسِيرًا فَمِنْ هَذَا
 وَنَحْوِهِ يَنْظُرُ الْخَطِيبُ فِي سَعَادَةِ الْجَدِّ. وَأَمَّا تَعْرِيفُ الْقَضِيَّةِ فَأَوَّلَى
 الْمَوَاضِعِ بِذِكْرِهَا هُوَ عِنْدَ الْقَوْلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمْدَحُ بِهَا. لِأَنَّ
 الْقَضِيَّةَ خَاصَّةً بِالْمَدْحِ وَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ هُوَ الَّذِي
 يَعْرِفُ بِاسْتِثْنَاءِ الْقَضِيَّةِ وَالْقَضَائِلِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مُسْتَقْبَلٌ وَحَاضِرٌ
 فَأَلَمَدِحُ إِنَّمَا يَنْظُرُ فِيهَا مِنْ جِهَةٍ سَاهِي حَاضِرَةٌ وَالْمَشِيرُ مِنْ جِهَةٍ
 أَنَّهُا مُسْتَقْبَلَةٌ أَيْ نَافِعَةٌ



المبحث السادس

في الفرق بين الخير والسعادة

(من كتاب حذيب الاخلاق لابن مسكويه)

نَبْدَا بِمَعْنَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِذِكْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَيْرِ
وَالسَّعَادَةِ بَعْدَ أَنْ نَذْكُرَ الْفَرْقَ أَرِسْطَاطَالِيْسَ أَقْتِدَاءَ بِهِ وَتَوْفِيْقَهُ
حَقِّقَهُ فَنَقُولُ: إِنَّ الْخَيْرَ عَلَى مَا حَدَّهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ مِنْ آرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ هُوَ
الْمَقْصُودُ مِنَ الْكُلِّ وَهِيَ الْعَاقِبَةُ الْأَخِيرَةُ وَقَدْ يُسَمَّى الشَّيْءُ النَّافِعُ
فِي هَذِهِ الْعَاقِبَةِ خَيْرًا فَأَمَّا السَّعَادَةُ فَهِيَ الْخَيْرُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى صَاحِبِهَا
وَهِيَ كَمَا لَمْ لَهُ فَالسَّعَادَةُ إِذَا خَيْرٌ مَا. وَقَدْ تَكُونُ سَعَادَةُ الْإِنْسَانِ
غَيْرَ سَعَادَةِ الْفَرَسِ وَسَعَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ فِي تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ الَّذِي يُحْصَى .
فَأَمَّا الْخَيْرُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْكُلُّ بِالشَّوْقِ فَهُوَ طَبِيعَةُ تَنْصَدُّ وَهِيَ
ذَاتٌ وَهُوَ الْخَيْرُ الْعَامُّ لِلنَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ فَهُمْ بِإِجْمَاعِهِمْ
مُشْتَرِكُونَ فِيهَا. فَأَمَّا السَّعَادَةُ فَهِيَ خَيْرٌ مَا لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
فَهِيَ إِذَا بِالْإِضَافَةِ لَيْسَ لَهَا ذَاتٌ مُعَيَّنَةٌ وَهِيَ مُتَخَلِّفٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى
قَاصِدِيهَا. فَلِذَلِكَ يَكُونُ الْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ غَيْرَ مُتَخَلِّفٍ فِيهِ وَقَدْ يُظَنُّ
بِالسَّعَادَةِ أَنَّهَا تَكُونُ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَأَنَا هِيَ
أَسْتَعْدَادَاتُ فِيهَا لِقَبُولِ تَمَامَاتِهَا وَكَمَالَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
إِرَادَةٍ وَتِلْكَ أَلِاسْتَعْدَادَاتُ هِيَ الشَّوْقُ أَوْ مَا يَجْرِي تَحْرِي الشَّوْقِ

مِنَ اللَّاطِفِينَ بِالْإِرَادَةِ . فَأَمَّا مَا يَتَأْتِي لِلْخَيْرَاتِ فِي مَآصِلِهَا
وَمَشَارِبِهَا وَرَاحَاتِهَا فَيَتَّبِعِي أَنْ يُسَمَّى بِحُجَّتَا أَوْ اتِّفَاقًا وَلَا يُؤْهَلُ لِأَنَّهُ
السَّعَادَةُ كَمَا يُسَمَّى فِي الْإِنْسَانِ أَيْضًا . وَإِنَّمَا اسْتَحْسِنَ الْحَدُّ الَّذِي
ذَكَرْنَا لِلْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُطْلَقُ السَّيِّئَ وَالْحُرْكََةَ إِلَى لَا
نَهَايَةٍ وَهَذَا أَوَّلُ فِي الْعَقْلِ . وَمِمَّا نَالُ ذَلِكَ أَنَّ الصَّاعَاتِ وَالْهَيَمَ
وَالْتَّدَابِيرَ الْأَخْيَارِيَّةَ كُلَّهَا يُقْصَدُ بِهَا خَيْرٌ مَّا لَمْ يُقْصَدَ بِهِ خَيْرٌ
مَّا فَهُوَ عَبَثٌ وَالْعَقْلُ يُحْتَدِرُهُ وَيَمْتَنِعُ مِنْهُ وَيُأْوِجِبُ صَارَ الْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ
هُوَ الْقُصُودُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ النَّاسِ . وَلَكِنْ بَقِيَ أَنْ يُعْلَمَ مَا هُوَ وَمَا
الْغَايَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْهُ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَرْتَقِي الْخَيْرَاتُ
كُلُّهَا إِلَيْهَا حَتَّى تَجْعَلَ غَرَضًا وَتَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَلَا تَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا
تَنْتَشِرَ أَفْكَارُنَا فِي الْخَيْرَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ إِمَّا تَأْدِيَةً
بِمِدَّةٍ وَإِمَّا تَأْدِيَةً قَرِيبَةً وَلَا تَقْلُطُ أَيْضًا فِيمَا لَيْسَ بِخَيْرٍ مُقْطَنُهُ خَيْرًا
ثُمَّ تَفْتِي أَعْمَارُنَا فِي طَلَبِهِ وَاللَّعَبِ بِهِ وَكُلًّا سَابِقِينَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ

البحث السابع

في اقسام الخير والسعادة

(من الكتاب نفسه)

الْخَيْرُ عَلَى مَا قَسَمَهُ أَرِسْطَاطَالِسُ وَحَكَاهُ عَنْهُ فُورْفُورُوسُ
وَعَنْهُ هَكَذَا قَالَ : الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ شَرِيفَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ

مَدْرُوحَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ بِالْقُوَّةِ كَذَلِكَ وَمَا هِيَ نَافِعَةٌ فِيهَا . فَالْشَّرِيقَةُ
 مِنْهَا هِيَ الَّتِي شَرَفُهَا مِنْ ذَاتِهَا وَتَجْعَلُ مِنْ أَتْنَاهَا شَرِيفًا . وَهِيَ
 الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ . وَالْمَدْرُوحَةُ مِنْهَا مِثْلُ الْفَضَائِلِ وَالْأَفْعَالِ الْجَلِيلَةِ
 أَلَا رَادِيَّةٌ . وَالَّتِي هِيَ بِالْقُوَّةِ مِثْلُ التَّهْنِيزِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لِنَيْلِ الْأَشْيَاءِ
 الَّتِي تَقْدَمَت . وَالنَّافِعَةُ هِيَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا بَلْ
 لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ
 غَايَاتُ وَمِنْهَا مَا هِيَ لَيْسَتْ بِغَايَاتٍ . وَتَلْغَايَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ تَامَةٌ وَمِنْهَا
 مَا هِيَ غَيْرُ تَامَةٍ . فَأَتَى هِيَ تَامَةٌ كَالسَّعَادَةِ وَذَلِكَ أَنَا إِذَا وَصَلْنَا
 إِلَيْهَا لَمْ نَخْشَعْ أَنْ نَسْتَرِيدَ إِلَيْهَا شَيْئًا آخَرَ . وَالَّتِي هِيَ غَيْرُ تَامَةٍ
 فَكَأَنَّهُوَ وَالْإِسَابُ مِنْ قَبْلِ أَنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا نَخْشَعْ أَنْ نَسْتَرِيدَ
 فَتَقْبِي أَشْيَاءَ أُخْرَى . وَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِغَايَةِ الْبَتَّةِ فَكَأَنَّهُ لِعِلَاجٍ وَالتَّعْلَمُ
 وَالزِّيَادَةُ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ ذَاتِهِ
 وَمِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ غَيْرِهِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَمِنْهَا
 مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُمَا . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ
 عَلَى الْإِخْلَاقِ وَمِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْإِتِّفَاقَاتِ الَّتِي تَتَفَقُّ
 بَعْضُ النَّاسِ وَفِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ وَإَيْضًا وَمِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ لِجَمِيعِ
 النَّاسِ وَمِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَفِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَمِنْهَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ
 لِجَمِيعِ النَّاسِ وَلَا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ
 مِنْهَا مَا هُوَ فِي الْجَوْهَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي
 الْكَيْفِيَّةِ وَفِي سَائِرِ الْقَوْلَاتِ فَيَنْهَا كَالْقَوَى وَالْمَلَكَاتِ وَمِنْهَا

كَالْأَحْوَالِ وَمِنْهَا كَالْأَفْعَالِ وَمِنْهَا كَالْقَائِيَاتِ وَمِنْهَا كَالْمَوَادِّ وَمِنْهَا
كَالْآلَاتِ. وَوُجُودُ الْخَيْرَاتِ فِي الْقَوْلَاتِ كُلِّهَا يَكُونُ عَلَى هَذَا
الْمِثَالِ أَمَّا فِي الْجَوْهَرِ أَعْنِي مَا لَيْسَ بِعَرَضٍ فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
هُوَ الْخَيْرُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ تَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ بِالشَّوْقِ إِلَيْهِ وَلِأَنَّ
مَالَ الْخَيْرَاتِ الْأَلَهِيَّةِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالسَّرمَدِيَّةِ وَالنَّامِ مِنْهُ. وَأَمَّا فِي
الْكَيْفِيَّةِ فَالْعَدَدُ الْمُتَعَدِّلُ وَالْقَدَارُ الْمُتَعَدِّلُ وَأَمَّا فِي الْكَيْفِيَّةِ
فَكَالذَّاتِ. وَأَمَّا فِي الْإِضَاقَةِ فَكَالْصَّدَقَاتِ وَالرِّئَاسَةِ. وَأَمَّا فِي
الْأَيْنِ وَالْمَتَى فَكَامِلُكَانِ الْمُتَعَدِّلِ وَالزَّمَانِ الْأَيْنِقِ الْبَهِيمِ. وَأَمَّا فِي
الْوَضْعِ فَكَالْقُعُودِ وَالْإِضْطِطَاعِ وَالْإِتِّكَاءِ الْمُوَافِقِ. وَأَمَّا فِي الْمِلْكِ
فَكَالْأَمْوَالِ وَالنَّفَائِعِ. وَأَمَّا فِي الْإِنْفَعَالِ فَكَالسَّمَاعِ الطَّيِّبِ
وَسَائِرِ الْمُحْسُوسَاتِ الْمُؤَثَّرَةِ. وَأَمَّا فِي الْفِعْلِ فَعَلَّ نَفَاذَ الْأَمْرِ وَرَوَاجَ
الْفِعْلِ. (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَعْقُولَاتٌ وَمِنْهَا مُحْسُوسَاتٌ
(وَأَمَّا السَّعَادَةُ) فَقَدْ قُلْنَا إِنَّهَا خَيْرٌ مِمَّا وَهِيَ قَامَ الْخَيْرَاتِ
وَقَائِيَاتُهَا وَالنَّامُ هُوَ الَّذِي إِذَا بَلَّغْنَا إِلَيْهِ لَمْ نَخْتِجْ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ
آخَرَ فَلِذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَفْضَلُ الْخَيْرَاتِ وَلَكِنَّا نَحْتَاجُ
فِي هَذَا النَّامِ الَّذِي هُوَ الْقَائِيَةُ الْقُصْوَى إِلَى سَعَادَاتٍ أُخْرَى وَهِيَ
الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَالَّتِي خَارِجَ الْبَدَنِ. (وَأَرِسْطَاطَلِسُ) يَقُولُ إِنَّهُ
يَعْسُرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَفْعَالَ الشَّرِيفَةَ بِلَا مَادَّةٍ مِثْلِ
اتِّسَاعِ الْيَدِ وَكَثْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَجُودَةِ النَّجْتِ
(وَأَمَّا أَقْسَامُ) السَّعَادَةِ عَلَى مَذْهَبِ هَذَا الْحَكِيمِ فَعِي خَمْسَةٌ

أقسام: (أحدها) في صحة البدن ولطف الخواص ويكون ذلك
 من اعتدال المزاج أعني أن يكون جيد السنع والبصر والشم
 والذوق واللمس. (والثاني) في الثروة والأغوان وأشباهها حتى
 يشبع لأن يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويؤايب
 منه أهل الخيرات خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يزيد
 في فضائله ويستحق الثناء والمدح عليه. (والثالث) أن تحسن اخذ وثقه
 في الناس ويشتر ذكره بين أهل الفضل فيكون تمدوها بينهم
 يكثرون الثناء عليه لما يتصرف فيه من الإحسان والمعرف.
 (والرابع) أن يكون منجحا في الأمور وذلك إذا استتم كل
 ما ردى فيه وعزم عليه حتى يعبر إلى ما يأمله منه. (والخامس)
 أن يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه
 بريئا من الخطأ والزلل جيد المشورة في الآراء فمن اجتمعت له
 هذه الأقسام كلها فهو السعيد الكامل على مذهب هذا الرجل
 الفضل ومن حصل له بعضها كان حظ من السعادة بحسب ذلك.
 (وأما الحكماء) قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وبقرط
 وأفلاطون وأشابههم فأنهم اجمعوا على أن الفضائل والسعادة
 كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في
 قوى النفس التي ذكرناها في أول الكتاب (وهي الحكمة
 والشجاعة واللين والعدالة). وجمعوا على أن هذه الفضائل هي
 كافية في السعادة ولا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن

وَلَا مَا هُوَ خَارِجُ الْبَدَنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَصَلَ تِلْكَ الْقَضَائِلَ لَمْ
يَضُرَّهُ فِي سَعَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا نَاقِصَ الْأَعْضَاءِ مُبْتَلًى بِجَمِيعِ
أَمْرَاضِ الْبَدَنِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُلْحِقَ النَّفْسَ مِنْهَا مَضْرَةٌ فِي خَاصِّ
أَفْعَالِهَا مِثْلُ فُسَادِ الْعَقْلِ وَرَدَاءَةِ الذِّهْنِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَأَمَّا الْفَقْرُ
وَالْحُمُولُ وَسُقُوطُ أَحْصَالِ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنِهَا فَلَيْسَتْ عِنْدَهُمْ
بِعَادِيَةٍ فِي السَّعَادَةِ الْبَتَّةَ . وَأَمَّا الرِّوَاقِيُّونَ وَجَمَاعَةُ مِنَ الطَّبِيعِيِّينَ
قَالَتْهُمْ جَعَلُوا الْبَدَنَ جُزْءًا مِنَ الْإِنْسَانِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ آلَةً كَمَا شَرَحْنَاهُ
فِيمَا تَقَدَّمَ فَلِذَلِكَ اضْطَرُّوا إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا السَّعَادَةَ الَّتِي فِي النَّفْسِ
غَيْرَ كَامِلَةً إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا سَعَادَةُ الْبَدَنِ وَمَا هُوَ خَارِجُ الْبَدَنِ
أَيْضًا أَعْنِي الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَكُونُ بِالْجَنَّتِ وَالْجَدِّ . وَالْمُحَقِّقُونَ مِنْ
الْمُتَلَاسِّقَةِ يَحْكُمُونَ أَمْرَ الْجَنَّتِ وَكُلُّ مَا يَكُونُ بِهِ وَمَعَهُ وَلَا يُؤْهَلُونَ
تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لِأَنَّهُمُ السَّعَادَةَ لِأَنَّ السَّعَادَةَ شَيْءٌ ثَابِتٌ غَيْرُ زَائِلٍ
وَلَا مُتَغَيِّرٍ وَهِيَ أَشْرَفُ الْأُمُورِ وَأَكْرَمُهَا وَأَرْفَعُهَا فَلَا يَجْعَلُونَ
لِأَخْسَنِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الَّذِي يَتَغَيَّرُ وَلَا يَثْبُتُ وَلَا يَحْصُلُ بِرُؤْيَةٍ وَلَا
فِكْرٍ وَلَا يَتَأَتَّى بِعَقْلِ وَفَضِيلَةٍ فِيهَا نَصِيًّا

وَلِهَذَا انْطَرَفَ اخْتَلَفَ الْقُدَمَاءُ فِي السَّعَادَةِ الْعُظْمَى قَطْنَ قَوْمٌ
أَنَّهُ لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ بِالطَّبِيعِيَّاتِ كُلِّهَا .
وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَكَيْنَا عَنْهُمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى هِيَ فِي
النَّفْسِ وَخَدَهَا وَسَمَوْا الْإِنْسَانَ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ وَخَدَهُ دُونَ الْبَدَنِ
وَلِذَلِكَ حَكَمُوا إِنَّهَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَةٌ بِالطَّبِيعَةِ وَكَدَرَهَا

وَنَحَاسَاتِ الْبَدَنِ وَضُرُورَاتِهِ وَحَاجَاتِ الْإِنْسَانِ بِهِ وَأَفْعَالَاتِهِ إِلَى
 الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ فَلَيْسَتْ سَعِيدَةً عَلَى الْأُطْلَاقِ. وَايضًا لَمَّا رَأَوْهَا لَا
 تَكْمُلُ لِرُجُودِ الْأَشْيَاءِ الْعَقْلِيَّةِ لِأَنَّهَا لَا تَنْتَبِهُ عَنْهَا بِظُلْمَةِ أَهْوَى
 أَغْنَى قُصُورِهَا وَنُقْصَانِهَا ظَنُّوا أَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْ هَذِهِ الْكُدُورَةَ فَارَقَتْ
 أَلْجَهَالَاتِ وَصَفَتْ وَخَاصَتْ وَقَبِلَتْ الْإِضَاءَةَ وَانْتَوَرَ الْإِلَهِيَّ أَغْنَى الْعَقْلِ
 التَّامِّ. وَنَحْبُ عَلَى رَأْيٍ هُوَ لَا أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَسْعُدُ السَّعَادَةَ التَّامَّةَ
 إِلَّا فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَلَانْهَا قَالَتْ إِنَّهُ
 مِنْ أَتَّبِعِ الشَّيْخَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ حَيًّا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ
 الصَّالِحَةَ وَيَعْتَقِدُ الْأَرَاءَ الصَّحِيحَةَ وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ الْقُضَائِلِ كُلِّهَا نَفْسِهِ
 أَوْ لَا ثُمَّ لِإِبْنَاءِ جَنَسِهِ ثَانِيًا وَيُخْلِفُ رَبَّ الْعِزَّةِ تَقْدَسَ ذِكْرُهُ فِي
 خَلْقِهِ بِهِذِهِ الْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ فَهُوَ شَقِيٌّ نَاقِصٌ حَتَّى إِذَا مَاتَ
 وَعَدِمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَارَ سَعِيدًا تَامَ السَّعَادَةَ وَارِسَ طَائِلِيسُ يَتَحَقَّقُ
 بِهَذَا الرَّأْيِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِنْسَانُ هُوَ
 الْمُرْغَبُ عِنْدَهُ مِنْ بَدَنِهِ وَنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ حَدَّ الْإِنْسَانِ بِالنَّاطِقِ
 أَلَمَانِ وَبِالنَّاطِقِ أَلَمَانِي بِرَجُلَيْنِ وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ. وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ وَهِيَ
 أَلْبِي رَيْسُهَا أَرِسْطَاطَالِيسُ رَأَتْ أَنَّ السَّعَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَحْصُلُ
 لِلْإِنْسَانِ إِذَا سَعَى لَهَا وَتَعَبَ بِهَا حَتَّى يَصِيرَ إِلَى أَقْصَاهَا. وَلَمَّا رَأَى
 الْحَكِيمُ ذَلِكَ وَأَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَنَّهَا
 قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِمْ إِشْكَالًا شَدِيدًا أَحْتَاجَ أَنْ يَتَعَبَّ فِي الْإِبَاتَةِ
 عَنْهَا وَاطَّاعُوا الْكَلَامَ فِيهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَقِيرَ يَرَى أَنَّ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى

فِي الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ وَالْمَرِيضَ يَرَى أَنَّهَا فِي الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَالذَّلِيلَ
يَرَى أَنَّهَا فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالْخَلِيعَ يَرَى أَنَّهَا فِي التَّمَكِّنِ مِنَ
الشَّهَوَاتِ كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَالْعَاشِقَ يَرَى أَنَّهَا فِي الظَّفَرِ بِالْمَعشُورِ
وَالْفَاضِلَ يَرَى أَنَّهَا فِي إِفَاضَةِ الْمَعْرُوفِ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ وَالْفَيْلَسُوفَ
يَرَى أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا إِذَا كَانَتْ مُرْتَبَةً بِحَسَبِ تَقْسِيطِ الْعَدْلِ أَعْنِي عُدَّةَ
الْحَاجَةِ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَحِبُّ وَكَمَا يَحِبُّ وَعِنْدَ مَنْ يَحِبُّ نَهْيَ
سَعَادَاتِ كُلِّهَا وَمَا كَانَ وَنَهَا يُرَادُ لِشَيْءٍ آخَرَ فَذَلِكَ الشَّيْءُ أَحَقُّ
بِاسْمِ السَّعَادَةِ

وَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ نَظَرَتْ ظَهْرًا مَا
وَجَبَ أَنْ تُثَبَّتَ فِي ذَلِكَ مَا تَرَاهُ صَوَابًا وَجَامِعًا لِلرَّائِينَ فَقَوْلُ :
إِنَّ الْإِنْسَانَ ذُو قَضِيَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي
تُسَمَّى مَلَائِكَةً وَذُو قَضِيَّةٍ جَسَدَانِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَنْعَامَ لِأَنَّهُ
مُرَكَّبٌ مِنْهَا فَهُوَ بِأَخِيرِ الْجَسَامِيِّ الَّذِي يُنَاسِبُ بِهِ الْأَنْعَامَ مُعَيَّنٌ
فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ مُدَّةً قَصِيرَةً لِيَعْبُرَهُ وَيُنْظِمَهُ وَيُرْتَبَهُ حَتَّى إِذَا
ظَهَرَ بِهِدَمُ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْكَمَالِ انْتَقَلَ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَأَقَامَ
فِيهِ دَائِمًا سَرْمَدًا فِي صُحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَيَبْغِي أَنْ
يُفْهَمَ مِنْ قَوْلِنَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَالْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ
قَرَأْنَا قَدْ قُلْنَا هُنَاكَ إِنَّا لَنَسْنَا نَهْيَ بِالْعُلَوِيِّ الْمَكَانِ الْأَعْلَى فِي الْجِسْرِ
وَلَا بِالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ الْمَكَانِ الْأَسْفَلَ فِي الْجِسْرِ بَلْ كُلُّ مُحْسُوسٍ
فَهُوَ أَسْفَلُ وَإِنْ كَانَ مُحْسُوسًا فِي الْمَكَانِ الْأَعْلَى وَكُلُّ مَغْفُولٍ فَهُوَ

أَعْلَى وَإِنْ كَانَ مَعْقُولًا فِي الْمَكَانِ الْأَسْفَلِ. وَيَتَّبِعِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ
لَيْسَ يُحْتَاجُ فِي حَيَاةِ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ عَنِ الْأَبْدَانِ إِلَى
شَيْءٍ مِنَ السَّعَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَى سَعَادَةِ النَّفْسِ قَطُّ
أَعْنِي الْمَغْفِرَاتِ الْآبَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ قَطُّ. فَإِذَا مَا دَامَ
الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا فَلَيْسَ يَتِمُّ لَهُ السَّعَادَةُ إِلَّا بِتَحْصِيلِ الْحَالَيْنِ جَمِيعًا
وَلَيْسَ يَحْضُرَانِ عَلَى التَّامِّ إِلَّا بِالْأَشْيَاءِ الْثَاقِفَةِ فِي الْوُجُودِ إِلَى
الْحِكْمَةِ الْآبَدِيَّةِ. فَالْسَّعِيدُ إِذَا مِنَ النَّاسِ يَكُونُ فِي إِحْدَى
مَرَّتَيْنِ أَمَّا فِي مَرْتَبَةِ الْأَشْيَاءِ الْجَسَدِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا السُّفْلَى
سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ الْأُمُورَ الشَّرِيفَةَ بَاحِثًا عَنْهَا مُشْتَاَفًا
إِلَيْهَا مُتَحَرِّكًا نَحْوَهَا مُفْتَطِنًا بِهَا. وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ فِي رُتْبَةِ الْأَشْيَاءِ
الْأَرْوَاحِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا الْعُلْيَا سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ
الْأُمُورَ الْبَدَنِيَّةَ مُعْتَبِرًا بِهَا نَاطِرًا فِي عِلَامَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
وَدَلَائِلِ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مُتَدَبِّرًا بِهَا نَاطِلًا لَهَا مُفِيضًا لِحَايَاتِ عَلَيْهَا
سَابِقًا لَهَا نَحْوُ الْأَفْضَلِ فَإِلَّا فَضْلًا بِحَسَبِ قَبُولِهَا وَعَلَى نَحْوِ اسْتِطَاعَتِهَا.
وَأَيُّ أَمْرٍ لَمْ يَحْضُرْ فِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ فَهُوَ فِي رُتْبَةِ
الْإِنْعَامِ بَلْ هُوَ أَضَلُّ وَإِنَّمَا صَارَ أَضَلَّ لِأَنَّ تِلْكَ غَيْرُ مُرْصَدَةٍ لِهَذِهِ
الْخَيْرَاتِ وَلَا أُعْطِيَتْ اسْتِطَاعَةُ تَحَرُّكِهَا نَحْوَ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ
وَإِنَّمَا تَحَرُّكُهَا بِقُوَّاتِهَا كَمَا لَهَا الْخَاصَّةُ بِهَا وَالْإِنْسَانُ مُعْرَضٌ لَهَا
مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُزَاحٌ الْعَلَقُ فِيهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْضَلٍ لَهَا وَلَا سَاعٍ
نَحْوَهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَثِّرٌ لِضِدِّهَا يَسْتَعْمِلُ قُوَّاهُ الشَّرِيفَةَ فِي

الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَتِلْكَ مُحْصَاةٌ كَمَا لَانِهَا الَّتِي تُحْصَاهَا. فَإِذَا الْأَنْعَامُ إِذَا
 مُنِعَتْ أَخْيَرَاتِ الْإِنْسِيَّةِ حُرِمَتْ جَوَارِ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ
 الَّتِي وَعَدَ بِهَا الْمُتَّقُونَ فَهِيَ مَعْدُورَةٌ وَالْإِنْسَانُ غَيْرُ مَعْدُورٍ. وَمِثْلُ
 الْأَوَّلِ مِثْلُ الْآخِرِ إِذَا جَارَ عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَدَّى فِي بئرٍ فَهُوَ مَرْحُومٌ
 غَيْرُ مَلُومٍ. وَمِثْلُ الثَّانِي مِثْلُ بَصِيرٍ يَجُورُ عَلَى بَصِيرَةٍ حَتَّى يَتَرَدَّى فِي
 الْبِئْرِ فَهُوَ مَمْنُونٌ مَلُومٌ. وَإِذَا قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ السَّعِيدَ لَا مَحَالَةَ فِي إِحْدَى
 الْمُرْتَبَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَا هُمَا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَهُمَا نَاقِصٌ مُقْصِرٌ
 عَنِ الْآخَرِ وَأَنَّ الْأَنْقَصَ مِنْهُمَا لَيْسَ يَخْلُو وَلَا يَتَعَرَّى مِنَ الْآلَامِ
 وَالْحَسَرَاتِ لِأَجْلِ خَدَائِعِ الطَّبِيعَةِ وَالزَّخَاوِفِ الْجَنِّيَّةِ الَّتِي تَعَارُضُهُ
 فِيمَا يَلْبِسُهُ وَتَعَوُّفُهُ عَمَّا يُلَاحِظُهُ وَتَمَنُّهُ بِمَا يَلْبِغِي
 وَتَشْغَلُهُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْجَسَمَانِيَّةِ فَصَاحِبُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ غَيْرُ
 كَامِلٍ عَلَى الْأُطْلَاقِ وَلَا سَعِيدٌ تَامٌ. وَأَنَّ صَاحِبَ الْمُرْتَبَةِ الْآخَرَى
 هُوَ السَّعِيدُ التَّامُّ وَهُوَ الَّذِي تَوَفَّرَ حُظُّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهُوَ مُقِيمٌ
 بِرُوحَانِيَّتِهِ بَيْنَ الْأَلَاِ الْأَعْلَى يَسْتَمِدُّ مِنْهُمْ لَطَائِفَ الْحِكْمَةِ وَيَسْتَشِيرُ
 بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ وَيَسْتَرِيدُ مِنْ فَضَائِلِهِ بِحَسَبِ عَائِيَّتِهِ بِهَا وَقَلْبُهُ عَوَانِقُهُ
 عَنْهَا وَلِذَلِكَ يَكُونُ أَبَدًا خَالِيًا مِنَ الْآلَامِ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي لَا يَخْلُو
 صَاحِبُ الْمُرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْهَا. وَيَكُونُ مَسْرُورًا أَبَدًا بِذَاتِهِ مُغْنِيًا
 بِجَالِهِ وَبِمَا يَخْضُلُ لَهُ دَائِمًا مِنْ قِيَضِ نُورِ الْأَوَّلِ فَلَيْسَ يَسُرُّ إِلَّا بِتِلْكَ
 الْأَحْوَالِ وَلَا يَفْشِي إِلَّا بِتِلْكَ الْأَحْوَاسِ وَلَا يَهْشُ إِلَّا لِإِظْهَارِ
 تِلْكَ الْحِكْمَةِ بَيْنَ أَهْلِهَا وَلَا يَرْتَاحُ إِلَّا لِمَنْ نَاسَبَهُ أَوْ قَارَبَهُ

وَأَحَبُّ الْإِتِّبَاسِ مِنْهُ . وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ الَّتِي مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَقَدْ
وَصَلَ إِلَى آخِرِ السَّعَادَاتِ وَأَقْصَايَا وَهُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي بِفِرَاقِي
الْأَحْبَابِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِنَ التَّعَمُّعِ فِيهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى جِسْمَهُ وَمَالَهُ وَجَمِيعَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي عَدَدَتْهَا فِي
السَّعَادَاتِ الَّتِي فِي بَدَنِهِ وَالْخَارِجَةِ عَنْهُ كُلِّهَا كَلَّا عَلَيْهِ إِلَّا فِي
ضَرُورَاتٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِبَدَنِهِ الَّذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِهِ لَا يَسْتَطِيعُ
الْإِتِّخَالُ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ مَشِيئَةِ خَالِقِهِ وَهُوَ الَّذِي يَشْتَأِقُ إِلَى صُحْبَةِ
أَشْكَالِهِ وَمُلَاقَاةِ مَنْ يُنَاسِبُهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَلَائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَلَا يَخْتَارُ إِلَّا
مَا قُورِبَ إِلَيْهِ وَلَا يَخَالِفُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ الرَّدِيئَةِ وَلَا يَخْدَعُ
بِحُجْدَانِهِ الطَّيِّبَةِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ يَعُوقُهُ عَنْ سَعَادَتِهِ وَهُوَ الَّذِي
لَا يَحْزَنُ عَلَى فَقْدِ مَحْبُوبٍ وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى قُوْتِ مَطْلُوبٍ . إِلَّا أَنَّ
الْمُرْتَبَةَ الْأَخِيرَةَ تَتَفَاوَتُ تَفَاوُتًا عَظِيمًا أَعْنِي أَنَّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ
النَّاسِ يَكُونُ عَلَى طَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مُتَقَابِلَةٍ وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ هُمَا
الَّتَانِ سَأَلَ الْحَكِيمُ الْكَلَامَ إِلَيْهِمَا وَاخْتَارَ الْمُرْتَبَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْهُمَا . .
(وَإِذْ قَدْ خُصْنَا أَمْرَهُمَا نِزِينَ الْمُرْتَبَتَيْنِ مِنَ السَّعَادَةِ الْفُضْوَى) فَقَدْ بَيَّنَّ
بَيَانًا كَافِيًا أَنَّ إِحْدَاهُمَا بِالْإِضَافَةِ إِلَيْنَا أَوْلَى وَالْأُخْرَى ثَانِيَةٌ وَمَنْ
الْحَالُ أَنْ نَسْلُكَ إِلَى الثَّانِيَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَمُرَّ بِالْأُولَى . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ
مَنْ غَنِيَ بِبَعْضِ الْقُوَى الَّتِي ذَكَرْنَاهَا دُونَ بَعْضٍ أَوْ تَعَمَّدَ لِإِصْلَاحِهَا
فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ السَّعَادَةُ الثَّامَّةُ . . .

البحث الثامن

في انه ينبغي للخطيب المشير ان يعرف الاشياء النافعة
وفي مقابلة الخير مع النافع ومقابلة الحيور مع بعضها

(من كتاب خطابة ارسطاطليس تعريب ابن رشد)

قَدْ تَبَيَّنَتْ أَلْفَايَاتُ أَلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمَشِيرُ وَمِنْهَا تَتَبَيَّنُ
أَعْدَادُهَا أَلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَنْعُ الْمَشِيرُ وَهِيَ تُؤَلَّفُ مِنْهَا أَقَاوِيلُ
أَلْتَنْعُ إِذَا كَانَ عَدَدُهَا هُوَ ذَلِكَ أَلْعَدَدَ يَعْنِيهِ وَوَضْعُهَا مِنْ أَلْأَقَاوِيلِ
أَلْمَشُورِيَّةِ هُوَ ذَلِكَ أَلْوَضْعُ يَعْنِيهِ. وَمِنْ أَجْلِ أَنْ الْمَشِيرَ إِنَّمَا غَرَضُهُ
أَلْقُدُّمُ فِي فِكْرِهِ هُوَ أَنْ يُشِيرَ بِالشَّيْءِ النَّافِعِ الَّذِي تَلَزُّمُ عَنْهُ وَاحِدَةٌ
وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ أَلْفَايَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ أَلْفَايَاتِ هِيَ أَوَّلُ أَلْفِكْرَةٍ
وَأَخِرُ أَلْعَمَلِ وَالأَشْيَاءِ النَّافِعَةِ هِيَ آخِرُ أَلْفِكْرَةٍ وَأَوَّلُ أَلْعَمَلِ
وَأَعْنِي بِأَوَّلِ أَلْفِكْرِ النَّتِيجَةَ وَبِآخِرِ أَلْفِكْرِ أَلْقُدُّمَاتِ
فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْخَطِيبِ أَصُولٌ وَقَوَائِنُ يَعْرِفُ بِهَا أَلْأَشْيَاءَ
أَلنَّافِعَةَ فِي أَلْفَايَاتِ وَهِيَ أَلْعَرَائِبُ إِذَا كَانَتْ هِيَ أَوَّلُ أَلْعَمَلِ
وَأَلنَّافِعَاتِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ خَيْرًا مُطْلَقًا فَهِيَ خَيْرٌ لِأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى
أَلْخَيْرِ بِأُظْلَاطِهِ. فَأَلْخَيْرُ أَلْمُطْلَقُ هُوَ الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَيُخْتَارُ
غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ الَّذِي يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ أَلْكُلُّ. وَلَفَنِي هَاهُنَا
بِأَلْكُلِّ ذَوِي أَلْفَهْمِ أَلْحَسَنِ مِنَ أَلنَّاسِ وَأَلذِّكَاءِ. وَذَلِكَ قَدْ
يَكُونُ خَيْرًا فِي أَلْحَقِيقَةِ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا فِي أَلظَّنِّ وَذَلِكَ بِحَسَبِ
أَعْتِقَادِ إِنْسَانٍ إِنْسَانٍ فِي هَذَا أَلْخَيْرِ. وَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الَّذِي

يَعْتَقِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَذَا الْإِعْتِقَادَ مُوجُودَ لَهُ فَقَدْ اسْتَقْتَى بِهِ وَنَالَ
 حَاجَتَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَشَوُّقٌ إِلَى شَيْءٍ أَضْلًا. وَالْأَشْيَاءُ النَّافِعَةُ فِي هَذَا
 الْخَيْرِ هِيَ بِالْجُمْلَةِ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ الْأَشْيَاءُ الْفَاعِلَةُ وَالْأَشْيَاءُ الْحَافِظَةُ
 لَهُ وَمَا يَلْزِمُ الْفَاعِلَةَ وَذَلِكَ أَنَّ لَزِمَ الشَّيْءُ يُعَدُّ مَعَ الشَّيْءِ. وَكَذَلِكَ
 أَيْضًا لَزِمَ الْمُفْسِدُ لِلشَّيْءِ يُعَدُّ مَعَ الْمُفْسِدِ. وَلَا يَزِمُ ضِدَّ الْفَاعِلِ مَعَ
 ضِدِّ الْفَاعِلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا وَزُرُمُ الْفَاعِلَةِ لِلْفَاعِلِ رَبِّمَا
 كَانَ مَعًا مِثْلُ مَا يَلْزِمُ الْمَدْحَ أَقْتِنَاءُ الْأَشْيَاءِ الْمَدْعُودَةِ وَرَبِّمَا كَانَ
 مُتَاخِرًا وَثَلُ الْعِلْمِ الَّذِي يَتَّبِعُ التَّعَلَّمَ بِآخِرَةٍ. وَالْأَشْيَاءُ الْفَاعِلَةُ ثَلَاثَةٌ
 أَصْنَافٌ إِمَّا بِالذَّاتِ وَإِمَّا بِالْعَرَضِ. وَالَّذِي بِالذَّاتِ أَشْنَانُ إِمَّا
 قَرِيبٌ مِثْلُ فِعْلِ الْفِدَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَإِمَّا بَعِيدٌ مِثْلُ الطَّبِيبِ. وَالَّذِي
 بِالْعَرَضِ مِثْلُ فِعْلِ التَّمَبُّغِ فِي الرِّيَاضَةِ لِلصِّحَّةِ. وَإِذَا كَانَ وَاجِبًا أَنْ
 تَكُونَ أَصْنَافُ الْأَشْيَاءِ الْفَاعِلَةِ لِخَيْرٍ هِيَ هَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ
 فَبِأَضْطِرَارٍ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ النَّافِعَةُ فِي الْخَيْرِ بَعْضُهَا خَيْرٌ فِي ذَاتِهَا
 مِثْلُ نَفْعِ الْفِدَاءِ فِي الصِّحَّةِ وَبَعْضُهَا شَرٌّ فِي ذَاتِهَا وَخَيْرٌ مَا يَجَسِبُ
 نَفْعُهَا فِي الْخَيْرِ مِثْلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَالشَّرُّ الَّتِي تَنْفَعُ فِي
 الْخَيْرِ هِيَ نَافِعَةٌ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَفَادَ بِهَا خَيْرٌ هُوَ أَعْظَمُ
 مِنَ الشَّرِّ الَّلَّاحِقِ مِنْ أَتْبَعِهَا مِثْلُ اسْتِفَادَةِ الصِّحَّةِ عَنْ شُرْبِ
 الدَّوَاءِ وَمِثْلُ الْمَشَقَّةِ الْيَسِيرَةِ فِي اسْتِفَادَةِ الْمَالِ الْكَثِيرِ. وَمِنْهَا مَا
 تُنَالُ بِهِ السَّلَامَةُ مِنْ شَرٍّ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يُنَالُ مِنْهَا
 مِثْلُ مَا يُنَالُ رُكَّابُ الْحَجْرِ مِنَ السَّلَامَةِ إِذَا طَرَحُوا أَمَتِقَهُمْ فَإِنَّ

طَرَحَ أَمْتَعَهُمْ شَرَّ لَكِنْ تُسْتَفَادُ مِنْهُ السَّلَامَةُ مِنْ شَرِّ هُوَ أَعْظَمُ
وَهُوَ أَعْطَبُ. وَالْخَيْرَاتُ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْخَيْرَاتِ يُسَمِّيَهَا أَرِسْطُو
قَوَائِدَ بِإِطْلَاقٍ وَأَمَّا تِلْكَ فَيُسَمِّيَهَا أَتِّقَالًا وَيَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهَا أَتِّقَالُ
مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ أَخَفُّ شَرًّا مِنْهُ أَوْ أَتِّقَالُ مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ
خَيْرٌ

(قَالَ) وَالْقَضَائِلُ وَإِنْ كَانَتْ غَايَاتٍ فَعَلَى خَيْرَاتٍ فِي
أَنْفُسِهَا وَنَافِعَةٌ فِي الْخَيْرِ فَإِنَّ الْمُتَّقِينَ لَهَا هُمْ بِهَا حَسَنُوا الْأَحْوَالِ
وَهِيَ مَعَ هَذَا قَاعَةٌ لِلْخَيْرِ وَمُسْتَعْمَلَةٌ فِيهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَتَّبَعِي أَنْ تُخَيَّرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ وَكَيْفَ
هِيَ خَيْرٌ فِي نَفْسِهَا وَكَيْفَ هِيَ قَاعَةٌ لِلْخَيْرِ وَنَفِصَلُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ.
وَالَّذَاتُ أَيْضًا هِيَ خَيْرٌ بِنَفْسِهَا لِأَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ يَشْتَأِقُ إِلَيْهَا.
وَالْأُمُورُ الدَّيْدُودَةُ إِنَّمَا تَكُونُ خَيْرًا إِذَا كَانَ بِهَا التَّلَذُّدُ حَسَنَ الْحَالِ
وَقَدْ يَسْتَسِينُ مِنَ التَّفَضُّحِ أَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ نَافِعَةً فِي الْخَيْرِ
وَأَجْزَاءُ صَلَاحِ الْحَالِ. وَبِالْجُلَّةِ مِنْهَا مَا هِيَ غَايَاتٌ فَقَطْ. وَمِنْهَا مَا قَدْ
تَعَدَّ غَايَاتٍ وَهِيَ نَافِعَةٌ أَيْضًا فِي الْغَايَاتِ. وَذَلِكَ أَنَّ لِبَعْضِهَا تَرْتِيبًا
عِنْدَ بَعْضٍ أَغْنَى أَنْ بَعْضُهَا عِلَّةٌ لَوْجُودِ بَعْضٍ وَمُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ. وَمِمَّا
ذَلِكَ أَنَّ الشُّجَاعَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعَفَافَ وَكِبَرَ النَّفْسِ وَالنُّبْلَ وَمَا
أَشْبَهَهَا مِنْ قَضَائِلِ النَّفْسِ قَدْ تَخْتَارُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ أَجْزَاءِ صَلَاحِ
الْحَالِ مِنْ أَجْلِهَا. وَكَذَلِكَ الصِّحَّةُ وَالْجَمَالُ مِنْ قَضَائِلِ الْجَسَدِ قَدْ تَخْتَارُ
أَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِهَا هِيَ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ وَهِيَ فَاعِلَاتُهَا وَكَذَلِكَ تَخْتَارُ

فَاعِلَاتُ أَشْيَاءٍ أُخَرَ مِنْ صَلَاحِ أَحَالٍ مِثْلُ فَاعِلَاتِ اللَّذَّةِ وَفَاعِلَاتِ
السَّيْرِ الْحَسَنَةِ . وَلِذَلِكَ مَا يُطَنُّ بِالْيَسَارِ أَنَّهُ خَيْرٌ إِذَا كَانَ سَبَبًا
لِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَحَدُهُمَا اللَّذَّةُ وَالْآخَرُ حُسْنُ السَّيْرِ
وَصَلَاحُ أَحَالٍ بِكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ قَدْ يُوجَدُ فَاعِلًا لِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْ
الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ الصَّدَاقَةُ الَّتِي بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ الْحَبَّةِ
نَفْسَهَا لَا أَنْ تَكُونَ الْحَبَّةُ بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ آخَرَ فَإِنَّ
الْإِخْوَانَ الَّذِينَ يَهْدُوهُ الصَّفَقَةُ هُمْ يَفْعَلُونَ الْكِرَامَةَ وَالْتَّحِيدَ وَغَيْرَ
ذَلِكَ يُمَا يَجْرِي تَجَرَّاهُمَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ فَإِنَّ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ الَّتِي تُفْعَلُ بِهَا الْكِرَامَةُ وَالْتَّحِيدُ
وغير ذلك يُمَا يَجْرِي تَجَرَّاهُمَا هِيَ خَيْرٌ وَنَافِعٌ

(قَالَ) وَمِنْ النَّوَافِعِ بِذَاتِهَا الْمَلَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ
الْإِنْسَانُ بِهَا مُسْتَعِدًّا لِأَشْيَاءٍ حَسَنَةٍ مِثْلِ الذِّكَاةِ وَالْحَفِظِ وَالتَّعَلُّمِ
وِخْفَةِ الْحُرُكَاتِ . وَكَذَلِكَ الْكَمَالَاتُ مِثْلُ الْعُلُومِ وَالصَّانِعِ . وَكَذَلِكَ
السَّيْرِ الْمُحْمَدَةِ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا نَافِعَةٌ فِي غَيْرِهَا هِيَ خَيْرٌ فِي
نَفْسِهَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِهَا خَيْرٌ آخَرُ فَهِيَ خَيْرَاتٌ مُنْقَرِدَةٌ بِأَنْفُسِهَا
مُحْتَارَةٌ لِذَاتِهَا وَأَلْبَدُ أَيْضًا خَيْرٌ نَافِعٌ

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْخَيْرَاتُ الَّتِي يُعْتَرَفُ بِهَا وَيُجْتَمَعُ أَنَّهَا خَيْرَاتٌ
وَنَافِعَاتٌ وَمَتَى بَيَّنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَنَّهَا خَيْرٌ فَذَلِكَ يَكُونُ لَا عَلَى طَرِيقِ
الْإِرَاءِ وَالْمُعَاظَلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَأَمَّا إِذَا بَيَّنَّ فِي شَيْءٍ
مِنْ أَضْدَادِ هَذِهِ أَنَّهَا خَيْرٌ وَفِيهَا أَنَّهَا شَرٌّ فَذَلِكَ يَكُونُ فِي هَذِهِ

الضَّاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَرَاءِ أَغْنَى بَيَانُ سُوفِسْطَانِي. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرَّ
إِنَّمَا يَنْفَعُ بِالْعَرَضِ مِثْلَ أَنْ يَبْتَغِيَ خَطِيبٌ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ مَا أَنْ
أُجِبْنَ لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنَّهُمْ إِنْ تَجَمُّعُوا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ مِنْهُمْ
الْعَدُوُّ وَلَكِنْ أَجِبْنِ لَيْسَ هُوَ خَيْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَئِنْ كَانَ خَيْرًا
بِالِإِضَافَةِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ عَرَضَ لَهُمْ هَذَا. وَأَمَّا النَّافِعُ فِي
الْأَكْثَرِ بِأَلْذَاتِ لِلْإِنْسَانِ فَهُوَ الْخَيْرُ كَمَا أَنَّ الشَّرَّ الْمَضَادُّ لِلْخَيْرِ
هُوَ نَافِعٌ لِلْعَدَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ أَجِبْنَ لَمْ يَكُنْ شَرًّا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ
بِالْعَرَضِ كَانَ نَافِعًا لِلْعَدَاءِ. وَالشَّجَاعَةُ لَمَّا كَانَتْ بِأَلْذَاتِ خَيْرًا لَهُمْ
كَانَتْ ضَارَّةً بِالْعَدَاءِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَلْحَقُ مَا هُوَ شَرٌّ مَا لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَكُونَ ضَارًّا لِلْعَدُوِّ وَمَا هُوَ خَيْرٌ مَا لَهُ أَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِلْعَدُوِّ
مِثْلَ أَجِبْنَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ إِذَا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ قُوَّةٌ يُقَاوِمُونَ بِهَا عَدُوَّهُمْ. فَيَبْتَغِي الْخَطِيبُ أَنْ يَتَحَرَّى فِي
كُلِّ وَقْتِ النَّافِعِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَيْضًا لَبِستُ كَلِمَةً
أَغْنَى الْقَائِلَةَ أَنَّ كُلَّ مَا يَضُرُّ الْعَدُوَّ وَيَكْرَهُهُ نَافِعٌ وَكُلُّ مَا يَنْفَعُ
الْعَدُوَّ وَيَسِّرُهُ ضَارٌّ فَإِنْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْأَمْرُ الْوَاحِدُ ضَارًّا
لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ وَنَافِعًا لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ. فَيَقَالُ مَا هُوَ نَافِعٌ لِكُلِّهِمَا
وَيَسِّرُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُفَارَقَةَ الْعَدُوِّ عَدُوَّهُ إِذَا كَانَتْ بَعْدَ مُعَاتَلَةٍ
شَدِيدَةٍ بَيْنَهُمَا وَمُقَاوَمَةٍ أَشَقَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْعَطَبِ مِنْهَا
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْفَرَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَإِنَّهُمَا إِذَا اقْتَرَقَا فِي إِنْزَالِهِ
أَحَالُوهُ سُرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْأَقْرَبِ وَلِذَلِكَ قَدْ يَكُونُ النَّافِعُ

نَافِعًا لِلْأَعْدَاءِ أَيْضًا . وَأَمَّا مَا هُوَ ضَارٌّ لِكِلَيْهِمَا فَكَثِيرٌ مَا يُوجِبُ
 صَدَاقَةَ الْعَدُوِّ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي تَرَدُّدِ الشَّرِّ أَلْوَارِدِ
 بِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْضَلَ أَحَدُهُمَا فِي ذَلِكَ صَاحِبُهُ . وَكَثِيرٌ مِنْ
 الْأَنْفُسِ الْمُخْتَلِفَةِ كَانَ اتِّفَاقُهُمْ بِهَذَا السَّبَبِ وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ الشَّرَّ قَدْ
 يَجْمَعُ النَّاسَ فَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ مَا يَكُونُ بِهِ الشَّرُّ نَافِعًا أَغْنَى أَنْ
 يَكُونَ الشَّرُّ النَّازِلُ بِالْإِنْسَانِ نَازِلًا بِعَدُوِّهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ يُرْجَبُ
 صَدَاقَةُ الْعَدُوِّ وَجِنْدُ يَهُوَى الْعَدُوِّ أَلْوَارِدُ ضِدَّ مَا يَهْوَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ الَّذِينَ وَرَدَ عَلَيْهِمَا الْعَدُوُّ مِنْ خَارِجٍ . وَذَلِكَ أَنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ يَهْوَى صَدَاقَةَ صَاحِبِهِ لِكُنْ تَعَاوُنَهُمَا عَلَى
 الْعَدُوِّ أَلْوَارِدِ عَلَيْهِمَا مِنْ خَارِجٍ . وَالْعَدُوُّ أَلْوَارِدُ يَهْوَى بَقَاءَ عَدَاوَتِهِمَا
 عَلَى حَالِهَا أَوْ تَأْكُيْدِهَا . وَارِسْطُو يَقُولُ : وَلِذَلِكَ كَثِيرٌ مَا تُتَّفَقُ
 النَّفَقَاتُ الْعَظِيمَةُ وَتُفْعَلُ الْأَفْعَالُ الْكَثِيرَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَيْرِ
 الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ الْعَظِيمُ وَإِنَّمَا تَطِيبُ النَّفْسُ بِالنَّفَقَاتِ فِي مِثْلِ
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِظُهُورِ مَا يَلْزَمُ عَنْهَا مِنَ الْعَاقِبَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَفُرْجِهَا حَتَّى
 كَانَتْهَا إِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَجِدَتْ الْعَاقِبَةَ . وَقَدْ يَكُونُ الشَّرُّ
 الْمَفْرُطُ النَّازِلُ بِالْعَدُوِّ أَيْضًا سَبَبًا لِلْإِعْتِرَافِ بِالْخَيْرِ الْيَسِيرِ الَّذِي
 نَالَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَلَوْلَا هُوَ لَمْ يَعْتَرَفْ بِهِ الْعَدُوُّ . مِثْلُ مَا حَكَى أَرِسْطُو
 أَنَّهُ عَرَضَ لِمَعْصُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءَ لِلْيُونَانِيِّينَ أَنَّهُ اشْتَدَّتْ
 مُحَارَبَتُهُمْ لَهُ وَحَضَرَهُمْ أَيَّامُهُ سِنِينَ كَثِيرَةً وَقَتَلُوا فِي ذَلِكَ الْحِصَارِ
 أَبْنَهُ قَسَا لَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ جَسَدَهُ لِيُخْرِقَهَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي مَوَاتِهِمْ فَعَمَلُوا

ذَاكَ فَشَكَرْهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرَ شُكْرَهُمْ عِنْدَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ
 مَدِينَتِهِ . فَأُولَا مَا تَرَى بِهِ مِنْ الشَّرِّ الْعَظِيمِ لَدَى شُكْرِهِمْ عَلَى هَذَا
 الشَّيْءِ الْيَسِيرِ الَّذِي سَحَّوْا لَهُ بِهِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ أُوْمِيرُوشُ الشَّاعِرُ
 (قَالَ) وَمِنْ الْأَضْطِعَاعَاتِ النَّافِعَةِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يَعْظُمُ قَدْرُهَا
 عِنْدَ الْمُضْطَئِعِ الْيَوْمَ فَيَصِيرُ بِهِ الْمُضْطَئِعُ إِلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ مِنْ
 الْمُضْطَئِعِ الْيَوْمَ أَنْ يَخْتَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا عَظِيمَ الْقَدْرِ مِنْ جِنْسٍ مَا
 مِنْ النَّاسِ لَهُ أَيْضًا عَدُوٌّ عَظِيمٌ الْقَدْرِ فِي جِنْسٍ آخَرَ مِنَ النَّاسِ
 فَيَفْعَلَ بِعَدُوِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الشَّرَّ بِأَصْدِقَائِهِ الْخَيْرِ . مِثْلَ مَا عَرَضَ
 لِأُوْمِيرُوشَ مَعَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَعْدَائِهِمْ فَإِنَّهُ قَصَدَ إِلَى عَظِيمٍ
 مِنْ عَظَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْقَدِيمِ وَخَصَّهُ بِالْمَدْحِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنْ
 الْيُونَانِيِّينَ . وَخَصَّ عَدُوَّاهُ عَظِيمًا بِالْهَجْوِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمَلَايِينُ
 لِلْيُونَانِيِّينَ فِي حُرُوبٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا فَكَانَ رَبُّ التَّعَمُّةِ الْعَظِيمَةِ
 بِذَلِكَ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ وَعَظَّمُوهُ كُلَّ التَّعْظِيمِ . حَتَّى اغْتَفَدُوا فِيهِ أَنَّهُ كَانَ
 رَجُلًا إلهيًا وَأَنَّهُ كَانَ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ لِجَمِيعِ الْيُونَانِيِّينَ . وَبِالْجَمَلَةِ
 فَعَمِلَ الشَّرَّ بِالْأَعْدَاءِ وَالْخَيْرَ بِالْأَصْدِقَاءِ مِنْ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ .
 وَمِنْ شَرْطِ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي يَعْظُمُ مَوْقِعُهُ أَنْ يَكُونَ مَا فُعِلَ
 مِنْهُ يُرَى أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْ الْفَاعِلَ وَلَا تَسَرَّ لَهُ غَيْرُهُ وَسَوَاءٌ كَانَ الْفِعْلُ
 كَثِيرًا فِي نَفْسِهِ أَوْ يَسِيرًا وَأَنْ يَظُنَّ أَنَّ فِعْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِمَكَانٍ
 خَوْفٍ وَلَا شَيْءٍ يَرْجُوهُ بَلْ لِأَنَّ شَوْقَهُ وَهَوَاهُ قَادَهُ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ
 هَذَا يَكُونُ الْفِعْلُ مُدَاوِمًا عَلَيْهِ مِنَ الْفَاعِلِ وَهُوَ السَّهْلُ عَلَيْهِ لِأَنَّ

الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ مِنْ أَجْلِ خَوْفٍ إِنَّمَا تَكُونُ غَيْرَ شَاقَّةٍ زَمَانًا
 سِيرًا وَإِذَا طَالَ بِهَا الزَّمَانُ كَانَتْ شَاقَّةً فَأَنْقَطَعَتْ وَإِذَا انْقَطَعَتْ
 كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَدَاوَةٌ مِنَ الْأَطْنَعِ إِلَيْهِ لِلْمُضْطَنِّعِ . فَلِذَلِكَ
 يُشْتَرَطُ فِي هَذَا الْفِعْلِ أَنْ يَكُونَ سَهْلًا عَلَى الْقَاعِلِ فَهَذِهِ هِيَ
 شُرُوطُ الْإِتِّدَاءِ بِالضَّنَائِعِ الَّتِي يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا وَيُوجَدُ نَفْعُهَا . وَأَمَّا
 الْمُكَافَأَةُ الَّتِي لَا يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا فِيهِ الْمُكَافَأَةُ الَّتِي لَا تَكُونُ
 بِحَسَبِ مَا يَهْوَى الْمُكَافِئُ بِالطَّبْعِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَهُوَ أَنْ
 تَكُونَ نَاتِقَةً عَنِ الصَّنِيعَةِ الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ إِمَّا فِي الْكَيْمَةِ
 وَإِمَّا فِي الْمَنْفَعَةِ وَإِمَّا لِأَنَّهَا قَدْ فَضَلَتْ عِنْدَ الْمُكَافِئِ وَلَيْسَ يَخْتَلِجُ
 إِلَيْهَا وَهِيَ الْمُكَافَأَةُ الَّتِي يُعَاطِ فِيهَا وَإِنَّمَا كَانَ الْمُكَافِئُ بِالطَّبْعِ
 الَّذِي يَشْتَهِي أَنْ تَكُونَ مُكَافَأَتُهُ بِأَحَدِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَحْوَالِ
 لِأَنَّ الْمُكَافِئَ كَانَ مَقْصُورًا عَلَى الْإِنْعَاءِ فَهُوَ إِنَّمَا يَشْتَهِي إِمَّا
 أَلَّا يُلْحَقَهُ نَفْسٌ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
 النِّقْصُ أَقْلًا مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ . فَلِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَأَةُ
 بِهَذِهِ الصِّمَةِ بَلْ كَانَتْ مُقَارِنَةً لِلصَّنِيعَةِ إِمَّا فِي الْجَنَسِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَأَةُ عَلَى الدَّائِيَةِ بِدَرَاهِمٍ وَإِمَّا فِي الْقُوَّةِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَأَةُ عَلَى أَلْمَالٍ بِكَرَامَةٍ يُقْتَنَى بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ أَلْمَالِ
 فِيهِ الْمُكَافَأَةُ الْعَادِلَةُ لِكَيْفَا سُوقِيَّةٍ . فَلِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَأَةُ لَا
 سُوقِيَّةً وَلَا فِيهَا غَبْنٌ بَلْ كَانَ الْمُكَافِئُ يُعْتَمَدُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ
 اخْتِيَارُهُ فِي الْمُكَافَأَةِ بِمَا هُوَ أَنْقَضَ أَكْثَرَ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِمَا هُوَ

أَزِيدُ وَسَوَاءٌ وَقَعَتْ مُكَافَأَتُهُ بِمَا هُوَ أَنْقَصُ أَوْ بِمَا هُوَ مُسَاوٍ أَوْ بِمَا
هُوَ شَيْءٌ فِيهِ الْمُكَافَأَةُ الْجَمِيلَةُ لِأَنَّ مُكَافَأَتَهُ بِالْأَنْقَصِ لَمْ تَكُنْ
مِنْهُ بِاخْتِيَارٍ لِذَلِكَ بَلْ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ
مَعَ هَذَا ذَلِكَ الْفَضْلُ بِمَا يَسُرُّ بِهِ الْأَصْدِقَاءُ أَعْنِي أَصْدِقَاءَهُ
الْمُكَافِئِينَ بِالْفِعْلِ وَيَسُوهُ أَعْدَاءُهُ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا مُتَّحِبًا مِنْهُ
عِنْدَ أَجْمَعِهِمْ. وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ صَدَرَ عَنْهُ عَظِيمُ مَوْقِعِهِ مِنْ
الْمُضْطَنَعِ إِلَيْهِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتِ الصَّنِيعَةُ بِمَا تَوَافَقُ شَهْوَةُ الْمُضْطَنَعِ
إِلَيْهِ مِثْلَ أَنْ يُكَافِيَ أَوْ يُبَدَأَ نَحْبَ الْكَرَامَةِ بِالْكَرَامَةِ وَنَحْبَ
الْأَمَالِ بِالْأَمَالِ وَنَحْبَ الْقَلْبَةِ بِالْقَلْبَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنِيعَةَ لَيْسَتْ هِيَ
لِذِيذَةٍ فَقَطْ عِنْدَ الَّذِي تُضْطَنَعُ إِلَيْهِ أَوْ يُكَافَأُ بِهَا بَلْ هِيَ عِنْدَهُ
فَاضِلَةٌ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي سَائِرِ أَصْنَافِ الْخَيْرَاتِ وَإِنَّمَا تَكُونُ
أَفْعَالُ الصَّانِعِ وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْمُبْتَدِئِ وَالْمُكَافِئِ أَفْعَالًا سَهْلَةً
يُمْكِنُ أَنْ يَدَاوِمُوا عَلَيْهَا مَتَى كَانُوا بِاسْتِعْدَادِهِمُ الطَّبِيعِيِّ مُبْتَدِينَ
لِتِلْكَ الْأَفْعَالِ وَكَانَتْ قَدْ حَصَلَتْ لَهُمُ الْمَلَكَةُ الَّتِي بِهَا تَصْدُرُ مِنْهُمْ
تِلْكَ الْأَفْعَالُ وَمِنَ الصَّانِعِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي يُطْنُ بِهَا أَنَّهُ لَا يَسْ تُنْقَصُ
الْمُضْطَنَعُ شَيْئًا بِالْإِضْطِنَاعِ بِالتَّأْدِيبِ وَالْمَوْعِظَةِ



البحث التاسع

في ابشار الحيور وفي شروط تفضيل بعضها على بعض

والاسباب الموجبة لذلك

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَمِنْ هَذِهِ أَلَوْجُوهُ يَأْخُذُ الْخَطِيبُ الْمَقْدَمَاتِ الَّتِي مِنْهَا يُفْتَحُ أَنْ الشَّيْءَ نَافِعٌ أَوْ غَيْرُ نَافِعٍ. وَمِنْ أَجْلِ أَنْ الْخَطِيبَ قَدْ يَعْتَرِفُ أَحْيَانًا بِأَنَّ الْأَمْرَ نَافِعٌ وَلَكِنْ يَدَّعِي أَنَّ هَٰذَا شَيْئًا هُوَ أَنْفَعُ فَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ مَوَاضِعُ يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَنَ بِهَا أَنَّ الْأَمْرَ أَنْفَعُ وَأَفْضَلُ. فَمِنْهَا أَنْ مَا كَانَ نَافِعًا فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ فَهُوَ أَنْفَعُ بِمَا هُوَ نَافِعٌ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ. وَالَّذِي هُوَ أَدْوَمُ نَفْعًا هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الَّذِي هُوَ أَقْصَرُ نَفْعًا. وَالَّذِي هُوَ أَكْبَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَصْغَرِ. وَالَّذِي هُوَ أَكْثَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَقَلِّ. وَالَّذِي جَمَعَ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ أَكْثَرَ أَوْ جَمَعَ صِفَاتِهِ كُلَّهَا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَصِفَاتُ الْخَيْرِ الثَّلَاثُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُخْتَارًا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ لَا مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ وَأَنْ يَكُونَ مُتَشَوِّقًا عِنْدَ الْكُلِّ وَأَنْ يَكُونَ دَوْرَ الْفَضْلِ وَاللَّبِّ يَحْتَارُونَهُ وَالَّذِي جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا فَهُوَ الْخَيْرُ وَالنَّافِعُ الَّذِي فِي الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْعَالِيَةُ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوصَفُ بِالْخَيْرِ. وَالْأَشْيَاءُ الْمُتَصِفَةُ بِالْخَيْرِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِهَذَا الْخَيْرِ الَّذِي

جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا أَنَّهَا أَنْفَعُ إِذَا وُجِدَ فِي وَاحِدٍ
 مِنْهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُوْجَدُ فِيهِ صِفَاتٌ أَكْثَرُ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ
 فَهُوَ أَنْفَعُ مَا لَمْ تَكُنِ الصِّفَةُ الْوَاحِدَةُ أَنْفَعُ مِنْ اثْنَتَيْنِ أَوْ مِنْ
 ثَلَاثٍ. وَآيَاضًا فَمَا كَانَ الْعَظِيمُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ فِي
 جِنْسٍ آخَرَ فَالْجِنْسُ الَّذِي فِيهِ الْعَظِيمُ الْأَفْضَلُ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
 الْجِنْسِ الْآخَرِ وَمَا كَانَ الْجِنْسُ مِنْهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ
 فَالْعَظِيمُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ مِنَ الْجِنْسِ الْآخَرِ
 وَهُوَ عَكْسُ الْأَوَّلِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذَّكَرَانُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْإِنَاثِ فَالرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْمَرْأَةِ فَالذَّكَرَانُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنَاثِ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ
 كَذَلِكَ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْعَظِيمِ إِلَى جِنْسِهِ هِيَ كَنِسْبَةِ الْعَظِيمِ الْآخَرِ إِلَى
 جِنْسِهِ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْجِنْسِ إِلَى الْجِنْسِ هِيَ نِسْبَةُ الْعَظِيمِ إِلَى
 الْعَظِيمِ. ثُمَّ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ لَا زِمًا لِشَيْءٍ مَا وَالْآخَرُ غَيْرُ لَا زِمٍ لَهُ
 فَإِنَّ الَّذِي يَلْزَمُ عَنْهُ الشَّيْءُ آخَرُ مِنَ الَّذِي لَا يَلْزَمُ عَنْهُ الشَّيْءُ.
 مِثَالُ ذَلِكَ السُّلْطَانُ وَالْثَّرْوَةُ فَإِنَّ الثَّرْوَةَ تَلْزَمُ السُّلْطَانَ وَلَيْسَ يَلْزَمُ
 السُّلْطَانَ الثَّرْوَةُ. فَلِذَلِكَ السُّلْطَانُ أَفْضَلُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَكَذَلِكَ الْحَالُ
 فِي الْخَبَارِ فَإِنَّ الْفَقْرَ يَلْزَمُ عَنْهُ الْبُخْلُ وَلَيْسَ يَلْزَمُ عَنِ الْبُخْلِ الْفَقْرُ.
 فَالْفَقْرُ أَكْثَرُ شَرًّا مِنَ الْبُخْلِ وَاللَّزِمُ يُوجَدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: إِمَّا
 أَنْ يُوْجَدَ مَا غَنِيَ الْإِلْزِمَ وَالْمَلْزُومَ مِثْلُ وُجُودِ الْأَبْيَضِ وَالْبَيَاضِ

مَعًا وَمِثْلُ لُزُومِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. وَإِمَّا أَنْ يُوجَدَ اللَّزُومُ تَابِعًا
بِآخِرَةٍ مِثْلُ لُزُومِ الْعِلْمِ عَنِ التَّعَلُّمِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَلَاذُمُهُمَا فِي
الْقُوَّةِ أَيْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَفْعَلُ فِعْلَ الْآخَرِ وَلَا يَتَعَكَّسُ أَعْنِي
أَلَّا يَفْعَلَ الْآخَرُ فِعْلَ الْأَوَّلِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الْفَقْرُ وَالْجُلُّ فَإِنَّ الْفَقْرَ
يَلْزِمُ عَنْهُ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ فِعْلَ الْجُلِّ وَلَيْسَ يَلْزِمُ عَنِ الْجُلِّ فِعْلُ
الْفَقْرِ فَإِنَّ الْفَقْرَ يَتَوَقَّعُ عَنْ أَشْيَاءَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْكَمَالِ
الَّذِي هُوَ الْجُلُّ وَآيضًا الَّذِي يَفْعَلُ الْخَيْرَ الْأَنْفَعُ هُوَ أَنْفَعُ مِنْ
الْأَنْفَعِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الْجِلْدُ وَالْجَمَالُ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا نَافِعٌ وَخَيْرٌ وَالْجِلْدُ
يُفْعَلُ بِهِ خَيْرٌ أَكْثَرُ مِمَّا يَفْعَلُ بِالْجَمَالِ فَهُوَ أَكْثَرُ نَفْعًا. وَكَذَلِكَ
الْصِحَّةُ أَيْضًا أَكْثَرُ نَفْعًا مِنَ اللَّذَّةِ لِأَنَّ الصِّحَّةَ يَفْعَلُ بِهَا خَيْرَاتٌ
أَكْثَرَ مِمَّا يَفْعَلُ بِاللَّذَاتِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يُخْتَارُ مُفْرَدًا أَفْضَلُ نَفْعًا
مِنَ الَّذِي لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ ذَلِكَ الْمُخْتَارِ مُفْرَدًا. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ
الْجَمَالَ لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ الصِّحَّةِ وَالصِّحَّةُ تُخْتَارُ دُونَ الْجَمَالِ فَالْصِّحَّةُ
أَفْضَلُ نَفْعًا مِنَ الْجَمَالِ. وَآيضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا كَمَالًا
وَالْآخَرُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ فَالَّذِي هُوَ كَمَالٌ أَفْضَلُ. مِثْلُ الصِّحَّةِ
وَاللَّذَّةِ فَإِنَّ الصِّحَّةَ كَمَالٌ وَاللَّذَّةُ كَوْنٌ وَالْكَوْنُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ.
وَإِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا يُخْتَارُ لِذَاتِهِ وَالْآخَرُ يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ
فَالَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ
غَيْرِهِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الْحِكْمَةُ وَالْيَسَارُ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تُخْتَارُ لِذَاتِهَا
وَالْيَسَارُ يُخْتَارُ لغيرِهِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يَحْتَمِلُ الْمَرَّةَ إِذَا اقْتَنَاهُ أَقَلَّ

حَاجَةً إِلَى أَعْدِقَانِهِ أَوْ إِلَى الْإِنْسَانِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْمَعُهُ
أَكْثَرُ حَاجَةٍ. فَإِنَّ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ كِفَايَةً وَاسْتِغْنَاءً عَنِ النَّاسِ هُوَ الَّذِي
يَحْتَاجُ إِلَى أَشْيَاءَ قَلِيلَةٍ أَلَدَدٍ سَهْلٍ وَجُودَهَا. وَآيُضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ
أَحَدُهُمَا يُجُوجُ أَقْتِنَاؤُهُ إِلَى الثَّانِي وَالثَّانِي لَا يُجُوجُ أَقْتِنَاؤُهُ إِلَى
الْآخَرِ فَإِنَّ الَّذِي لَا يُجُوجُ أَقْتِنَاؤُهُ إِلَى الْآخَرِ هُوَ أَثَرٌ. وَمِثَالُ ذَلِكَ
الْيَسَارُ وَالْبُنُونُ فَإِنَّ الْبَيْنَ يُجُوجُونَ إِلَى أَقْتِنَاءِ أَمَالٍ وَالْيَسَارُ لَيْسَ
يُجُوجُ إِلَى أَقْتِنَاءِ الْبَيْنِ فَالْيَسَارُ أَفْضَلُ نَفْعًا

(قَالَ) وَيَسْتَيْنُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ مَبْدَأٌ لَيْسَ يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ
مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ لَهُ مَبْدَأٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ مَبْدَأُ الْخَيْرِ وَفِعْلُ
الْخَيْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ. وَكَذَلِكَ التَّعَلُّمُ وَالْعِلْمُ وَإِنْ كَانَ
لَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ النَّافِعُ دُونَ مَبْدَأِهِ. وَإِذَا كَانَ
شَيْئَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ وَاحِدُ الْمَبْدَأَيْنِ أَعْظَمُ مِنَ الثَّانِي فَإِنَّ الَّذِي
يَكُونُ عَنِ الْمَبْدَأِ الْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَعَكْسُ هَذَا أَيْضًا وَهُوَ إِذَا كَانَ
ثَمَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ عَلَى أَنَّهَا قَاعِلٌ وَاحِدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الثَّانِي
فَإِنَّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأٌ لِلْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَبْدَأَانِ عَلَى
أَنَّهَا غَايَةٌ وَإِذَا قِيسَ الْمَبْدَأُ الْفَاعِلُ إِلَى الْغَايَةِ أَمْكَنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ
أَنَّ الْفَاعِلَ أَعْظَمُ مِنَ الْغَايَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ
الْغَايَةَ وَلَوْلَا هُوَ لَمْ تَوْجِدِ الْغَايَةَ وَأَمْكَنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَيْضًا أَنَّ الْغَايَةَ
أَعْظَمُ مِنَ الْمَبْدَأِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا الْغَايَةُ لَكَانَ الْفَاعِلُ فَضْلًا. فَمِثَالُ
مَا تَجَعَلَ الْغَايَةَ فِيهِ أَعْظَمَ مِنَ الْفَاعِلِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ فِي الدَّمِ: إِنَّ

فَلَا أَوَّلَىٰ بِأَن يُنْسَبَ إِلَى الْخُزْرِ فِي فِعْلِهِ كَذَا مِنْ فُلَانٍ الَّذِي
أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ إِذْ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ
هُوَ ذَلِكَ الْفِعْلُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ الضَّرَرُ. وَمِثَالُ مَا يُجْعَلُ الْقَاعِلُ فِيهِ
أَعْظَمُ مِنَ الْعَايَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: فُلَانٌ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ عَلَىٰ هَذَا الْفِعْلِ
مِنْ فُلَانٍ لِأَن فُلَانًا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْفِعْلِ وَلَوْلَا
إِشَارَتُهُ لَمْ يَكُنْ لِفِعْلٍ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْمَحْمُودُ وَفِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ
مَا قَبْلَ الْعَايَةِ إِنَّمَا يُفَعَّلُ لِمَكَانِ الْعَايَةِ. وَآيِضًا فَإِنَّ الَّذِي وَجُودُهُ
أَقْلَرُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْحَدِيدِ غَيْرَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذَّهَبُ
أَقْلَرُ وَجُودًا مِنَ الْحَدِيدِ فَلَيْسَ هُوَ أَنْفَعُ. وَآيِضًا مُقَابِلُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ
مَا كَثُرَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِمَا قَلَّ وَجُودُهُ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ وَمِنْ هُنَا
يُقَالُ إِنْ أَلْمَأْ خَيْرٌ لِكَثْرَةِ وَجُودِهِ وَمَعْمُومٌ مَنَافِعِهِ. وَآيِضًا فَإِنَّ مَا
هُوَ أَعْسَرُ وَجُودًا فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَن مَا عَسَرَ وَجُودُهُ قَلَّ وَجُودُهُ
وَمَا قَلَّ وَجُودُهُ فَهُوَ غَرِيبٌ وَيَتَأَفَسُّ فِيهِ. وَمُقَابِلُ ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّ مَا
سَهَلَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ يُوْجَدُ فِي كُلِّ حَيْثُ يُشْتَقُّ إِلَيْهِ.
وَآيِضًا الشَّيْءُ الَّذِي ضِدُّهُ أَعْظَمُ فَهُوَ أَفْضَلُ. وَآيِضًا الَّذِي عَدِمَهُ
أَشَدُّ ضَرَرًا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ هَاهُنَا مِنَ الْأَعْظَمِ
وَالْأَقْلَرِ عَظَمُ الْقَائِمَةِ فِي الْخَيْرِ فَقَطْ بَلْ وَفِي الشَّرِّ وَفِيمَا هُوَ لَا
خَيْرَ وَلَا شَرَّ. وَآيِضًا فَإِنَّ الْعَايَاتِ وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُفَعَّلُ
الْأَفْعَالُ إِذَا كَانَتْ الْعَايَاتُ بَعْضُهَا أَزِيدَ خَيْرًا مِنْ بَعْضِ أَوْ أَزِيدَ
شَرًّا مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ الَّتِي قَدِمَتْ لِلْعَايَاتِ الْأَزِيدِ هِيَ

أَزِيدُ. وَآيْضًا فَإِنَّ مَا كَانَ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَالْفَضَائِلِ وَالْجُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ
الْقَاعَةِ أَكْثَرُ فَإِنَّ أَعْمَالَهَا الصَّادِرَةَ عَنْهَا تَكُونُ أَكْثَرُ لِأَنَّ نِسْبَةَ
الْأَفْعَالِ إِلَى مَبَادِيهَا هِيَ نِسْبَةُ الْمَبَادِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. فَإِنَّهُ
إِنْ كَانَ الْبَصَرُ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ فَإِنَّ الْبَصَارَ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ
وَهَكَذَا يُوجَدُ الْأَمْرُ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ مَعَ أَسْبَابِهَا الْقَاعَةِ لَيْسَ
فِي الدَّائِيَّةِ قَطُّ بَلْ وَفِيَا يَعْزُضُ عَنِ الشَّيْءِ بِالْإِتِّفَاقِ فَإِنَّ الْعَظِيمَ
يَكُونُ الْإِتِّفَاقُ الَّذِي يَعْزُضُ لَهُ عَظِيمًا وَفِي الْأَعْرَاضِ الْمَوْجُودَةِ فِي
الشَّيْءِ أَعْنِي أَنَّ الشَّيْءَ الْأَعْظَمَ الْعَرَضُ الْمَوْجُودُ فِيهِ أَكْثَرُ. وَآيْضًا
أَنْ يُحِبَّ الْإِنْسَانُ صَاحِبَ أَمْوَالٍ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُحِبَّ أَمْوَالُ لِأَنَّ
حُبَّ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ مِنْ حُبِّ أَمْوَالٍ. وَآيْضًا فَإِنَّ الْفَضَائِلَ أَفْضَلُ
مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي شَهَوَتُهَا فَاضِلَةٌ أَفْضَلُ مِنْ الَّتِي
شَهَوَتُهَا غَيْرُ فَاضِلَةٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ شَهْرَةَ الْعُلُومِ فَاضِلَةٌ وَشَهْوَةٌ
الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ غَيْرُ فَاضِلَةٍ فَالْعُلُومُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَكْلِ
وَالشَّرْبِ. وَآيْضًا عَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ مَا هُوَ أَفْضَلُ فَشَهْوَتُهُ أَفْضَلُ
مِثْلَ أَنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الصِّحَّةِ فَشَهْوَتُهَا أَفْضَلُ مِنْ شَهْوَةِ
الصِّحَّةِ. وَآيْضًا فَإِنَّ الْعُلُومَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فَأَعْمَالُهَا خَيْرٌ
وَأَفْضَلُ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْعُلُومُ الْعِلْمِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ
الْعَمَلِيَّةِ كَانَ فِعْلُهَا الَّذِي هُوَ الصِّدْقُ أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي فِعْلُهَا الْعَمَلُ.
وَعَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ الَّتِي فِعْلُهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعُلُومِ فَهِيَ أَفْضَلُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْحَقِّ لَمَّا كَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ كَانَتْ

الصَّانِعُ الْعَلِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ وَإِنَّمَا كَانَا هَذَانِ الْمَوْضِعَانِ
 مُتَكَادِرَيْنِ لِأَنَّ نِسْبَةَ الصَّاعَةِ إِلَى الصِّاعَةِ هِيَ نِسْبَةُ فِعْلِهَا إِلَى فِعْلِهَا
 (قَالَ) وَالَّذِي يُحْكَمُ بِهِ الْكُلُّ مِنَ الْجُمْهُورِ أَوْ الْأَكْثَرُ
 أَوْ دَوْرُ الْأَلْبَابِ وَالْأَخْيَارُ الصَّالِحُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ فَهُوَ أَفْضَلُ
 بِإِطْلَاقٍ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا كَانَ حُكْمُهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ بِحَسَبِ فِطْرِهِمْ
 وَكَانُوا ذَوِي لُبٍّ لَا يَحْسِبُ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْآرَاءِ مِنْ خَارِجٍ. فَإِنَّ
 ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُونَ بِفِطْرِهِمْ فِي الْفَضَائِلِ وَالْخَيْرَاتِ
 مَا هِيَ وَكَمْ هِيَ وَعِنْدَ آيِ شَيْءٍ هِيَ وَإِنْ كَانَ مَا يَقُونُ عَلَيْهِ
 بِفِطْرِهِمْ دُونَ مَا يُوقَفُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعُلُومِ وَمَا قِيلَ فِي حَدِّ
 الْخَيْرِ مِنْ أَنَّهُ الَّذِي يَتَشَوَّفُ الْكُلُّ لِنَمَائِهِ بِذَلِكَ الْخَيْرِ الَّذِي
 يَتَشَوَّفُ الْكُلُّ بِحَسَبِ فِطْرِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ أَيْنِ اللَّيْبَةِ فَإِنَّ مَا تَتَشَوَّفُ
 الْفِطْرُ اللَّيْبَةُ بِمَا هِيَ فِطْرُ لَيْبَةٍ هُوَ خَيْرٌ مُطْلَقٌ أَوْ خَيْرٌ أَفْضَلُ مِنْ
 خَيْرٍ مِثْلُ عِلْمِهِمْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْأَدَبَ وَالْجَلَدَ خَيْرَاتٌ وَتَشَوَّقُهُمْ
 إِيَّاهَا. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ بِالْإِصَاقَةِ إِلَى إِنْسَانٍ مَا مِثْلُ مَنْ يَرَى
 مِنَ النَّاسِ الْفَاضِلِينَ أَنَّهُ أَنْ يُجَارَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُجُورَ هُوَ فَإِنَّ
 هَذَا الْخَيْرَ لَا يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِحَسَبِ طِبَاعِهِمْ وَإِنَّمَا يَرَى هَذَا الرَّأْيُ
 الَّذِي هُوَ مِنَ النَّاسِ فِي غَايَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ. وَإِذَا مَا كَانَ مِنَ
 الْخَيْرَاتِ مَعَهُ أَكْثَرُ لَذَّةٍ فَهُوَ أَثَرٌ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ
 الْكُلَّ مِنَ الْجُمْهُورِ يَتَسَدَّدُونَ إِلَى اللَّذَّةِ وَيَطْلُبُونَهَا وَطَلِبُهُمُ اللَّذَّةُ
 هُوَ مِنْ أَجْلِ اللَّذَّةِ نَفْسِهَا لَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِهَا. وَمَا

كَانَ يَهْدِي الصِّفَةَ أَغْنَى مُتَشَوِّقًا لِلْكَلِّ فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْخَيْرُ وَالْعَايَةُ
 قَالَتِ الدَّهْلُ إِذَنْ خَيْرٌ وَالْأَزِيدُ لَدَّةٌ هِيَ اللَّذَاتُ الَّتِي هِيَ أَهْرَأُ مِنَ الْأَدَى
 وَالْخَيْرُ وَادْوَمَ بَقَاءُ. وَاللَّذَةُ الْحَبِيبَةُ الذُّ مِنْ اللَّذَّةِ الْعَلِيَّةِ لِأَنَّ الْحَبِيبَ
 بِمَا قَدْ يُخْتَارُ بِذَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَذِيذًا وَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُخْتَارُ
 الْمَرْءُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لِكُونِهِ إِمَّا لِنَفْسِهِ وَإِمَّا لِصَدِيقِهِ. وَبِالْحَبِيبَةِ فَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ اللَّذَّةِ أَفْضَلَ فَهُوَ الذُّ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ وَكُلُّ مَا هُوَ
 مِنْهَا أَطْوَلُ مُدَّةً فَهُوَ الذُّ مِنَ الَّتِي هِيَ مِنْهَا أَقْصَرُ مُدَّةً وَكُلُّ مَا كَانَ
 مِنَ الْخَيْرَاتِ أَثْبَتَ فَيَا فَهُوَ الذُّ بِمَا هُوَ أَقْلُ ثَبَاتًا وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ
 لَمْ تَكُنْ أَرْصَحَ فَيُنَازِلُ مِنَ الْجَمَالِ كَانَ وَجُودُ الصِّفَةِ لَنَا أَلَدُّ مِنْ
 وَجُودِ الْجَمَالِ. وَالْأَشْيَاءُ اللَّذِيذَةُ أَوْ الْأَكْثَرُ لَدَّةً إِنَّمَا السَّبَبُ
 فِي وَجُودِهَا لَنَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا طَوِيلُ ائْتِيَادِ الشَّيْءِ حَتَّى
 يَصِيرَ لَنَا الْإِلْتِدَادُ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْعَادَةِ كَالْحَالِ فِي اللَّذَّةِ الْحَاصِلَةِ عَنْ
 الْعِلْمِ. وَإِمَّا مِنْ قَبْلِ أَنَّهَا لَذِيذَةٌ جَدًّا عِنْدَنَا بِالطَّبْعِ. وَاهْوَى قَالِ الْأَشْيَاءُ
 إِذَنْ إِنَّمَا تَصِيرُ أَكْثَرُ لَدَّةً إِمَّا مِنْ قَبْلِ طَوِيلِ الزَّمَانِ وَإِمَّا مِنْ
 قَبْلِ ائْتِيَادِهَا وَالْمَوَاقِفَةِ الَّتِي بِالطَّبْعِ. وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَلَامُ هَوَانًا
 مُلَانِسَةً أَكْثَرُ فَإِنَّ مَنْفَعَتَهَا لَنَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي رُسُوحِهَا وَثُبُوتِهَا.
 وَقَدْ تَوَخَّذُ مُقَدِّمَاتُ الْإِنْفَعِ وَالْأَفْضَلُ مِنْ مَوَاضِعِ الظَّاهِرِ
 وَالْتَّحَارِيفِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الشَّجَاعَةُ أَثَرًا مِنَ الْعَفَافِ فَالْجُلُّ
 الشُّجَاعُ أَثَرًا مِنَ الْجُلِّ الْعَفِيفِ

(قَالَ) وَمَا اخْتَارَهُ الْكُلُّ أَثَرِيًّا لَا يَخْتَارُهُ الْكُلُّ مِنْ

الْجَاهِلُونَ وَمَا اخْتَارَهُ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَثَرٌ بِمَا يَخْتَارُهُ الْقَلِيلُ مِنَ
 النَّاسِ فَإِنَّ الْخَيْرَ كَمَا قِيلَ هُوَ الَّذِي يَشْتَقُ إِلَيْهِ الْكُلُّ . وَمَا
 اخْتَارَهُ أَيْضًا الْحُكَّامُ الْأَوَّلُ أَعْنِي الَّذِينَ لَا يَأْخُذُونَ بِالْأَحْكَامِ
 مِنْ غَيْرِهِمْ وَهُمْ الشَّرَاعُ أَفْضَلُ بِمَا لَمْ يَخْتَارُوهُ . وَمَا اخْتَارَهُ أَيْضًا
 الَّذِينَ يَتْلَقُونَ بِالْأَحْكَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ بِمَا لَيْسَ يَخْتَارُهُ هَؤُلَاءِ .
 وَالَّذِينَ يَتْلَقُونَ بِالْأَحْكَامِ مِنَ الْحُكَّامِ الْأَوَّلِ وَهُمْ الَّذِينَ تُوْحَدُ عَنْهُمْ
 أُصُولُ الْأَحْكَامِ صِنْفَانِ إِمَّا سَامِعٌ فَقَطْ مُبْلَغٌ وَإِمَّا سَامِعٌ عَالِمٌ
 أَيْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ أَحْكَامًا مَا لَمْ
 يُصْرَحْ بِهَا الْحُكَّامُ الْأَوَّلُ . وَهَؤُلَاءِ صِنْفَانِ إِمَّا مُسَلِّطُونَ مِنْ قَبْلِ
 الْحُكَّامِ الْأَوَّلِ وَهُمْ الْقَضَاةُ وَمَا أَشْبَهُهُمْ وَإِمَّا غَيْرُ مُسَلِّطِينَ وَهُمْ
 أَلْفَقَهَاءُ . وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا يُلْجِيعُ أَصْنَافَ الْمُتَلَقِّينَ مِنَ الْحُكَّامِ
 الْأَوَّلِ أَنْ يَقُولُوا فِيهَا . وَهُوَ مَا سَمِعُوهُ أَوْ مَا شَاهَدُوهُ مِنَ أَحْكَامِ
 الْأَوَّلِ وَمِمَّا مَا يَخْتَصُّ بِذَوِي الْعِلْمِ وَهُمْ هُوَ الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
 تُسْتَنْبِطُ عَنْ الْأَحْكَامِ الْأَوَّلِ الَّتِي صُرِّحَ بِهَا لِأَحْكَامِ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ
 لِلْسَامِعِينَ دُونَ عِلْمِهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَإِنَّمَا الَّذِي يَخْتَصُّ
 بِالْحُكَّامِ الْأَوَّلِ الْقَوْلُ فِيهِ فَيُحْيِي الْأُصُولَ الَّتِي تَتَرَدَّدُ مَرَّةً
 أَلْبَادِي لِسَانِ مَا يَحْكُمُ بِهِ السَّامِعُونَ دُونَ الْعِلْمِ أَعْنِي الْمُسَلِّطِينَ
 وَالْفَقَهَاءَ وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيَهَا أَرِسْطُو الْأُمُورَ الْعُظْمَى . وَالْقَضَاةُ الْأَبْرَارُ
 الَّذِينَ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُمْ الْجَمِيعُ أَوْ الْأَكْثَرُ فَحُكْمُهُمْ
 أَفْضَلُ فَإِنَّ عَدَمَ الْإِخْذِ قَدْ يُجْعِلُ هَوَانًا وَنَقْصًا فِي الْكُلِّ وَالْقَاضِلِ الْبَرُّ

وَقَوْلُهُ قَبُولُ لِقَوْلِهِ وَقَدْ يُحْيِلُ الْأَمْرُ بِعَكْسِ هَذَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ الْفَاضِلُونَ مَقْبُولِي الْقَوْلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ مِنَ الْجُمْهُورِ عَنْهُمْ أَصْلًا شَيْئًا أَوْ إِنَّمَا أَخَذَ عَنْهُمْ قَلِيلٌ. وَذَلِكَ أَنَّ أَقَابِيلَ هَؤُلَاءِ قَدْ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهُا مَقْبُولَةٌ بِجِهَةٍ أُخْرَى وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا فِي نَفْسِهِ وَالْأَقَلُّ مِنَ الْجُمْهُورِ وَهُمْ دَوْرُ التَّمْيِيزِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ الْفَاضِلِينَ الَّذِينَ كَتَبُوا فَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُمْهُورِ هُمْ مَدْحُونَ أَكْثَرُ وَهُمْ أَقَلُّ وَجُودًا وَاعْزُ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَتَبُوا فَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُمْهُورِ لِمَا خَافُوا أَنْ يُلْحَقَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالرِّئَاسَاتِ الَّتِي يُحَافُ إِذَا لَحِقَتْ أَلْمَاءُ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْأَلَاجِئَةُ لِلْفَضَائِلِ هِيَ الْمَقْصُودَةُ عِنْدَهُ بِالْفَضَائِلِ. فَبِنْ هَاهُنَا صَارَتْ أَقْوَالُ هَذَا الصَّنِيفِ مَقْبُولَةً كَمَا بَارَتْ أَقْوَالُ الصَّنِيفِ الْأَوَّلِ الْمُضَادِّ لِهَذَا مَقْبُولَةً وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ الْجُمْهُورُ

(قَالَ) وَمِنْ الصَّنِيفِ الْمَقْبُولِ الْقَوْلُ مِنَ النَّاسِ جِدًّا جِدًّا الصَّنِيفِ الَّذِينَ كَرَامَتُهُمْ أَعْظَمُ لِأَنَّ الْكَرَامَةَ لِمَا كَانَتْ مُكَافَأَةً لِقَضِيَّتِهِ كَانَ أَلْمَاءُ كُلَّمَا عَظُمَتْ كَرَامَتُهُ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ قَدْ عَظُمَتْ فَضِيلَتُهُ. وَالصَّنِيفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ نَالَتْهُمْ الْمَضَرَّةُ الْعَظِيمَةُ وَالشَّقَاءُ الْكَثِيرُ لِمَكَانِ الْفَضَائِلِ هُمْ أَيْضًا مَقْبُولُوا الْأَقْوَالِ جِدًّا جِدًّا بِمِثَرَةِ سُقْرَاطَ وَغَيْرِهِ وَالصَّنِيفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَرَى فِيهِ هَذَانِ الصَّنِفَانِ مِنَ النَّاسِ أَغْنَى الَّذِينَ كَرَامَتُهُمْ أَعْظَمُ وَالَّذِينَ نَالَهُمُ الْمَضَرَّةُ

الْكَبِيرُ مِنْ قَبْلِ الْفَضَائِلِ أَنَّهُمْ فَاضِلُونَ وَيَعْتَرِفُونَ لَهُمْ بِالْفَضْلِ
هُمْ أَيْضًا أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ. فَهَؤُلَاءِ هُمُ أَصْنَافُ النَّاسِ الَّذِينَ إِذَا
اخْتَارُوا شَيْئًا وَاخْتَارَ غَيْرُهُمْ سِوَاهُ كَانَ مَا يَخْتَارُهُ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ
وَأَكْثَرُ

(قَالَ) وَقِسْمَةُ الشَّيْءِ إِلَى جُزْئِيَّاتِهِ يُجَيِّلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ
وَلِذَلِكَ لَمَّا أَرَادَ أُوْمَيْرُوشُ الشَّاعِرُ أَنْ يُعْظِمَ الشَّرَّ الَّذِي لِحَقِ الْمَدِينَةِ
أَخَذَ بَدَلَهُ جُزْئِيَّاتِهِ فَذَكَرَ قَتْلَ الْأَوْلَادِ وَالنَّحْرَ عَلَيْهِمْ وَحَرْقَ الْمَدِينَةِ
بِالنَّارِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الشُّرُورِ الْأَلْحَمَّةِ لَهَا

(قَالَ) وَكَذَلِكَ التَّرْكِيبُ قَدْ يُجَيِّلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَهُوَ
عَكْسُ. هَذَا أَغْنِي أَنْ يُؤْخَذَ بَدَلُ الْكُلِّيَّاتِ الْكُلِّيُّ الَّذِي يَعْهُمُ
وَالسَّبَبُ فِي الْإِقْتَاعِ فِي هَذَيْنِ الصَّنَعَتَيْنِ هُوَ التَّغْيِيرُ وَالْإِبْدَالُ

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْأَعْسَرُ وَجُودًا فِي نَفْسِهَا
وَالْأَقْلُ وَجُودًا يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا أَفْضَلُ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ
الْوُجُودِ فِي نَفْسِهَا وَالسَّهْلَةُ الْوُجُودِ قَدْ تُرَى عَظِيمَةً إِذَا وَجَدَتْ فِي
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا وَجُودُهَا أَوْ فِي الْأَزِمَةِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا
فِيهَا أَيْضًا أَوْ فِي الْأَسَانِ مِنَ النَّاسِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا فِيهَا مِثْلُ
وُجُودِ الْإِنْسَانِ حَطِيبًا فِي سِنِّ الصَّبَا أَوْ فِي الْمَدَدِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ
مُتَأَنِّهَا أَنْ تُوجَدَ فِيهِ. وَمِثْلُ مَنْ يَفْعَلُ مَا شَاءَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِي زَمَانٍ
طَوِيلٍ فِي زَمَانٍ قَصِيرٍ أَوْ تَكُونَ صَادِرَةً عَنِ الْقَوَى الَّتِي يَقِلُّ
صُدُورُهَا عَنْهَا مِثْلُ أَنْ يَفْعَلَ الضَّعِيفُ فِعْلَ الْقَوِيِّ وَالْمَرِيضُ فِعْلَ

الصَّحِيحِ . وَكُلُّ هَذِهِ وَأَشْبَاهُهَا يَمَّا يُصَدَّرُ الْأَمْرَ الَّذِي لَيْسَ بِعَظِيمٍ
عَظِيمًا وَمُسْتَقَرَّبًا . وَآيضًا فَإِنَّ أَلْجُزَاءَ الْعَظِيمِ مِنَ الشَّيْءِ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِثْلُ الْقَلْبِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْدَّمَاعِ أَوِ الرَّيْعِ . مِنْ
السَّنَةِ وَالشَّابَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَآيضًا فَإِنَّ النَّافِعَ فِيهَا الْحَاجَةُ إِلَيْهِ
أَشَدُّ هُوَ أَعْظَمُ نَفْعًا وَالضَّارُّ فِيهِ أَكْثَرُ ضَرَرًا مِثْلُ الصِّحَّةِ فِي
السَّخَاوَةِ وَالْمَرَضِ فِيهَا . فَإِنَّ الصِّحَّةَ فِيهَا أَثَرٌ مِنَ الصِّحَّةِ فِي الصَّبَا
وَالْمَرَضِ فِيهَا أَثَرٌ . وَآيضًا مَا كَانَ مِنَ الْأَمْرَيْنِ أَقْرَبَ إِلَى الْقَائِدِ
فَهُوَ أَفْضَلُ . وَآيضًا مَا كَانَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ فَهُوَ أَفْضَلُ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ
الَّتِي سَبَلُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ فِي آخِرِ أَعْمَارِهِمْ هِيَ أَفْضَلُ مِثْلُ
الْحِكْمَةِ وَالْجِلْمِ . وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَكْمُلُ مَعَ طَوْلِ
الْعُمُرِ . وَآيضًا الْأَشْيَاءُ الَّتِي فُعِلَتْ أَوْ قِيلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا
أَعْظَمَ مِنَ الْبَيِّنَةِ إِذَا فُعِلَتْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهَا حَقِيقَةً تَامِيًا . وَارْتِطُوهَا
يُسَمَّى الْبَيِّنَةِ إِذَا فُعِلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا الَّتِي يُتَعَمَّدُ بِهَا الْحَقِيقَةُ
وَيُسَمَّى الْآخَرُ الْبَيِّنَةِ يُتَعَمَّدُ بِهَا الْمَذْحُ أَعْنِي الَّتِي لَيْسَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا
(قَالَ) وَحَدُّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُتَعَمَّدُ بِهَا الْمَذْحُ أَنَّهَا الَّتِي إِذَا
فُعِلَتْ يَجْهَلُ أَوْ يَبْطُلُ لَمْ يُنْمَحْ أَصْلًا وَالَّتِي يُتَعَمَّدُ بِهَا الْحَقِيقَةُ هِيَ
الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَيْفَ مَا فُعِلَتْ قَعْدَ حَصَاتٍ عَلَى التَّامِّ .

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ حُسْنُ قَبُولِ الشَّيْءِ الْجَبِيلِ أَثَرٌ مِنْ
فِعْلِ الشَّيْءِ الْجَبِيلِ لِأَنَّ فِعْلَ الْجَبِيلِ إِذَا فُعِلَ عَنْ غَلْطٍ أَوْ جَهْلٍ لَمْ
يُقْبَلْ وَلَا مُدِيحٌ قَاعِلُهُ . وَأَمَّا حُسْنُ الْإِتِّعَالِ وَالْقَبُولِ فَكَيْفَ مَا

حَصَلَ فَقَدْ اسْتَفَادَ الْخَيْرَ مِنْهُ الْقَائِلُ لَهُ . وَايضًا مَا أُذِرَ فَعَلَهُ لِنَفْسِهِ
 وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ أَثَرِيًّا لَا يُخْتَارُ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مَا يُعْلَمُ كَالْحَالِ
 فِي الصِّحَّةِ وَالْجَبَالِ . فَإِنَّ الصِّحَّةَ مُوْتَرَةٌ بِذَاتِهَا وَالْجَبَالُ مُوْتَرٌ لِلغَيْرِ .
 وَايضًا فَإِنَّ النَّافِعَةَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَهِيَ أَنْفَعُ كَالنَّافِعَةِ فِي طُولِ
 الْعُمُرِ وَفِي حُسْنِ الْعَيْشِ أَعْنِي الْعَيْشَ الرَّغْدَ وَفِي اللَّذَاتِ وَفِي
 أَصْطِنَاعِ الْخَيْرَاتِ . وَلِذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِالصِّحَّةِ وَالْيَسَارِ أَنَّهُمَا عَظِيمَانِ لِأَنَّهُمَا
 يَجْمَعَانِ الْخُلُوءَ مِنَ الْحُزَنِ وَالْفِعْلَ بِلَذَّةٍ أَعْنِي أَنَّ الصِّحَّةَ هِيَ سَبَبُ
 الْفِعْلِ بِلَذَّةٍ وَالْيَسَارُ سَبَبُ الْخُلُوءِ مِنَ الْأَحْزَانِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذَيْنِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ قَاضِلٌ وَمُخْتَارٌ بِنَفْسِهِ أَعْنِي الْخُلُوءَ مِنَ الْأَحْزَانِ
 وَالْأَفْعَالِ اللَّذِيذَةِ فَإِذَا اجْتَمَعَا لِأَمْرٍ جَمَلَاهُ أَنْظَمَ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ سِوَا: عَالِمٌ ذَلِكَ مِنْ عَلَيْهِ أَوْ جِهَلُهُ مِنْ جَهْلِهِ لِأَنَّ هَذِهِ
 خَيْرَاتٌ مُسْتَفَادَةٌ بِالْحَقِيقَةِ لَا مِنْ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يُتَعَسَّدُ بِهَا الْمَدْحُ .
 وَلِكُونَ الْيَسَارِ سَبَبًا لِدَفْعِ الْأَحْزَانِ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ السَّعَادَةُ قَوْمٌ
 وَآخَرُونَ رَأَوْا أَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ وَذَلِكَ
 وَاجِبٌ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ أُخْرَى أَنْ تَكُونَ السَّعَادَةُ ثَابِتَةً وَمَأْمُونَةً
 أَرْوَالٍ . فَإِنَّهُ لَيْسَ الضَّرَرُ الْأَلْحَقُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ فَقَدْ أَحَدَاهُمَا كَمَنْ لَهُ
 عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فَقَدْ هَدَاهَا لِأَنَّ الَّذِي لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ سَلَبَ أَحَبَّ مِمَّا سَلَبَ
 مَنْ لَهُ عَيْنَانِ . وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَتْ السَّعَادَةُ فِي الْمَالِ وَفِي شَيْءٍ آخَرَ
 لَمْ يَكُنِ الضَّرَرُ الْأَلْحَقُ عَنْ سَلَبِ الْمَالِ كَالضَّرَرِ الْأَلْحَقِ عَنْ سَلَبِهِ
 إِنْ كَانَ هُوَ السَّعَادَةُ وَحْدَهُ

(قَالَ) وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا هَاهُنَا لَيْسَ هُوَ عَلَى جِهَةِ
التَّضَحُّجِ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِيهَا بِالْقَدَرِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَطِيبُ مِنْ
ذَلِكَ وَيَجِبُ لِلْخَطِيبِ أَبَدًا أَنْ يَأْتِيَ بِالنَّاتِجِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ
الْقَدَمَاتِ أَنْ يُرْفِدَهَا بِإِمْتِلَاحَاتِ الْمَأْخُودَةِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ فَعَلُوا
تِلْكَ الْأَفَاعِيلَ فَحَقِّقْهُمْ النِّفْعَ أَوْ الضَّرَرَ فَلِذَلِكَ مَا يَجِبُ لِلْخَطِيبِ
أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِلْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ

البحث العاشر

في ان الخطيب المشوري ينبغي ان يعرف اصناف السياسات
وفي بيان اجناس هذه السياسات الاربعة
(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُشَبِّهُ بِهَا أَنْ الشَّيْءُ أَنْفَعُ أَوْ
أَضَرُّ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْأُذُنُ وَالنِّفْعُ فَقَدْ قِيلَ فِيهَا قَبْلَ هَذَا
بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ. لَكِنْ أَهْمُ وَأَعْظَمُ مَا فِيهَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
بِهَا يَقْدَرُ عَلَى جُودَةِ الْإِقْتِنَاعِ فِي السُّنَنِ وَالْإِشَارَةِ بِالسُّنَنِ الَّتِي لَا يُوْجَدُ
أَنْفَعُ مِنْهَا. وَلِذَلِكَ قَدْ يَجِبُ أَنْ نَسْتَقْصِيَ الْقَوْلَ فِيهَا هَاهُنَا فَقُولُ:
إِنَّ الْإِمَامَةَ بِالسُّنَنِ النَّافِعَةِ وَالْإِقْتِنَاعَ التَّامَّ فِيهَا يَتَأْتَى بِعَرَفَةِ اصْنَافِ
السياساتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تُحْصِي سِيَاسَةً سِيَاسَةً. وَذَلِكَ أَنَّ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ سُنَنًا نَافِعَةً فِيهَا وَهِيَ السُّنَنُ الَّتِي بِهَا

يَكُونُ خَلاصُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَقَوَامُهَا. وَالسُّنَّ النَّفِيسَةُ الْخَطِيرَةُ هِيَ السُّنُّ
 الْعَادِلَةُ أَغْنِي الْمَوْضُوعَةَ فِي الْعَدْلِ الَّتِي دَسَمَهَا الرَّئِيسُ الْأَوَّلُ فِي
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ أَلْسَلَطُ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَهَذِهِ السُّنُّ
 النَّفِيسَةُ أَغْنِي السُّنَّ الْعَادِلَةَ تَخْتَلِفُ فِي السِّيَاسَاتِ بِمَجَسَبِ اخْتِلَافِ
 غَايَتِهَا. وَعَدَدُهَا عَلَى عِدَدِ السِّيَاسَاتِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ فِي
 سِيَاسَةِ التَّغْلِبِ أَمَّا لَا شَيْءَ عَلَى الرَّئِيسِ إِذَا لَطَمَ أَلْرُّوسَ. وَفِي
 سِيَاسَةِ الْحُرِّيَةِ الْعَدْلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُلَطَمَ الرَّئِيسُ وَمِثْلُ اللَّطْمَةِ الَّتِي
 لَطَمَهَا. وَالسِّيَاسَاتُ بِالْجَنَةِ أَرْبَعُ السِّيَاسَةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَسِيَاسَةُ الْخِصَّةِ
 وَسِيَاسَةُ جُودَةِ السُّلْطَانِ وَسِيَاسَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ وَهِيَ الْكَرَامِيَّةُ. وَهَذِهِ
 السِّيَاسَاتُ كُلُّهَا الْمَقْصُودُ بِالسُّنَنِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الْمَدِينَةُ
 وَالْكُلُّ لَا الشَّخْصُ. فَاَمَّا الْمَدِينَةُ الْجَمَاعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي نَكُونُ الرِّئَاسَةَ
 فِيهَا بِالْإِتِّفَاقِ وَالنَّجْمِ لَا عَنِ اسْتِهْهَالٍ إِذْ كَانَ لَيْسَ فِي هَذِهِ
 الْمَدِينَةِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ. وَأَمَّا خِصَّةُ الرِّئَاسَةِ فَهِيَ الَّتِي يَسْلُطُ
 فِيهَا السُّلْطَانُونَ عَلَى الْمَدِينِينَ بِإِدَاءِ الْإِنَاوَةِ وَالْتَفَرِيمِ لَا عَلَى جِهَةٍ
 أَنْ تَكُونَ نَفَقَةً لِلْحِمَاةِ وَالْحَفَظَةِ وَلَا عُدَّةً لِلدَّيْنَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ
 الْأَمْرُ فِي السِّيَاسَاتِ الْأُخْرَى بَلْ عَلَى جِهَةٍ أَنْ تَحْصُلَ الثَّرْوَةُ لِلرَّئِيسِ
 الْأَوَّلِ. فَإِنْ جَعَلَ لَهُمْ حَقًّا مِنْ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ الثَّرْوَةِ.
 وَإِنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ حَقًّا مِنْ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ التَّغْلِبِ وَكَانُوا
 بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ لِلرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَكَانَتْ مُحَامَاتُهُ عَنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ
 مُحَامَاةِ الْإِنْسَانِ عَنْ عِبْدِهِ. وَأَمَّا جُودَةُ السُّلْطَانِ فَهُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي

يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْأَدَبِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ فَإِنَّ الَّذِينَ يُشِيرُونَ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ هُمْ مُتَسَلِّطُونَ بِجُودَةِ السُّلْطَانِ. وَهَذَا هُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي يُخْصَلُ بِهِ صَلَاحُ حَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالسَّعَادَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ. وَلِذَلِكَ كَانَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ قَضَائِلِ وَأَقْتِدَارِ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تُضْلِجُ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَ حَزْمِهَا وَتَحْزِرُ بِمَا شَأْنُهُ أَنْ يُفْسِدَ الْمَدِينَةَ مِنْ خَارِجٍ أَوْ مِنْ دَاخِلٍ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ بِهَذَا الْأَسْمِ. وَهَذَا السُّلْطَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ صِنْفَانِ رِئَاسَةِ الْمَلِكِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي تَكُونُ أَرْأُؤَهَا وَأَفْعَالُهَا يَحْسَبُ مَا تُوجِبُهُ الْعُلُومُ النَّظَرِيَّةُ. وَالثَّانِيَّةُ رِئَاسَةُ الْأَخْيَارِ وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ أَفْعَالُهَا فَاضِلَةٌ قَطْعًا. وَهَذِهِ تُعْرَفُ بِالْإِمَامِيَّةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْفُرْسِ الْأَوَّلِ فِيمَا حَكَاهُ أَبُو نَضْرٍ

(قَالَ) وَأَمَّا وَحْدَانِيَّةُ السُّلْطَانِ فَهِيَ الرِّئَاسَةُ الَّتِي يُحِبُّ الْمَلِكُ أَنْ يَتَوَحَّدَ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ الرِّئَاسِيَّةِ وَالْأَيْقُضَةُ مِنْهَا شَيْءٌ بِأَنْ يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَدِينَةِ الْأَخْيَارِ. وَهَذِهِ الْمَدِينُ رُبَّمَا كَانَتْ السُّنَنُ الْمَوْضُوعَةُ فِيهَا مُحْدُودَةٌ غَيْرَ مُتَبَدِّلَةٍ وَاحِدَةً فِي الدَّهْرِ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي سُنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيْرَ ذَاتِ سُنَنِ مُحْدُودَةٍ بَلْ يُعَوَّضُ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى التَّسَلِّطِ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الْأَنْفَعِ فِي وَقْتٍ وَقْتٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ سُنَنِ الرُّومِ الْيَوْمَ

(قَالَ) وَلَيْسَ يَتَبَيَّنُ أَنْ يَنْتَفِيَّ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي رَسَنَّا بِهِ هَذِهِ

السياسات غاية كل واحدة منها لأننا إذا عرفنا الغاية علمنا الأشياء
 المختارة من أجل الغاية فغاية السياسة الجماعية الحرية. وغاية
 حصة الرئاسة العزوة وغاية جودة السط السلطة والتمسك
 بالسلطة. وغاية الوحدة الكرامة والسياسات التي ليس يوضع
 فيها سن غير متبدلة فغاية واضعها هو الحفظ والآخراس من
 الحلال الواقع في السن يتبدل الأزمته والامكية. ويتغير أن
 تعلم أن هذه السياسات التي ذكرها أرسطو ليس تلتى بسيطة
 وإنما تلتى أكثر ذلك مركبة كالحال في السياسة الموجودة
 الآن فإنها إذا توصلت ه جد مركبة من فضيلة وكرامة وحرية
 وتقلب

(قال) وإذا كانت أصناف السياسات معلومة عندنا فهو
 بين أننا نستطيع أن نعرف الأخلاق والسن التي تؤدي إلى غاية
 كل واحدة من هذه السياسات أغني النافعة فيها وأن نعيد في
 أنفسنا التعلق بتلك الأخلاق والتمسك بالصنف من السن التي
 نرؤم الاقتناع فيها. فإنه إما تكون الأقاويل التي بحث بها على
 السن ممتعة إذا كان المشيرون بها ذوي صلاح وحسن فعل حتى
 تكون هذه الأشياء المذكورة هاهنا معلومة لنا وموجودة فينا.
 فإنه إذا وجد فينا الخلق الذي بحث عليه كان قولنا في الحق
 عليه أشد إقناعاً ولذلك ينبغي ألا نشير إلا بما هو موجود لنا أو
 نحن عازمون على أن يوجد لنا. ومعلوم أن الوقوف على السن

النَّافِعَةِ فِي الْقَائِيَةِ لِنَهَا إِنَّمَا تُسْتَنْبَطُ عَلَى جِهَةِ التَّحْلِيلِ مِنَ النَّظَرِ
إِلَى الْقَائِيَةِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ أَيْنَ تَوْجَدُ الْمُفْتَعَاتُ فِي
النَّافِعِ مِنَ السَّنَنِ فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ وَكَمْ اتَّخَذَ السِّيَاسَاتِ وَالسَّنَنِ
الَّتِي تَحْتَذِي فِيهَا وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْكَافِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا الْقَوْلُ
فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى التَّحْقِيقِ فَيَبْقَى الْأَقَارِيلُ الْمَدْرِيَّةُ

البحث الحادي عشر

في ما ينبغي للخطيب ان يعرفه في النوع الثنيتي . وفي الفضيلة
والنقيصة والمدح والذم وتصرف الخطيب فيهما
وفي انواع الامور الفاضلة والناقصة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا فَتَحْنُ قَائِلُونَ فِي الْقُضِيَّةِ وَالنَّقِصَةِ
وَالْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا وَيُذَمُّ . وَيُلْحَقُ مِنْ
تَعْرِيفِنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ نَعْرِفَ الْأُمُورَ الَّتِي بِهَا يُثَبَّتُ الْمَرْءُ قُضِيَّةً
نَفْسِهِ إِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقَ الثَّانِي مِنَ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَعْمُرُ
بِهَا الْإِقْنَاعُ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَدْحِ أَعْنِي
أَنْ يَكُونَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي نَعْتَدُ بِهَا عَلَى مَدْحٍ غَيْرِنَا نَعْتَدُ بِهَا
أَنْفُسَهَا عَلَى مَدْحِ أَنْفُسِنَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَتَّفِقُ فِي جَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا الْغَيْرُ بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالْقُضِيَّةِ فَقَطْ

وَهِيَ الْأُمُورُ الرَّاجِعَةُ إِلَى الْأَخْتِيَارِ

(قَالَ) وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُعْرَضُ كَثِيرًا أَنْ يُمدَحَ النَّاسُ
وَالزُّوْمَايُونَ بِالْفَضِيلَةِ وَبِأَشْيَاءَ غَيْرِ الْفَضِيلَةِ وَلَيْسَ يُعْرَضُ هَذَا فِي
مدحِ هَؤُلَاءِ قَطُّ بَلْ وَفِي مدحِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ.
أَعْنِي أَنَّهُا تُمدَحُ بِأَشْيَاءَ خَارِجَةٍ عَنِ الْفَضِيلَةِ. فَقَدْ يَبْنِي أَنْ نَقُولَ
هَاهُنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْهَا الْقَدَمَاتُ فِي المدحِ بِالْفَضَائِلِ
وَيُغَيَّرُ الْفَضَائِلُ لِيَكُونَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عَامًّا فَقُولُ: إِنَّ الْجَمِيلَ هُوَ
الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَهُوَ ممدُوحٌ وَخَيْرٌ وَلَذِيذٌ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ
خَيْرٌ. وَإِذَا كَانَ الْجَمِيلُ هُوَ هَذَا فَبَيِّنْ أَنَّ الْفَضِيلَةَ جَمِيعَةٌ لَا حِمَاطَةَ
لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَهِيَ ممدُوحَةٌ. وَالْفَضِيلَةُ هِيَ مَلَكَهٌ مُعَدَّرَةٌ لِكُلِّ فِعْلٍ
هُوَ خَيْرٌ مِنْ جِهَةٍ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ أَوْ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَعْنِي الْحَافِظَةُ
لِهَذَا التَّقْدِيرِ وَالْفَاعِلَةُ لَهُ. وَإِذَلِكَ كَانَتْ مُوجِدَةً لِكُلِّ فِعْلٍ يُقْصَدُ
بِهِ نَحْوُ غَايَةٍ مَا جَلِيلِ الْقَدْرِ عَظِيمِ الشَّانِ فِي حُصُولِ تِلْكَ الْقَايَةِ
عَنْهُ. فَمَا أَجْزَاءُ الْفَضِيلَةِ فَالْبُرُّ أَيْ الْعَدْلُ الْعَامُّ وَالشُّجَاعَةُ وَالْأَرْوَةُ
وَالْعِفَّةُ وَكِبَرُ الْهِمَّةِ وَالْحِلْمُ وَالسَّخَاءُ وَالْبُؤْسُ وَالْحَيَسَّةُ. وَهَذِهِ
الْفَضَائِلُ مِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ فِي ذَاتِ الْفَاضِلِ قَطُّ وَمِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُا تُفَعَّلُ فِي أَنْاسٍ آخَرِينَ وَهَذِهِ الَّتِي تُفَعَّلُ فِي
أَنْاسٍ آخَرِينَ تَكُونُ أَعْظَمَ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْهَا عِنْدَ آخَرِينَ وَفِي حَالٍ
دُونَ حَالٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ فَضِيلَةَ الشُّجَاعَةِ أَثَرٌ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ
مِنْهَا فِي وَقْتِ السَّلَامِ. وَأَمَّا فَضِيلَةُ الْعَدْلِ مُؤَثَّرَةٌ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ

جميعاً. وَفَضِيلَةُ السَّخَاءِ وَالْمُرُوَّةِ عِنْدَ الْحَاوِجِ أَثَرٌ وَنَهَا عِنْدَ غَيْرِ الْحَاوِجِ.
 وَلَكِنَّمَا تَنْفَصِلُ فَضِيلَةُ الْمُرُوَّةِ مِنَ السَّخَاءِ بِالْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ لِأَنَّ
 فِعْلَ كُلِّتَهُمَا هُوَ فِي أَمَالٍ لَكِنِ الْمُرُوَّةُ هِيَ فِعْلٌ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلِ
 السَّخَاءِ. فَأَمَّا الْبَرُّ فَهُوَ فَضِيلَةٌ عَادِلَةٌ يُعْطِي الْفَاضِلَ بِهَا لِكُلِّ أَمْرٍ
 مِنَ النَّاسِ مَا يَسْتَحِقُّ وَذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْجُودُ هُوَ الْخُلُقُ
 الَّذِي يَأْخُذُ بِهِ الْمَرْءُ الْأَشْيَاءَ الْقَرِيبَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا فِي
 السُّنَّةِ. وَأَمَّا السَّخَاءُ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ الْمَرْءُ بِهَا فَعَالًا لِلْأَفْعَالِ الْعَادِلَةِ
 الدَّافِعَةِ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ حَتَّى يَكُونَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ
 خَادِمًا لِسُنَّةِ. وَأَمَّا الْجُبْنُ فَضِدُّ هَذَا. وَأَمَّا الْعِفَّةُ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ بِهَا الْمَرْءُ
 فِي شَهَوَاتِ الْبَدَنِ عَلَى مِثْقَالِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْفُجُورُ ضِدُّ هَذَا.
 وَأَمَّا السَّخَاءُ فَفَضِيلَةٌ تَفْعَلُ الْجَمِيلَ الْمَشْهُورَ فِي أَمَالٍ. وَالذُّلَّةُ ضِدُّ
 هَذَا. وَأَمَّا كِبَرُ الْهَيْئَةِ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ بِهَا حُسْنُ الْأَفْعَالِ الْعَظِيمَةِ
 وَصِغَرُ النَّفْسِ. وَالذُّلَّةُ ضِدُّهَا. وَأَمَّا اللَّبُّ فَفَضِيلَةُ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ
 بِهِ حُسْنُ السُّورَةِ وَالرَّوْيَةِ مَعَ وُجُودِ الْفَضَائِلِ الْخَلْقِيَّةِ لَهُ الَّتِي هِيَ مِنْ
 صَلَاحِ الْحَالِ. فَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْفَضِيلَةِ وَأَجْزَائِهَا بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
 فِي هَذِهِ الصَّاعَةِ. وَأَمَّا سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُدْعَى بِهَا عِدَا الْفَضِيلَةِ
 فَلَيْسَ يَسُرُّ الرُّؤُوفُ عَلَيْهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ فَعَالَاتِ الْفَضَائِلِ
 وَثَلِ الْأَذْدَابِ وَالْإِزْتِيَاظِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا تَحْصُلُ الْفَضَائِلُ هِيَ أَدْوَرُ
 جِسَانٌ وَتَمْدُوحٌ بِهَا. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ فِي الْفَضَائِلِ أَنْفُسُهَا
 أَعْيِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تُوجَدُ فِيهَا. وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ تَابِعَةٌ

الْفَضَائِلُ فِيهِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا آلَانَ وَهِيَ عَلَامَاتُ الْفَضَائِلِ
وَأَعْرَاضُهَا الْأَلْحِقَةُ لَهَا. وَأَفْعَالُهَا إِنَّمَا يُمدَّحُ بِهَا إِذَا كَانَتْ حَسَنَةً
مَحْمُودَةً فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَفْعَالِ الْفَضَائِلِ قَدْ لَا يُمدَّحُ بِهَا وَكَذَلِكَ
كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ. فَيُقَالُ الْأَفْعَالُ وَالْأَعْرَاضُ الَّتِي هِيَ مَحْمُودَةٌ
أَفْعَالُ الشُّجْعَانِ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَنْ فَعَلَ فِي الْحَرْبِ فَعَلَهُمْ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ لَهُمْ مَلَكَ الشُّبَاعَةِ. وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَلْحَقُ الشُّجْعَانَ بِمَا
يُمدَّحُ بِهَا. وَمِثَالُ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يُمدَّحُ بِهَا فِي وَقْتٍ مَا بَدَلُ
أَلْمَالِ فَإِنَّهُ فَعَلَ مِنْ أَفْعَالِ السَّخَاءِ لَكِنْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ
عَلَى جِهَةِ التَّبْذِيرِ. وَمِثَالُ الْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا يُمدَّحُ بِهَا أَنْفَعَالُ
الْمَرْءِ عَنِ الْعَدْلِ وَقَبُولُهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْعَدْلِ ممدوحٌ وَأَمَّا
الْإِنْفَعَالُ عَنْهُ فَلَيْسَ بِممدوحٍ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مَهَانَةٌ وَضَمٌّ. وَبِالْجِهَةِ
فَأَفْعَالُ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا تَكُونُ ممدوحةً إِذَا كَانَتْ مُقدَّرةً تَقْدِيرَ
الْعَدْلِ وَمِمَّا يُمدَّحُ بِهَا الْأَفْعَالُ الْعَظِيمَةُ الشَّاقَّةُ الَّتِي جَزَاؤُهَا
الْكَرَامَةُ فَقَطْ. فَإِنَّ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَكُونُ جَزَاؤُهَا الْكَرَامَةُ خَيْرٌ
مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَزَاؤُهَا أَلْمَالُ. وَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ فِعْلٌ يُجَازَى
عَلَيْهِ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَقَعْلَةٌ قَاعِلٌ مِنْ أَجْلِ الْكَرَامَةِ فَقَطْ ممدوحٌ
بِهِ وَكُلُّ مَا يَقَعْلُهُ الْمَرْءُ مِنَ الْفَضَائِلِ لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ ممدوحٌ بِهِ.
وَفِعْلُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ خَيْرَاتٌ بِإِطْلَاقٍ كَذَلِكَ يَمَّا يُمدَّحُ بِهِ.
وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي طَبِيعَتِهَا خَيْرَاتٌ وَإِنْ كَانَتْ صَادَةً لِلْقَاعِلِ يُمدَّحُ
بِهَا أَيْضًا. مِثْلُ فِعْلِ الْعَدْلِ فَإِنَّ الْعَادِلَ كَثِيرًا مَا يَسْتَضِرُّ بِهِ.

وَالْأَفْعَالُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِإِكْرَامِ الْأَمْوَآتِ مَمْدُوحَةٌ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِنَّمَا يَقْصَدُ مِنْهَا الْمُرَّةُ أَكْثَرُ ذَلِكَ مَنَفْعَةٌ
نَفْسِيَّةٌ. وَبِالْجَنَّةِ فَكُلُّ فِعْلٍ كَانَ الْقَصْدُ بِهِ الْقِيَرِ وَلَمْ يَكُنْ
يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ أَوْ كَانَ نِيَّتُهُ مِنْهُ ضَرَرٌ فَهُوَ مَمْدُوحٌ بِهِ. وَالْفِعْلُ
الَّذِي يَكُونُ إِلَى الْمُحْسِنِينَ إِلَى النَّاسِ مَمْدُوحٌ بِهِ أَيْضًا لِأَنَّ هَذَا
هُوَ عَدْلٌ إِذْ كَانَ لَيْسَ يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ. وَبِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْإِنْسَانَ ذُو فَضِيلَةٍ أَنْ لَا يَفْعَلَ الْأَفْعَالَ الَّتِي يَقْتَضِيهَا أَهْلُ
الْفَوَاحِشِ وَأَنْ يُؤَدِّبَهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ دَوِي
الْقَضَائِلِ وَنُحَدِّثُهُمْ بِمَا يُدْخِلُهُمْ فِيهَا. وَالْحَجَلُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ بِمَا
قَدْ يَدُلُّ عَلَى الْقَضِيلَةِ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّ الْحَيَاءَ يَنْتَفِعُ عَنْ إِيْتَانِ ذَلِكَ
الرَّذِيئَةِ. وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا عَدَمُ الْحَيَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْفَوَاحِشِ عَلَامَةً يُدْخِلُ
بِهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يُظَنُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَسْتَحْيِي عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ
إِذَا كَانَ قَدْ فَعَلَهَا أَوْ نَالَهَا أَوْ هُوَ مُزْمَعٌ أَنْ يَفْعَلَهَا. مِثْلُ مَا حَكَى
أَرِسْطُو أَنَّهُ عَرَضَ لِامْرَأَةٍ مَشْهُورَةٍ بِالْحِكْمَةِ عِنْدَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِنْسَانًا
مَشْهُورًا عَرَضَ لَهَا بِالْبَيْعِ بِأَنْ قَالَ لَهَا: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا
يَعْنِي عَنْهُ الْحَيَاءُ فَحُلَّتْ عَنْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ يَقُولُ قَبِيحٍ. وَلَمْ يُدْرِكْهَا مِنْ
ذَلِكَ تَأَلَّمَ وَلَا انْفَعَالَ لِأَنَّهُمَا كَانَتْ تَرَى لِمَكَانِ فَضِيلَتِهَا أَنَّ
أَحَدًا لَا يَعْرِضُ لَهَا لِامْتِنَالِ وَلَا يَقُولُ كَلَامِي. (وَهُمَا صِنْفَانِ
التَّعْرِيزِ). لَكِنَّا فِي تِلْكَ الْحَالِ جَعَلَتْ أَمْسُ الْقَضَائِلِ وَتَمْدَحُ
أَهْلَهَا وَتَتَعَصَّبُ لَهُمْ وَتُحَايِي عَنْهُمْ. وَكَانَ أَيْضًا مِنْ مَعَهَا لَمْ يَأْتُوا

أَيْضًا لِقَوْلِ ذَلِكَ وَلَا تَتَرِيضَ بِهِ لِعَلَّيْهِمْ أَنَّ مِثْلَهَا لَا يُتَّهَمُ بِمِثْلِ
هَذَا

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ التَّعَصُّبُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تُكْتَسَبُ بِالْجِدِّ
وَالْحَمَامَةِ عَنْهَا قَدْ تَجَمَّلُ التَّعَصُّبُ لَهَا وَالْحُمَايِي عَنْهَا مِنْ أَهْلِ
الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا تَحْضُرُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ لِلطَّبِيعَةِ مِثْلِ
الْعُفَافِ وَالشَّجَاعَةِ وَغَيْرِهِمَا. وَذَلِكَ إِذَا صَارَتْ لَهُ مَلَكَهٌ بِتَرَدُّادِ
فِعْلِهَا وَالتَّعَصُّبُ لَهَا وَالْحَمَامَةُ عَنْهَا كَمَا عَرَضَ لَهُ هَذِهِ الْمَرَّةُ الَّتِي
اُقْتَصَصْنَا ذِكْرَهَا مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَمثالَ هَذِهِ
الْأَفْعَالِ قَدْ يَصِيرُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا
تَحْضُرُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ

(قَالَ) وَالْإِنَّمَاءُ عَلَى الْفَقِيرِ إِذَا لَمْ يَسْتَفِدِ الْمُنْعِمُ مِنْهُ شَيْئًا
هُوَ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ الْعَدْلُ وَالْإِرْ يُدْخِلُ بِهِمَا الْإِنْسَانُ
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُمَا نَافِعَانِ كَمَا يُدْخِلُ بِهِمَا مِنْ جِهَةٍ مَا هُمَا جَمِيلَانِ .
وَالْإِنْتِقَامُ أَيْضًا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْأَرْضَى عَنْهُمْ فِي حَالِهِ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ .
فَإِنَّ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُمْ هُوَ جَزَاءٌ وَالْجَزَاءُ عَدْلٌ وَالْعَدْلُ جَمِيلٌ . وَحُبَّةُ
الْقَلْبَةِ أَيْضًا وَحُبَّةُ الْكَرَامَةِ بِمَا يُدْخِلُ بِهِمَا لِأَنَّهَا عَلَامَتَانِ تَدُلُّانِ
عَلَى إِدَارِ الْفَضَائِلِ لَا لِمَكَانِ اكْتِسَابِ مَالٍ بِهِمَا . أَمَّا حُبَّةُ الْقَلْبَةِ
فَتَدُلُّ عَلَى إِثَارِ الشَّجَاعَةِ . وَأَمَّا حُبَّةُ الْكَرَامَةِ فَتَدُلُّ عَلَى إِثَارِ جَمْعِ
الْفَضَائِلِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْفَضَائِلُ الْأَيُّرَةُ الْخُتَارَةُ هِيَ الَّتِي لَيْسَ
يَقْصِدُ بِهَا مُقْتَنِيهَا إِلَى اكْتِسَابِ مَالٍ . لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ

الْفَضِيلَةِ وَمِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ يَتَّبَعَ ذِكْرُهَا
مَحْفُوظًا أَبَدًا عِنْدَ النَّاسِ. وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا الْهَيْئَاتُ
الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ قَوْمٍ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عَلَامَةً لِذَوِي الشَّرَفِ مِثْلُ تَوْفِيرِ
الشُّعُورِ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الشَّرَفِ إِذَا كَانَ لَيْسَ كُلُّ
أَحَدٍ يَسْهُلُ عَلَيْهِ تَوْفِيرُ شَعْرٍ لِأَنَّ الْمُوفُورِي الشُّعُورِ لَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا
مَنْ لَيْسَ بِمُوفُورٍ الشَّعْرِ وَلَا يُجْتَنَّبُونَ بِأَيِّ هِنَةٍ اتَّفَقَتْ. وَالْأَزْيَاءُ
الَّتِي كَانَتْ تُتَّخَذُ عِنْدَنَا هِيَ مِنْ هَذَا النُّوعِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو
(قَالَ) وَمِنْ الشَّرَفِ أَلَّا يَحْتَاجَ الْإِنْسَانُ إِلَى آخَرِينَ بَلْ
يَكُونُ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَتَّبَعِي أَنْ نَأْخُذَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْأُمُورِ
الْقَرِيبَةِ مِنَ الْقَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ وَهِيَ النَّقَائِصُ الَّتِي قَدْ تُوْجِدُ عَنْهَا
أَفْعَالُ الْفَضِيلَةِ أَوْ الْقَضَائِلُ الَّتِي قَدْ تُوْجِدُ عَنْهَا أَفْعَالُ النَّقَائِصِ.
فَيُمدَحُ بِالنَّقَائِصِ الَّتِي تُوْجِدُ عَنْهَا أَفْعَالُ الْفَضِيلَةِ بِأَنْ يُؤْمَرُ أَنَّهَا
فَضَائِلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ هِيَ مِنْ أَفْعَالِ الْقَضَائِلِ. وَكَذَلِكَ
يُؤْمَرُ فِي الْقَضَائِلِ أَنَّهَا نَقَائِصُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَرَضَ أَنْ وَجَدَ عَنْهَا
أَفْعَالُ النَّقَائِصِ. فَيَقَالُ النَّقَائِصُ الَّتِي تُوْجِدُ عَنْهَا أَفْعَالُ الْقَضَائِلِ
قُدُومٌ أَنَّهَا فَضَائِلُ الَّتِي قَدْ يَكُونُ عَنْهَا أَفْعَالُ الْحِلْمِ فَيُؤْمَرُ
بِهِ أَنَّهُ حَلِيمٌ. وَالْبَلَاءُ الَّذِي قَدْ تُوْجِدُ عَنْهُ أَفْعَالُ ذَوِي السَّنَةِ
فَيُؤْمَرُ بِذَلِكَ أَنَّهُ ذُو سَنَةٍ. وَكَذَلِكَ الْعَدِيمُ الْحِلْسِ قَدْ يُؤْمَرُ فِيهِ
أَنَّهُ عَفِيفٌ إِذَا كَانَ قَدْ يُوْجَدُ لَهُ فَضْلٌ الْعَفِيفُ بِالْعَرَضِ. وَكَذَلِكَ

الْمُتَوَرِّقُ قَدْ يُؤْهِمُ فِيهِ أَنَّهُ شَجَاعٌ وَالسَّيْفُ أَنَّهُ كَرِيمٌ. وَمِثَالُ مَا
يُؤْهِمُ بِهِ أَنَّهُ نَقِصَةٌ وَلَيْسَ بِنَقِصَةٍ مَا يَعْزُضُ لِلْكَبِيرِ إِلَهِيَّةٌ مِنْ
أَنْ يَتَجَاوَى عَنْ الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ فَيُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَقْلُطُ وَيُجْدِعُ.
وَالْكَبِيرُ إِلَهِيَّةٌ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُهُ
مِنْهَا خَوْفٌ كَبِيرٌ وَلَا ضَرَرٌ شَدِيدٌ وَذَلِكَ أَيْضًا فِي الْمَوْجِعِ الَّذِي
يُحْسَنُ فِيهِ أَنْ يَتَغَالَفَ عَنْهَا. وَقَدْ يُؤْهِمُ أَيْضًا هَذَا الْمَوْضِعُ عَكْسَ هَذَا.
وَهُوَ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُتَجَدِّعِ أَنَّهُ كَبِيرُ إِلَهِيَّةٍ. وَمِمَّا يُمْدَحُ بِهِ أَنْ
يَكُونَ الْمَرْءُ يُعْطِي أَصْدِقَاءَهُ وَغَيْرَ أَصْدِقَائِهِ وَمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ لَا
يَعْرِفُ لِأَنَّهُ يُظَنُّ أَنْ سَتَرَ قَضِيئَهُ السَّخَاءُ هُوَ بَدَلُ الْمَالِ لِلْكَفْلِ
(قَالَ) وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ بِحَضْرَةِ الَّذِينَ يُجِبُونَ الْمَدْحَ
كَمَا قَالَ سُقْرَاطُ: أَنَّهُ يَسْهُلُ مَدْحُ أَهْلِ آثِنِيَّةٍ بِآثِنِيَّةٍ. وَيَنْبَغِي أَنْ
يُمدَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِالَّذِي هُوَ ممدُوحٌ عِنْدَ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَدِينَتِهِ إِنْ
كَانَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ

(قَالَ) وَمِنْ الْمَدْحِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ مَدْحِ الْأَبَاءِ
وَذِكْرِ مَأَثَرِهِمُ الْمُتَقَدِّمَةِ وَمَدْحُ الْمَرْءِ بِمَا تَسُو إِلَيْهِ هِمَّتُهُ مِنْ
الْمَرَاتِبِ. وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْتَضِرُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنْهَا. وَالرَّجُلُ الْكَبِيرُ
إِلَهِيَّةٌ الَّذِي لَا يَقْتَضِرُ بِهَيْئَتِهِ عَلَى مَا نَالَ مِنَ الْمَرَاتِبِ فَيَمْدَحُ
بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ خَارِجِ أَغْنِي بِقَضَائِلِ آبَائِهِ وَيَتَأَمَّلُ أَنْ يَسُو
نَحْوَهُ كَمَا يُقَالُ مِنْ آتِي مَأْثَرٍ أَتَدَأ مِنْ قَبْلِ آبَائِهِ وَإِلَى آتِي مَأْثَرٍ
يَنْتَهِي مِنْ قَبْلِ هِمَّتِهِ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَسُو بِهَيْئَتِهِ إِلَى نَيْلِ أَكْثَرِ مَا

حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَرْتَبَةِ فَلَمَّا يُمدَحُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ مِنْ خَارِجٍ
بِأَبَائِهِ فَقَطُّ. وَكَأَنَّهُ يَرَى هَاهُنَا أَنَّ الْمَدْحَ يَمْتَنِقِبُ إِلَّا بِأَبَاءِ أَيْسَ
يَتَّبِعِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يُمدَحَ بِفَضِيلَةٍ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَشَكِّلُ

تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وَأَنَّهُ قَدْ يُقْتَصَرُ بِالْمَدْحِ عَلَى الْفَضِيلَةِ دُونَ ذِكْرِ الْأَبَاءِ كَمَا قَالَ:

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامًا

(قَالَ) وَأَمَّا يَكُونُ الْمَدْحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ عَنْ

الْمَشِيشَةِ وَالْإِخْتِيَارِ فَإِنَّ الْفِعْلَ الَّذِي يَكُونُ بِالْمَشِيشَةِ وَالْإِخْتِيَارِ
هُوَ الْفِعْلُ الْفَاعِلُ. وَالَّذِي يُمدَحُ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ بِالِاتِّفَاقِ

أَوْ بِالْعَرَضِ مِنْ أَجْلِ أَنْ لَهَا إِذَا اقْتَرَنَتْ بِالْفَضَائِلِ تَرْيِبًا لَهَا
وَتَفْخِيمًا بِمِثْلِ الْحَسَبِ الْمُقْتَرِنِ إِلَى الْفَضِيلَةِ وَجُودَةِ الْخَبَرِ الْمُقْتَرِنِ

بِأَفْعَالِ الْفَضَائِلِ. وَأَمَّا يَدْخُلُ فِي الْمَدْحِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ
بِاتِّفَاقٍ وَالْأَعْرَاضُ الَّتِي تَقْتَرِنُ بِالْعَرَضِ مَعَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ

بِالْمَشِيشَةِ مَتَى تَكَرَّرَتْ مِرَارًا كَثِيرَةً عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَوْهَمَتْ
أَنَّهَا بِالذَّاتِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ لَهَا ذَلِكَ ظَنَّ بِهَا أَنَّهَا عَلَامَةٌ

لِلْفَضِيلَةِ مِثْلَ أَنْ يَجْهَلَ الْإِنْسَانُ مِرَارًا كَثِيرَةً بِالِاتِّفَاقِ فِي وَاضِعٍ
يُمدَحُ الْجَلُّ فِيهَا. وَأَمَّا دَخَلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ لِأَنَّ

الْمَدْحَ هُوَ قَوْلُ يَصِفُ عَظَمَ الْفَضِيلَةِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ مِمَّا تُنْظَمُ بِهَا
الْفَضِيلَةُ. وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ فَيَتَّبِعِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ

عَلَى أَنَّهَا حَدَّثَتْ عَنِ الرَّوِيَّةِ . وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي بِالْإِتِّفَاقِ مِنْهَا أَشْيَاءُ
لَيْسَ الْإِنْسَانُ سَبَبَهَا لَا بِالذَّاتِ وَلَا بِالْعَرَضِ مِثْلُ الْحَسَبِ وَاللَّشْيِ
الْقَاضِلِ وَمِنْهَا أَشْيَاءُ تَعْرُضُ عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الرَّوِيَّةِ .
فَأَمَّا الْأِتِّفَاقَاتُ الْحَيَّةُ الَّتِي تَعْرُضُ عَنِ الْأَفْعَالِ فَتَوَخَّذْ عَلَامَةً عَلَى
الْقَضَائِلِ . وَأَمَّا الْأِتِّفَاقَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتَوَخَّذْ فِي تَقْرِيرِ
الْقَضِيَّةِ وَتَثْبِيَّتِهَا مِثْلُ مَا يُقَالُ فِي الْمَذْحِ : إِنَّ الْخِيَارَ يُؤَادُّ فِي
الْخِيَارِ . وَفِي الدَّمِ : إِنَّ الْحَيَّةَ تَبْدُ الْحَيَّةَ . وَالْأَفْعَالُ بِالْجُمْلَةِ هِيَ الَّتِي
عَلَيْهَا يُحْمَدُ الْفَاعِلُ . وَأَمَّا آثارُ الْأَفْعَالِ فَفِي دَلَالِ عَلَى الْفِعْلِ وَرَأْسًا
يُدْخِلُهَا إِذَا اثْبَتْنَا وَنَهَا الْفِعْلَ

(قَالَ) وَجُودَةُ الْحُجَّتِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا تَتَقَدَّمُ إِنَّهَا السَّعَادَةُ عَلَى
مَا يَرَاهُ الْجَاهِلُونَ هِيَ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الَّتِي يُدْخِلُهَا
وَاحِدَةٌ فِي الْخِنْسِ وَلَيْسَتْ هِيَ وَالْقَضَائِلُ وَاحِدَةٌ بِالْخِنْسِ بَلْ كَمَا
أَنَّ صَلَاحَ أَحَالِ خِنْسٍ لِلْقَضِيَّةِ أَعْنِي مُحِيطًا بِهَا كَذَلِكَ مَا يُجْدُثُ
بِالْإِتِّفَاقِ خِنْسٌ مُحِيطٌ بِالسَّعَادَةِ . وَهَذَانِ الْخِنْسَانِ أَعْنِي الْقَضَائِلُ وَمَا
بِالْإِتِّفَاقِ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا فِي بَابِ الْمَذْحِ وَفِي بَابِ الْمَشُورَةِ لَكِنْ مِنْ
جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّا إِذَا عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي
يُحِبُّ أَنْ تُفْعَلَ فَقَدْ عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي إِذَا فُعِلَتْ مُدْخِلُهَا الْإِنْسَانُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا ذَكَرْتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ذَكَرًا مُطْلَقًا أَمَكْنَ أَنْ تَدْخُلَ فِي
الْمَشُورَةِ وَفِي الْمَذْحِ . وَذَلِكَ بِزِيَادَةِ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَشُورَةِ
أَوْ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَذْحِ . وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَقُولُ الْقَائِلُ

إِنَّهُ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُوجِبَ الْعِظَمُ وَالْفَضْلُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ
 لِلْإِنْسَانِ بِالْعَرَضِ بَلْ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ عَنْ رَوْيَةٍ وَأَخْتِيَارِهِ .
 فَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا . فَلِذَلِكَ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ
 بِالْحُجَّتِ وَإِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ عَنْ رَوْيَةٍ وَأَخْتِيَارِ
 كَفَلَانِهِ كَانَ دَاخِلًا فِي بَابِ الْمَدْحِ . وَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا فَإِذَلِكَ لَا
 يَتَّبِعِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ عَنْ الْإِتِّفَاقِ بَلْ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تَكُونُ عَنْ الرُّوْيَةِ دَخَلَ فِي الْمَشُورَةِ . وَالْأَشْيَاءُ الْإِتِّفَاقِيَّةُ قَدْ
 يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدِيحِ تَارَةً وَفِي الذَّمِّ أُخْرَى . فَإِنْ ظَنُّونَ
 النَّاسَ فِيهَا مُخْتَلِفَةً فَإِنَّ قَوْمًا يَرَوْنَ أَنَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ
 بِالْإِتِّفَاقِ لَيْسَ يَتَّبِعِي أَنْ يُمَدِّحَ بِهَا إِذْ كَانَتْ شَيْئًا غَيْرَ مُحْصَلٍ وَلَا
 مُكَتَسَبٍ لِلْإِنْسَانِ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُمَدِّحَ بِهَا وَأَنَّهَا
 تَدُلُّ عَلَى عِنَايَةِ إِلَهِيَّةٍ بِالَّذِي تَعَرَّضُ لَهُ وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَنْ
 الْإِخْتِيَارِ فَالْمَدْحُ مِنْهَا يُدْعَى بِهِ أَبَدًا وَالذَّمُّ مِنْهَا يَدْعَى بِهِ أَبَدًا
 (قَالَ) وَيَتَّبِعِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدْحِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ
 بِهَا تَعْظِيمُ الشَّيْءِ وَتَشْيِئُهُ وَهُوَ أَنْ يُحْيَلَ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ بِالْقُوَّةِ أَشْيَاءُ
 كَثِيرَةٌ . وَذَلِكَ إِذَا قِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذَا كَمَا قِيلَ فِي قِصَّةِ
 هَابِيلَ وَقَابِيلَ . أَوْ إِنَّهُ وَحْدَهُ فَعَلَ هَذَا . أَوْ إِنَّهُ فَعَلَ فِي زَمَانٍ
 يَسِيرٍ مَا شَاءَهُ أَنْ يُفَعَلَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ . أَوْ إِنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا كَثِيرًا .
 فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا إِذَا تُفِيدُ عِظَمَ الْفِعْلِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ أَنَّهُ فَعَلَ
 فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ فِعْلَهُ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِحَسَبِ مَا يُشَاكِلُ إِنْسَانًا

إِنْسَانًا. ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ كَانَ الْفَاعِلُ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ
مِرَارًا كَثِيرَةً فَإِنَّ فِعْلَهُ عَظِيمٌ كَمَا قِيلَ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ آئِمَّةٌ
يُقْتَدَى بِكُمْ. وَالْأَفْعَالُ الَّتِي يُقْتَدَى بِهَا لَيْسَتْ هِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ
بِالْإِتِّفَاقِ بَلِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الْمَشِيَّةِ وَالرَّوِيَّةِ. وَهَذِهِ
الْأَشْيَاءُ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ تَدْخُلَ فِي الْمَشُورَةِ أَعْنِي الْأَشْيَاءُ الَّتِي
تُعْظَمُ الشَّيْءُ مِثْلُ أَنْ يُشَارَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّشَبَهَ بِالْمَدْحِ الْأَوَّلِ
فِي ذَلِكَ الْجُلُوسِ أَوْ يَتَّشَبَهَ بِهِ فِي الْمَدْحِ أَوْ يُشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ
مِنْ جُمْلَةِ الْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَنْزِعُ أَحَدٌ فِي خُدُوعِهِمْ. وَمِثْلَ الَّذِينَ
يُمَدِّحُونَ فِي الْأَسْوَاقِ أَوْ يَتَّشَبَهُ بِهِمْ فِي الْمَدْحِ. وَبِمَا يُعْظَمُ
الْمَدْحِيِّينَ أَنْ يُقَاسُوا بِالَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَضْدَادَ أَعْمَالِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ
ذِكْرِ أَعْمَالِهِمُ الْفَاعِلَةِ.

(قَالَ) وَالَّذِينَ شَانَهُمْ أَنْ يَتَّشَبَهُوا بِالْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ فِي
الْعَامِيَةِ وَيُقَاسُوا أَنْفُسَهُمْ مَعَهُمْ دَائِمًا فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهُوا بِأُولَئِكَ
وَأَنْ يُجَرَّوْا بِجَرَائِهِمْ فِي الْمَدْحِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وَضُوءًا مَرَاتِبِهِمْ. فَإِنَّ
قَضَائِهِمْ فِي تَمَوُّزِ دَائِمِهِ. وَمُقَاسَاةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مَعَ غَيْرِهِ لَا
تَصِحُّ إِلَّا مِنَ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ لِلْمَوْضِعِ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فَهُوَ
يَرَى تَقَارُصَهُ أَقْلًا وَنَاقِصَ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمُ. وَيَرَى
فَضْلَهُ أَكْثَرًا وَإِنْ كَانَتْ أَصْغَرُ وَلِذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ
الْمُقَاسَاةَ وَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُهَا الْفَضْلَاءُ مِنَ النَّاسِ وَمِثْلُ مَا حَكَّى أَرِسْطُو
عَنْ سُقْرَاطَ أَنَّهُ كَانَ يُقَاسِ بِنَفْسِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَتُجْرَى الْأَحْكَامُ

عَلَى اخْلَاقِ نَفْسِهِ . بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ قَانَ وَجَدَ
 فِيهِ فَضِيلَةً أَثَابَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَإِنْ وَجَدَ فِيهِ رَذِيلَةً عَاقَبَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا .
 وَالْمُقَاسِمَةُ الْقَاسِمَةُ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْفَضَائِلِ . إِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ
 يَكُونَ بِالْمَدْحِ وَجِينَ جَدًّا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ مَمْدُوحُونَ
 أَعْيُنِ الَّذِينَ فَضَائِلُهُمْ فِي نُمُوِّ دَائِمٍ . أَنَّ الَّذِينَ أَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ
 فِي أَنْ يَلْبِغُوا مَنَافِعَ الْفَاضِلِينَ فَحَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَمْدُوحُونَ عِنْدَ
 الْجُمْهُورِ . وَهُوَ يَبَيِّنُ أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّيْءِ دَاخِلٌ فِي الْمَدْحِ . فَإِنَّ التَّعْظِيمَ
 لِلشَّيْءِ تَشْرِيفٌ لَهُ وَالتَّشْرِيفُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمَدِّحُ بِهَا . وَيَتَّبِعِي
 إِذَا أُريدَ التَّعْظِيمُ بِالتَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّهَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُحْمَدِينَ فَإِنَّ
 فِي هَذَا الْفِعْلِ تَشْرِيفًا لِلْمَدْحِ . وَدَلَالَةً لِلْجُمْهُورِ عَلَى فَضِيلَتِهِ . وَجُمْلَةً
 الْقَوْلِ فِي الْأَنْوَاعِ الْمُشْتَرَكَةِ لِأَجْنَاسِ الْأَقَاوِيلِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ
 التَّعْظِيمَ وَإِنْ كَانَ مُشْتَرَكًا لِأَجْنَاسِ الْأَقَاوِيلِ الْخَطِيئَةِ الثَّلَاثَةِ
 فَهُوَ أَحْصَى بِالْمَدْحِ . وَالذَّمِّ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُنَدِّحُ الْإِنْسَانُ أَوْ يُذَمُّ
 بِالْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ الْمُتَعَرِّفِ بِوُجُودِهَا . وَتَعْظِيمُ الشَّيْءِ أَحْصَى
 بِالْمَوْجُودِ مِنْهُ بِالْمَدْحِ . وَلِذَلِكَ قَدْ يَتَّبِعِي لِلْمَدْحِ أَنْ يَصِفَ جَلَالَتهُ
 الشَّيْءِ وَبِهَاءَهُ وَزِينَتَهُ . وَأَمَّا اتِّعْمَالُ الْعَلَلَاتِ وَالْمَثَلَاتِ فَهُوَ
 أَحْصَى بِالْمَشُورَةِ لِأَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَصَرِّمَةِ الَّتِي قَدْ سَلَفَتْ يُحْدَسُ
 عَلَى الَّتِي سَتَكُونُ وَإِعْطَاءُ السَّبَبِ وَالْعِلَّةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ
 سَلَفَتْ نَحْنُ لَهُ أَكْثَرُ قَبُولًا وَتَعْظِيمًا لِإِتْقَانِهِ وَتَصَرُّفِهِ . وَأَمَّا
 مَعْرِفَةُ الْعَدْلِ وَالْجَوْرِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالشَّاجِرَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَحَيْثُ الْمَدْحُ

وَالَّذِينَ إِنَّمَا يَكُونُونَ بِالْمَقَايِسَةِ بَيْنَ سَلَفٍ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
وَالَّذِينَ مُمِينِينَ. وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَدْحِ وَالذَّمِّ أَنْ يَعْلَمَ بِحَضْرَةِ مَنْ يَكُونُ
الْمَدْحُ أَوِ الذَّمُّ أَعْنِي أَنْ يَدَّحَ بِحَضْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَيَذُمَّ بِحَضْرَةِ الْأَعْدَاءِ
كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَأْخُذُ فِيهَا الْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَهِيَ
الَّتِي سَلَفَ ذِكْرُهَا وَهِيَ الْقَضَائِلُ وَقَاعِلَاتُهَا وَعَلَامَاتُهَا وَأَعْرَاضُهَا
وَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ يَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حُدُودِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُعْرَفُ حُدُودُ
أَصْدَادِهَا إِذَا كَانَ الْأَصْدُ يُعْرَفُ مِنْ ضَدِّهِ

الفصل العاشر

في انواع الخطب ومن برع فيها

البحث الاول

في خطب التهاني

(من كتاب صناعة الترسيل)

إِنَّ التَّهْنِائِيَّ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا بَسْطُ الْكَلَامِ وَالْإِظْطَابُ فِي
شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ وَالتَّيَبُّدُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ وَوَصَفُ مَا
أُعْطِيَ مِنَ النَّصْرِ وَنُجْجٍ مِنَ الثَّبَاتِ وَتَعْظِيمُ مَا يُبْتَرَسُ مِنَ الْقَتْلِ ثُمَّ
مَا وَصِفَ بِفَدَا ذَلِكَ مِنْ عَزْمٍ وَأَقْدَامٍ وَصَبْرٍ وَجَلْدٍ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ
جَانِبِهِ حَسَنٌ وَنِعْمَةٌ فَلَا تَقْصُرُ عَنْ ذِكْرِهِ وَرَأَى التَّوَسُّعُ وَعَذَبُ بَسْطُ

الْكَلَامِ فِيهِ فَإِنَّهُ مُتَرَتَّبٌ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ نِسْبَةِ النَّصْرِ إِلَى
وَاهِيهِ وَالْجَلْدِ إِلَى مُعْطِيهِ وَالثَّبَاتِ إِلَى الْمَوْفِقِ لَهُ ثُمَّ كَلَّمَ اتَّسَعَ
تَحَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْمَوَاقِفِ وَوَضِيفَهَا كَانَ أَحْسَنَ وَادَّلَ عَلَى
الْبَلَاغَةِ وَادْعَى لِسُرُورِ الْمَدْحِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ
وَأَشْفَى إِلَى سَنَعِهِ وَأَشْفَى لِقَلِيلِ شَوْقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى
جَلَّتِهِ وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ أَمْرِ الْقُدْرَةِ وَوَضْفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَاوِهِ فَإِنَّ
فِي تَضْعِيفِ أَمْرِهِ تَحْقِيقَ الظَّفَرِ بِهِ

البحث الثاني

في خطب التقليد

(من الكتاب نفسه)

الْأَحْسَنُ مِنْهَا بَسْطُ الْكَلَامِ وَتُعْتَبَرُ كَثْرَتُهُ وَقَلَّتُهُ بِحَسَبِ
الرُّتَبِ وَيَجِبُ أَنْ يُرَاعَى فِيهَا أُمُورٌ مِنْهَا بَرَاعَةُ الِاسْتِهْلَالِ بِذِكْرِ
الرُّتَبَةِ أَوْ الْحَالِ وَقَدْرِ النِّعْمَةِ أَوْ لِقَبِّ صَاحِبِ التَّقْلِيدِ أَوْ أَسْمِهِ
لَا يَكُونُ الْمَطْلَعُ اجْتِنَابًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَلَا بَعِيدًا مِنْهَا وَلَا
مُبَيَّنًا هَا ثُمَّ يَنْسُجِبُ مَا يُنَاسِبُ الْقَرَضَ وَيُوَافِقُ الْمُقَصَّدَ مِنْ أَوَّلِ
الْخُطْبَةِ إِلَى آخِرِهَا وَيَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُتَقِيمًا فِي التَّقْلِيدِ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ مُتَقَارِبَةٍ الْقَادِيرُ فَالْزَيْعُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ وَالثَّانِي
ذِكْرُ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْقَلْدِ وَذِكْرُ الرُّتَبَةِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا

وَالثَّالِثُ فِي أَوْصَافِ الْمَقْلَدِ وَذَكَرَ مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الرُّتَبَةَ وَيُنَاسِبُ
حَالَهُ مِنْ عَدَلٍ وَسِيَاسَةٍ وَهَيَاةٍ وَبَعْدِ صِيَةٍ وَسُمْعَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِنْ
كَانَ نَائِبًا وَوَصَفَ الْعَدْلَ وَالرَّأْيَ وَحُسْنَ التَّدْبِيرِ وَالْعُرْفَةَ بِوُجُوهِ
الْأَقْوَالِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ إِنْ
كَانَ وَزِيرًا وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رُتَبَةٍ بِحَسَبِهَا. وَالرَّابِعُ فِي الْوَصَايَا وَهَذِهِ
هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَمِنْهَا تُرَاعَى الْمُنَاسَبَةُ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ
فَلَا يُعْطَى أَحَدًا فَوْقَ حَقِّهِ وَلَا يَصِفُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُرَادُ مِنْهُ بِمِثْلِهِ
وَيُرَاعَى أَيْضًا مِقْدَارُ الْبَغْيَةِ وَالرُّتَبَةِ فَيَكُونُ وَصْفُ الْإِلَهَةِ بِهَا عَلَى
مِقْدَارِ ذَلِكَ وَمِنْهَا أَنْ لَا يَصِفَ الْمُتَوَلِّيَ بِمَا يَكُونُ فِيهِ تَغْرِيبُ
بِأَمْدُولٍ وَتَقْيِصٌ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ بِنِهَا يُغَرُّ الصُّدُورُ وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ
فِي الْقُلُوبِ وَيُدِلُّ عَلَى ضَعْفِ الْأَرَءَاءِ فِي اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ وَلَهُ أَنْ
يَصِفَ الثَّانِيَّ بِمَا يَحْضُرُ بِهِ الْقَضُودُ مِنْ غَيْرِ تَغْرِيبُ بِالْأَوَّلِ وَمِنْهَا
أَنْ يُخَيَّرَ الْكَلَامَ وَالْعَلَامِي فَائَةً يَمَّا يَشِيعُ وَيَذِيعُ وَلَا يُعْتَدُ الْمَقْصَرُ
فِي ذَلِكَ بِحِجَابٍ وَلَا ضَيْقٍ فَإِنَّ مَجَالَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مُنْسَعٍ وَالْبَلَاغَةُ
تُظْهِرُ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَالْأَمْرُ الْجَارِي فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَادَةِ
مَعْرُوفٌ وَفِي أَيْدِي النَّاسِ يَمَّا كَتَبْتُ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَكِنْ تَقَعُ
أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعَادَةِ فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى التَّصَرُّفِ فِيهَا عَلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ



البحث الثالث

في الارتجال والبدية وإشارات الخطيب

(من كتاب بدائع البداء والعقد الفريد)

قِيلَ إِنَّ الْأَرْجَالَ فِي اللَّغَةِ مَأْخُودٌ مِنَ الْأَنْصَابِ وَالسَّهْوَةِ وَمِنْهُ
 قِيلَ : شَعْرُ رَجُلٍ إِذَا كَانَ سَبْطًا غَيْرَ جَعْدٍ وَمُسْرًا سِلًّا غَيْرَ مُنْقَضٍ .
 وَقِيلَ مِنْ أَرْجَلِ الْبَرِّ وَهُوَ أَنْ يَنْزِلَ الرَّجُلُ بِرَجْلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَبْلٍ
 فَكَأَنَّهُمْ شَبَّهُوا اقْتِدَارَ الشَّاعِرِ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ وَلَا أَهْبَةِ
 بِاقْتِدَارِ نَازِلِ الْبَرِّ عَلَى التَّزْوِيلِ مِنْ غَيْرِ حَبْلٍ وَلَا آتَةٍ . وَالْبَدِيَّةُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ بَدَأَ يَدُهُ يَعْنِي بَدَأَ يَبْدَأُ أَبْدَلُوا الْهَمْزَةَ هَاءَ لِقُرْبِهَا مِنْهَا
 كَمَا قَالُوا : لَهْنُكَ يَعْنِي لَأْنُكَ وَكَمَا أَبْدَلُوا آخَاءَ أَيْضًا بِأَهَاءَ لِقُرْبِهَا
 مِنْهَا فَقَالُوا مَدَحَ وَمَدَّةَ . وَاشْتِقَاقًا الْأَرْجَالَ وَالْبَدِيَّةَ وَإِنْ كَانَا
 مُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَيَّزُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ
 الْآخَرِ بِمَا سَنَذْكُرُهُ فَنَقُولُ :

الْأَرْجَالُ هُوَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مَا يَقُولُ فِي آوْحَى مِنْ خَطْفٍ
 الْبَارِقِ وَأَخْطَافِ السَّارِقِ وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَتَّاحِ الْوَامِقِ . وَنُقُودُ
 السَّهْمِ الْوَامِقِ حَتَّى يُجَالِ مَا يُعْمَلُ مُحْفُوظًا أَوْ مَرِيئًا مُحْفُوظًا مِنْ غَيْرِ
 حَاجَةٍ إِلَى كِتَابِيَّةٍ وَلَا تَعَلُّلٍ بِتَقْيِيهِ وَتَتَعَرَّدُ عِنْدَ ذَلِكَ قَضِيَّةُ الْحَالِ
 بِاخْتِرَاعِ الْوُزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَهُمْ الشُّهُودُ الْعُدُولُ الَّذِينَ يَجِبُ الرُّجُوعُ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجُوزُ عَنْهُمْ الْعُدُولُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِ وَانَّ ذَلِكَ
 الْمَنْظُومَ إِنَّ سَاعَتِهِ وَالْبَدِيهَةَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَلِيلًا
 وَيُفَكِّرُ مُعْضَرًا لَا مُطِيلًا فَإِنْ أَطَالَ ذُو الْبَدِيهَةِ الْفِكْرَةَ
 انْعَكَسَتِ الْقَضِيَّةُ وَخَرَجَتْ مِنْ حَدِّ الْبَدِيهَةِ إِلَى حَدِّ الرَّوِيَّةِ
 وَعِنْدَ ذَلِكَ تَقْصُرُ نَهْضَةُ الْأَقْتِدَارِ عَنْ بُلُوغِ ذَلِكَ الْإِصْفَارِ إِذَا الْمُرْتَجِلُ
 وَالْبَادِئُ يُنْقَعُ مِنْهَا بِالرَّدِيِّ الْيَسِيرِ وَلَا يُنْقَعُ مِنَ الْمُرْوِيِّ إِلَّا بِالْحَيْدِ
 الْكَثِيرِ وَكَفَالِكَ فِي ذِكْرِهِمَا قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

وَالْفِكْرُ قَبْلَ الْقَوْلِ يُؤْمَنُ زَيْغُهُ شَتَانُ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَةٍ
 وَقَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ :

نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ تُلْقَى نَضِيجَةٌ وَالْبَدِيَّةُ نَارٌ ذَاتُ تَلَوِجٍ
 وَقَدْ يُفْصَلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهَا عَاجِلٌ يُضَيُّ مَعَ الرِّجْرِ
 وَحَسْبُكَ يَهْرَبُ إِمَامُ الشُّعْرَاءِ وَقَاتِلُهُمْ مِنَ الْبَدِيَّةِ قَمَا ضَلَّكَ
 بِالْأَرْتَجَالِ وَإِذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِيَّ رَئِيسَ الْخَوَاجِرِ
 فِي يَوْمِ التَّهْرُوتِ يَقُولُ وَهُوَ الْبَدَوِيُّ الْقَصِيحُ وَالْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ
 إِيَّامًا وَالرَّأْيُ الْقَطِيرُ وَالْكَلَامُ الْقَضِيبُ يَقُولُ هَذَا فِي مُطْلَقِ
 الْكَلَامِ وَهُوَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِوَرْنٍ وَلَا قَافِيَةٍ فَكَيْفَ الظَّنُّ بِالْقَيْدِ
 بِهَا لَعَنِيَّ اللَّهُ لَقَامٌ يَجِبُنْ فِيهِ الشُّجَاعُ وَيَكْذِبُ فِيهِ رَائِدُ الْفِكَرِ
 فِي طَلَبِ الْأَتْبَاعِ

قَالَ مُحَمَّدٌ كَاتِبُ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ شَاعِرًا رَافِيًا وَطَالِبًا لِلنَّحْوِ عَلَامَةً
 قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ وَجَرَى شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ الْخَطْبِ وَتَمْيِيزِ الْكَلَامِ

فَقَالَ: تَخِيصُ الْمَعَانِي رَفَقُ وَأَسْتَعَانَةُ بِالْقَرِيبِ عَجْزُ وَالشَّادِقُ فِي غَيْرِ
 أَهْلِ الْبَادِيَةِ نَقْصُ وَالنَّظَرُ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيٌّْ وَمَسُّ الْحَيَّةِ هُلْكُ
 وَالخُرُوجُ بِمَا بَيْنِي عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابُ (فَقَالَ) وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ رَأْسُ
 الْخُطَابَةِ الطَّبْعُ وَعَمُودُهَا الدُّرَّةُ وَحَلِيهَا الْأَعْرَابُ وَبَهَاؤُهَا تَحْيِيرُ اللَّفْظِ
 وَالْحَبَّةُ مَقْرُونَةٌ بِقِلَّةِ الْأَسْتِكْرَاهِ وَأَنْشَدَنِي بَيْتًا فِي خُطْبَةٍ إِذَا
 يُؤْمَنُ بِاللَّفْظِ الْخَفِيِّ وَتَارَةً رَمَى الْمَلَا حِظَّ خِيَمَةِ الرُّقْبَاءِ
 (وَقَالَ) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قُلْتُ لِلْفَضْلِ مَا الْأَجَازُ عِنْدَكَ قَالَ
 حَذَفُ الْفُضُولِ وَتَقَرُّبُ الْبُعِيدِ (وَتَكَلَّمَ) ابْنُ السَّمَاكِ يَوْمًا وَجَارِيَةٌ
 أَسَ تَسْمَعُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهَا كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامِي قَالَتْ لِي أَنَّ
 تَفْهَمُهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمُهُ مَلَهُ مَنْ فَهَمَهُ

البحث الرابع

في خطب الوعاظ

(من كتاب التبيان للمجاهد وكتاب المقصد الفريد)

وزهر الاداب للصري بتصرف

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَقَبِ: لَمَّا كَانَتْ الْمَوَاعِظُ مَسْدُوبًا
 إِلَيْهَا يَقُولُ: فَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ لِمَالِهِ
 تَعَاهَدُوا النَّاسَ بِالتَّذْكِرَةِ. وَلِأَنَّ أَذْوَاءَ السُّلُوبِ تَقْتَضِرُ إِلَى
 أَذْوِيَةٍ كَمَا تَحْتَاجُ أَمْرَاضُ الْبَدَنِ إِلَى مُعَالَجَةٍ أَفْتُ فِي هَذَا

الْقَنْ كُتِبَ تَشْمُولٌ عَلَى أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَكَانَ السَّلَفُ يَقْتَعُونَ مِنْ
 الْمَوَاعِظِ بِالْيَسِيرِ مِنْ غَيْرِ تَحْسِينِ لَفْظٍ أَوْ ذَرْفَةٍ تُطْقَى وَمَنْ تَأَمَّلَ
 مَوَاعِظَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مِمَّا اشْرَتْ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ أَلْفَقَاهُ
 فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَتَنَاطَرُونَ مِنْ غَيْرِ مَعَارَضَةٍ فِي تَسْمِيَةِ قِيَاسٍ عَلَى
 أَوْ قِيَاسٍ شَبَّهِ وَتَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْأَسَاسِي
 لَا يَخْرُجُ عَنْ مَرَضَةٍ الْأَوَائِلِ وَلِذَلِكَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ
 مِنْ تَحْسِينِ لَفْظٍ أَوْ تَنْجِيعٍ وَعَظٍ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ قَانُونِ الْجَوَادِ وَمَا
 ذَلِكَ إِلَّا بِمُتَابَعَةِ جَمْعِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَبْتَدَأَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَثَنِي بِهِ عُثْمَانُ
 فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَذِنَ لِتَشْمِيمِ الدَّارِي أَنْ يَقْصَّ وَمِثْلَ هَذِهِ لَا
 تُدْمُ إِسْكُونُهَا أَبْتَدَعَتْ إِذْ لَيْسَتْ تَخَارِجُ عَنِ الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ وَقَالَ
 الْحُسَيْنُ الْقَلَصُ بِدَعَاكُمْ مِنْ آخِرِ اسْتِفَادَةٍ وَدَعْوَةٍ كُنْتُمْ
 قَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ إِنَّ الْوَعْظَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُدَوَّدُ وَعَهْدُهُ الْمَعْهُودُ
 وَظِلُّهُ الْعَمِيمُ وَبِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ وَحُجَّتُهُ الْكُبْرَى وَمَحْجَتُهُ الْوُسْطَى وَهُوَ
 الْوَاضِعُ سَبِيلَهُ الرَّاشِدُ دَلِيلُهُ الَّذِي مَنْ اسْتَضَاءَ بِنَصَائِحِهِ أَبْصَرَ وَتَجَا
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَوَى حُجَّةُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ وَوَعِيدُهُ وَعَهْدُهُ بِهِ يَلَامُ
 الْجَاهِلُ وَيَعْمَلُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ وَيَنْتَبِهُ السَّامِي وَيَتَذَكَّرُ الْإِلَهِي بِشِيرِ
 الثَّوَابِ وَتَذِيرِ الْعِقَابِ وَشِفَاءِ الصَّدُورِ وَجَلَاءِ الْأُمُورِ مِنْ فَضَائِلِهِ
 أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا وَيَكْتَبُ وَيُنَى وَلَا يَمِلُ مَا أَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ
 جَعَلَ الدِّينَ إِمَامَهُ وَتَصَوَّرَ الْمَوْتَ إِمَامَهُ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ
 الْحِكْمَةُ مَوْظِعَةٌ لِلثَّوَابِ مِنْ سَيِّئَةِ الْعَفْوَ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سَكْرَةِ

الْحَيَرَةُ وَنُحْيِيَهُنَّ لَهَا مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ وَمُسْتَحْرِجَةً لَهَا مِنْ ضَيِقِ الصَّلَاةِ
 وَالْعِلْمِ دَوَاءَ لِلْقُلُوبِ الْعَلِيَّةِ وَمُسَخِّدَةً لِلْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةِ وَنُورٌ فِي
 الظُّلُمَةِ وَأَنْسٌ فِي الْوَحْشَةِ وَحَاجِبٌ فِي الْوَحْدَةِ وَسَمِيرٌ فِي الْخُلُوقِ
 وَرُضَةٌ فِي الْحَجَلِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَتَأْيِيدٌ لِلْفَهْمِ وَنَافِعٌ لِلْعَمَلِ الْمُرْزِي
 بِأَهْلِ الْأَحْسَابِ الْقَصِيرِ يَدْرِي الْأَلْبَابِ أَنْطَقَ اللَّهُ سُجَّانَهُ أَهْلَهُ
 بِأَلْسَانِ الَّذِي جَعَلَهُ صِفَةً لِكَلَامِهِ فِي تَنْزِيلِهِ وَآيَدَهُ رُسُلَهُ إِضَاحًا
 لِلْمُشْكِلَاتِ وَفَضْلًا بَيْنَ الشُّبُهَاتِ شَرَفَ بِهِ الْوَضِيعَ وَاعَزَّ بِهِ
 الدَّلِيلَ وَسَوَّدَ بِهِ السُّودَ مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِهِ فَهُوَ مُعْطَلٌ وَمَنْ تَعَطَّلَ مِنْهُ
 فَهُوَ مُعْقَلٌ لَا تُبْلِيهِ الْأَيَّامُ وَلَا تَحْتَرِمُهُ الدَّهُورُ يَتَجَدَّدُ عَلَى الْإِتِّدَالِ
 وَيَذْكُرُ عَلَى الْإِنْفَاقِ اللَّهُ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ قِيلَ
 لِعِمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةَ وَعَدَلَ بِكَ عَنِ النَّارِ
 وَبَصَرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ عَمَلِكَ قَالَ السَّائِلُ لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ قَالَ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ وَمَنْ لَمْ
 يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ الْقَوْلَ قَالَ لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ : قَالَ
 الَّذِي إِنَّا مَعْتَرُ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا تَلَكَّا أَيُّ قَلَّةٍ الْكَلَامُ وَكَانُوا
 يَكْرَهُونَ أَنْ يُزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . قَالَ السَّائِلُ لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ
 مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ . قَالَ : لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ عَمْرُو : يَا هَذَا فَكَأَنَّا نَكْتُبُ تَحْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ الْإِنْفَهَامِ .
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُقُولِ

الْمُكَلِّفِينَ وَتَخْفِيفَ الْمَوَدَّةِ عَلَى الْمُسْتَعِينِ وَتَرْبِيَةَ تِلْكَ أَلْمَافِي فِي
 قُلُوبِ الْمُتَرِيدِينَ بِالْأَلْقَاطِ الْحَسَّةِ فِي الْأَذَانِ الْمُبْتَوَّةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ
 دَغْبَةً فِي سِرْعَةِ إِبْجَابَتِهِمْ وَتَغْيِي الشَّرَائِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَّةِ
 عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كُنْتَ قَدْ أَوْقَيْتَ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ
 وَأَسْتَوْجِبْتَ مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: وَأَحْكُمُ الْمَوَاعِظِ مَوَاعِظُ اللَّهِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَنْبِيَاءِ
 ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ثُمَّ مَقَامَاتُ
 الْعِبَادِ بَيْنَ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ ثُمَّ قَوْلُهُمْ فِي الزُّهْدِ وَرِجَالِهِ الْمَعْرُوفِينَ بِهِ
 ثُمَّ الْأَشْهُورِينَ مِنَ الْمُتَنَبِّسِينَ إِلَيْهِ وَالْمَوْعِظَةُ ثَقِيلَةٌ عَلَى السَّمْعِ
 مُسْتَحْرَجَةٌ عَلَى النَّفْسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْقَبُولِ لِأَعْيَاضِهَا الشَّهْوَةِ وَمُضَادَّةٌ
 لِهَوَى الْأَيْدِي هُوَ رَيْعُ الْقَلْبِ وَمَرَادُ الرُّوحِ وَرَبْعُ اللَّهِ وَمَسْرُحُ
 الْأَمَانِيِّ الْأَمْنِ وَعَظُهُ عِلْمُهُ وَأَرْشَدُهُ قَلْبُهُ وَأَحْكَمَتُهُ تَجَرُّبَتُهُ. قَالَ
 الشَّاعِرُ:

لَنْ تَرْجِعَ النَّفْسُ عَنْ غَيْبِهَا حَتَّى يُرَى مِنْهَا لَهَا وَاعِظُ
 (وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ) السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بَغْيَرِهِ وَلَا يَغْنُونُ مَنْ
 وَعَظَهُ غَيْرُهُ وَلَكِنْ مَنْ رَأَى الْعَبْرَ فِي غَيْرِهِ فَأَتَعَظَّ بِهَا فِي نَفْسِهِ
 وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ الْحَسَنُ: اقْرَءُوا هَذِهِ النَّفُوسَ فَإِنَّهَا طَلَعَتْ وَحَادُثُوهَا
 بِالذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ وَأَعَصَوْهَا فَإِنَّهَا إِنْ أُطِيعَتْ بَرَعَتْ فِي
 الشَّرِّ غَايَةً وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ انْقِضَاءِ مَجْلِسِهِ وَخَتَمَ مَوْعِظَتِهِ يَا هَذَا مِنْ
 مَوْعِظَةٍ لَوْ عَادَفَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً. وَكَانَ ابْنُ السَّكَّاكِ يَقُولُ

إِذَا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ: أَلَسُنُ تَصِفُ وَقُلُوبُ تَعْرِفُ وَأَعْمَالُ تُخَالِفُ.
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَوْ أُرِنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا يُرِيدُ يُثَقِّلُ الْمَوْعِظَةَ
عَلَى السَّمْعِ وَجُوحُ النَّفْسِ إِلَى مُخَالَفَتِهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (أَحَبُّ شَيْءٍ
إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا). وَقَوْلُهُ: وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يُنْتَمَعُ
وَالْمَوْعِظَةُ مَا نَعَتْ لَكَ بِمَا تَشْتَهِي حَامِلَةٌ لَكَ عَلَى مَا تَكْرَهُ إِلَّا
أَنْ تَلْقَاهَا بِسَمْعٍ قَدْ قَتَعَتْهُ الْعِبَرَةُ وَقَلْبٍ قَدَحَتْ فِيهِ الْفِكْرَةُ
وَنَفْسٍ لَهَا مِنْ عَلَيْهَا زَاجِرٌ وَمِنْ عَقْلِهَا رَادِعٌ فَيُنْتَمِعُ لَكَ بِأَبِ
التَّوْبَةِ وَيُوضَحُ لَكَ سَبِيلُ الْإِنَابَةِ (قَالَ النَّبِيُّ) حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكْرَاهِ
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ يُرِيدُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْجَنَّةِ اخْتِمَالُ
الْمَكْرُوهِ فِي الدُّنْيَا وَالطَّرِيقَ إِلَى النَّارِ رُكُوبُ الشَّهَوَاتِ وَخَيْرُ
الْمَوْعِظَةِ مَا كَانَتْ مِنْ قَلِيلٍ مُخْلِصٍ إِلَى سَامِعٍ مُنْصِفٍ (وَقَالَ بَعْضُهُمْ)
الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ الْقَلْبِ رَقَعَتْ فِي الْقَلْبِ وَإِذَا خَرَجَتْ
مِنْ اللِّسَانِ لَمْ تُجَاوِزِ الْأَذَانَ. وَقَالُوا مَا أَحْسَنَ النَّاجِ. وَهُوَ عَلَى
رَأْسِ الْمَلِكِ أَحْسَنُ. وَمَا أَحْسَنَ الدَّرَّ. وَهُوَ عَلَى نَحْرِ الْفَتَاةِ أَحْسَنُ وَمَا
أَحْسَنَ الْمَوْعِظَةَ. وَهِيَ مِنَ الْفَاضِلِ التَّقِيَّ أَحْسَنُ. (وَقَالَ زِيَادُ)
أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَنْتَعِمُ سُوهُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَتَّقِعُوا بِأَحْسَنِ مَا
تَسْمَعُونَ مِنَّا. قَالَ الشَّاعِرُ:

إِعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصُرَتْ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَفْصِيرِي

البحث الخامس

في غاية الوعظ

(من كتاب الفصن الرطب للمصري)

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْخَطِيبِ فِي الرَّؤْيَةِ فِي مُحَرِّكَاتِ الْعَزِيمَةِ
 وَهِيَ الْقِطْعَةُ مَا نَحْنُ قُلْتُ وَالْمُحَرِّكَاتُ الْمُشْتَرِكَاتُ فِي بَأْسِ الْقِطْعَةِ
 كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْوَعظُ السَّائِقُ بِمَقْوَدِ الشَّارِدِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَرَبِطِ
 التَّوْبَةِ وَمُحَرِّكُ الْعَزِيمَةِ يُرَدِّدُ آدَاءَهُ عَلَى نَوَامِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَقَدْ ضُرِبَ
 نَوْمُ الْقَفْصَةِ عَلَى آدَائِهِمْ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آدَائِهِمْ وَيُرَكِّبُهُمْ
 ظَهْرُ الرِّيَاسَةِ حَتَّى تَلْحَقَهُمْ بِالْمُحْدُودِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَلَمَّا كَانَ حُبُّ
 الدُّنْيَا هُوَ الْمَانِعُ عَنِ الشُّرُوعِ فِي إِطْلَاقِ الْعَمَلِ وَالْقَاطِعُ بِهِ لَمَّا بَعْدَهُ لَمْ
 يُحْدِثْ إِسَاءَةً حَبْلُ الْهَوَى وَجُنُونُ الْكَسَلِ أَنْجَعُ مِنْ وَفَى الْعَذْلِ وَالْتَأَنِيهِ
 وَتَفْشِيهِ الْحُبُوبِ سَيِّئًا إِذَا أُنْزِلَتْ نَبَالَ نَبْلِهِ عَنْ حَيَّاتِ ضُلُوعِ
 الصِّدْقِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْكَلَامُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ دَخَلَ الْقَلْبَ
 أَوْ قَدْ أُنَادَى مِنْ رِسَالَةِ لَيْلَى وَأَحْذَرِ السَّيْلَ بَعْدَهَا مِنْ دُمُوعِي
 وَلَا تَعْدِلِ الْوَعظَ الْبَلِيغَ بِالسَّانِ الْفَصِيحِ وَالْقَلْبِ الْقَرِيبِ قَلَادًا
 رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ أَهْزَتْ وَرَبَّتْ وَهَضَبَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةَ قَدْ
 تَقَلَّبَتْ فَسَمِرَ لِلْفِرَاسِ وَالزِّرَاعِ عَنِ الزِّرَاعِ وَأَغْنَمَ السَّرَاعَ وَالْأَمْرَاعَ
 إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَأَغْنَمْنَا قَانَ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سَكُونًا
 وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

حَقَرُ لَهَا مَاءُ يُرِيهَا بَدَاءَةً وَأَضْمَنَ لَهَا حَوْضًا وَإِنْ لَمْ تُحَقَّرْ
 وَارْتَبَأَ بِنَفْسِكَ عَنْ تَسَامُحٍ بَانِعٍ وَأَغْنَمَ إِذَا سَأَمْتَكَ شَهْوَةٌ شَتَّى
 قَالُوا أَلْوَعْظُ يُضْرَبُ وَجْهَ النَّفْسِ عَنِ التَّنَبُّطِ فِي بِسَاطِ اللَّذَاتِ
 وَيَنْقُلُ خَطَرَاتِهَا عَنِ الْخَطَرِ فِي مَلْعَبِ الْخَطِيئَاتِ وَيُمِثِّلُ لَهَا الصَّبَرَ عَيْنًا
 وَيُسَيِّنُ الْعَوَاقِبَ الْمَحْجَبَةَ بَيَانًا وَيُنِشِّي سَحَابَ الْحُزْنِ فِي أَجْوَافِ أَجْزَائِهَا
 وَيَذَكِّرُهَا بِمَا لَهَا وَأَتْبَاهِهَا وَيُعْرِضُ عَنْ مَصَارِعِ قَنَائِهَا وَخَرَابِ بَنَائِهَا
 وَفِرَاقِ حَبَائِبِهَا وَأَبْلَاهَا عِنْدَ تَوَلِّي هَادِمِ اللَّذَاتِ بِفَنَائِهَا فَتَرْجِعُ إِلَى
 اللَّهِ تَعَالَى بِحُكْمِ الْأَضْطِرَارِ أَفْكَارَهَا وَتَخْشَعُ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَجَلَالِهِ أَبْصَارَهَا وَالْوَعْظُ يَكُونُ بِلِسَانَيْنِ وَيُوجَدُ فَنَيْنِ لِسَانِ حَالٍ
 وَلِسَانِ مَقَالٍ وَرَبِّمَا كَانَ لِسَانُ الْحَالِ أَلْبَغَ وَهُوَ يُسْمَعُ مِنْ
 الْقُبُورِ الْمَوْجِسَةِ وَالْقُصُورِ الْحَالِيَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَفِيهِ حِكَايَاتُ
 وَأَخْبَارُ وَلِسَانُ مَقَالٍ كَقَوْلِهِ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى وَسَكَنُكُمْ فِي مَسَاكِينِ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ أَلَكُمُ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا أَلَكُمُ
 الْأَمْثَالَ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بَعَثَ بِهَا النَّبِيِّينَ وَضَمَّنَ فُصُولَهَا
 الْكِتَابَ الْأَمِينِ وَالسَّرُوطَ الَّذِي يُجَسِّلُ عَلَى الْأَوْتَةِ وَيَسُوقُ دَرَدَ
 الْمُتَطَهِّرِينَ إِلَى غَدِيرِ التَّوْبَةِ وَتَحْنُ تَجْمَعُهُ هَيْئَةً بَيْنَ يَدَيِ الْفِرَاسَةِ
 لِتَذَكِّيَةِ النَّفُوسِ إِنْ صَدَقَ حُكْمُ الْفِرَاسَةِ مِنْ ذَلِكَ فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَقَ
 عَنِّي عَلَى لِسَانٍ وَاعِظٍ



البحث السادس

في فوائد الوعظ وجهل كثيرين من الخطباء في هذا الفن

(من كتاب الكلم الثمان للشخ الحسین المرصفي)

وَلَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَوْضِعًا لِلسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ وَتَحَلًّا لِلذَّهْوِ
وَالْعَفْوِ لِمَا يَتَوَدُّهُ وَيَكْنُفُهُ مِنَ الْآهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي بِإِتِّبَاعِهَا
وَالْإِنْقِيَادِ مَعَهَا يَدْخُلُ الْإِخْتِلَالُ عَلَى النِّظَامِ الْكُلِّيِّ وَالْحَضْرَةِ
الْعَامَّةِ ثُمَّ يَسْرِي بِغَايَةِ السَّرْعَةِ إِلَى أَنْظِمَاتِ الْجُرَيْتَةِ وَالْمَصَالِحِ
الْخَاصَّةِ فَيَضِجُ الْقَلْبُ قَلْبًا وَقَلْبًا عَاجِزًا وَالشَّجَاعُ جَبَانًا وَالذَّكِيُّ
غَيْبًا وَالْقَطَنُ بَلِيدًا وَيَصِيرُ أُنْمُ الْبَهَائِمِ أَوَّلَى بِهِمْ مِنْ أُنْمِ
الْإِنْسَانِ بَلْ كَانَتْ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ كَمَا سَلَفَ وَكَانُوا
مَوْضِعَ قَوْلِهِ : إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا . تَعَيَّنَ
أَنْ يَضْحَكُ مُذَكِّرٌ دَائِمٌ وَوَاعِظٌ مُسْتَوْدِعٌ يَهْدِيهِ إِلَى قَصْدِ السَّبِيلِ
وَجَادَّةِ الْحَقِّ كُلَّمَا جَارَتْ بِهِ الْحَالَاتُ الْفَاسِدَةُ وَالْوَسَاوِسُ
الرَّدِيئَةُ . وَتَحْصِيلُ ذَلِكَ وَرَدُّ الْأَنْرُ فِي قَوْلِهِ وَتَكُنْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ . فَقَدْ أَبَانَ أَنَّ لَا صَلَاحَ لِلْكَافَّةِ إِلَّا بِوُجُودِ أُمَّةٍ
تَكُونُ وَظِيفَتُهَا دُعَاءُ النَّاسِ لِلْخَيْرِ وَصَرْفُهُمْ عَنْ تَاجِيَةِ الشَّرِّ وَأَمْرُهُمْ
بِالْعُرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَتَوَهَُّ بِعَقْدَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا وَجِدْتَ
وَبَّهَ عَلَى شَرَفِهَا وَفَضْلِ مَكَانِهَا حَيْثُ جَعَلَهَا مُحْتَصَةً بِأَفْلَاحِ

وَالْعَزْذُ بِحَقِيقَةِ السَّعَادَةِ إِذْ قَدْ تَكُونُ هِيَ فِي نَفْسِهَا صَالِحَةً وَبِهَا
يَعْمُ الصَّلَاحُ فَيَصِيرُ فَلَاحُهَا أَضْلًا لِفَلَاحِ سِوَاهَا فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ يُقَالَ
فِيهَا بَعَادَةُ التَّخْصِصِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْطُؤُونَ وَإِنَّمَا يُمَكِّنُ تَأْدِيَةَ تِلْكَ
الْوُظَيْفَةِ وَالْقِيَامُ بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ لِقَوْمٍ تَقَدَّسَتْ نَفُوسُهُمْ وَتَنَقَّتْ
طِبَاعُهُمْ وَتَهَذَّبَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَنَوَّرَتْ عُقُولُهُمْ وَصَحَّتْ أَفْهَامُهُمْ
وَرَجَحَتْ أَخْلَاقَهُمْ وَصَدَقَتْ عَزَائِمُهُمْ وَعَلَتْ هِمَمُهُمْ وَعَرَفُوا أَجْنَاسَ
الْخَيْرِ وَاحْتَاطُوا بِأَنْوَاعِهِ وَمَيَّزُوهَا مِنْ أَصَافِ الشَّرِّ قَرَّبًا أَشْتَبَهَ الْخَالُ
وَتَمَثَّلَ كُلُّ فِي صُورَةٍ الْآخِرِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَمَيُّزُ الْخَيْرِ مِنَ
الشَّرِّ أَمْرًا عَسِرًا إِذْ كَانَ الْأَسَاسُ الضَّرَرُ وَالنَّفْعُ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا
يَهْتَلِمُهُمَا وَلَكِنْ رَبُّ ضَارٍّ فِي الْخَالِ نَافِعٌ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ خَيْرًا
وَرُبُّ نَافِعٍ فِي الْخَالِ ضَارٌّ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ شَرًّا وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ
الْمُضَرَّةُ وَالنَّفْعَةُ وَاسْتَوَتَا أَوْ غَلَبَتْ إِحْدَاهُمَا وَمِنْ هَذَا تَبَتَّ
الْإِخْتِيَاغُ لَوْجُودِ أَمَةٍ تُفَرِّغُ أَنْفُسَهَا لِلِاسْتِغَالِ بِذَلِكَ حَتَّى تَحْكِمَ
أَمْرَهَا ثُمَّ تُلَاحِظُ النَّاسَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ إِيذَعُوهُمْ إِلَى الْخَيْرِ
وَتَأْمُرُهُمْ بِمَا عَرَفَتْهُ خَيْرًا وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا أَنْكَرَتْهُ وَعَرَفَتْهُ شَرًّا
تَنْصَحُهُمْ بِالْإِزَامِ مَا عَرَفُوهُ وَتَدُلُّهُمْ عَلَى مَا جَهِلُوهُ فَكَثُرَ الْمَنَافِعُ
وَالْمُضَارُّ مَعْرُوفٌ بَيْنَ لَا يُخْتَلَفُ بِالنَّاسِ عَلَيْهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الدِّينَ
أَمْرٌ تَقْتَضِيهِ الطَّبَاعُ وَتَدْفَعُ إِلَيْهِ الْفِطْرَةُ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِقَابَةَ
هَوَاهُ قَدْ يُبْجِعُ لِنَفْسِهِ مَا يَحْكُمُ عَقْلُهُ بِمَنْعِهِ وَيَجِدُ فِي طَبِيعِهِ
اسْتِغْبَاحَهُ أَلَّا تَرَى إِلَى السَّارِقِ وَالْفَاسِقِ كَيْفَ يُسَخِّرُ أَنْ يَفْعَلَ

يَعْتَرُونَ مَا لَا يَنْتَحِيزُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِهِ غَيْرُهُ . قَتَى سُرِقَ مَالُهُ أَوْ اغْتَصَبَ مِنْهُ وَجَدَ بِذَلِكَ فِي قَلْبِهِ حَرَارَةً وَفِي نَفْسِهِ ضِيقًا وَتَشْوِشَ فِكْرُهُ وَأَخْتَلَّتْ حَالُهُ وَبَطَلَ نِظَامُ سَيَرِهِ . وَهُوَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ . بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَدُومَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ طَيِّبِ النَّفْسِ مُسْتَقِيمَ الْأَحْوَالِ . فَهُوَ يَحْكُمُ بِفَتْحِ ذَلِكَ وَحُسْنِ هَذَا . وَإِنْ كَانَ لَا يَعْبُرُ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْحِلِّ وَالْحَرَمَةِ . وَإِلَى ذَلِكَ أَلْفَى الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ الْخَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ . وَعَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ أَنْ تَعْرِفَ التَّجَبُّدَاتِ الزَّمَانِيَّةَ لِتَكُونَ أَعْمَالُهَا مُطَابِقَةً لِلْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ . قُرْبَ أَمْرٍ يَكُونُ خَيْرًا فِي عَصْرِ قَبْضِي شَرًّا فِي غَيْرِهِ . وَهَلْ هَذِهِ الْأُمَةُ كَانَتْ أَوْ كَانَتْ . لَا أَتَيْتُ ذَلِكَ وَلَا آتِيهِ حَتَّى أَفَاضِكَ الْخَدِيثَ فِيهِ . إِنْ قُلْتَ هَذِهِ الْأُمَةُ مُتَحَقِّقَةٌ فِي خُطْبَاءِ الْمَنَازِرِ . قُلْتُ لَكَ : أَتُرِيدُ بِهِمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ وَتَسْمَعُهُمْ وَهُمْ إِنَّمَا تَمِيزُوا عَنْ آخِرِ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْعَالَمَةِ لِتَسْكُنِيهِمْ مِنْ قِرَاءَةِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخُطْبِ . فَقَايَةُ أَمْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ دِيْوَانَ خُطْبٍ صَفَتْهُ بَعْضُ أَسْلَافِهِ كَمَا تَحْمِلُ مُنَاسِبًا لِلشُّهُورِ وَالْأَوَاسِمِ . فَيَحْفَظُ مَا نَفِطِيهِ تِلْكَ النَّفُوسُ مِنْ مَوَادِّ الْأَلْفَاظِ . أَوْ يَنْسَخُ صُورَةَ خُطْبَةٍ لِيَحْفَظَ حَمَلَهَا عَلَيْهِ إِذَا قَامَ بِهَا خُطْبًا . يَسْرُدُ الْفَاطَا حِفْظَهَا أَوْ تَضَرَّ حُرُوفَهَا لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهَا وَلَا يَنْفَهُمُ الْإِرَادُ مِنْهَا . كَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ الدِّيْوَانُ مَشْكُولًا وَلَمْ يَقْرَأِ الْخُطْبَةُ عَلَى ذِي دِرَاقَةٍ سَوِغَتْ مِنْهُ الْمُنْجَبُ وَالْمُطْرِبُ مِنَ اللَّجَنِ الْقَاجِسِ وَالْمُضْجِفِ الْقَبِيحِ . فَإِنَّ مِنْهُمْ

مَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ اتِّبَاعَ السَّامِعِينَ فَقَرَأَ الْخُطْبَةَ مِرَارًا
 عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الْمَرْقَةِ حَتَّى يَقِفَ عَلَى صِحَّةِ النُّطْقِ بِهَا. وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَنْقُصُ عَلَى تَضْجِيعِ الْحَدِيثِ أَخَذَ أَمَّا الْكَلَامَ النَّبِيِّ. وَرُبَّمَا قَرَأَهُ
 عَلَى رَجُلٍ يُقْبِسُهُ لَهُ بِصَاعَةِ الْخَمْرِ فَيُضِلُّانِ جَمِيعًا. إِذْ لَا عَمَلَ لِصَاعَةِ الْخَمْرِ
 إِلَّا بَعْدَ فَهْمِ الْمَعْنَى. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبَالِي بِتَضْجِيعِ آيَةٍ وَلَا حَدِيثٍ.
 مَا أَطْنُ أَنْكَ تَسْتَحْجِزُ أَنْ تَقُولَ أَرَدْتُ هَؤُلَاءِ. فَإِنْ قُلْتَ إِنَّا
 أَرَدْتُ خُطْبَاءَ الْأَسْلَافِ قُلْتُ لَكَ: تَجَاوَزَ عَصْرَ النَّبِيِّ. وَعَصَرَ أَصْحَابِهِ
 ثُمَّ اقْرَأْ خُطْبَ الْخُلَفَاءِ وَتَوَابِهِمْ فِي التَّوَارِيخِ ثُمَّ أَمْضِ فِي ذَلِكَ
 طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ وَعَصْرًا خَلْفَ عَصْرٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِكَ هَذَا
 تَحْذَرُ أَنْ جَمِيعَ الْخُطْبِ يَدُورُ أَمْرُهَا عَلَى مَعَانٍ وَاحِدَةٍ وَالْفَاظِ مُعَيَّنَةٍ
 لَا تَجَاوِزُهَا. وَهِيَ التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّوَكُّلُ فِي الْآخِرَةِ وَتَبَشِيرُ
 الْأَطْلِيعِ وَإِنْذَارُ الْعَاصِي. يُكْرَرُونَ ذَلِكَ كُلَّ جُمُعَةٍ وَكُلَّ مَوْسِمٍ حَتَّى لَمْ
 يَبْقَ لَهُ تَأْيِيدٌ وَالتَّحْقُّ بِالْأُمُورِ الْمَعْتَادَةِ. إِنَّا نَسَعُ النَّاسَ أَصْرَاتِهَا
 ذَاتَ كَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ إِقَامَةً لِذَلِكَ الرَّسْمِ حَسَبًا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُ
 الْعَامَّةِ مِنْ أَنْ تِلْكَ الصُّورَةُ هِيَ إِقَامَةُ الدِّينِ. وَفِي صِفَةِ خُطْبَاءِ
 الْعَصْرِ الثَّانِي بَعْدَ عَصْرِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ يَقُولُ شَاعِرُهُ:
 وَدَّعُوا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا أَفَأَرِيقُ حَتَّى مَا يَدُرُّ لَنَا نَعْلُ
 وَالتَّعْلُ بِقَعْرِ أَرْلِهِ أَوْضَعِهِ وَكُونُ ثَانِيهِ زِيَادَةً فِي أَطْبَاءِ
 النَّاقَةِ وَغَيْرِهَا تُشَبِّهُ حَلْمَةَ الثَّوْدِيِّ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ لَبَنٌ. وَلَا
 تَهْلُنْ آتِي أَنْتَقِصُ بِذَلِكَ خُطْبَاءَ الْعُصُورِ الْأُولَى فَلَتَهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ

كِفَايَةُ ذَلِكَ لِكثَرَةِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ حِينَ ذَلِكَ. وَبِالْجَمَلَةِ فَكَيْفَمَا
 كَانَ الْحَالُ فِي الْخُطَابَةِ فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ فِي تَحْقِيقِ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ
 وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَا تَكُونُ الْأَمَةُ مُتَحَقِّقَةً
 بِخُطْبَاءِ الْمَلَايِمِ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهَا أَعْلَمَاءُ، قُلْتَ: هَذَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ
 نَنْظُرُ. أَمَّا أَعْلَمَاءُ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَزَاءَهُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَالْأَنْبِيَاءِ خَيْرًا
 فَكَانَ أَشْتِقَائُهُمْ بِجَمْعِ الْأَصُولِ وَتَقَيُّمَاتِهَا مِنَ الدَّخِيلِ الَّذِي بَادَرَ
 بِإِدْخَالِهِ أَهْلُ الْإِتِّفَاقِ وَالزُّنْدَقَةِ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى. وَمِنْهَا التَّشْكِيكُ فِي
 الدِّينِ. وَمِنْهَا التَّيَسُّسُ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَمِنْهَا آيَتَاءُ مَذَلَّةٍ فِي قُلُوبِ
 الْعَامَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحِيطُ بِهِ مِنْ قَرَأِ التَّوَارِيخِ وَتَأَمَّلْهَا.
 وَاجْتَبَاهُمْ وَبَذَلَ هَمِيمَهُمْ فِي تَفْرِيعِ الْفُرُوعِ وَتَفْصِيلِ أَحْكَامِ
 الْحَوَادِثِ مَا كَانَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ يُفْرَضُ وَيُعَدَّرُ حَتَّى إِذَا وَقَعَتْ
 الْحَادِثَةُ وَجَدَتْ لَهَا حُكْمًا حَاضِرًا وَأَمْرًا كَافِيًا فِي إِنْقَاضِ أَعْمَالِهَا
 مَا نَعَاهَا عَنْ رَاحَةِ أَبْدَانِهِمْ فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُولُ لَا يُبَالُ
 أَلَيْلٌ بِرَاحَةِ الْجَنَمِ. وَأَمَّا مَنْ خَلَقَهُمْ فَكَانَ إِقْبَالُهُمْ عَلَى دَوَائِرِ
 مَشِيئَتِهِمْ يَهْدِيُونَهَا وَيُجِيدُونَ تَرْبِيَتَهَا وَيُوضَحُونَ مَا يَحْتَاجُ لِلتَّوَضُّعِ
 مِنْهَا وَيَسْتَدْرِكُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَاتَهُمْ تَحَرُّجًا عَلَى أَصُولِهِمُ الَّتِي قَرَّرُوهَا
 إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ نَاطِلًا لَهُمْ فِي سِلْكِ سَلَفِهِمْ. فَكَانَ
 حُكْمُهُمْ وَاحِدًا لَا يَفْرُغُ لَهُمْ وَقْتُ يَسْتَعْبِلُونَهُ فِي تَهْمِدِ النَّاسِ
 وَدُعَائِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ كَمَا هُوَ وَظِيفَةُ تِلْكَ الْأُمُومَةِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ
 هَؤُلَاءِ خَلَفُوا الْجَدَلَ بِشَرِّهِ وَالْمُنَازَعَةَ سَبِيلًا. وَخَرَجَ بِهِمْ ذَلِكَ

إِلَى سَبَابٍ وَمُشَاتَّةٍ وَأَخْتِفَارٍ قَوْمٌ قَوْمًا وَرَجَعَ بِهِمْ إِلَى الْقَدَحِ فِي
السَّلَفِ وَصَادَ الْأَخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَذَاهِبِ مُنْشَأً لِعِدَاوَةٍ إِنْ لَمْ
تَكُنْ فَوْقَ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَذْيَانِ فَلَيْسَتْ دُونَهَا . فَكَثِيرًا مَا
كَانَتْ سَبَبًا يُجْرِيهِ السُّيُوفُ يُقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى دَخَلَ بَيْنَهُمْ
الْحُكَّامُ لِإِصْلَاحِهِمْ وَكَانُوا هُمْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ . وَهُوَ حَقُّهُمُ الَّذِي
مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُمْكِنُوا مِنْهُ غَيْرُهُمْ وَصَارُوا أَخْرَابًا يَخَازُ كُلُّ
حِزْبٍ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ التَّوَّاجِي وَصَارَتِ الْمَدَائِنُ بَعْدَ ذَلِكَ أَلْعَاقِلُ
وَالْحُصُونُ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُهَا تَحْتَ نَظَرِ السِّيَاسَةِ وَقَهَرَهَا وَبُدِلَتْ سُيُوفُ
الْتِمَازِ بِقِطْعِ خَشَبٍ فِي صُورَتِهَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا الْخُطَبَاءُ حَالَ صُعُودِهِمْ
وَهُبْطِهِمْ . وَآلَ أَمْرِ الْعُلَمَاءِ إِلَى كَوْنِهِمْ طَائِفَةً مِنَ الطَّوَلِّبِ الْمَرْبُوبَةِ
الْمُسَوِّسَةِ تَحْظُرُ حَرَكَاتِهِمْ أَرْصَادُ الْحُكُومَةِ وَتَأْخُذُهُمْ عِيُونُهَا مِنْهَا لَتَعَادِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَخِصَمًا لِلدَّاءِ الشَّرِّ بَيْنَهُمْ . وَلَبِثَتْ بِهِمْ أَهْوَاءُ الْمُلُوكِ
الْحَاطِرَةِ الْجَهْلَةِ مِنَ التَّنَرِّ وَالْدَّلِيلِ وَغَيْرِهِمْ . وَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ مَفَاسِدُ
عَظِيمَةٌ مِنْهَا تُمْكِنُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ أَمَضُوا صُدُورَ أَعْمَارِهِمْ
فِي اللَّهْوِ وَاللَّبِّ دُونَ فِكْرَةٍ فِي تَحْصِيلِ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعِثَةِ
حَتَّى دِمَهُمْ وَقَتُ الْإِخْتِجَاحِ لِذَلِكَ مِنَ الْإِتْسَابِ إِلَى الْإِعْلَمِ وَأَهْلِهِ
فَصَنَعُوا كُتُبًا مَلَأُوهَا أَحَادِيثَ كَاذِبَةً وَحِكَايَاتٍ غَيْرَ مَعْقُولَةٍ
وَرَوَّجُوهَا عَلَى الْعَامَّةِ وَآكَوَاهَا الْخُبَرَ وَخَلَطُوا مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ بِهِ .
فَأَيُّ مَفْسَدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا أَفْهَرُ أَقْ الْعُلَمَاءِ
وَأَهْمَالُهُمْ أَمْرَ الرِّعَايَةِ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَخْتِلَافُ الَّذِي هُوَ مُنْشَأُ تِلْكَ

الْعَادَةِ مُسْتَوِيًّا يُخْفِيهِ الضَّعْفُ وَتَطْهَرُهُ الْقُوَّةُ كَمَا تَرَى . فَهَلْ يَسُوعُ
لَكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذَا أَنْ تَقُولَ إِنَّهَا الْعُلَمَاءُ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهَا الْوَعَاظُ
قُلْتَ هَذَا أَقْرَبُ فَإِنَّ الْوَعَاظَةَ كَانَتْ جِرْفَةً شَائِئَةً وَجِنَاعَةً فَاشِئَةً
كَانَ أَهْلُهَا يَتَأَقْسُونَهَا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَخَذَ عَلَيْهَا الرُّوَابِ مِنْ بُيُوتِ
الْأَمْوَالِ وَأَكْثَرُهُمْ كَانَ يَأْمُ بِهَا الْقِطْعَ مِنَ الْعَامَّةِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ
مَجَالِسَهُمْ . فَكَانَ الْوَعَاظُ إِذَا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِذَلِكَ
الْجَلِيسِ بَسَطَ مِنْدِيلَهُ وَطَرَحَ فِيهِ كُلَّ مَا سَحَتْ بِهِ نَفْسُهُ

وَصُنِفَتْ لِأَجْلِ الْوَعَاظَةِ كُتُبٌ لَمُبَوَّهَا بِالْمَجَالِسِ تَشْتَمِلُ عَلَى
تَفْسِيرِ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ الدَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَبَعْضِ أَحَادِيثِ صَحِيحَةٍ
وَبَعْضِ أَشْعَارٍ وَحِكَايَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي . وَنَمُودَجُ ذَلِكَ مَا تَرَاهُ فِي
الْمَسْجِدِ الْحُسَيْنِيِّ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي رَمَضَانَ . وَيَا لُجْلُجَةً فَحُصُولُ تِلْكَ
الْكُتُبِ هُوَ مُحْصُولُ خُطْبِ الْمُنَازِيرِ . وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ
الْصَّاعَةِ وَهُمْ قَلِيلٌ كَانُوا مِنَ الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ وَبَرَاةِ الْمَنْطِقِ
وَبَلَاغَةِ الْعِبَارَةِ يَمُكِّنُ رَفِيعٌ . فَإِنَّ أَكْثَرَهُمُ الْقَصَاصُ الْجَهْلَةُ الَّذِينَ
غَايَةُ أَمْرِ الْوَأَجِدِ مِنْهُمْ أَنْ يُلَاقَ أَحَادِيثَ يَضَعُهَا أَوْ وَضَعَهَا غَيْرُهُ
يُفْرَحُ بِهَا نَفُوسُ الْعَامَّةِ عَمَا يَذْكُرُ مِنْ كَثْرَةِ الثَّرَوَاتِ مَعَ قَلَّةِ الْعَمَلِ
وَمَا يَهْوُونَ مِنْ أَمْرِ الْمَغْصِيَةِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ الْغُرُوضِ عَلَى
أَرْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَسْتِزْسَالِ مَعَ الْآهْوَاءِ وَطَرَحِ الْمُبَالَاةِ
أَعْتِمَادًا عَلَى مَا دَكَّرُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ وَشَغَلُوا بِهِ عُقُولَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ
أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ وَعَظَمِ الْغَفْرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . لَا

يَتَكَلَّمُونَ فِي سِرِّهِ حَتَّى صَارَ سَبِيحًا قَوِيًّا فِي حُمُودِ الطَّبَاعِ وَاسْتِحْكَامِ
 أَلْفَلَكَةِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنْ تَذَكُّرِ مَعْنَى الْأَجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي وَتَقْصُلِ
 ضَرُورَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَحْكَامِ أَسْبَابِ التَّعَارُفِ وَالتَّوَاضُّعِ
 وَتَحَادُّرَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا يُوجِبُ عِزَّ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتَهَا وَسُرُورَ
 آحَادِهَا وَابْتِهَاجَهُمْ بِالتَّائَصُّفِ وَافْتِخَالِ الْأَقْرِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ
 تَمَارِ قُوَاهُمْ فَلَا يَتَلَاقُونَ إِلَّا وَصُدُورُهُمْ مُنْشَرَحَةٌ وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ
 وَثُغُورُهُمْ بَاسَةٌ وَوُجُوهُهُمْ مُنْبَسِطَةٌ . قَدْ آمَنَ بَعْضُهُمْ غَوَائِلَ
 بَعْضٍ وَتَحَقَّقُوا السَّلَامَةَ مِنْ مَقَاصِدِ السُّوءِ وَالتَّحَاكُرِ بِاسْتِيلَابِ
 الْأَمْوَالِ وَقَهْرِ النُّفُوسِ وَتَسْخِيرِ الْأَقْرِيَاءِ الضُّعَفَاءِ فِيمَا يَنْقُصُونَ بِهِ
 مِنَ اللَّذَاتِ وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهِ بِجِدْرَانِ الضُّخُورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ حَتَّى كَانَ
 ذَلِكَ مُوَلِّدًا فِي النَّاسِ كَثِيرًا مِنْ خَسِيسِ الطَّبَاعِ الَّتِي تَمِيلُ بِأَفْخَاجِهَا
 نَحْوَ الْأَكْثِسَابِ بِجَهَةِ السَّرِقَةِ وَالسُّوَالِ بِالضَّرَاعَةِ وَالتَّرَايِ عَلَى
 آغَابِ الْكُثْرَيْنِ . وَأَنْتَ لِذَلِكَ عَارِفٌ وَإِلَيْهِ نَظَرٌ لَا تَجْهَلُ تِلْكَ
 الطَّوَائِفَ الْكَاسِبَةَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ الرَّدِيئَةِ . وَأَسْوَأُهَا حَالًا وَأَحْسَمًا
 عَمَلًا وَبَعْضُهَا مَرَدَّدًا هَوْلَاءُ الَّذِينَ أَطْفَأُوا أَنْوَارَ عَقُولِهِمُ الْخَلْقِيَّةِ وَاحْتَدَوْا
 لَهَبَ قُوَاهُمْ الطَّبِيعِيَّةِ وَعَطَّلُوا جَوَارِحَ أَبْدَانِهِمْ بِمَا يَلْلُونُ بِهِ رُؤُوسَهُمْ مِنْ
 أَشْرِيَةِ خُرَافَاتِهِ تَخْرُجُ بِهِمْ مِنْ نَوْعِ الْحَيَوَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ أَقُولَ مِنْ
 نَوْعِ الْإِنْسَانِ يُوَدُّ أَنْ يَكُونَ إِلَى الْإِحْتِيَاجِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ بِأَبْدَانِهِمْ
 وَأَبْدَانُ اتَّقَضَتْ عَنْهُمْ وَشَغَلُوا بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْقَرَارِغِ أَيَّ أَبْدَانِهِمْ وَأَبْدَانِ
 نَسَلِهِمْ إِلَى أَنْ يَطْرَحُوا نَفُوسَهُمْ بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْمَكَايِبِ بِطُرُقِ

الْأَعْمَالِ الْمُتَعَبَةِ وَالْحَوَالِ الشَّقَاةِ . يُذَكِّرُونَهُمْ قَوَابِ الصَّدَقَاتِ
وَيُلْحِقُونَ فِي السُّؤَالِ حَتَّى قَلَّ ذَلِكَ نَفْسُهُمْ وَيَضَعِفَ يَقِينُهُمْ وَتَقْسُوَ
قُلُوبُهُمْ وَيَلْتَبِسُوا وُجُوهًا لِلطَّعْنِ عَلَى تِلْكَ الطَّائِفَةِ لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ
أَهْلِ الذَّرَاهَةِ مِنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ . فَيَكُونُ الْقَدْحُ عَامًّا وَالْإِخْتِقَارُ شَامِلًا . وَجِهَةٌ
أَلَا عِتَابَ فِيهِ أَنَّ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِيُوظِّفَةَ الْهُدَى وَدَعَا النَّاسَ إِلَى
الْخَيْرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَهُمْ مِنَ التَّضَنُّعِ وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى الْكَمَالِ .
فَإِنْ أَدْنَى هَفْوَةٍ مِنْهُ تُسْقِطُ اعْتِبَارَهُ وَتَسْهَلُ التَّهَانُ بِهِ فَلَا يَكُونُ
لِكَلَامِهِ تَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ وَيَصِيرُ تَحْلِسُهُ مَسْلَاةً يُتْلَهُ بِحُضُورِهِ
فَكثِيرًا مَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَجَالِسُ مَوَاعِدَ لِأَهْلِ الْخَلَاعَاتِ وَالْحُجُونِ

البحث السابع

في الخطب عند العرب

(نقلًا عن الملاحظ والشريفي والقبرياني)

إِنَّا لَا نَعْرِفُ الْخُطْبَ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَالْفَرَسِ . فَأَمَّا الْهِنْدُ فَلَأَنَّا لَمْ
مَعَانٍ مُدَوَّاةٌ وَكُتُبٌ مُخْلَدَةٌ لَا تُضَافُ إِلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ وَلَا إِلَى
عَالِمٍ مَوْصُوفٍ . وَإِنَّا هِيَ كُتُبٌ مُتَوَارِثَةٌ وَأَدَابٌ عَلَى وَجْهِ الذَّهْرِ
سَائِرَةٌ مَذْكُورَةٌ . وَلِلْيُونَانِيِّينَ فِلَسَفَةٌ وَصِنَاعَةٌ مُنْطَقٌ وَكَانَ صَاحِبُ
الْمُنْطَقِ نَفْسُهُ عِيَالِ اللِّسَانِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ بِالْيَبَانِ مَعَ عَلَيْهِ بِتَمْيِيزِ
الْكَلَامِ . وَتَفْصِيلِهِ وَمَعَانِيهِ وَبِحَصَانِيهِ . وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ جَالِينُوسَ
كَانَ أَنْطَقَ النَّاسِ وَلَمْ يَذْكُرُوهُ بِالْخُطَابَةِ وَلَا بِهَذَا الْخَلْسِ مِنْ

أَلْبَلَاغَ وَفِي الْفَرْسِ خُطْبَاءٌ إِلَّا أَنْ كَلَامَ الْفَرْسِ وَكُلَّ مَعْنَى لَهُمْ
 فَإِنَّمَا هُوَ عَنْ طُولِ فِكْرَةٍ وَعَنْ اجْتِهَادِ رَأْيٍ وَعَنْ مُشَاوَرَةٍ وَمُعَاوَرَةٍ
 وَعَنْ طُولِ التَّفَكُّرِ وَدِرَاسَةِ الْكُتُبِ وَحِكَايَةِ الثَّانِي عِلْمَ الْأَوَّلِ
 وَزِيَادَةَ الثَّالِثِ فِي عِلْمِ الثَّانِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ ثَمَارُ تِلْكَ الْفِكْرِ عِنْدَ
 آخِرِهِمْ. وَكُلُّ شَيْءٍ لِلْعَرَبِ فَإِنَّمَا هُوَ بِدِيَّةٍ وَارْتِحَالٍ وَكَانَهُ الْهَامُ
 وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مُمَانَةٌ وَلَا مُكَابَدَةٌ وَلَا إِجَالَةٌ فِكْرٍ وَلَا اسْتِعَانَةٌ
 وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يَصْرِفَ أَحَدُهُمْ وَهَمَّهُ إِلَى الْكَلَامِ وَإِلَى دَجْرِ يَوْمٍ.
 الْخِصَامُ أَوْ جِنٌّ يَتَمَحُّ عَلَى رَأْسِ بَيْتٍ أَوْ يَحْدُو بِبَعِيرٍ أَوْ عِنْدَ الْمَقَارِعِ
 أَوْ الْمُنَاقِلَةِ أَوْ عِنْدَ صِرَاعٍ أَوْ حَرْبٍ قَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَصْرِفَ وَهَمَّهُ إِلَى
 جُمْلَةٍ أَلَذَّهَبَ وَإِلَى الْعُودِ الَّذِي إِلَيْهِ يَقْصِدُ قَتَاتِيهِ الْعُلَايِي أَرْسَالًا
 وَتَهَالٍ عَلَيْهِ الْأَلْفَاظُ أَمِثَالًا. ثُمَّ لَا يُعْقِدُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يَدْرِسُهُ
 أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَكَانُوا أَمِينِينَ لَا يَكْتَسُونَ وَمَطْبُوعِينَ لَا يَتَكَلَّفُونَ
 وَكَانَ الْكَلَامُ أَحْيَدُ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ وَأَكْثَرَ وَهُمْ عَلَيْهِ أَقْدَرُ وَلَهُ
 أَقْفَرُ وَكُلُّ وَاحِدٍ فِي نَفْسِهِ أَنْطَقَ وَمَكَانُهُ مِنَ الْبَيَانِ أَرْفَعُ
 وَخُطْبَاهُمْ لِلْكَلَامِ أَجْوَدُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهِمْ أَسْهَلُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ أَيْسَرُ
 مِنْ أَنْ يَنْفَتَرُوا إِلَى تَحْفِظِهِ وَيَحْتَاجُوا إِلَى تَدَارُسٍ. وَلَيْسَ لَهُمْ كَمَنْ حَفِظَ
 عِلْمَ غَيْرِهِ وَأَخَذَ عَلَى كَلَامٍ مِنْ قَبْلِهِ قَمَا يَحْفَظُونَ إِلَّا مَا عَلِقَ
 بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْحَمَ بِصُدُورِهِمْ وَأَتَصَلَ بِعُقُولِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا قَصْدٍ
 وَلَا تَحْفَظٍ وَلَا تَلَبُّبٍ وَإِنْ هَذَا الَّذِي فِي أَيْدِينَا جُزْءٌ مِنْهُ (اه)

وَمِنْ أَشْهُرَ فِي الْخُطْبَاءِ أَيْضًا قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي أُسْتَفُ

نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ وَشَاعِرُهَا وَحَاسِبُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي
عَصْرِهِ يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرْفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ
قَالَ فِي كَلَامِهِ: أَمَّا بَعْدُ. قِيلَ: وَبَعْدُ لَفْظُهُ عَرَبِيَّةٌ وَقَصْلُ الْخَطَابِ
وَالَّذِي أُوتِيَهُ قُسٌّ هُوَ فَضْلُ الْخُصُومَةِ وَهَذَا يُؤْتَدُ مَا قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَلَيْبَنَةُ عَلَى الْمُدْعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ. وَأَوَّلُ
مَنْ أَتَاكَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا. وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: مِنْ
فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ. أَدْرَكَهُ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَاهُ بِمُكَاطَ فَكَانَ
يَأْتِيهِ عَنْهُ كَلَامًا يَسْمَعُهُ مِنْهُ. وَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَالْبَعْثِ. بَلِيغٌ
الْمُنْطِقِ وَفِيهِ يَقُولُ الْأَعَشَى:

وَأَقْضَحَ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَى مِنْ أَلْذِي

بِذِي أَلْعَيْنِ (١) مِنْ خَفَانٍ أَضَحَّ خَادِرًا
وَكَانَ قُسٌّ يَفْدُ عَلَى قَيْصَرَ دَائِرًا قَيْكُرْمُهُ وَيَعْظُمُهُ فَقَالَ لَهُ
قَيْصَرٌ: مَا أَفْضَلُ أَعْلِمُ. قَالَ: مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ. قَالَ: فَمَا
أَفْضَلُ أَلْعَلُّ. قَالَ: وَتُوقُفُ الْمَرْءُ عِنْدَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ
أَلْأَدَبِ. قَالَ: اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ أَلْمُرُوءَةِ.
قَالَ: قِلَّةُ رَغْبَةِ الْمَرْءِ فِي إِخْلَافٍ وَعَدِيدِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ أَلْمَالِ.
قَالَ: مَا قُضِيَ بِهِ الْحَوْتُ

وَقِيلَ إِنَّ أَلْجَارُودَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَقَدَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى
رَسُولِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ مُعَظَّمًا فِي عَشِيرَتِهِ فَاسْتَمَّ سَأَلَهُ

الرَّسُولُ: يَا جَارِدُ هَلْ فِي جَمَاعَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قَسًا. قَالَ:
 سَكُنَّا نَعْرِفُهُ. وَأَنَا كُنْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَقْفُو آثَرُهُ وَأَطْلَعُ خَبَرَهُ. كَانَ
 قُسٌ سَبَطًا مِنْ أَسْبَاطِ الْعَرَبِ. صَحِیحَ النَّسَبِ فَصِيحًا ذَا شَيْئَةٍ حَسَمَةٍ
 يَمَقَّرُ الْفِقَارَ. وَلَا تَكُنْهُ دَارٌ. وَلَا يُقَرُّ قَرَارٌ. يَتَحَسَّى فِي تَمَقُّرِهِ
 بَعْضُ الطَّعَامِ. وَيَأْنَسُ بِالْوُحُوشِ وَالْهَوَامِّ. يَلْبَسُ الْمُسُوحَ. وَيَتَّبِعُ
 السَّيَّاحَ عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِجِ. لَا يُعَيِّرُ الرَّعْبَانِيَّةَ. مُعِيرًا بِالْوَحْدَانِيَّةِ.
 تُضْرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْأَمْثَالُ. وَتُكْشَفُ بِهِ الْأَهْوَالُ. وَتَتَّبَعُهُ الْأَبْدَالُ.
 أَدْرَكَ رَأْسَ الْخَوَارِيزِيِّينَ سَمْعَانَ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَأَلَّاهُ مِنَ الْعَرَبِ.
 وَأَعْبَدَ مَنْ تَعَبَّدَ فِي الْجَنْبِ. وَأَيَقَنَ بِالْبَغْتِ وَالْجَسَابِ. وَحَذَرَ سُوءِ
 الْمُنْقَلَبِ وَالْمَلَابِ. وَوَعَّظَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ. وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْقَوْتِ.
 أَحْسَنُ الْأَلْفَاطِ. الْخَاطِبُ بِسُوقِ عُكَاظٍ. الْغَارِفُ بِشَرْقِ وَغَرِبِ.
 وَيَابِسُ وَرَطْبِهِ. وَأَجَاجٌ وَعَذَبٌ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. وَالْعَرَبُ بَيْنَ
 يَدَيْهِ يُقْسِمُ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ لَهُ. لَيَلْبَغُنَّ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَلَيُؤْفِقَنَّ
 كُلُّ عَامِلٍ عَمَلَهُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

هَاجَ لِلْقَلْبِ مِنْ هَوَاهُ أَوْكَارٌ وَلِيَالٍ غِلَافُهُنَّ نَهَارٌ
 وَجِبَالُ شَوَاحِجِ رَايِسَاتٍ وَبِحَادٍ مِيكَاهُنَّ غَزَارٌ
 وَنَجْوَمٌ يَحْمِيهَا قَرُّ اللَّيْلِ (١) م وَشَمْسٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُدَارُ
 ضَوْوُهَا يَطْمُسُ الْغَيُونَ وَإِذَا عَادَ شَدِيدُهُ فِي الْخَافِقَيْنِ مُثَارُ (٢)
 وَغِلَامٌ وَأَشْمَطُ وَرَضِيعٌ كُلُّهُمْ فِي الشَّرَابِ يَوْمًا يُزَارُ

(١) ويروى: ونجوم تلوح في ظلم الليل (٢) ويروى: مطار

وَقُصُورٌ مَشِيدَةٌ حَوَّتِ الْخَيْرَ م وَأُخْرَى حَوَّتِ (١) فَهِنَّ قِفَارٌ
وَكَثِيرٌ يَمَّا تُقَصِّرُ عَنْهُ حَدَسَةُ النَّاطِرِ الَّذِي لَا يَحَارُ
وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ م نُفُوسًا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارُ
فَقَالَ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ: يَرْحَمُ اللَّهُ قُصَا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُبْعَثَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحَدَهُ

وَمِنْ خُطْبٍ قُسِ الْمَثُورَةُ مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ:
لَسْتُ أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُكَاظَ (وَهُوَ سُوقٌ بَيْنَ بَطْنِ الْحَلْجَةِ وَالطَّائِفَةِ
كَانَ بِتَيْمِيمٍ وَقَيْسٍ) عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقٌ. وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ
مُؤْتَرٍ. فَقَالَ حِينَ خُطِبَ فَأُطِيبَ. وَرَغِبَ وَرَهَبَ. وَحَذَرَ وَأَنْذَرَ.
وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا. وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَأَتَّبِعُوا.
إِنَّهُ مِنْ عَاشٍ مَاتَ. وَمَنْ مَاتَ قَاتَ. وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ. مَطْرٌ
وَنَاتٌ. وَآرِزَاقٌ وَأَقْوَاتٌ. وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ. وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ. وَجَمْعُ
وَسَنَاتٌ. وَآيَاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ. لَيْلٌ مُوَضُّوعٌ. وَسَقْفٌ مُرْفُوعٌ. وَجُجُومٌ
تَغُورُ. وَأَرَاضٍ تُجُورُ. وَجُجُورٌ تُجُجُ. وَجَارَةٌ تُرُوجُ. وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ. وَبِرٌّ
وَأَثَامٌ. وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ. وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ. أَلَا إِنَّ الْبَلْعَ الْغِلْظَاتِ.
السَّيْرُ فِي الْفُلُوتِ. وَالنَّظَرُ إِلَى مَحَلِّ الْأَمْوَاتِ. إِنَّ فِي السَّمَاءِ خَيْرًا.
وَأَنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِيرًا. لَيْلٌ دَاجٍ. وَسَمَاءٌ ذَاتُ آبَرَجٍ. وَأَرْضٌ
ذَاتُ رِبَاجٍ. وَجَارٌ ذَاتُ أَمْوَجٍ. مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا
يَرْجِعُونَ. أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا. أَمْ يُرْكُوا هُنَاكَ فَأَمَامُوا. أَقْسَمَ قُسٌ

بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا لَا آثِمًا فِيهِ وَلَا حَاشِيًا إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ
 مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي آثَمْتُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: تَبَا لِلْأَرْبَابِ الْفَقْهَةِ مِنْ
 الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ. وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يَا مَعْشَرَ إِيَادِ. آيْنَ الْأَبَاءِ
 وَالْأَجْدَادُ. وَآيْنَ الْمَرِيضُ وَالْعَوَادُ. وَآيْنَ الْفَرَاغَةُ الشَّدَادُ. آيْنَ مَنْ
 بَنَى وَشَيْدَ. وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ. وَغَرَّهَ أَلْمَالُ وَالْوَلَدُ. آيْنَ مَنْ بَنَى وَطَقَى.
 وَجَمَعَ فَأَوْعَى. وَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى. أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرُ مِنْكُمْ
 أَمْوَالًا. وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا. صَحَّحَهُمُ السَّيِّئُ بِكُلِّكَلَمَةٍ. وَمَزَقَهُمُ
 بِطَوَائِلِهِ. قَتَلَكَ عِظَامُهُمْ بِالْيَسَةِ. وَيُؤْتِيهِمْ خَاوِيَةً. عَمَرَتْهَا الدِّيَارُ
 الْأَعْوِيَّةُ. كَلَّا بَلْ هُوَ الْمَبْذُورُ. ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ م مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
 لَمْ رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
 وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
 لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ (١)
 أَنْقَضْتُ أَتَى لَا حَسَا لَهَ حَيْثُ صَادَ الْقَوْمُ صَائِرُ

وَمَنْ اسْتَهَمَ عِنْدَ الْعَرَبِ سَحْبَانُ بْنُ دُقْرٍ بْنِ إِيَّاسِ الْوَلَائِيَّ وَابْنُ
 بَاهِلَةَ خَطِيبٌ مُفَضِّحٌ يُضْرَبُ بِهِ الْأَمْلُ فِي الْيَمَانِ. أَدْرَكَ الْأِسْلَامَ وَالْإِسْلَامُ
 وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ. وَحَكَى الْأَضْمِيُّ قَالَ: كَانَ إِذَا خُطِبَ
 يَسِيلُ عَرَقًا وَلَا يُعِيدُ كَلِمَةً وَلَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَقْعُدُ حَتَّى يَفْرُغَ. وَقَدِيمُ

عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ مِنْ خُرَاسَانَ فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ فَطَلَبَ سَحْبَانَ فَلَمْ
يُوجَدْ فِي مَثَرِلِهِ فَأَقْنَضِبَ مِنْ نَاجِيَةِ أَقْنَضَابَا وَأُدْجِلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: تَكَلَّمْ
فَقَالَ: أَنْظِرُوا إِلَى عَصَا تُقَوِّمُ مِنْ أَوْدِي. قَالُوا: وَمَا تَضَعُ بِهَا وَأَنْتَ
بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: مَا كَانَ يَضَعُ بِهَا مُوسَى وَهُوَ يُخَاطِبُ
رَبَّهُ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. فَصَحَّكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ: هَاتُوا عَصَا تَجَاوِزُ بِهَا إِلَيْهِ
فَرَكِبَهَا بِرَجْلِهِ وَلَمْ يَرْضَهَا وَقَالَ: هَاتُوا عَصَايَ فَأَتَوْا بِهَا فَأَخَذَهَا. ثُمَّ
قَامَ وَتَكَلَّمَ مُنْذُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ قَامَتِ صَلَاةُ الْعَصْرِ
مَا تَسْنَخُ وَلَا سَعَلَ وَلَا تَوَقَّفَ وَلَا أَتَبَدَّ فِي مَعْنَى فَحُجَّ مِنْهُ وَقَدْ
بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ بَنِي. فَأَزَالَتْ تِلْكَ حَالُهُ حَتَّى أَشَارَ مُعَاوِيَةُ بِيَسِيدِهِ
فَأَشَارَ إِلَيْهِ سَحْبَانَ أَنْ لَا تَقْطَعَ عَلَيَّ كَلَامِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: الصَّلَاةُ.
قَالَ: هِيَ أَمَامَكَ وَنَحْنُ فِي صَلَاةٍ وَتَحْمِيدٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ. فَقَالَ
مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ أَخْطَبُ الْعَرَبِ. فَقَالَ سَحْبَانُ: وَالْجَمِّ وَالْإِنِّ
وَالْإِنْسِ. وَبِمَارُوِي عَنْهُ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ الْبَلِيغِ يَقُولُ: إِنْ الدُّنْيَا
دَارُ بَلَاغٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ. أَيُّهَا النَّاسُ فَخُذُوا مِنْ دَارِ مَمَرِكُمْ لِدَارِ
مَقَرِّكُمْ وَلَا تَهَيَّكُوا أَسْتَارَكُمْ. عِنْدَ مَنْ لَا تُحْفَى عَلَيْهِ أَسْرَادُكُمْ.
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ. قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ. فَفِيهَا
حَيِّيمٌ وَلَعِيْبٌ خَلَقْتُمْ إِنْ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ. قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكْ. وَقَالَتْ
الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ. فَبَدُّوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ وَلَا تَحْلِفُوا كَلًّا
يَكُونُ عَلَيْكُمْ. وَمَنْ شَعَرَهُ يَمْدَحُ طَلْحَةَ أَطْلَحَاتٍ وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاعِيُّ:

يَا ظَلَمَ أَكْرَمَ مِنْ يَهَا حَسَبًا وَأَعْطَاهُمْ لِنَالِدٍ
 مِنْكَ الْعَطَاءَ فَأَعْطِنِي وَعَلَيَّ مَدْحُكَ فِي الشَّاهِدِ
 فَيَقَالُ إِنَّ ظَلْمَهُ قَالَ لَهُ: أَخْتَسِمُ. قَالَ: فَرَسَكَ أَلْوَرْدَ وَقَصْرَكَ
 بِكَذَا. فَقَالَ ظَلْمُهُ أَفَرِكَ لَكَ لَوْ سَأَلْتَنِي عَلَى قَدْرِي أَعْطَيْتُكَ كُلَّ
 قَوْسٍ لِي وَكُلَّ قَصْرِ وَلَكِنْ آيِنْتُ إِلَّا بِأَهْلِيَّتِكَ
 وَذَكَرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَجْلِسِ ثَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ
 أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْطَلَ لِسَانًا وَلَا أَلْغَى بِحُجَّتِهِ وَلَا أَقْدَرَ
 عَلَى كَلَامٍ يَنْظُمُ حَسَنَ وَالْقَاطِرِ عَذْبَةً وَمَنْطِقٍ قَصِيحٍ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ
 يَحْيَى كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَحَسُّ وَلَا يَصِلُ كَلَامُهُ بِحُجَّتِهِ مِنْ أَلْكَامٍ
 وَلَا يُعِيدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى وَلَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِّهِ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَبْلُغَ
 آخِرَ مَا فِيهِ. وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا حَكَاهُ وَلَا يَحْكِي شَيْئًا إِلَّا
 كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَلَا يُؤَيِّرُ بِنَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا حَفِظَهُ. وَكَانَ إِذَا شَاءَ
 أَضْحَكَ أَتَكَلَّى وَأَذْهَلَ الزَّاهِدَ وَحَسَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ. قُلْتُ فَكَيْفَ
 كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ. قَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَيْرِ الْبَاهِرِ وَالشَّعْرِ
 الْنَادِرِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ وَالْقَصَاحَةِ الثَّامَةِ وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ. قَالَ
 سَهْلُ بْنُ هَارُونَ وَذَكَرَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَأَبْنَهُ جَعْفَرًا فَقَالَ: لَوْ كَانَ
 أَلْكَالُ مُتَصَوِّرًا دُرًّا وَيَلْقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا لَكَانَ كَلَامُهُمَا
 وَأَلْتَقَى مِنَ الْقَاطِرِهَا. وَلَقَدْ غَبَرْتُ مَعَهُمَا وَأَدْرَكْتُ طَبَقَةَ أَلْتَكَلِّينِ
 فِي أَيَّامِهِمَا وَهُمْ يَرَوْنَ الْبَلَاغَةَ لَمْ تُسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا. وَلَمْ تَكُنْ
 مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا أَنْقَادَتْ إِلَّا لَهُمَا وَإِنَّهَا لِبَابُ الْكُرَمِ

عَتَقَ مَنَظَرَ وَجُودَةٍ مُخَبَّرٍ وَسُهُولَةَ لَفْظٍ وَجَزَالَهَ مَنَظَرٍ وَتَرَاهُ نَفْسٍ
وَكَمَالَ خِصَالِهِ حَتَّى لَوْ فَاحَرَتْ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهَا وَالْمَأْتُورِ مِنْ
خَصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مِنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي
الصُّورِ وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكَرَامَ وَسَلَفَ عِبَادِهِ
الصَّالِحِينَ لَمْ يَبَاهَتْ إِلَّا بِهَا وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا. وَلَقَدْ
كَانَا مَعَ تَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِمَا وَمَعْشُولِ مَذَاقِهِمَا وَسَنَا إِشْرَاقِهِمَا
وَكَمَالَ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيهِمَا فِي مَحَاسِنِ الْإِيمَانِ كَالنَّشْطَةِ فِي الْخَيْرِ
وَالْحَرَدَةِ فِي الْقَفْرِ



الْقِسْمُ الثَّانِي

في علم الشعر

الفصل الاول

في تعريف الشعر وانواعه وفوائده

البحث الاول

في تحديد الشعر

(عن ابن خلدون)

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى قَسَمَيْنِ فَمِنْ الشَّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُتَقَيُّ وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْرَاقُهُ
كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ. وَمِنْ النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ
الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَسَمَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي
الْكَلَامِ. فَأَمَّا الشَّعْرُ فَهُوَ الْمَدْحُ وَالنِّجَاءُ وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا النَّثْرُ فَهُوَ
الْكَلَامُ الَّذِي يُرْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَرَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ
وَيُسَمَّى سَجْعًا. وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا

وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءَهُ بَلْ يُرْسَلُ إِسْرَافًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا
 غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجَنُودِ وَتَرْهِيْبِهِمْ .
 وَكَمَا الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوُضْعَيْنِ
 وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى
 مَقَاطِيعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا . ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ
 فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٍ يَكُونُ
 سَجْمًا أَوْ قَافِيَةً . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْقُرْآنِ : اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
 مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ . وَقَالَ قَدْ
 قُصِّلْنَا الْآيَاتِ . وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاعِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَنْجَاعًا
 وَلَا أَلْزَمٌ فِيهَا مَا يُلْزَمُ فِي السَّجْعِ . وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ . وَأُطْلِقَ
 أَمُّ الْاِثْنَيْنِ عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا دُرِّكَتَاهُ وَاخْتَصَّتْ
 بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْعَلَبَةِ فِيهَا كَالْجَمِّ لِلثَّرَيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّجْعُ الْاِثْنَيْنِ .
 وَانْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَقْلِيلِ تَسْيِيسِهَا بِالِاِثْنَيْنِ يَشْهَدُ
 لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَا . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْقُنُونِ
 أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَضِلُّ لِلْفَنِّ الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ
 فِيهِ مِثْلُ السَّبَبِ الْخُتْمِ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدُ وَالِدُعَاءُ الْخُتْمِ بِالْخُطْبِ
 وَالِدُعَاءُ الْخُتْمِ بِالْخُطَابَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِيئَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَنْجَاعِ وَالِإِزَامِ
 التَّغْيِيَةِ وَتَعْدِيمِ السَّبَبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ
 إِذَا تَامَلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَقِيهِ وَلَمْ يَفْهَرْ إِلَّا فِي الْوُزْنِ . وَاسْتَمَرَّ

الْمُتَاخِرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعَاوَاهَا فِي الْحَخَاطَبِ
السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْإِسْتِعْمَالَ فِي الْمَشْهُورِ كُنْهِ عَلَى هَذَا الْقَنْ الَّذِي
أَرْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلِ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتِ الْحَخَاطَبُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْقَهْدِ عِنْدَ الْكِتَابِ
الْقَلْبِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرَأَ إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ
مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْيِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُتَقَضَى الْحَالِ
مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ. وَهَذَا الْقَنْ الْمَشْهُورُ الْقَلْبِيُّ أَدْخَلَ
الْمُتَاخِرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُذَرَّ الْحَخَاطَبُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذْ أَسَالِيبُ الشَّعْرِ تُفَايِئُ اللَّوْذِعِيَّةَ وَخَلَطَ الْجِدَّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابُ
فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ الشَّيْهَاتِ وَالْإِسْتِعَارَاتِ
حَيْثُ لَا تَدْفَعُ ضَرُورَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ. وَالْحُجُودُ فِي الْحَخَاطَبِ
السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِزْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْجِيعٍ
إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ
لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنْ
الْمَقَامَاتِ مُخْتَلَفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخْتَصُّ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِجْجَازٍ
أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَضْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ.
وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْحَخَاطَبِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى
أَسَالِيبِ الشَّعْرِ مَقْدُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيسْلَافُ
النَّجْمَةِ عَلَى السِّنْتِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي
مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَهَجَرُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِيُعْدِ أَمْدُهُ

فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطَوَاتِهِ وَلَوْلَا هَذَا الْمُسَجِّعُ يُلْفِقُونَ بِهِ مَا
 نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْيِيقِ الْكَلَامِ عَلَى التَّصَوُّرِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ
 وَيَجِبُ لَهُ بِذَلِكَ الْقَدَرِ مِنَ التَّرْيِينِ بِالْأَنْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ
 وَيُغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ. وَكَثُرَ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي
 سَائِرِ الْأَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ
 لَيُحْسِنُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّضْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي
 تَخْيِيسٍ أَوْ طَبَاقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرَجِّحُونَ ذَلِكَ الْإِصْنَفَ مِنْ
 التَّخْيِيسِ وَيَدْنُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَنِيَّةَ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُضَادِفُ
 التَّخْيِيسَ. فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَنَاهُ لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ
 وَآلَهُ الْمَوْفَقُ إِلَى الصَّوَابِ بِبَنِيهِ وَكُرمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

البحث الثاني

في صناعة الشعر وأنواع الأشعار

(عن تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر تأليف أبي الوليد بن رشد)

الْفَرَضُ فِي هَذَا الْقَوْلِ تَخْيِيسُ مَا فِي كِتَابِ أَرِسْطَاطَالِيسَ فِي
 الشَّعْرِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْكَلِمَةِ الْمَشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ الْأَنْحَاءِ أَوْ لِلْأَكْثَرِ إِذَا
 كَثُرَ بِمَا فِيهِ هِيَ قَوَائِنُ خَاصَّةٌ بِأَشْعَارِهِمْ وَعَادَتِهِمْ فِيهَا. وَإِنَّمَا أَنْ
 تَكُونَ نِسْبًا مَوْجُودَةً فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَوْ مَوْجُودَةً فِي غَيْرِهِ مِنْ
 الْأَلْسِنَةِ. (قَالَ) إِنْ قَصَدْنَا الْآنَ التَّكَلُّمَ فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ
 وَفِي أَنْوَاعِ الْأَشْعَارِ. وَقَدْ يَجِبُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْقَوَائِنُ

الَّتِي يُعْطَى فِيهَا تَجْرِي تَجْرَى الْجُودَةُ أَنْ يَقُولَ أَوَّلًا مَا فِضْلُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الشَّعْرِيَّةِ وَمِمَّاذَا تَتَقَوَّمُ الْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ وَمِنْ
كَمْ شَيْءٍ تَتَقَوَّمُ وَأَيُّهَا الَّتِي أَجْزَأُهَا الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا وَكَمْ أَصْنَافُ
الْأَعْرَاضِ الَّتِي تُقْصَدُ بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ . وَأَنْ يَجْعَلَ كَلَامَهُ مِنْ
الْأَوَائِلِ الَّتِي لَنَا بِالطَّبَعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . (قَالَ) فَكُلُّ شَيْءٍ وَكُلُّ قَوْلٍ
شَعْرِيٌّ فَهُوَ أَمَّا هِجَاءٌ وَأَمَّا مَدِيحٌ وَذَلِكَ بَيِّنٌ بِاسْتِقْرَاءِ الْأَشْعَارِ
وَبِجَاذَةِ أَشْعَارِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادَوِيَّةِ أَعْنِي الْخُسَّةَ
وَالْقَبِيحَةَ وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الصَّنَائِعِ الْمُحَاكِمَةِ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ الَّتِي
هِيَ الضَّرْبُ بِالْعِيدَانِ وَالزَّمْرُ وَالرَّقْصُ أَعْنِي أَنَّهَا مُعَدَّةٌ بِالطَّبَعِ
لِهَذَيْنِ الْفَرْضَيْنِ . وَالْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ هِيَ الْأَقَاوِيلُ الْحُمْلِيَّةُ . وَأَصْنَافُ
التَّحْيِيلِ وَالشَّبَهِ ثَلَاثَةٌ اِثْنَانِ بَسِيطَانٍ وَثَلَاثُ مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا . أَمَّا
الْإِثْنَانِ الْبَسِيطَانِ فَأَحَدُهُمَا تَشْبِيهُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ وَتَمْثِيلُهُ بِهِ وَذَلِكَ
يَكُونُ فِي لِسَانِ لِسَانٍ بِالْقَاطِئِ خَاصَّةً عِنْدَهُمْ مِثْلَ كَانَ وَإِخَالُ
وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ حُرُوفَ
التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا اخْتِذَ الشَّبَهِ بِعَيْنِهِ بَدَلَ الشَّبَهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِبْدَالُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

هُوَ الْجُرُّ مِنْ آيِ الْمَوَاضِعِ جِثَّةُ

وَيَتَّبَعِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ فِي هَذَا الْقِسْمِ تَدْخُلُ الْأَنْوَاعُ الَّتِي
يُسَمَّى أَهْلُ زَمَانِنَا اسْتِعَارَةً وَكِتَابَةً مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَدَّاجِلُهُ

إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَاتِ أَكْثَرُ ذَلِكَ هِيَ إِبْدَالَاتٌ مِنْ لَوَاقِحِ
الشَّيْءِ . وَالْإِسْتِعَادَةُ هِيَ إِبْدَالٌ مِنْ مُنَاسِبِهِ أَعْنِي إِذَا كَانَ شَيْءٌ
نِسْبَتُهُ إِلَى الثَّانِي نِسْبَةُ الثَّلَاثِ إِلَى الرَّابِعِ فَأَبْدَالُ اسْمِ الثَّلَاثِ
إِلَى الْأَوَّلِ وَبِالْعَكْسِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْخَطَاةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
تَكُونُ الْإِبْدَالَاتُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَهُوَ أَنْ يَبْدَلَ التَّشْبِيهُ مِثْلَ
أَنْ تَقُولَ : الشَّمْسُ كَأَنَّهَا فُلَانٌ أَوْ الشَّمْسُ هِيَ فُلَانٌ لَا فُلَانٌ
كَالشَّمْسِ وَلَا هُوَ الشَّمْسُ

وَالصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَذَيْنِ
(قَالَ) وَكَذَا أَنَّ النَّاسَ بِالطَّبْعِ قَدْ يُخَيَّلُونَ وَيُحَاكُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
بِالْأَفْعَالِ مِثْلَ مُحَاكَاةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
وَالْأَصَوَاتِ وَذَلِكَ أَمَّا بِصِنَاعَةِ وَمَلَكَةِ تَوْجِدِ لِلْحَاكِمِينَ وَأَمَّا مِنْ
قَبْلِ عَادَةٍ تَقَدَّمَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . كَذَلِكَ تَوْجِدُ لَهُمُ الْمُحَاكَاةُ
بِالْأَقَاوِيلِ بِالطَّبْعِ وَالْخَيَالِ . وَالْمُحَاكَاةُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ تَكُونُ
مِنْ قَبْلِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ قَبْلِ النِّعَمِ الْمُتَّفِقَةِ وَمِنْ قَبْلِ الْوُزْنِ
وَمِنْ قَبْلِ التَّشْبِيهِ نَفْسِهِ . وَهَذِهِ قَدْ يَوْجَدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُفْرَدًا عَنْ
صَاحِبِهِ مِثْلَ وُجُودِ النِّعَمِ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْوُزْنِ فِي الرِّقَصِ وَالْمُحَاكَاةِ
فِي اللَّفْظِ . أَعْنِي الْأَقَاوِيلَ الْخَيَالِيَّةَ الْغَيْرَ مَوْزُونَةَ . وَقَدْ تَجَمَّعَ هَذِهِ
الثَّلَاثَةُ بِأَسْرَرِهَا مِثْلَ مَا يَوْجَدُ عِنْدَنَا فِي النَّوعِ الَّذِي يُسَمَّى
الْمُوتَحَاتٍ وَالْأَزْجَالَ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي اسْتَبْطَهَا فِي هَذَا اللَّسَانِ
أَهْلُ هَذِهِ الْحِرَّةِ إِذْ كَانَتْ الْأَشْعَارُ الطَّبِيعِيَّةُ هِيَ مَا جَمَعَتْ

الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا. وَالْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تُوجَدُ لِلْأَمْرِ الطَّبِيعِيِّ فَإِنَّ
أَشْعَارَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهَا لَحْنٌ. وَإِنَّمَا هِيَ إِمَّا أَلْوَزْنُ فَقَطُّ وَإِمَّا أَلْوَزْنُ
وَالْحَاكَاةُ مَعًا فِيهَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَالْصَّنَاعَةُ الْحَيَّةُ أَوِ الْبَتِّي
تَفْعَلُ فِعْلَ التَّحْيِيلِ ثَلَاثَةً. صِنَاعَةُ اللَّحْنِ وَصِنَاعَةُ أَلْوَزْنٍ وَصِنَاعَةُ
عَمَلِ الْأَقَاوِيلِ الْحَاكِيَّةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ النُّطْقِيَّةُ الَّتِي تُنْظَرُ فِيهَا
فِي هَذَا الْكِتَابِ. (قَالَ): وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُسَمَّى
أَشْعَارًا مَا لَيْسَ فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّعْرِيَّةِ إِلَّا أَلْوَزْنُ فَقَطُّ كَأَقَاوِيلِ
سُقْرَاطِ الْمَوْزُونَةِ وَأَقَاوِيلِ إِنْشَادِ قَلِيسٍ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ بِخِلَافِ الْأَمْرِ
فِي أَشْعَارِ أَوِمِيْرُوشَ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِيهَا الْأَمْرَانِ جَمِيعًا. (قَالَ): وَلِذَلِكَ
لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى شِعْرًا بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا مَا جَمَعَ هَذَيْنِ. وَأَمَّا
تِلْكَ فَهِيَ أَنْ تُسَمَّى أَقَاوِيلَ أُخْرَى مِنْهَا أَنْ تُسَمَّى شِعْرًا
وَكَذَلِكَ الْفَاعِلُ أَقَاوِيلُ مَوْزُونَةٌ بِالطَّبِيعِيَّاتِ هُوَ أُخْرَى أَنْ يُسَمَّى
مُتَكَلِّمًا مِنْ أَنْ يُسَمَّى شَاعِرًا. وَكَذَلِكَ الْأَقَاوِيلُ الْحَيَّةُ الَّتِي
تَكُونُ مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ لَيْسَتْ أَشْعَارًا. وَحُكْمِي أَنْ كَانَتْ
تُوجَدُ عِنْدَهُمْ أَعْنِي مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ وَهَذَا غَيْرُ مُوجُودٍ عِنْدَنَا فَقَدْ
تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ كَمَا هِيَ أَصْنَافُ الْحَاكَاةِ وَمِنْ أَيْ الصَّنَائِعِ
تَلْتَمِ الْحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ حَتَّى تَكُونَ تَامَةً الْفِعْلِ



البحث الثاني

في غاية صناعة الشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَ الْمُحَاكُونَ وَالْمُشَبِّهُونَ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ
بِذَلِكَ أَنْ يُحْشَوْا عَلَى عَمَلِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْإِرَادِيَةِ وَأَنْ يَكْفُوا
عَنْ عَمَلِ بَعْضِهَا فَقَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ أَنْ تَكُونَ الْأَمُورُ الَّتِي تُنْقَضُ
مُحَاكَاتُهَا إِمَّا فَضَائِلَ وَإِمَّا رَذَائِلَ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ وَكُلَّ خَلْقٍ إِنَّمَا
هُوَ تَابِعٌ لِأَحَدٍ هَذَيْنِ أَعْنِي الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيلَةَ فَقَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ
أَنْ تَكُونَ الْفَضَائِلُ إِنَّمَا تُحَاكَى بِالْفَضَائِلِ وَالْفَاضِلِينَ وَأَنْ تَكُونَ
الرَّذَائِلُ تُحَاكَى بِالرَّذَائِلِ وَالْأَرَذَلِينَ. وَإِذَا كَانَ كُلُّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ
إِنَّمَا تَكُونُ بِالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ فَظَاهِرٌ أَنَّ كُلَّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ إِنَّمَا
يُقْصَدُ بِهَا التَّحْيِينُ وَالتَّقْبِيحُ وَقَدْ يَجِبُ مَعَ هَذَا ضَرُورَةٌ أَنْ يَكُونَ
الْمُحَاكُونَ لِلْفَضَائِلِ أَعْنِي اللَّائِلِينَ بِالطَّبَعِ إِلَى مُحَاكَاتِهَا أَفَاضِلَ.
وَالْمُحَاكُونَ لِلرَّذَائِلِ أَنْقَضُ طَبَعًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّذِيلَةِ
وَعَنْ هَذَيْنِ الصَّنِيفَيْنِ مِنَ النَّاسِ وَجِدَ الْمَدِيحُ وَالْمُجَوِّدُ. أَعْنِي مَدْحَ
الْفَضَائِلِ وَهَجْوَ الرَّذَائِلِ وَلِهَذَا كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُجِيدُ الْمَدْحَ وَلَا
يُجِيدُ الْهَجْوَ وَبَعْضُهُمْ بِالْعَكْسِ أَعْنِي يُجِيدُ الْهَجْوَ وَلَا يُجِيدُ الْمَدْحَ
فَلِذَنْ بِالْوَاجِبِ مَا كَانَ يُوجَدُ لِكُلِّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ هَذَانِ

الْقَضْلَانِ أَغْنَى التَّحْسِينَ وَالتَّشْبِيحَ وَهَذَانِ الْقَضْلَانِ إِنَّمَا يُوجَدَانِ
 لِلتَّشْبِيهِ وَالْحَاكَاةُ الَّتِي تَكُونُ بِالْقَوْلِ لَا الْحَاكَاةُ الَّتِي تَكُونُ
 بِالْوَزْنِ وَلَا الَّتِي تَكُونُ بِاللَّحْنِ . وَقَدْ يُوجَدُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْقَوْلِ فَضْلٌ
 كَالثَّ وَهُوَ التَّشْبِيهُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ مُطَابَقَةُ الْمَشَبِّهِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 يُقْصَدَ فِي ذَلِكَ تَحْسِينٌ أَوْ تَشْبِيحٌ لَكِنْ نَفْسُ الْمُطَابَقَةِ وَهَذَا
 النُّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ هُوَ كَالْمَادَّةِ الْمَعْدَّةِ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ إِلَى الطَّرَفَيْنِ
 أَغْنَى أَنَّهَا تَسْتَحِيلُ تَارَةً إِلَى التَّحْسِينِ بِزِيَادَةِ عَلَيْهَا وَتَارَةً إِلَى التَّشْبِيحِ
 بِزِيَادَةِ أَيْضًا عَلَيْهَا (قَالَ) وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةُ أَوْمِيدُوشَ أَنِّي أَنَّهُ
 كَانَ يَأْتِي فِي تَشْبِيهِاتِهِ بِالْمُطَابَقَةِ وَالزِّيَادَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمُنْجَنَةِ . وَمِنْ
 الشُّعْرَاءِ مَنْ إِجَادَتُهُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمُطَابَقَةِ فَقَطْ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِجَادَتُهُ
 فِي التَّحْسِينِ وَالتَّشْبِيحِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ وَشَلَّ أَوْمِيدُوشَ
 وَتَمَثَّلَ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ هَؤُلَاءِ بِأَصْنَافٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَانُوا
 مَشْهُورِينَ فِي مَدَنِيَّتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ بِاسْتِعْمَالِ صِنْفٍ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ
 هَذِهِ التَّشْبِيهِاتِ الثَّلَاثَةِ . وَأَنْتَ فَلَيْسَ يَغْسُرُ عَلَيْكَ وَجُودُ وَمِثَالَاتِ
 ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هِيَ
 كَمَا يَقُولُ أَبُو نَضْرٍ فِي النَّهْمِ وَالْكَرِيمِ . وَذَلِكَ أَنَّ النُّوعَ الَّذِي
 يُسَمُّونَهُ التَّشْبِيحَ إِنَّمَا هُوَ حَثٌّ عَلَى الْفُسُوقِ وَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَجَنَّبَهُ
 الْوَلَدَانُ وَيُؤَدَّبُونَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ بِمَا يُحَثُّ فِيهِ عَلَى الشُّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ .
 فَإِنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا مِنْ الْقَضَائِلِ عَلَى سِوَى هَاتَيْنِ
 الْقَضِيلَتَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ لَيْسَ تَتَكَلَّمُ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَيْهَا

وَأَمَّا تَشَكُّلُهُمْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفَخْرِ. وَأَمَّا الصَّنْفُ مِنَ الْأَشْعَارِ
الَّذِي الْمَقْصُودُ بِهِ الْمَطَابَقَةُ فَقَطْ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ
وَلِذَلِكَ يَصِفُونَ الْجَمَادَاتِ كَثِيرًا وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ. وَأَمَّا الْيُونَانِيُّونَ
فَلَمْ يَكُونُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ ذَلِكَ شَعْرًا أَلَا وَهُوَ مُوجَّهٌ نَحْوَ الْقَضِيَّةِ
أَوْ الْكَفِّ عَنِ الرَّذِيلَةِ أَوْ مَا يُفِيدُ آدَبًا وَنَ الْأَدَابِ أَوْ مَعْرِفَةً
مِنَ الْمَعَارِفِ. فَقَدْ بَيَّنَّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ أَصْنَافَ الشَّيْئَاتِ
ثَلَاثَةٌ أَصُولٌ وَأَنَّ فُضُولَهَا ثَلَاثَةٌ وَبَيَّنَّ مَا هِيَ هَذِهِ الْفُضُولُ
الثَّلَاثَةُ وَالْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ. وَيُشَبَّهُ إِذَا أُسْتَقْرِبَتِ الْأَشْعَارُ أَنْ يَقَعَ
الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا صِنْفٌ رَابِعٌ وَنَ أَصْنَافِ الشَّيْئَاتِ وَلَا
فَضْلٌ رَابِعٌ مِنْ فُضُولِ تِلْكَ الْأَصْنَافِ

المبحث الثالث

في العمل المولدة للشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَيُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ أَعْلَلُ الْمَوْلِدَةُ لِلشَّعْرِ بِالطَّبْعِ فِي
النَّاسِ عَاتِينَ. أَمَّا الْعِلَّةُ الْأُولَى فَوُجُودُ الشَّيْئِ وَالْحَاصِلَةُ لِلنَّاسِ
بِالطَّبْعِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَنْشَأُ أَعْنِي أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُوجَدُ لِلنَّاسِ وَهُمْ
أَطْفَالٌ وَهَذَا شَيْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ
وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ هُوَ الَّذِي

يَلْتَذُّ بِالتَّشْبِيهِ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ أَحَسَّهَا وَبِالْحُكَاةِ لَهَا. وَالِدَّلِيلُ عَلَى
 أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسُرُّ بِالتَّشْبِيهِ بِالطَّبْعِ وَيَرِخُّهُ هُوَ أَنَا تَلْتَذُّ وَنَسُرُّ
 بِحُكَاةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَلْتَذُّ بِإِحْسَاسِهَا وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ
 الْحُكَاةُ شَدِيدَةً الْأَسْتِقْصَاءُ مِثْلُ مَا يَغْرُضُ فِي تَصَاوِيرِ كَثِيرٍ
 مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْمَهْرَةُ مِنَ الْمَصُورِينَ وَلِهَذَا الْعِلَّةُ
 أَسْتَعْمِلُ فِي التَّلْعِيمِ عِنْدَ الْإِنْفَهَامِ وَالنَّحَاطِبِ الْإِشَارَاتُ فَإِنَّهَا آدَاءُ
 مُعِينَةٌ عَلَى فَهْمِ الْأَمْرِ الَّذِي يَقْصِدُ تَفْهِيمُهُ لِمَكَانٍ مَا فِيهَا مِنْ
 الْإِلْتِذَاذِ الَّذِي هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْإِشَارَاتِ مِنْ قَبْلِ مَا فِيهَا مِنْ
 التَّخْيِيلِ فَتَكُونُ النَّفْسُ يَحْسَبُ الْإِلْتِذَاذَ بِهَ أَكْمَ قُبُولًا لَهُ . فَإِنَّ
 التَّلْعِيمَ لَيْسَ إِنَّمَا يُوجَدُ لِلْفِيلْسُوفِ فَقَطْ بَلْ وَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ
 مُشَارَكَةٌ يَسِيرَةٌ مَعَ الْفِيلْسُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يُوجَدُ التَّلْعِيمُ بِالطَّبْعِ
 يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ قِيَاسِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْمُتَلْعِمِ
 مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُتَلْعَمِ وَالْإِشَارَاتُ لَمَّا كَانَتْ إِنَّمَا هِيَ تَشْبِيهَاتُ
 لِأُمُورٍ قَدْ أُحِسَّتْ قَبْلُ أَنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ لِمَوَاضِعِ الْمُسَارَعَةِ إِلَى
 الْفَهْمِ وَالْقَبُولِ لَهُ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْهَمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِلْتِذَاذِ لِمَوَاضِعِ
 التَّخْيِيلِ الَّذِي فِيهَا . فَهَذِهِ هِيَ الْعِلَّةُ الْأُولَى الْمَوْلَدَةُ لِلشَّعْرِ . وَأَمَّا
 الْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ فَالْتِذَاذُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا بِالطَّبْعِ بِالْوِزْنِ وَالْأَلْحَانِ فَإِنَّ
 الْأَلْحَانَ يَطْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا مُنَاسِبَةٌ لِوِزْنِ عِنْدَ الَّذِينَ فِي طَبَاعِهِمْ
 أَنْ يُدَبِّكُوا الْأَوْزَانَ وَالْأَلْحَانَ فَالْتِذَاذُ النَّفْسِ بِالطَّبْعِ بِالْحُكَاةِ
 وَالْأَلْحَانِ وَالْأَوْزَانِ هُوَ السَّبَبُ فِي وُجُودِ الصَّاعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ

وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْفِطْرِ الْفَانِعَةِ فِي ذَلِكَ قَادًا كَشَاتِ الْأَمَّةُ تَوَلَّدَتْ
فِيهِمْ صِنَاعَةُ الشَّعْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَوَّلَ يَأْتِي مِنْهَا أَوَّلًا بِجُزْءٍ يَسِيرٍ
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ بِجُزْءٍ آخَرَ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَكْمُلَ الصَّنَاعَاتُ
الشَّعْرِيَّةُ. وَتَكْمُلُ أَيْضًا أَصْنَافُهَا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ صِنْفٍ صِنْفٍ
مِنَ النَّاسِ لِلْإِلْتِذَاذِ أَكْثَرَ بِصِنْفٍ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الشَّعْرِ. وَمَثَالُ
ذَلِكَ أَنَّ النَّفُوسَ الَّتِي هِيَ قَاضِيَةٌ وَشَرِيفَةٌ بِالطَّبْعِ هِيَ الَّتِي تُنَشِئُ
أَوَّلًا صِنَاعَةَ الْمَدْبُجِ أَغْنَى مَدْبُجَ الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ. وَالنَّفُوسُ الَّتِي هِيَ
أَخْسَرُ مِنْ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنَشِئُ صِنَاعَةَ الْعِجَاءِ أَغْنَى عِجَاءَ الْأَفْعَالِ
الْقَبِيحَةِ. وَإِنْ كَانَ قَدْ يَضْطَرُّ الَّذِي مَقْصِدُهُ الْعِجَاءُ لِلشَّرَارِ وَالشُّرُورِ
أَنْ يَدْحَ الْأَخْيَارَ وَالْأَفْعَالِ الْقَاضِيَةَ لِيَكُونَ ظُهُورُ قُبْحِ الشُّرُورِ
أَكْثَرَ أَغْنَى إِذَا ذَكَرَهَا ثُمَّ ذَكَرَ بَارِئَاتِهَا الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ. فَهَذَا مَا فِي
هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ أَوْ لِلْأَكْثَرِ وَسَائِرُ
مَا يَذْكُرُ فِيهِ فَكُلُّهُ أَوْ جُلَّةُ مَا يَخْصُ أَشْعَارُهُمْ وَعَادَتُهُمْ فِيهَا وَذَلِكَ
أَنَّهُ يَذْكُرُ أَصْنَافَ الصَّنَاعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ كَانَ مَنَشَأُ وَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِالطَّبْعِ وَآيُ جُزْءٍ هُوَ الْمُنْتَقِمُ
مِنْهَا فِي الْكَوْنِ عَلَى آيِ جُزْءٍ وَبِخَاصَّةٍ فِي صِنَاعَةِ الْمَدْبُجِ وَصِنَاعَةِ
الْعِجَاءِ الْمَشْهُورَتَيْنِ عِنْدَهُمْ وَيَذْكُرُ مَعَ هَذَا أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَأَ صِنَاعَةَ
صِنَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الصَّنَائِعِ الشَّعْرِيَّةِ الْمَعْتَادَةِ عِنْدَهُمْ وَمَنْ زَادَ فِيهَا
وَمَنْ كَمَلَهَا بَعْدُ. وَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ يُثْنِي عَلَى أُوْبِيرُوشَ ثَنَاءً كَثِيرًا
وَيَعْرِفُ أَنَّهُ الَّذِي أَنْطَى مَبَادِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ

قَبْلَهُ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِجِ عَمَلٌ لَهُ قَدْرٌ يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا فِي صِنَاعَةِ الْهَجَاءِ وَلَا
 فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَهُمْ . قَالَ وَالْأَنْصُ مِنْ
 الْأَشْعَارِ وَالْأَقْصَرُ هِيَ الْأَتَقَدِّمَةُ بِالزَّمَانِ لِأَنَّ الطَّلِيحَ أَسْهَلَ وَفَوْعًا
 عَلَيْهَا أَوْلَا . وَالْأَقْصَرُ هِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ مَقَاطِعِ أَقْلٍ وَالْأَنْصُ هِيَ
 الَّتِي تَكُونُ مِنْ تَعَمَّاتٍ أَقْلٍ أَيْضًا . (قَالَ) وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ
 الْأَنْوَاعَ أَسْبَقُ إِلَى الْتَفُوسِ أَنَّ النَّاسَ عِنْدَ الْمُنَازَعَاتِ قَدْ يَرْتَجِلُونَ
 مَصَارِيحَ مِنْ هَذِهِ فِي تَجَادَلَتِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ الْخُرُجِ . يُرِيدُ فِيمَا أَحْسِبُ
 مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ : لَا لَأَلَا يَمْدُهَا صَوْتُهُ . وَمِثْلَ قَوْلِهِ لَيْسَ هَذَا كَذَا
 مَادَّا بِهَا صَوْتُهُ فَإِنَّ أَمثالَ هَذِهِ الْمُرَاجَعَاتِ هِيَ مَصَارِيحُ مُوزُونَةٍ
 ذَاتُ لَحْنٍ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَطْوَلُ وَأَتَمُّ فَإِنَّمَا ظَهَرَتْ بِأَخَرَةٍ كُلِّهَا
 فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ . (قَالَ) وَصِنَاعَةُ الْهَجَاءِ لَيْسَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا التَّحَاكَاةُ
 بِكُلِّ مَا هُوَ شَرٌّ وَفَيْحٌ فَقَطْ بَلْ وَبِكُلِّ مَا هُوَ شَيْءٌ مُسْتَهْزَأٌ بِهِ
 أَيْ مَرْدُولٌ قَبِيحٌ غَيْرُ مُعْتَمَرٍ بِهِ . (قَالَ) وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْأَسْتِهْزَاءَ
 يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَوْصَافَ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي وَجْهِ الْمُسْتَهْزِئِ
 هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ أَعْنِي قَبَاحَةَ الْوَجْهِ وَهَيْئَةَ الْأِسْتِغْفَارِ وَقِلَّةَ
 الْأَكْثَرَابِ بِالْمُسْتَهْزِئِ بِهِ وَذَلِكَ بِخِلَافِ وَجْهِ الْعَاصِبِ أَعْنِي أَنَّ
 فِيهِ قُبْحًا وَاهْتِنَامًا وَتِلْكَ هِيَ حَالَةُ نَفْسِ الْعَاصِبِ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي
 يُقْصَبُ عَلَيْهِ



البحث الرابع

في وزن الشعر وحثه

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَاجْتَادُ صِنَاعَةِ الْمِدِيحِ يَكُونُ تَعَلُّمُهَا فِي الْأَعَارِضِ الطَّوِيلَةِ لَا فِي الْقَصِيرَةِ وَلِذَلِكَ رَفَضَ الْمُتَأَخَّرُونَ الْأَعَارِضَ الْقَصَارَ أَتَى كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا مِنْ صَنَائِعِ الشَّعْرِ وَأَخَصُّ الْأَوْزَانِ بِهَا هُوَ الْوِزْنُ الْبَسِيطُ الْفَرِيدُ مُرَكَّبٌ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَلَّا يُبْلَغَ فِيهَا مِنَ الطَّوِيلِ إِلَى حَدِّ يُسْتَكْرَهُ. وَاتَّخَذَ الْفَلَسَفَةُ جَوْهَرَ صِنَاعَةِ الْمِدِيحِ هُوَ أَنَّهَا نِسْبَةُ مُحَاكَاةِ الْعَمَلِ الْإِرَادِيِّ الْفَاضِلِ الْكَامِلِ الَّذِي لَهُ قُوَّةٌ سَكْنِيَّةٌ فِي الْأُمُورِ الْفَاضِلَةِ لَا قُوَّةٌ جُزْئِيَّةٌ فِي وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْ الْأُمُورِ الْفَاضِلَةِ مُحَاكَاةِ تَتَعَمَّلُ لَهَا النُّفُوسُ أَنْفِعَالًا مُعْتَدِلًا بِمَا يُولَدُ فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفِ وَذَلِكَ بِمَا يُحْيَلُ فِي الْفَاضِلِينَ مِنْ النَّتِيجَةِ وَالنَّظَافَةِ فَإِنَّ مُحَاكَاةَ انْتِهَائِي لِلْهَيْئَاتِ الَّتِي تَتَزَامُ الْقَضَائِلَ لَا لِلْمَلَكَاتِ إِذْ لَيْسَ يُمَكِّنُ فِيهَا أَنْ يُحْيَلَ. وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ تَكْمَلُ إِذَا قُرِنَ بِهَا الْفَعْلُ وَالْوِزْنُ وَقَدْ تَوَجَّدُ مِنَ الْمُتَشَدِّينَ أَحْوَالُ أُخْرَى خَارِجَةٌ عَنِ الْوِزْنِ وَالْفَعْلِ تَجْعَلُ الْقَوْلَ أَتَمَّ مُحَاكَاةً وَهِيَ الْإِشَارَاتُ وَالْأَخْذُ بِالْوُجُوهِ الَّذِي قِيلَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ فَأَوَّلُ أَجْزَاءِ صِنَاعَةِ الْمِدِيحِ الشِّعْرِيَّةِ فِي الْعَمَلِ هُوَ أَنْ تُحْصَى

الْمَعَانِي الشَّرِيفَةُ الَّتِي بِهَا يَكُونُ التَّخْيِيلُ . ثُمَّ تُكْنَى تِلْكَ الْمَعَانِي
 اللَّحْنُ وَالْوَزْنُ اللَّائِيْنِ لِلشَّيْءِ الْقَوْلُ فِيهِ . وَعَمَلُ اللَّحْنِ فِي الشَّعْرِ
 هُوَ أَنَّهُ يُعَدُّ النَّفْسَ لِقَبُولِ خِيَالِ الشَّيْءِ الَّذِي يُقْصَدُ تَخْيِيلُهُ فَكَانَ
 اللَّحْنُ هُوَ الَّذِي يُفِيدُ النَّفْسَ الْإِسْتِعْدَادَ الَّذِي بِهِ يُقْبَلُ الشَّيْءُ
 وَالْحَاكَاةُ لِلشَّيْءِ الْمَقْصُودِ تَشْبِيهُهُ . وَإِنَّمَا يُفِيدُ النَّفْسَ هَذِهِ الْهَيْئَةُ
 فِي نَوْعٍ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ اللَّحْنُ الْمُسْلِمُ لِذَلِكَ النَّوعِ مِنْ
 الشَّعْرِ بِتَعَمُّاتِهِ وَتَأْلِيْفِهِ . فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّا نَحْدُ النِّعَمَ الْحَادَّةَ ثَلَاثِمِ نَوْعًا
 مِنَ الْقَوْلِ غَيْرِ الَّذِي ثَلَاثُمُ النِّعَمَاتُ الثِّقَالُ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ
 نَعْتَقِدَ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْحَانِ وَهَيْئَاتِ التَّحْدِيثِ وَأَقْصَادِ أَلْيِ
 تُكْمِلُ التَّخْيِيلَ الْمَوْجُودَ فِي الْأَقَابِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَنْفُسَهَا مِنْ قَبْلِ
 هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَعْنِي الشَّيْءَ وَالْوَزْنَ وَاللَّحْنَ أَلْيِ هِيَ إِسْطِطَسَاتُ
 الْحَاكَاةِ هِيَ بِالْجُلَّةِ هَيْئَتَانِ إِحْدَاهُمَا هَيْئَةُ تَدُلُّ عَلَى خَلْقٍ وَعَادَةٍ
 كَمَا يَتَكَلَّمُ كَلَامَ عَاقِلٍ أَوْ كَلَامَ غَضُوبٍ وَالثَّانِيَةُ هَيْئَةُ تَدُلُّ
 عَلَى اعْتِقَادٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ هَيْئَةُ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ بِالشَّيْءِ هَيْئَةُ
 مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَهُوَ شَاكٌّ . فَالْقَاصُ وَالْحَدِيثُ فِي الْإِدِيمِ يَنْبَغِي أَنْ
 تَكُونَ هَيْئَةُ قَوْلِهِ وَشَكْلُهُ هَيْئَةُ مُحَقِّقٍ لَا شَاكٍّ وَهَيْئَةُ جَادٍ لَا هَازِلٍ
 وَالْقَصَصُ وَالْحَدِيثُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَرَّ عَنْهُ الْقَاصُ وَالْحَدِيثُ وَهُوَ
 بِهَا تَيْنِ الْخَالَتَيْنِ هُوَ الْخُرَاقَةُ الَّتِي تَكُونُ بِالشَّيْءِ وَالْحَاكَاةُ وَاعْنِي
 بِالْخُرَاقَةِ تَرْكِيبَ الْأُمُورِ الَّتِي تُقْصَدُ مُحَاكَاتُهَا إِمَّا بِحَسَبِ مَا هِيَ
 عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهَا أَعْنِي فِي الْوُجُودِ وَإِمَّا بِحَسَبِ مَا أَعْنِي فِي الشَّعْرِ

مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا. وَلِهَذَا قِيلَ لِلْأَقْوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ خَرَافَاتٌ
 قَالَتْصَاصُ وَأَتَّخِذُونَ بِالْجَنَّةِ هُمْ الَّذِينَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى مُحَاكَاةِ
 الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ (قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَجْزَاءَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 سِتَّةٌ : الْأَقْوِيلُ الْخَوَافِيَّةُ وَالْعَادَاتُ وَالْوِزْنُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ
 وَاللَّحْنُ. وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ شِعْرِي قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى مُشَبَّهٍ
 وَمُشَبَّهٍ بِهِ وَالَّذِي بِهِ يُشَبَّهُ ثَلَاثَةٌ الْخَاسَكَةُ وَالْوِزْنُ وَاللَّحْنُ وَالَّذِي
 يُشَبَّهُ فِي اللَّحْنِ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا : الْعَادَاتُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ أَعْنِي
 الْإِسْتِدْلَالَ لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ فَتَكُونُ أَجْزَاءَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 ضَرْوَةً سِتَّةً. وَإِنَّمَا سَكَاتِ الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ أَكْثَرُ أَجْزَاءِ
 الْمَدِيحِ لِأَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدِيحِ لَيْسَتْ هِيَ صِنَاعَةُ تَحَاكِي النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ
 مِنْ جِهَةِ مَا هُمْ أَشْخَاصُ نَاسٍ مُحْسُوسُونَ بَلْ إِنَّمَا مُحَاكِيهِمْ مِنْ
 قِبَلِ عَادَاتِهِمْ الْجَمِيلَةِ وَأَفْعَالِهِمْ الْحَسَنَةِ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ السَّعِيدَةِ تَشْمَلُ
 الْأَفْعَالَ وَالْخُلُقَ وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الْعَادَةُ أَحَدَ أَجْزَاءِ السِتَّةِ وَاسْتَفْنِي
 بِذِكْرِهَا فِي التَّقْسِيمِ عَنْ ذِكْرِ الْأَفْعَالِ وَالْخُلُقِ. وَمَا أُنْظَرُ فَهُوَ إِبَانَةُ
 صَوَابِ الْإِعْتِقَادِ وَكَثَاةَ كَانَ عِنْدَهُمْ ضَرْبًا مِنَ الْإِخْتِجَاجِ لِصَوَابِ
 الْإِعْتِقَادِ الْمَسْدُوحِ بِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ يَوْجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا
 يَوْجَدُ فِي الْأَقْوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَدِيحِيَّةِ وَكَانُوا يُحَاكُونَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ
 الْأَشْيَاءَ أَعْنِي الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْإِسْتِدْلَالَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَصْنَافِ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يُحَاكَمُ أَعْنِي الْقَوْلَ الْخَلِيلَ وَالْوِزْنَ وَاللَّحْنَ (قَالَ)
 وَأَجْزَاءُ الْقَوْلِ الْخَوَافِي فِي مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ مُحَاكِي جُزْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ

كُلِّ مُحَاكَاةٍ قَامًا أَنْ تُوْطِئَ مُحَاكَاةَ مُحَاكَاةٍ ضِدِّهِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى
 مُحَاكَاةٍ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ عَنْهُمْ بِالْإِدَارَةِ وَإِنَّمَا أَنْ يُحَاكِي
 الشَّيْءَ نَفْسُهُ دُونَ أَنْ يَعْضَ مُحَاكَاةَ ضِدِّهِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ
 يُسَمُّونَهُ بِالْإِسْتِدْلَالِ. وَالَّذِي يَتَدَلُّ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ مَثَرَةٌ
 الْمَبْدَأُ وَالْأَسْ هُوَ الْقَوْلُ الْخَوَافِيُّ الْخَوَافِيُّ. وَالْجُزْءُ الثَّانِي الْعَادَاتُ
 وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّعُ أَوَّلًا فِيهِ الْخَاصَّةُ أَعْنِي أَنَّهُ الَّذِي يُحَاكِي
 وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحِكَايَةُ هِيَ الْعَمُودُ وَالْأَسُّ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّ
 الْإِلْتِذَاذَ أَيْسَرَ يَكُونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ ذِكْرُهُ دُونَ أَنْ يُحَاكِي
 بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِلْتِذَاذُ بِهِ وَالْقَبُولُ لَهُ إِذَا حُوسِبِي. وَلِذَلِكَ
 لَا يَلْتَذُّ الْإِنْسَانُ بِالنَّظَرِ إِلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ أَنْفُسِهَا وَيَلْتَذُّ
 بِمُحَاكَاةِهَا وَتَصَوُّرِهَا بِالْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ وَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ
 صِنَاعَةَ الزُّرَاقَةِ وَالتَّصْوِيرِ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ لِصِنَاعَةِ الْمِدْحِ أَعْنِي الثَّلَاثِي
 لِلثَّانِي هُوَ الْإِعْتِقَادُ وَهَذَا هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى مُحَاكَاةِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
 كَذَا أَوْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ كَذَا. وَذَلِكَ مِثْلُ مَا تَتَكَلَّمُ الْخَطَابَةُ مِنْ
 تَيِّينِ أَنْ شَيْئًا مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ إِلَّا أَنْ الْخَطَابَةَ تَتَكَلَّمُ
 ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مُقْتَضٍ. وَالشَّعْرُ يَقُولُ مُحَاكِي وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ هِيَ أَيْضًا
 مَوْجُودَةٌ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ. (قَالَ) وَقَدْ كَانَ الْأَفْهَمُونَ مِنْ
 وَاضِعِي السِّيَاسَاتِ يَقْتَضِرُونَ عَلَى تَمَكِّنِ الْإِعْتِقَادَاتِ فِي النَّفْسِ
 بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ حَتَّى شَعَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِالطَّرِيقِ الْخَطِيئَةِ وَالْفَرْقِ
 بَيْنَ الْقَوْلِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يُحْثُّ عَلَى الْإِعْتِقَادِ وَالَّذِي يُحْثُّ عَلَى الْعَادَةِ.

إِنَّ الَّذِي يَحْتَثُّ عَلَى الْعَادَةِ يَحْتَثُّ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ أَوْ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ
 شَيْءٍ وَالْقَوْلُ الَّذِي يَحْتَثُّ عَلَى الْإِعْتِقَادِ إِنَّمَا يَحْتَثُّ عَلَى أَنْ شَيْئًا
 مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ لَا عَلَى شَيْءٍ يُطْلَبُ أَوْ يُهْرَبُ عَنْهُ. وَالْجُزْءُ
 الرَّابِعُ لَهُذِهِ الْأَجْزَاءُ أَغْنِي التَّالِي لِلثَّالِثِ هُوَ الْوِزْنُ وَمِنْ تَمَامِهِ أَنْ
 يَكُونَ مُتَّسِبًا لِلْقَرَضِ قَرَبٌ وَزَنْ يُتَّسَبُ غَرَضًا وَلَا يُتَّسَبُ غَرَضًا
 آخَرًا. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ فِي الْمَرْتَبَةِ هُوَ الْخَنْ وَهُوَ اعْظَمُ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
 تَأْيِيدًا وَأَفْعَالَهَا فِي النُّفُوسِ. وَالْجُزْءُ السَّادِسُ هُوَ النَّظَرُ أَغْنِي الْإِخْتِجَاحَ
 لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ أَوْ صَوَابِ الْعَمَلِ لَا يَقُولُ إِقْنَاعِي فَإِنَّ ذَلِكَ
 غَيْرُ مُلَاحَظٍ. لَهُذِهِ الصَّنَاعَةُ بَلْ يَقُولُ مُحَاكٍ فَإِنَّ صِنَاعَةَ الشَّعْرِ لَيْسَتْ
 مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِخْتِجَاحِ وَالْمُتَابَعَةِ وَبِخَاصَّةٍ صِنَاعَةُ الْمَدِينَةِ وَلِذَلِكَ لَيْسَ
 يُسْتَعْمَلُ الْمَدِينُ صِنَاعَةُ التَّفَاقُحِ وَالْأَخْذِ بِالْوُجُوهِ كَمَا تَسْتَعْمَلُهَا
 الْحَطَّابَةُ. (قَالَ) وَالصَّنَاعَةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تُعْرَفُ بِمَاذَا تُعْمَلُ
 الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ تُعْمَلُ أَيْ رِئَاسَةٌ مِنْ عَمَلِ الْأَشْعَارِ فَإِنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ
 تُؤَقَّفُ مَا تَحْتَهَا مِنَ الصَّنَائِعِ عَلَى عَمَلِهَا هِيَ أَرَأْسُ مَا تَحْتَهَا



البحث الخامس

في صناعة المديح واجزاؤها

(من الكتاب نفسه)

فَإِذْ قَدْ قِيلَ مَا هِيَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ وَبِمَاذَا تَلْتَمِمْ وَكَمْ أَجْزَاؤُهَا
وَمَا هِيَ فَلْتَقَسَّلْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَكُونُ حُسْنُ الْأُمُورِ الَّتِي
يَتَقَوَّمُ بِهَا الشَّعْرُ . فَإِنَّ أَوَّلَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ضَرْبِي فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ . وَفِي غَيْرِهَا وَهُوَ لَهَا بِمِثْرَةِ الْمَبْدَأِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي
تَتَقَوَّمُ مِنْهَا الصَّنَائِعُ صِنْفَانِ أُمُورٌ ضَرْبِيَّةٌ وَأُمُورٌ تَكُونُ بِهَا
أَنْتَمٌ وَأَفْضَلُ فَقُولُ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ مُسْتَوِفِيَّةٌ
إِعَايَاتٍ فَعَالِهَا أَعْيُنِي أَنْ تَتَأَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْخَصَاقَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي فِي
طِبَاعِهَا أَنْ تَتَأَنَّهَا وَذَلِكَ يَكُونُ بِأَشْيَاءٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِلْقَصِيدَةِ
عِظَمٌ مَا مُحَدَّدٌ تَكُونُ بِهِ كِلَاءً وَكَمَالَةً وَالْأَكْلُ وَالْكَامِلُ هُوَ مَا
كَانَ لَهُ مَبْدَأٌ وَوَسْطٌ وَآخِرٌ وَالْمَبْدَأُ قَبْلُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا مَبْدَأٌ وَالْآخِرُ هُوَ مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا
آخِرٌ وَلَيْسَ قَبْلُ وَالْوَسْطُ هُوَ قَبْلُ وَمَا فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ الطَّرْقَيْنِ
إِذَا كَانَ الْوَسْطُ فِي الْمَكَانِ قَبْلُ وَبَعْدُ فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ هُمُ الَّذِينَ
مَكَانُهُمْ فِي الْحَرْبِ مَا بَيْنَ مَكَانِ الْجُنَيْدِ وَالْمُتَهَوِّزِينَ وَهُوَ الْمَكَانُ
الْوَسْطُ وَكَذَلِكَ لِحَذِّ الْقَاضِلِ فِي التَّرَكِيبِ هُوَ الْوَسْطُ وَهُوَ الَّذِي
يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَلَا تَتَرَكَّبُ الْأَطْرَافُ مِنْهُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ

يَكُونُ أَلْتَوْسَطُ وَسَطًا أَيْ خِيَارًا فِي التَّرَكِيبِ وَالتَّزْيِيبِ قَطْعُ بَلٍ
وَفِي الْقَدَرِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْقَصِيدَةِ
أَوَّلٌ وَوَسَطٌ وَآخِرٌ وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
وَسَطًا فِي الْقَدَرِ وَكَذَلِكَ يَجِبُ فِي الْجُلَّةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ
بِقَدَرٍ مُحْدُودٍ لَا أَنْ تَكُونَ بِأَيِّ عَظَمٍ أَتَّفَقَ وَذَلِكَ أَنَّ الْجُودَةَ فِي
الْمُرَكَّبِ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا التَّزْيِيبُ وَالثَّانِي الْقَدَرُ
وَلِهَذَا لَا يُقَالُ فِي الْحَيَوَانِ الصَّغِيرِ الْجُودَةُ بِالإِصَافَةِ إِلَى أَتَخَاصٍ
نَوْعِهِ أَنَّهُ جَيِّدٌ وَآخَالُ فِي أَتَخَاطِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي ذَلِكَ كَأَحَالِ فِي
التَّعْلِيمِ الْبَرَهَانِيَّةِ أَعْنِي أَنَّ التَّعْلِيمَ إِنْ كَانَ قَصِيرَ أَلْدَّةٍ لَمْ يَكُنْ
أَلْفَهْمُ جَيِّدًا وَلَا إِنْ كَانَ أَتَوَلَّ مَا يَنْبَغِي لِأَنَّهُ يَخْتَلِفُ أَلْتَّعْلِيمُ فِي
ذَلِكَ النَّسْبَانِ وَآخَالُ فِي ذَلِكَ كَأَحَالِ فِي النَّظَرِ إِلَى أَلْتَّحْسُوسِ
أَعْنِي أَنَّ النَّظَرَ إِلَى أَلْتَّحْسُوسِ إِنَّمَا يَكُونُ جَيِّدًا إِذَا كَانَ بَسِينًا
أَلنَّاطَرِ وَبَسِينَةً بَعْدُ أَلْتَّوَسَطُ لَا إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُ جِدًّا وَلَا إِذَا
كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جِدًّا وَأَلَّذِي يَغْرُضُ فِي التَّعْلِيمِ يَعْنِيهِ يَغْرُضُ فِي
أَلْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْقَصِيدَةُ قَصِيرَةً لَمْ تَسْتَوْفِ
أَجْزَاءَ الْمَدِيحِ وَإِنْ كَانَتْ طَوِيلَةً لَمْ يُمْكِنَ أَنْ تَحْفَظَ فِي ذِكْرِ
السَّامِعِينَ أَجْزَاءَهَا فَيَغْرُضُ لَهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْأَجْزَاءَ الْأَخِيرَةَ أَنْ
يَكُونُوا قَدْ نَسُوا الْأَوَّلَى وَأَمَّا أَلْأَقَاوِيلُ أَلْخُطْبِيَّةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي
أَلْمُنَاطَرَةِ فَالَّذِينَ هَذَا قَدَرٌ مُحْدُودٌ بِأَلطَّعْمِ وَلِذَلِكَ أَعْتَاجُ النَّاسُ أَنْ
يُقَدِّرُوا زَمَانَ أَلْمُنَاطَرَةِ بَيْنَ أَلتَّحْصُومِ إِمَّا بِأَلَّةِ أَللَّهَ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ

الْعَادَةُ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ إِذْ كَانُوا إِنَّمَا يَتَعَدُّونَ الصَّائِرَ فَقَطْ وَإِنَّمَا
 بِأَجَلِ الْآيَامِ كَالْحَالِ عِنْدَنَا إِذْ كَانَ الْمُتَعَدُّ فِي الْخُصُومَاتِ عِنْدَنَا
 إِنَّمَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الْمُنْقِطَةُ إِلَيْنَا مِنْ خَارِجٍ وَلِذَلِكَ لَوْ كَانَتْ صِنَاعَةُ
 الْمُدْحِجِ بِالْمُنَاطَرَةِ لَكَانَ يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَقْدِيرِ زَمَانٍ الْمُنَاطَرَةِ
 بِسَلَاتِ الْمَاءِ أَوْ غَيْرِهَا. لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ
 يَكُونَ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ حَدٌّ طَبِيعِيٌّ كَالْحَالِ فِي الْأَقْدَارِ الطَّبِيعِيَّةِ
 لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْمُنْكَوِّنَاتِ إِذْ لَمْ يَعْطَا
 فِي حَالِ الْكَوْنِ سُوَاهُ الْتَجَتْ صَارَتْ إِلَى عِظَمِ تَحْدُودِهَا بِالطَّبْعِ.
 كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْحَالُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي
 صِنْفِهَا الْخَالِصَةِ أَعْنِي الَّتِي يُنْتَقَلُ فِيهَا مِنَ الضِّدِّ إِلَى الضِّدِّ أَوْ
 يُحَاكِي فِيهَا الشَّيْءُ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَلَ إِلَى ضِدِّهِ (قَالَ) وَبِمَا
 يُحْسَنُ بِهِ قَوَامُ الشَّعْرِ أَلَا يُطَوَّلُ فِيهِ بِذِكْرِ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي
 تَعْرُضُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْقَصُودُ بِالشَّعْرِ فَإِنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ تَعْرُضُ
 لَهُ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ يُوجَدُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمُسَارِ إِلَيْهِ أَفْعَالٌ
 كَثِيرَةٌ (قَالَ) وَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الشُّعْرَاءِ لَا يَتَحَفَّظُونَ بِهَذَا بَلْ
 يَتَقَبَّلُونَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَلَا يَلْزَمُونَ غَرَضًا وَاحِدًا بِعَيْنِهِ مَا
 عَدَا أُوْمِيدُوشَ وَأَنْتَ تَجِدُ هَذَا كَثِيرًا مَا يَعْضُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَالْمُحَدِّثِينَ وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْمُدْحِجِ أَعْنِي أَنَّهُ إِذَا عَنَّا لَهُمْ شَيْءٌ مَا مِنْ
 أَسْبَابِ الْمُدْحِجِ مِثْلُ سَيْفٍ أَوْ قَوْسٍ اشْتَقَلُوا بِحَاكِيَةِ وَاضْرَبُوا
 عَنْ ذِكْرِ الْمُدْحِجِ وَبِالْجُمْلَةِ فَجِبَّ أَنْ تَكُونَ الصِّنَاعَةُ تَنْشَبُهَا الطَّبِيعَةُ

أَعْنِي أَنْ تَكُونَ إِنَّمَا تَفْعَلُ جَمِيعَ مَا تَفْعَلُهُ مِنْ أَجْلِ غَرَضٍ وَاحِدٍ وَغَايَةٍ
 وَاحِدَةٍ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ وَالْخُشَاكَةُ
 لِوَاحِدٍ وَمَقْصُودًا بِهِ غَرَضٌ وَاحِدٌ وَأَنْ يَكُونَ لِأَجْزَائِهِ عِظَمٌ مُخْتَدِدٌ
 وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا مَبْدَأٌ وَوَسَطٌ وَآخِرٌ وَأَنْ يَكُونَ أَلَوْسَطُ أَفْضَلُهَا
 فَإِنَّ أَلْوَجُودَاتِ أَلَيْ وَجُودِهَا فِي التَّرْتِيبِ وَحُسْنِ النِّظَامِ إِذَا عَدِمَتْ
 تَرْتِيبُهَا لَمْ يَوْجَدْ لَهَا الْفِعْلُ الْخَاصُّ بِهَا. (قَالَ) وَظَاهِرٌ أَيْضًا بِمَا قِيلَ مِنْ
 مَقْصِدِ الْأَقَابِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَنَّ الْخُشَاكَةَ أَلَيْ تَكُونَ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَرَعَةِ
 التَّكَادُيبُ لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الشَّاعِرِ وَهِيَ أَلَيْ تُسَمَّى أَمَثَالًا وَفِيصًا مِثْلُ مَا
 فِي كِتَابِ دِمْنَةٍ وَكَلِيَّةٍ. لَكِنْ الشَّاعِرُ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ فِي الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ أَوْ
 الْمُمْكِنَةِ الْوُجُودَ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ أَلَيْ يَقْصِدُ الْمَرْبُ عَنْهَا أَوْ طَلَبَهَا أَوْ
 مُطَابَقَةَ التَّشْبِيهِ لَهَا عَلَى مَا قِيلَ فِي فُصُولِ الْخُشَاكَةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 الْأَمَثَالَ وَالْفِيصَ فَإِنَّ عَمَلَهُمْ غَيْرُ عَمَلِ الشُّعْرَاءِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَعْمَلُونَ
 تِلْكَ الْأَمَثَالَ وَالْأَحَادِيثَ الْمُخْتَرَعَةَ بِكَلَامٍ مَوْزُونٍ. وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّيْهَا
 وَإِنْ كَانَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْوِزْنِ فَاحَدُهُمَا يَتِمُّ لَهُ الْعَمَلُ الَّذِي قَصَدَهُ
 بِالْخُرَافَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَوْزُونَةً وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يُسْتَفَادُ مِنَ الْأَحَادِيثِ
 الْمُخْتَرَعَةِ وَالشَّاعِرُ لَا يَخْضُلُ لَهُ مَقْصُودُهُ عَلَى اتِّسَامٍ مِنْ اتِّحْسِيلِ إِلَّا
 بِالْوِزْنِ فَالْفَاعِلُ لِلْأَمَثَالِ الْمُخْتَرَعَةِ وَالْقَصَصِ إِنَّمَا يَخْتَرَعُ أَشْخَاصًا لَيْسَ
 لَهَا وَجُودٌ أَصْلًا وَيَضَعُ لَهَا أَسْمَاءً وَأَمَّا الشَّاعِرُ فَإِنَّمَا يَضَعُ أَسْمَاءً لِأَشْيَاءَ
 مَوْجُودَةٍ وَرَبَّمَا تَكَلَّمُوا فِي الْكَلِمَاتِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ صِنَاعَةُ
 الشُّعْرِ أَقْرَبَ إِلَى الْفَلَسَفَةِ مِنْ صِنَاعَةِ اخْتِرَاعِ الْأَمَثَالِ وَهَذَا الَّذِي

قَالَ هُوَ بِحَسَبِ عَادَتِهِمْ فِي الشِّعْرِ الَّذِي يُشَبُّهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَمْرُ
الطَّبِيعِيُّ لِلْأَمْرِ الطَّبِيعِيِّ (قَالَ) وَأَكْثَرُ مَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَمَدَ فِي صِنَاعَةِ
الْمُدِجِ أَنْ تَكُونَ الْأَشْيَاءُ الْحَاكِمَاتُ أُمُورًا مَوْجُودَةً لَا أُمُورًا لَهَا
أَنَاءٌ مُخْتَرَعَةٌ فَإِنَّ الْمُدِجَ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ نَحْوَ التَّحْرِيكِ إِلَى الْأَفْعَالِ
الْإِرَادِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ الْأَفْعَالُ مُمَكِّنَةً كَانَ الْإِفْتِخَاعُ فِيهَا أَكْثَرَ
وَقُرُوعًا إِنِّي التَّضَدِيقَ الشِّعْرِيَّ الَّذِي يُحْرِكُ النَّفْسَ إِلَى الطَّلَبِ
وَالْعَرَبِ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْغَيْرُ الْمَوْجُودَةُ فَلَيْسَ تُوضَعُ وَتُخْتَرَعُ لَهَا أَمَاءٌ
فِي صِنَاعَةِ الْمُدِجِ إِلَّا أَقَلُّ ذَلِكَ مِثْلُ وَضْعِهِمُ الْجُودَ نَحْصًا ثُمَّ
يَضَعُونَ أَفْعَالًا لَهُ وَيُحَاكُمُونَهَا وَيُطَبِّقُونَ فِي مَذْهَبِهِ. وَهَذَا النَّحْوُ مِنَ
التَّخْيِيلِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْفَعَةٌ غَيْرُ يَسِيرَةٍ لِمُنَاسَبَةِ أَفْعَالِهِ
ذَلِكَ الشَّيْءُ الْمُخْتَرَعُ وَانْفِعَالَاتِهِ لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ
يُعْتَمَدَ فِي صِنَاعَةِ الْمُدِجِ فَإِنَّ هَذَا النَّحْوَ مِنَ التَّخْيِيلِ لَيْسَ بِمَا يُوَافِقُ
جَمِيعَ الطَّبَاعِ بَلْ قَدْ يَضَعُكَ مِنْهُ وَيَزِدُّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَمِنْ
جِدِّ مَا فِي هَذَا الْبَابِ لِلْعَرَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَى
الْقَضِيَّةِ قَوْلُ الْأَعَشَى :

لَعَنِي لَقَدْ لَاحَتَ عَيْنُ نَوَاطِرُ إِلَى صَوْدِ نَارٍ بِالْيَقَاعِ تُحَرِّقُ
تُشَبُّ لِقُرُورَيْنِ يَضْطَلِبَانَهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْحُلُقُ
رَضِيعِي لِبَانِ نَدِيٍّ أَمْرٌ تَحَاكَمَا بِأَسْخَمِ دَاجٍ عَوْضُ لَا تَسْتَفِرُّ
وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَظَاهِرٌ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا يَكُونُ شَاعِرًا
بِعَمَلِ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْرَاقِ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى عَمَلِ الشَّيْءِ

وَالْحَاكَاةُ وَهِيَ إِنَّمَا يَفْعَلُ التَّشْبِيهَ لِلْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يُحَاكِيَ الْأُمُورَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فَقَطْ بَلْ
وَقَدْ يُحَاكِي الْأُمُورَ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُمَكِّنَةُ الوجودِ وَهِيَ فِي
ذَلِكَ شَاعِرٌ لَيْسَ بِدُونَ مَا هُوَ فِي مُحَاكَاةِ الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ مِنْ قَبْلِ
أَنَّهُ لَيْسَ مَانِعٌ يَمْنَعُ أَنْ تُوجَدَ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ عَلَى مِثْلِ حَالِ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي هِيَ الْآنَ . وَجُودَةٌ فَلَيْسَ يَحْتَاجُ فِي التَّخْيِيلِ الشَّعْرِي إِلَى مِثْلِ
هَذِهِ الْخَرَافَاتِ الْخَطَرَةِ وَلَا أَيْضًا يَحْتَاجُ الشَّاعِرُ الْمَلْفَاقُ أَنْ تَمَّ
مُحَاكَاتُهُ بِالْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ . وَهِيَ الَّتِي يُدْعَى نِفَاقًا وَآخِذَا
بِالْوُجُوهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْتَعْبِلُهُ الْمُسَوِّهُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَعْنِي
الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ شُعْرَاءُ وَلَيْسُوا شُعْرَاءَ . وَأَمَّا الشُّعْرَاءُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَيْسَ
يَسْتَعْبِلُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَا يُرِيدُونَ أَنْ يُقَابِلُوا بِهِ اسْتِعْمَالَ شُعْرَاءِ
الزُّورِ لَهُ . وَأَمَّا إِذَا قَابَلُوا الشُّعْرَاءَ الْحَقِيقِينَ فَلَيْسَ يَسْتَعْبِلُونَهُ أَصْلًا . وَقَدْ
يُضْطَرُّ الْمَلْفَقُونَ فِي مَوَاضِعَ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْ
عُمُودِ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْكَاةَ لَيْسَ تَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
لِلْأَشْيَاءِ الْكَلَامَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ مُحَاكَاتَهَا عَلَى التَّمَامِ . بَلْ لِأَشْيَاءٍ نَاقِضَةٍ
تَقْصُرُ مُحَاكَاتُهَا بِالْقَوْلِ فَيَسْتَعِينُ عَلَى مُحَاكَاتِهَا بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ .
وَبِجَازَةِ إِذَا قَصَدُوا مُحَاكَاةَ الْإِعْتِقَادَاتِ لِأَنَّ تَخْيِيلَهَا يُعْسِرُ إِنْ كَانَتْ
لَيْسَتْ أَفْعَالًا وَلَا جَوَاهِرَ . وَقَدْ تَمَرَّجُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ
بِالْمُحَاكَاتِ الشَّعْرِيَّةِ أَحْيَانًا كَانَتْهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَيَكُونُ لَهَا
فِعْلٌ مُغَيَّبٌ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تَمَّ بِاتِّفَاقٍ مُغَيَّبَةٌ

(قَالَ) وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشِّعْرِيَّةِ تَكُونُ جُودَتُهَا فِي الْحَاكَاةِ
الْبَسِيطَةِ الْغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَكَثِيرٌ مِنْهَا إِنَّمَا تَكُونُ جُودَتُهَا فِي نَفْسِ
التَّشْبِيهِ وَالْحَاكَاةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَالَ فِي التَّشْبِيهِ كَالْحَالِ فِي الْأَعْمَالِ
فَكَمَا أَنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُنَالُ بِفِعْلِ وَاحِدٍ بَسِيطٍ وَمِنْهَا مَا يُنَالُ
بِفِعْلِ مُرَكَّبٍ كَذَلِكَ الْأَنْزُ فِي الْحَاكَاةِ. وَالْحَاكَاةُ الْبَسِيطَةُ هِيَ
الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَحَدُ نَوْعِي التَّخْيِيلِ أَعْنِي النَّوْعَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِدَارَةَ أَوْ النَّوْعَ الَّذِي يُسَمَّى الْإِسْتِدْلَالَ. وَأَمَّا الْحَاكَاةُ
الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا الصَّنْفَانِ جَمِيعًا وَذَلِكَ إِمَّا بِأَنْ
يُبْتَدَأَ بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْتَدَأُ
بِالْإِسْتِدْلَالِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِدَارَةِ وَالْإِعْتِبَادُ هُوَ أَنْ يُبْدَأَ
بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ فَإِنَّهُ فَوْقَ كَثِيرٍ بَيْنَ أَنْ
يُبْدَأَ أَوْلاً بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْدَأَ بِالْإِسْتِدْلَالِ
ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَأَعْنِي بِالْإِدَارَةِ مُحَاكَاةَ ضِدِّ
الْمَقْصُودِ مَذْحُهُ أَوْلاً بِمَا يُبَيِّنُ النَّفْسَ عَنْهُ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى
مُحَاكَاةِ الْمَذْذُوحِ نَفْسِهِ مَثَلًا إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَاكِيَ السَّعَادَةَ
وَأَهْلَهَا أَتَبَدَأَ أَوْلاً بِمُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَأَهْلِهَا ثُمَّ أُنْقَلُ إِلَى مُحَاكَاةِ
أَهْلِ السَّعَادَةِ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَا حَاكِيَ بِهِ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ. وَأَمَّا
الْإِسْتِدْلَالُ فَهُوَ مُحَاكَاةُ الشَّيْءِ فَقَطْ (قَالَ) وَأَحْسَنُ الْإِسْتِدْلَالِ
مَا خِلَطَ بِالْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْإِسْتِدْلَالُ وَالْإِدَارَةُ فِي
الْأَشْيَاءِ الْغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَفِي الْمُتَنَفِّسَةِ لَا مِنْ جِهَةٍ مَا يُقْصَدُ بِهِ عَمَلٌ

أَوْ تَرَكْ بَلْ مِنْ جَهَةِ التَّخِيلِ قَطَطُ أَعْنِي الْمَطَابَقَةُ . وَهَذَا النَّوعُ مِنْ
الْإِسْتِدْلَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْقَائِلُ عَلَى أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَعْنِي
الْإِسْتِدْلَالُ وَالْإِدَارَةُ فِي غَيْرِ الْمُتَّفِقَةِ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :
كَمْ دَوْرَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ حَافِيَةٍ

أَذْمَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ دَوْرَةِ الذَّبِيبِ
أَزُودُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْعَعُ بِي

وَأَذْنِي وَيَبَاضُ الضُّجْرُ يُغْرِي بِي
فَإِنَّ أَلَيْتَ الْأَوَّلَ هُوَ اسْتِدْلَالٌ . وَالتَّالِي إِدَارَةٌ وَلَمَّا جَمَعَ
هَذَانِ الْبَيْتَانِ صَنَعَِي الْحَاكَاةَ كَمَا فِي غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ (قَالَ)
وَالْإِسْتِدْلَالُ الْإِنْسَانِي وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْمَطْلَبِ
وَالْعَرَبِ وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ هُوَ الَّذِي يُشِيرُ فِي النَّفْسِ
الرَّحْمَةُ تَارَةً وَالْخَوْفُ تَارَةً وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ الْأَفْعَالُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْجَلِيلَةُ وَهِيَ الْقَبِيحَةُ (قَالَ) فَهَذَانِ
الْجُزْءَانِ اللَّذَانِ أَخْبَرْنَا عَنْهُمَا جُزْءَا صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَهَاهُنَا جُزْءُ
ثَلَاثٍ وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِي يُؤَلِّدُ الْأَنْفِعَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةَ أَعْنِي أَنْفِعَالَاتِ
الْخَوْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالْحُزْنِ وَهُوَ يَكُونُ بِذِكْرِ الْمَصَائِبِ وَالْأَزَايَا
النَّازِلَةِ بِالنَّاسِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ الرَّحْمَةَ وَالْخَوْفَ
وَهُوَ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَقِّ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةُ
الْمَدِيحِ عَنْهُمْ

البحث السادس

في اجزاء صناعة المديح من جهة الكمية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ مِنْ بَابِ الْكَيْفِيَّةِ فَقَدْ
تَكَلَّمْنَا فِيهَا . وَأَمَّا أَجْزَاؤُهَا مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَكَلَّمَ
فِيهَا وَهُوَ يَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَقْعَى أَجْزَاءَ خَاصَّةٍ بِأَشْعَارِهِمْ وَالَّذِي يُوجَدُ
مِنْهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَهُوَ ثَلَاثَةٌ . الْخِزْمَةُ الَّتِي يَجْرِي عَنْدهُمْ مَجْرَى
الْصَدْرِ فِي الْخُطْبَةِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ يَذْكُرُونَ الدِّيَارَ وَالْأَنْثَارَ
وَيَتَغَزَّلُونَ فِيهِ وَالْخِزْمَةُ الثَّانِي الْمَذْخُوعُ وَالْخِزْمَةُ الثَّلَاثُ الَّتِي يَجْرِي مَجْرَى
الْخَاتِمَةِ فِي الْخُطْبَةِ وَهَذَا الْخِزْمَةُ أَكْثَرُ مَا هُوَ عَنْدهُمْ إِمَّا دَعَاةُ
لِلْمَذْخُوعِ وَإِمَّا فِي تَقْرِيبِ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ وَالْخِزْمَةُ الْأُولَى أَشْهُرُ
مِنْ هَذَا الْآخِرِ وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ الْإِتِّقَالَ مِنَ الْخِزْمَةِ الْأُولَى إِلَى
الثَّانِي اسْتِطْرَادًا وَرَبَّمَا اتَّوَا بِالْمَدِيحِ ذَوْنَ صَدْرِ . مِثْلُ قَوْلِ أَبِي
تَمَّامٍ :

لَهَا نَ عَلَيَّا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلَا

وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَمُودَا

وَلَا قَرَعَ مِنْ تَعْدِيدِ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ عَنْدهُمْ (قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ
صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ وَالَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَقَدْ

أَخَذَتْهَا. فَأَمَّا مِنْ أَيْ الْمَوَاضِعِ. يُمَكِّنُ عَمَلُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ فَتَحْنُ
مُخْبِرُونَ عَنْهَا بَعْدَ مُضَيَّفُونَ ذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ (قَالَ) وَيَتَّبِعِي كَمَا
قِيلَ أَنْ لَا يَكُونَ تَرْكِيبُ الْمَدَائِحِ مِنْ مُحَاكَاةِ بَسِيطَةٍ بَلْ مَخْلُوطَةٍ
مِنْ أَنْوَاعِ الْإِسْتِدْلَالَاتِ وَأَنْوَاعِ الْإِدَارَةِ وَمِنْ الْحَاكَاةِ الَّتِي تُوجِبُ
الْإِنْفِعَالَاتِ الْحَقِيقَةَ الْخَرَكَةَ الْمُرَقَّةَةَ لِلنَّفُوسِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُجِبُ أَنْ
تَكُونَ الْمَدَائِحُ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الْحَثُّ عَلَى الْفَضَائِلِ مُرَكَّبَةً مِنْ
مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ وَمِنْ مُحَاكَاةِ أَشْيَاءَ مُحَرَّقَةٍ مُحَرَّةٍ يُتَفَعَّلُ لَهَا وَهِيَ الشَّقَاوَةُ
الَّتِي تَحْقُقُ مِنْ عَدَمِ الْفَضَائِلِ لَا بِاسْتِبْهَالٍ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ
يَشْتَدُّ تَحْرُكُ النَّفْسِ إِقْبُولِ الْفَضَائِلِ فَإِنْ أَسْتَقَالَ الشَّاعِرُ مِنْ مُحَاكَاةِ
فَضِيلَةٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَضِيلَةٍ أَوْ مِنْ مُحَاكَاةِ فَاضِلٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَاضِلٍ
لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَمَاجِثُ الْإِنْسَانَ وَيُزَجِّجُهُ إِلَى فَعْلِ الْفَضَائِلِ إِذَا
كَانَ لَيْسَ يُوجِبُ مَحَبَّةَ لَهَا زَائِدَةً وَلَا خَوْفًا. وَالْأَقَاوِيلُ الْمَدِيحِيَّةُ
يُجِبُ أَنْ يُوْجَدَ فِيهَا هَذَانِ الْأَمْرَانِ وَذَلِكَ يَكُونُ إِذَا أُسْقِلَ مِنْ
مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ إِلَى مُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَرَدَّاءَةِ النَّجَسِ النَّازِلَةِ بِالْأَفْضَلِ
أَوْ أُسْقِلَ مِنْ هَذِهِ إِلَى مُحَاكَاةِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ هَذِهِ الْحَاكَاةَ
تُرْقِي النَّفْسَ وَتَدْعِيهَا إِلَى قَبُولِ الْفَضَائِلِ وَأَنْتَ تَجِدُ أَكْثَرَ الْحَاكَاةِ
الْوَاقِعَةِ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي ذُكِرَ إِذَا
كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْأَقَاوِيلُ مَدِيحِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ مِثْلُ مَا وَرَدَ
مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ وَرَاحُوْتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُنْسَى
مَوَاعِظُ (قَالَ) وَإِنَّمَا تَحْدُثُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ بِذِكْرِ حَدُوثِ الشَّقَاوَةِ

بَيْنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَعَلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ . وَالْخَوْفُ إِنَّمَا يَحْدُثُ عِنْدَ
 ذِكْرِ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ تَحْيُلِ وَقُوعِ الضَّارِّ بَيْنَهُمْ ذَوْنَهُمْ أَعْنِي بِنَفْسِ
 السَّامِعِ إِذَا كَانَ آخَرَى بِذَلِكَ وَالْحُزْنَ وَالرَّحْمَةَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ هَذِهِ
 مِنْ قَبْلِ وَقُوعِهَا بَيْنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَإِذَا كَانَ ذِكْرُ الْفَضَائِلِ مُفْرَدَةً لَا
 يُوقِعُ فِي النَّفْسِ خَوْفًا مِنْ قَوَاتِمِهَا وَلَا رَحْمَةً وَحُبَّةَ قَوَائِبِهَا عَلَى مَنْ
 يُرِيدُ أَنْ يَحْثُ عَلَى الْفَضَائِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُزْءًا مِنْ مُحَاكَمَاتِهِ لِلْأَشْيَاءِ
 الَّتِي تَبْعَثُ الْحُزْنَ وَالْخَوْفَ وَالرَّحْمَةَ (قَالَ) وَلِذَلِكَ الْمَدَامُحُ الْجَسَانُ
 الْمُرْجُودَةُ إِصْنَاعَةُ الشَّعْرِهِي الْمَدَامُحُ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا هَذَا التَّرَكِيبُ
 أَعْنِي ذِكْرَ الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الْخُزْنَةِ الْخُزْنَةِ وَالْمُخَرِّقَةِ (قَالَ) وَلِذَلِكَ
 يُخْطِئُ الَّذِينَ يَلْمُؤُونَ مَنْ يَجْعَلُ أَحَدَ أَجْزَاءِ شِعْرِهِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ
 وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ فِي الْمَدَامُحِ أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدَامُحِ
 الْمُهَادِيَةِ قَدْ تَدْخُلُ فِيهَا الْمَغْضَبَاتُ وَالْقَضَبُ هُوَ حُزْنٌ مَعَ حُبٍّ
 شَدِيدٍ لِلْإِتِّسَامِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَذِكْرُ الرِّذَالِ وَالْمَصَائِبِ
 النَّازِلَةِ بِأَهْلِ الْقُضَلِ يُوجِبُ حُبًّا زَائِدًا لَهُمْ وَخَوْفًا مِنْ قَوَاتِ
 الْفَضَائِلِ قَامًا مُحَاكَمَةً الْقَانِصِ فِي الْمَدَامُحِ فَقَدْ يُدْخِلُهَا قَوْمٌ فِيهَا
 لِأَنَّ فِيهَا دَرَبًا مِنَ الْإِدَارَةِ لَكِنْ مُنَاسِبَةٌ ذِمِّ الْقَانِصِ إِصْنَاعُهُ
 الْعِجَابُ أَكْثَرُ مِنْهَا لِجِنَاةِ الْمَدَامُحِ وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَحْيِيهَا
 فِي الْمَدَامُحِ عَلَى التَّصَدِّ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ قَبْلِ الْإِدَارَةِ وَإِذَا كَانَ
 الشَّعْرُ الْمَدَامُحِي تَذَكُّرُ فِيهِ الْقَانِصِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ذِكْرُ
 الْأَعْدَاءِ الْمُبْتَغِزِينَ وَالْمَدَامُحِ إِنَّمَا تُبْتَنَى عَلَى ذِكْرِ أَعْمَالِ الْأَوْلِيَاءِ

وَالْأَصْدِقَاءُ. وَأَمَّا عَدُوُّ الْعَدُوِّ أَوْ صَدِيقُ الصَّدِيقِ فَلَيْسَ يُذَكَّرُ لَا فِي الْمَذْحِ وَلَا فِي الذَّمِّ. إِذْ كَانَ لَا صَدِيقًا وَلَا عَدُوًّا (قَالَ) وَيَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ الْخَوَافَةُ الْخِيَمَةُ الْخُرْزَةُ تَخْرُجُهَا تَخْرُجَ مَا يَمُتُّ تَحْتَ الْبَصَرِ يُرِيدُ مِنْ وَقُوعِ الصَّدِيقِ بِهَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْخَوَافَةُ مَشْكُوكًا فِيهَا أَوْ أُخْرِجَتْ تَخْرُجَ مَشْكُوكٍ فِيهَا لَمْ تَفْعَلِ الْفِعْلَ الْمَقْصُودَ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ مَا لَا يُصَدِّقُهُ الْمَرْءُ فَهُوَ لَا يَفْرَعُ مِنْهُ وَلَا يَشْفِقُ لَهُ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْقَصَصِ الشَّرِيعِيِّ يَصِيرُونَ أَرَادِلَ لِأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُونَ بِالطَّبَعِ لِأَحَدِ قَوْلَيْنِ إِمَّا قَوْلَ بُرْهَانِي وَإِمَّا قَوْلَ لَيْسَ بُرْهَانِي. وَهَذَا الصَّنْفُ الْخَبِيسُ مِنَ النَّاسِ قَدْ عَدِمَ التَّحَرُّكُ عَنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُدْخِلُ فِي الْمَدَامِجِ مُحَاكَاتَ أَشْيَاءٍ يُقْصِدُ بِهَا التَّعْجِبَ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ خِيَمَةً وَلَا خُرْزَةً وَأَنْتَ تَحْدُثُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا كَثِيرًا فِي الْمَكْتُوباتِ الشَّرْعِيَّةِ إِذَا كَانَتْ مَدَامِجُ الْقَضَائِلِ لَيْسَ تُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا فِي السُّنَنِ الْمَكْتُوبَةِ (قَالَ) وَهَذَا الْفِعْلُ لَيْسَ فِيهِ مُشَارَكَةٌ لِصِنَاعَةِ الْمَدَامِجِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ يُقْصَدُ مِنْ صِنَاعَةِ الشُّعْرِ أَيُّ لَذَّةٍ أُنْفَقَتْ لَكِنْ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا حُصُولُ الْإِلْتِذَاذِ بِتَخْيِيلِ الْقَضَائِلِ وَهِيَ اللَّذَّةُ الْمُنَاسِبَةُ لِصِنَاعَةِ الْمَدَامِجِ (قَالَ) وَهُوَ مَعْلُومٌ مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ اللَّذَاتِ بِهَا كَاتِبَاتُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْفَحَ عَنْ ذَلِكَ حُزْنٌ وَلَا خَوْفٌ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَلْفَحُ بِهَا الْإِلْتِذَاذُ بِهَا كَاتِبَاتُهَا

الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفَ فَإِنَّمَا يَتَّقِدُ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا التَّمَسَّ أَيْ
 الْأَشْيَاءَ هِيَ الصَّعْبَةُ مِنَ الذُّوَابِ الَّتِي تُثَوِّبُ دَائِيَ الْأَشْيَاءِ هِيَ
 الْأَشْيَاءُ الَّتِي سِيرَةُ الْهَيْئَةِ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُ عَنْهَا كِبَرُ حُزْنٍ وَلَا خَوْفٌ
 وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَا يَنْزِلُ بِالْأَصْدِقَاءِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
 مِنْ قَبْلِ الْإِرَادَةِ مِنَ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ لَا مَا يَنْزِلُ بِالْأَعْدَاءِ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ يَحْزَنُ وَلَا يُشْفِقُ إِذَا يَنْزِلُ
 مِنَ الشُّرِّ بِالْعَدُوِّ مِنْ عَدُوِّهِ كَمَا يَحْزَنُ وَيَخَافُ مِنَ الشُّرِّ إِذَا نَزَلَ
 بِالصَّدِيقِ مِنَ صَدِيقِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَلْحَقُ عَنْ ذَلِكَ أَلَمْ قَلْبَيْ
 يَلْحَقُ مِثْلُ أَلَمْ الَّذِي يَلْحَقُ مِنَ الشُّرِّ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ الْخَبِيرِينَ
 بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مِثْلُ قَتْلِ الْأَخَوَةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ قَتْلِ الْأَبَاءِ الْأَبْنَاءِ
 أَوْ الْأَبْنَاءِ الْأَبَاءِ وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ كَانَ قَصَصَ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا أَمَرَ فِي
 أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْأَقَادِيلِ الْمَوْجِبَةِ لِلْحُزْنِ وَالْخَوْفِ (قَالَ) وَالْمَذْحُ إِنَّمَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالْأَفْعَالِ الْفَاعِلَةِ الَّتِي تُصَدُّ عَنْ إِرَادَةِ وَعِلْمِ
 لِأَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفْعَلُ عَنْ إِرَادَةِ وَعِلْمِهِ وَمِنْهَا مَا يُفْعَلُ لَا عَنْ
 إِرَادَةِ وَلَا عِلْمِهِ وَمِنْهَا يُفْعَلُ عَنْ عِلْمِهِ لَا عَنْ إِرَادَةِ أَوْ عَنْ إِرَادَةِ
 لَا عَنْ عِلْمِهِ وَكَذَلِكَ الْأَفْعَالُ مِنْهَا مَا تَكُونُ لَنْ يَعْرِفُ وَلَنْ لَا
 يَعْرِفُ قَالِفَعْلٌ إِذَا صَدَرَ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا إِرَادَةٍ فَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي
 بَابِ الْمَدِيحِ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَادِرًا مِنْ غَيْرِ مَعْرُوفٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ
 حَيْثُ فِي الْأَصْدُوبَاتِ أُدْخِلَ مِنْهُ فِي الشُّعْرِ وَلَا يَجِبُ أَنْ
 يُحَاسَى. وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ إِرَادَةِ وَمَعْرِفَةٍ

وَعَنْ مَعْرُوفِينَ قَالَا أَحْسَنَ الْأَسْتِدْلَالَ الَّذِي يَكُونُ فِي هَذِهِ
 الْأَفْعَالِ (قَالَ) قَالَمَا فِي حُسْنِ قَوَامِ الْأُمُورِ أَلَّتِي تُرَكَّبُ مِنْهَا
 الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ تَرْكِيبُهَا فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا
 كَافِيًا قَالَمَا أَيُّ الْعَادَاتِ هِيَ الْعَادَاتُ الَّتِي يَتَّبِعِي أَنْ تُحَاكِي فِي
 الْمَدْحِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ نَقُولَ فِيهَا فَتَقُولُ إِنَّ الْعَادَاتِ الَّتِي تُحَاكِي عِنْدَ
 الْمَدْحِ الْخَيْرُ أَيْ الَّذِي يُحْسَنُ مَوْضِعُهَا مِنَ السَّامِعِينَ أَرْبَعَةٌ أَحَدُهَا
 الْعَادَاتُ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَفَاضِلَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَدْحِ فَإِنَّ الَّذِي يُؤَيَّرُ
 فِي النَّفْسِ هُوَ مُحَاكَاةُ الْأَشْيَاءِ الْحَقِّ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْمَدْحِ
 وَكُلُّ جِنْسٍ فِيهِ خَيْرٌ مَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ خَيْرًا. وَالثَّانِيَةُ
 أَنْ تَكُونَ الْعَادَاتُ مِنَ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَدْحِ وَتُفْلِحُ لَهُ وَذَلِكَ أَنَّ
 الْعَادَاتِ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَرْأَةِ لَيْسَتْ تَلِيْقُ بِالرَّجُلِ. وَالثَّلَاثَةُ أَنْ تَكُونَ
 مِنَ الْعَادَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوْجَدَ فِيهِ مِنْ
 الشَّيْءِ وَالْمُوافَقَةِ. وَالرَّابِعَةُ أَنْ تَكُونَ مُعْتَدِلَةً مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْأَطْرَافِ
 وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَوَائِدَ الرَّذَلَةَ لَيْسَ بِمَا يُمدَحُ بِهَا
 وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْمَدْحِ وَإِنْ كَانَتْ جَيَادًا وَكَذَلِكَ
 الْعَوَائِدُ اللَّائِنَةُ إِذَا لَمْ تُوْجَدَ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ فِيهَا مِنَ الْمُشَابَهَةِ
 أَوْ لَمْ تُوْجَدَ مُسْتَوَاقَةً وَالْعَوَائِدُ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَتَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ الْخَيْرِ
 الْفَاضِلِ مِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَمِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي
 الْأَشْهُورِ وَمِنْهَا مَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِهَذَيْنِ وَالْعَوَائِدُ الْجَيَادُ أَمَّا حَقِيقَةُ
 وَإِمَّا شَبِيهَةٌ بِالْحَقِيقَةِ وَإِمَّا مَشْهُورَةٌ أَوْ شَبِيهَةٌ بِالشَّهْورَةِ وَكُلُّ

هَذِهِ تَدْخُلُ فِي الْمَذْحِ (قَالَ) وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَوَائِمُ الْأَشْعَارِ
وَالْقَصَائِدِ تَدُلُّ بِإِجْمَالِهَا عَلَى مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ مِنَ الْعَوَائِدِ الَّتِي وَقَعَ
الْمَذْحُ بِهَا كَالْحَالِ فِي حَوَائِمِ الْخُطْبِ وَأَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ لَا يُورِدُ
فِي شِعْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْقَوْلِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَحْتَمِلُهُ
الْخُطَّابُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَنْسَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغُلُوِّ وَالْخُرُوجِ
عَنْ طَرِيقَةِ الشِّعْرِ وَلَا إِلَى التَّفْصِيرِ (قَالَ) وَالنَّشْبَةُ وَالْحَاكَاةُ هِيَ
مَدَامُحُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي فِي غَايَةِ الْقُضِيَّةِ فَكَمَا أَنَّ الْمَصَوِّرَ الْحَاذِقَ
يَصَوِّرُ الشَّيْءَ بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ حَتَّى أَنْهُمْ قَدْ يَصَوِّرُونَ
الْقَضَابَ وَالْكَسَالَى مَعَ أَنَّهَا صِفَاتُ نَفْسَانِيَّةٍ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ الشَّاعِرُ فِي مُحَاكَاةِ يَصَوِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ حَتَّى
يُحَاكِي الْأَخْلَاقَ وَأَحْوَالَ النَّفْسِ وَذَكَرَ مِثَالَ ذَلِكَ فِي شِعْرِ
لَاوِمِيدُوشَ قَالَهُ فِي عِفَّةِ قُضِيَّةٍ عَرَضَتْ لِوَجُلٍ مِنْ هَذَا النَّحْوِ مِنْ
التَّخْيِيلِ أَعْنِي الَّذِي يُحَاكِي حَالَ النَّفْسِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ يَصِفُ
رَسُولَ أَرُومَ الْأَوَّاصِلَ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

أَنَّاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَخْجُرُ عُنْقُهُ وَتَقْدُ تَحْتَ الذَّعْرِ مِنْهُ الْمَاصِلُ
يَقْرُومُ تَقْرِيمُ السِّمَاطِينَ مَشِيَةً إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَقَاكِلُ
(قَالَ) وَيَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يُلْزَمَ فِي تَخْيِيلَاتِهِ وَمُحَاكَاةِ
الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِي النَّشْبَةِ وَالْأَيَّامِ فِي ذَلِكَ
طَرِيقَةُ الشِّعْرِ (قَالَ) وَأَنْوَاعُ الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى هَذَا
النَّحْوِ أَعْنِي مُحَاكَاةَ الْجَارِيَةِ تَجْرِي الْمَجُودَةِ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّاعِيَةِ

أَنوَاعٌ كَثِيرَةٌ فَنَهَا أَنْ تَكُونَ أَلْحَاكَاهُ لِأَشْيَاءَ مَحْسُوسَةٍ بِأَشْيَاءَ
 مَحْسُوسَةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُوقَعَ الشَّكُّ لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا وَتَوْهَمُ أَنَّهَا هِيَ
 لِأَشْتِرَاكِهَا فِي أَحْوَالِ مَحْسُوسَةٍ وَذَلِكَ مِثْلُ تَسْيِيَتِهِمْ لِبَعْضِ
 صُورِ الْكَوَاكِبِ سَرَطَانًا وَبَعْضِهَا ثُمِسِكَ الْحَرَبَةِ لِأَنَّهَا مِنْ جِهَةِ
 الشَّكْلِ يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَهَّمُ مُتَوَهَّمُ أَنَّهَا هِيَ هِيَ. وَجُلُّ تَشْبِيهَاتِ
 الْعَرَبِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوفُ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُمْ
 تَقْتَضِي الشَّكَّ وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّوَهَّمَاتُ أَقْرَبَ إِلَى وَقُوعِ
 الشَّكِّ كَانَتْ أَمَّ تَشْبِيهًا وَكُلَّمَا كَانَتْ أَبْعَدَ مِنْ وَقُوعِ الشَّكِّ
 كَانَتْ أَنْقَصَ تَشْبِيهًا وَهَذِهِ هِيَ الْحَاكَاهُ الْبَعِيدَةُ وَيَبْقَى أَنْ
 تُطْلَحَ ذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِي. الْقَيْسُ فِي الْقَرْسِ :

كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ وَنَوَالٍ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتُ ذَبَابَةٌ مِنْ الْخَضِرِ مَعْمُوسَةٌ فِي الْقُدْرِ
 وَإِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتُ أَنْفِئَةٌ مَلْمَلَةٌ لَيْسَ فِيهَا أَثَرُ
 وَإِنْ كَانَ هَذَا أَقْرَبَ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ فِيهِ مُقَابَلَةً مَا. وَمِنْهَا
 أَنْ تَكُونَ الْحَاكَاهُ لِأُمُورٍ مَعْنَوِيَّةٍ بِأُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ إِذَا كَانَ لِتِلْكَ
 الْأُمُورِ أَفْعَالٌ مُنَاسِبَةٌ لِتِلْكَ الْمَعْنَايِ حَتَّى تُوَهَّمُ أَنَّهَا هِيَ مِثْلُ
 قَوْلِهِمْ فِي الْيَلَّةِ إِنَّهَا طَوَّقُ الْعَنْقِ وَفِي الْإِحْسَانِ قَيْدٌ كَمَا قَالَ أَبُو
 الطَّيِّبِ :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْهُ قَوْلُ إِمْرِئِ الْقَيْسِ:

قَيْدُ الْأَوَايِدِ هَيْكَلُ

وَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ أَيْضًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ وَلَا شَيْءٍ قَيْنَبِي أَنْ
يُطْرَحَ وَهَذَا كَثِيرًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْأَخْدَيْنِ وَبِجَاسَّةٍ فِي شِعْرِ
أَبِي تَمَّامٍ وَمِثْلُ قَوْلِهِ:

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ

فَإِنَّ أَلْمَاءَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِلْمَلَامِ . وَأَنْخَفُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ:

كُتِبَ أَلَمُوتٍ رَأَيْنَا وَحَلِيًّا

وَكَمَا أَنَّ أَلْبَعِيدَ الوجودِ هَاهُنَا مُطْرَحٌ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
التَّشْبِيهُ بِالتَّحْسِينِ الوجودِ مُطْرَحًا أَيْضًا وَأَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ
بِالْأَشْيَاءِ الْفَاضِلَةِ . فَيُقَالُ تَشْبِيهُ الشَّرِيفِ بِالتَّحْسِينِ قَوْلُ الرَّاجِزِ:
وَالشَّمْسُ مَائِلَةٌ وَلَمَّا تَفْعَلُ فَكَأَنَّمَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَدْحُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيونَ أَنَّهُمْ سَتَلَقَاهُمْ يَوْمًا وَتَلَقَى الدُّمُسْتَقَا
وَكَانُوا كِفَارًا وَشَوْشًا خَافَ حَايِلُ وَكَنتَ كَسْتَوِي عَلَيْهِمْ تَسْلَفَا
قَالَ وَهَذَا نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الشِّعْرِ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ فِي بَابِ
التَّضْدِيقِ وَالْإِقْنَاعِ . أُدْخِلَ مِنْهَا فِي بَابِ التَّخْيِيلِ وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى
الْمَثَلَاتِ الْخَطِيئَةِ مِنْهَا إِلَى الْحَاكَاةِ الشَّعْرِيَّةِ وَهَذَا الْجُلُوسُ الَّذِي
ذَكَرَهُ مِنَ الشِّعْرِ هُوَ كَثِيرٌ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ مِثْلُ قَوْلِهِ:

لَيْسَ الشَّكْلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالشَّكْلِ

وَقَوْلِهِ :

فِي طَلَعِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ مِنْ ذُلِّ

وَمِنْ أَحْسَنَ مَا فِي هَذَا أَلْفَنِي قَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ
(قَالَ) وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الْخَمْسَةِ هِيَ الْخَمْسَةُ الَّتِي تَقَعُ

بِالتَّنْكِيرِ وَذَلِكَ أَنْ يُورِدَ الشَّاعِرُ شَيْئًا يُتَذَكَّرُ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ مِثْلَ أَنْ
يَرَى الْإِنْسَانَ حَطًّا إِنْ سَأَلَ فَيَتَذَكَّرُهُ فَيَجِزُّ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مَيِّتًا أَوْ
يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ حَيًّا وَهَذَا مُوجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرًا
مِثْلَ قَوْلِ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ :

وَقَالُوا أَتَسْكِبِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَابِ ثَوَى بَيْنَ الْوَلَى وَالْكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى دَعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ الْجَنْبُونِ :

وَدَاعِ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
فَقَهَّجَ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ وَمَا يَصْدِرِي

دَعَا بِأَسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكُنَّا نَمَا
أَطَارَ يَلِيلِي طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ الْحَفَسَاءِ :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَحْرًا وَادُّكْرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ :

أَبَى الصَّبْرُ إِنِّي لَا يَزَالُ يَهْيِيَنِي مَيِّتٌ لَنَا فِيمَا مَضَى وَمَقِيلٌ
إِذَا مَا يَبَاضُ الصُّبْحُ أَنْتَ ضَوْءُهُ يُكَادُونِي رَجْمٌ عَلَيَّ ثَقِيلٌ
وَهَذَا النَّوعُ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ تَذَكُّرُهَا
الْأَجَبَةُ بِالْأَيَّارِ وَالْأَطْلَالِ كَمَا قَالَ :

فَقَا تَبْلُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَثَلِ
وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ مِنْ
تَذَكُّرِ الْأَجَبَةِ بِالْحَيَالِ وَإِقَامَتِهِ قَامَ الْفُتَيْلِ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ :
وَرَأَيْتُ لَا سَتْفِي وَمَا بِي نَفْسُهُ لَعَلَّ حَيَالًا وَنَسْكَ يَلْقَى خَيَالًا
وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ الْيُوتِ لَعَلِّي أَحَدٌ عَنْكَ النَّفْسُ فِي الْبَسْرِ خَالِيًا
وَتَعْرِفُ الْعَرَبُ وَالْمُحَدِّثِينَ فِي الْحَيَالِ مُتَقِينَ وَأَخَاهُ اسْتَعْمَالَهُمْ
لَهُ كَثِيرَةٌ وَلِذَلِكَ يُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشَّعْرِيَّةِ الْخَاصَّةِ
بِالنَّبِيبِ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الرِّثَاءِ كَمَا قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :

خَلَا نَظْرِي مِنْ طِينِهِ بَعْدَ شَحْصِهِ قِيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ فَقَدْ عَلَيَّ فَقْدُ
(قَالَ) وَأَمَّا النَّوعُ الرَّابِعُ مِنَ الْأَحْكَامَةِ فَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ أَنَّ
شَخْصًا مَا شَبَّهَ بِشَخْصٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ بَيْنَهُ وَهَذَا الشَّيْءُ لَا
يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَلْقِ أَوْ الْخَلْقِ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ جَاءَ شَيْءٌ يُوسُفَ
وَلَمْ يَأْتِ إِلَّا فُلَانٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَانِلًا
وَالْتَضَرِيجُ بِالشَّيْءِ خِلَافُ الشَّيْءِ فَإِنَّ الشَّيْءَ هُوَ إِيقَاعُ شَيْءٍ
وَالْتَضَرِيجُ بِالشَّيْءِ بَيْنَ اثْنَيْنِ هُوَ تَحْقِيقُ لَوْجُودِ الشَّيْءِ وَهُوَ الْقَائِلَةُ فِي

مُطَابَقَةُ الْخَيْلِ أَعْنِي إِذْ قِيلَ شَيْءٌ مُلَانُو (قَالَ) وَالْوَعُ الْخَامِسُ
هُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ السُّوفِسْطَائِيُّونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ الْقَوْلُ الْكَاذِبُ
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَتَّخِذْنِ مِثْلُ قَوْلِ الْمُنَافِقَةِ:
تَقْدُّ السُّلُوقِي الْمُضَاعَفَ تَنْجِيهِ وَتَوْقِدُ بِالضَّفَاحِ نَارَ الْخُبَاجِبِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ:

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ يَحْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُتَرَعُّ بِالذُّكُورِ
وَهَذَا كُلُّهُ كَذِبٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:
عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:
لَوْ أَلْفَاكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتُ سِيزَهُ لَعَوَّعُهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَّارَانِ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:
مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفَ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ

مِنَ الدَّرِّ فَوْقَ الْأَتَبِ مِنْهَا لَا مَرَا
وَهَذَا كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَلَيْسَ تَجِدُ فِي
الْكِتَابِ الْغَرِيزِ وَنَحْوِ شَيْءٍ إِذَا كَانَ يَتَنَزَّلُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنْ
الْقَوْلِ أَعْنِي الشُّعْرَ مَثَلُهُ الْكَلَامُ السُّوفِسْطَائِيُّ مِنَ الْبُزْهَانِ
وَلَكِنْ قَدْ يُوجَدُ لِلْمَطْبُوعِ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُ شَيْءٌ مَحْمُودٌ مِثْلُ قَوْلِ
الَّتَنِّي:

وَأَنِّي أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنْتُ مِنْ بَرْتٍ فِيهَا الْقَسَاطِلُ

وَمِنْ أَيِّ مَاءٍ كَانَ يَنْتَقِي حَيَّادُهُ
وَلَمْ تَصِفْ مِنْ مَرْجِ الدِّمَاءِ الْمَاهِلُ
وَقَوْلِهِ :

لَيْسَ الْوُشْيَ لَا مُتَجَيَّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصْنُ بِهِ الْجَمَالَ
وَصَفَرْنَ الْقَدَارَ لَا لِحْسَنِ وَلَكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعْرِ الْخِلَالَ
وَهَاهُنَا مَوْضِعُ سَادِسٍ مَشْهُورٍ يَسْتَعْمِلُهُ الْعَرَبُ وَهُوَ إِقَامَةُ
الْجَمَادَاتِ مُقَامَ النَّاطِقِينَ فِي مُحَاطَتِهِمْ وَمُرَاجَعَتِهِمْ إِذَا كَانَتْ فِيهَا
أَحْوَالٌ تَدُلُّ عَلَى النُّطْقِ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَاذِلَا رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتَنِي
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ حَوَالِكَ فِي أَمْنٍ وَخَفَضَ رَمَانُ
فَقَالَ مَضَوْا وَأَسْتَدْعُوْنِي بِلَادِهِمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدِّ ثَانِي
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ مُحَاطَتِهِمُ الدِّيَارَ وَالْأَطْلَالَ وَمُجَابَتِهَا لَهُمْ
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبَتْهُ تُكَلِّمُنِي أَخْبَارُهُ وَمَلَأَتْهُ
وَقَوْلِ عَنَذَرَةَ :

أَفْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمَ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْإِنْعَمِ
يَا دَارَ عَبَّةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَيَعْنِي صَبَاحًا دَارَ عَبَّةَ وَأَسْأَلُنِي
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يُشِبُّ هَذَا بِمَا هُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ
هَذَا الْوَضْعَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ وَذَكَرَ أَنَّ لُؤْمِيْرُوشَ كَانَ يَسْتَعْمِدُهُ
كَثِيرًا (قَالَ) وَالْإِسْتِدْلَالُ الْفَاضِلُ وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَفْعَالِ

الْإِرَادِيَّةَ وَآخَرُهُ مَا يُوجَدُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ فِي الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ أَغْنِي فِي مَدْحِ الْأَفْعَالِ الْقَاضِيَةِ وَذَمِّ الْأَفْعَالِ الْقَصِيرِ قَاضِيَةً
وَهُوَ قَلِيلٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ. وَمِثَالُ الْإِدَارَةِ فِي الْمَدْحِ قَوْلُ
الْقُرْآنِ : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً إِلَى قَوْلِهِ : مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .
وَمِثَالُ الْإِسْتِدْلَالِ . قَوْلُهُ : كَيْفَ حَبَّةُ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ الْآيَةِ .
(قَالَ) وَاجَادَةُ الْقَصَصِ الشَّعْرِيِّ وَالْبَاوُعُ بِهِ إِلَى غَايَةِ الْقَتَامِ .
إِنَّمَا يَكُونُ مَتَى بَلَغَ الشَّاعِرُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ أَوْ الْقَضِيَّةِ
الْوَاقِعَةِ الَّتِي يَصِفُهَا مَبْلَغًا يُرِي السَّامِعِينَ لَهُ كَأَنَّهُ مُحْسُوسٌ وَمَنْظُورٌ
إِلَيْهِ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا صِدْهُ غَيْرَ ذَاهِبٍ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَصْفِ
وَهَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا فِي شِعْرِ الْخَوْلِ وَالْمُفْلِقِينَ مِنَ الشَّعْرَاءِ لَكِنْ إِنَّمَا
يُجَدُّ هَذَا الْخَوْرُ مِنَ التَّخْيِيلِ لِلْعَرَبِ إِمَّا فِي أَفْعَالٍ غَيْرِ عَظِيمَةٍ وَإِمَّا
فِيمَا الْقَصْدُ مِنْهُ مُطَابَقَةُ التَّخْيِيلِ فَقَطْ بِفَتْحٍ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي
الْفُجُورِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ أَلْمَاءٍ حَالًا عَلَى حَالٍ
فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتُ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهُ أَبْرَحَ قَائِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْيِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
وَمِثَالُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ يَمَّا الْقَصْدُ بِهِ مُطَابَقَةُ التَّشْبِيهِ فَقَطْ
قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ النَّارَ :

وَيَسْطُرُ صَمَيْنَ إِلَيْكَ عَاوَزَتْ ضَحِيَّتِي

أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْفِعِهَا وَصُورًا

قُلْتُ لَهَا أَرْفَعُهَا إِلَيْكَ وَأَخِيهَا
 بِرُوحِكَ وَأَقْتَسُهُ لَهَا قَتَّةً قَدَرًا
 وَظَاهِرًا لَهَا مِنْ يَابِسِ الثَّخْتِ وَأَسْتَعِينَ
 عَلَيْهَا الصَّبَا وَأَجْعَلَ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرًا
 وَقَدْ يُوجَدُ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي وَحْفِ الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ مِثْلُ
 الْحُرُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتِمُّدُونَ بِهِ وَالْتَمَسِي أَفْضَلَ مَنْ يُوجَدُ لَهُ
 هَذَا الصِّنْفُ مِنَ التَّخْيِيلِ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِ وَلِذَلِكَ يُحْكِي عَنْهُ
 أَنَّهُ كَانَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصِفَ الْوَاقِعَ الَّتِي لَمْ يَشْهَدْهَا مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ
 وَاجَادَةُ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ يَتَأْتِي بِأَنْ يُخْضَلَ لِلْإِنْسَانِ أَوَّلًا بِجَمِيعِ
 أَلْعَانِي الَّتِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَقْصِدُ وَصْفَهُ ثُمَّ يَرْكَبُ عَلَى تِلْكَ
 أَلْعَانِي الْأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ أَعْنِي التَّخْيِيلَ وَالْوُزْنَ
 وَاللَّحْنَ (قَالَ) وَتَعْدِيدُ مَوَاضِعِ الْأَسْتِدْلَالَاتِ مِمَّا يَطُولُ وَإِنَّمَا
 أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى كَثَرَتِهَا وَاخْتِلَافِ الْأَنَظْمِ فِيهَا (قَالَ) وَكُلُّ مَدِيحٍ
 يَفْتَنُهُ مَا فِيهِ رِبَاطٌ بَيْنَ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا فِيهِ حُلٌّ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ
 أَقْرَبَ الْأَنْشَاءِ شَبْهًا بِالرِّبَاطِ الْمَوْجُودِ فِي أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي
 يُسَمَّى عِنْدَنَا الْأَسْتَطْرَادَ وَهُوَ رِبْطُ جُزْءِ النَّسِيبِ بِالْجُمْلَةِ صَدْرُ
 الْقَصِيدَةِ بِالْجُزْءِ الدِّيَمِجِيِّ. وَالْحُلُّ تَفْصِيلُ الْجُزْئَيْنِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ
 أَيِ يُوْتَى بِهِمَا مُفَصَّلًا. وَكَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرِّبَاطُ فِي أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ
 وَذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

عَامِي وَعَامِ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيَمَةٍ مَسْجُورَةٍ وَتَنُوقَةٍ صَيَّوِدٍ

حَتَّى تُغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ
لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ
هَيَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مُخْمُودَةٌ
حَتَّى تُنَاقِ بِأَحْمَدَ الْحُمُودِ
وَكَقُولِ أَبِي الطَّيِّبِ:

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِيهَا فَقُلْتُ لَهَا

مِنْ أَيْنَ جَالَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا

فَأَسْتَضْحَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلَيْسَ يُرَى

لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انْتَسَبَا

وَأَمَّا أَحَلُّ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُ قَوْلِ زُهَيْرٍ:

دَعَا دَا وَعَدَى الْقَوْلُ فِي هَرَمٍ

(قَالَ) وَأَنْوَاعُ الْمَدَائِحِ أَرْبَعَةٌ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا بَسِيطَةٌ وَهِيَ الَّتِي

تَقْدَمُ أَحَدُهَا الْأَدَارَةُ. وَالثَّانِي الْأَسْتِذْلَالُ. وَالثَّلَاثُ الْأَنْفِعَالُ

(قَالَ) مِثْلُ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِ النِّجِيمِ فَإِنَّ هَذِهِ مُخْرَجَةٌ مُفْرَعَةٌ.

وَالرَّابِعُ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَذِهِ أَمَّا مِنْ ثَلَاثَتِهَا وَأَمَّا مِنْ اثْنَيْنِ مِنْهَا

وَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ أَمْثَالَ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْمَدَائِحِ الْأَرْبَعَةِ بِالْفِعْلِ

الْأَرَادِي الْقَاضِلِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ

فِي الْكِتَابِ الْفَرِيدِ كَثِيرًا (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُجِيدُ الْقَوْلَ

فِي الْقَصَائِدِ الْمَطُولَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيدُ الْأَشْعَارَ الْقَصَارَ وَالْقَصَائِدَ

الْقَصِيرَةَ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا الْمُقْطَعَاتِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا

كَانَ الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ هُوَ الَّذِي يَصِفُ كُلَّ شَيْءٍ بِمُجَوَّاهِهِ وَعَلَى كُنْهِهِ

وَكُنَاتِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَحْتَلِفُ بِالْكَثَرَةِ وَالْقَلَّةِ فِي شَيْءٍ شَيْءٍ مِنْ

الْأَشْيَاءَ الْمَوْصُوفَةَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ التَّخْيِيلُ الْفَاعِلُ هُوَ الَّذِي لَا
يَتَجَارَدُ خَوَاصَّ الشَّيْءِ وَلَا حَقِيقَتَهَا فَمَنْ النَّاسِ مَنْ لَقَدْ اعْتَادَ أَوْ مَنْ
فِطْرَتُهُ مُعَدَّةٌ تَحْوِ تَخْيِيلَ الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةَ الْخَوَاصَّ فَهَؤُلَاءِ تَجُودُ
أَشْعَارُهُمْ فِي الْمَقْطَعَاتِ وَلَا تَجُودُ فِي الْقَصَائِدِ وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ هُوَ
عَلَى ضِدِّ هَؤُلَاءِ وَهُمْ الْمُقَصِّدُونَ كَالْمُتَنَبِّئِ وَحَبِيبٍ وَهُمْ الَّذِينَ
اعْتَادُوا الْقَوْلَ فِي الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الْخَوَاصَّ أَوْ هُمْ يَنْطَرِفُهُمْ مُعَدُونَ
لِحَاكَاثَتِهَا أَوْ اجْتَمَعَ لَهُمُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا (قَالَ) وَمِنْ التَّخْيِيلَاتِ وَالْعَلَامِي
مَا يُنَاسِبُ الْأَوْرَاقَ الطَّوِيلَةَ وَمِنْهَا مَا يُنَاسِبُ الْقَصِيرَةَ وَرَبَّمَا كَانَ
الْوَزْنُ مُنَاسِبًا لِلْمَعْنَى غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلتَّخْيِيلِ وَرَبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ
بِالْعَكْسِ وَرَبَّمَا كَانَ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِكِلَيْهِمَا وَآمِثَةٌ هَذِهِ بِمَا يَفْسُرُ
وُجُودَهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَوْ تَكُونُ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ فِيهَا إِذَا
أَعَارِضُهُمْ قَلِيلَةُ الْقَدْرِ (قَالَ) وَقَدْ يُضَافُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا قِيَامُ
الْأَشْعَارِ أُمُورٌ مِنْ خَارِجٍ وَهِيَ الْهَيْئَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي صَوْتِ الشَّاعِرِ
وَصُورَتِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَكَثُرَ مَا تَوَجَّدَ هَذِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُسْتَعْمِلِينَ
لَهَا فِي الْأَشْعَارِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ مِثْلُ الَّتِي تُقَالُ فِي أَهْلِ الْجَحِيمِ وَغَيْرِهِمْ
وَلَا كُنَّا قَدْ قُلْنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ
أَجْزَاؤها بِالْحَقِيقَةِ فَقَدْ يَتَبَيَّنُ أَنْ نَقُولَ فِي هَذِهِ أَيْضًا فَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ
الْأَفْعَالُ بِالْجُمْلَةِ هِيَ الَّتِي تُدَلُّ عَلَيْهَا الْأَقْوَالُ الَّتِي تُسَمَّى الْإِنْفِعَالِيَّةِ
وَلِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ إِذَا اسْتَعْمِلْتَ هَذِهِ أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَعَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ. وَذَلِكَ
أَنَّ هَذِهِ تَرِي الْإِنْفِعَالَ الَّذِي يُقْصَدُ بِالْقَوْلِ تَشْبِيهُهُ كَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ

وَأَسْتَقِنَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ الْخَطْبِيَّةُ
وَضُرُوبُ الْإِنْفِعَالَاتِ الَّتِي تَفْعَلُهَا هَذِهِ الْأَقَاوِيلُ وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ
الْأَفْعَالُ أَحْصَى بِكِتَابِ الْخَطَابَةِ مِنْهَا بِكِتَابِ الشِّعْرِ. وَالْإِنْفِعَالَاتِ الَّتِي
تُثَبَّتُ بِالْقَوْلِ الْخَطْبِيِّ أَوِ الشِّعْرِيِّ هِيَ الْخَوْفُ وَالْقَضْبُ وَالرَّحْمَةُ وَالْتَعْظِيمُ
وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عُدَّتْ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ
هَـ هُنَا أَقْوَالًا تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفِعَالَاتِ كَذَلِكَ هَـ هُنَا هَيْئَاتٌ وَاشْكَالٌ
تَدُلُّ مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ عَلَى حُضُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفِعَالَاتِ
وَأَنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ لَوْ قُوعَ الْأَشْيَاءِ أَتَمَّاءَةً لَهَا فَيَنْفَعِلُ لَذَلِكَ النَّاطِلُ هَـ فَهَذِهِ
الصُّورُ وَالْهَيْئَاتُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الشِّعْرِ إِنْ أُسْتَعْمِلَتْ مَعَ
الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي التَّعْظِيمِ وَإِمَّا فِي التَّضْغِيرِ
وَإِمَّا فِي الْأَشْيَاءِ الْخُزْنَةِ الْخُجُوفَةِ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ عَلَى مَا سَلَفَ. وَإِنَّمَا
تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ مَعَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ صَادِقَةً أَعْنِي الَّتِي
لَيْسَتْ هِيَ ظَاهِرَةُ الْخَيْلِ. وَإِنَّمَا الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفِعَالِيَّةُ الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةُ
الْخَيْلِ وَمُنَاسِبَةٌ لِلْغَرَضِ الْمَقُولِ فِيهِ وَهِيَ حَقٌّ فَلَيْسَ يَحْتَاجُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ
فِيهَا هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ فَلَانْهَا تَهْجُهَا إِذْ كَانَتْ هَذِهِ إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ
فِي الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تَضَعُفُ أَنْ تَفْعَلَ مَا قَصِدَ بِهَا إِلَّا بِأَقْرَابِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
بِهَا وَهِيَ الْأَقَاوِيلُ الشِّعْرِيَّةُ فَإِنَّ الْقَائِلَ مِنَ الْقُعْمَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرِ يَخْضَرُ الْمَلَأُ بْنُ أَهْلِ قُوْطْبَةَ يُحَرِّضُهُ عَلَى حَسَدَايَ الْيَهُودِيِّ:
إِنَّ الَّذِي شَرَفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا إِنَّهُ كَاذِبٌ

لَمْ يَخْتِجْ فِي انْضَابِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَإِنْ
كَانَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ سَبْتِهِ وَهَيْئَتِهِ لِكُونَ هَذَا الْقَوْلِ حَقًّا فَلِذَلِكَ لَا
يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا إِذَا كَانَتْ لَيْسَتْ إِنَّمَا هِيَ فَضْلٌ قَطْعٌ بَلْ
وَقَدْ تَهَيَّنَ الْقَوْلَ وَالْقَائِلَ إِذَا كَانَ بِالسَّنَةِ وَالْوَقَارِ (قَالَ) وَقَدْ
يَكْتَفِي الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْكَالِ الْخَاصَّةِ بِصَنْفٍ مِنْ
مِنْ أَصْنَافِ الْأَقَاوِيلِ وَذَلِكَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ
يَسْتَعْمِلُونَ الْأَخَذَ بِالْوُجُوهِ. وَأَعْنِي بِأَشْكَالِ الْقَوْلِ شَكْلَ الْخَبَرِ
وَشَكْلَ السُّؤَالِ وَشَكْلَ الْأَمْرِ وَشَكْلَ التَّنْضِيعِ وَذَلِكَ أَنَّ
شَكْلَ الْخَبَرِ غَيْرُ شَكْلِ السَّائِلِ وَشَكْلُ الْأَمْرِ غَيْرُ شَكْلِ
الطَّالِبِ أَوْ التَّنْضِيعِ فَالشَّاعِرُ قَدْ يَكْتَفِي بِأَشْكَالِ الْأَقَاوِيلِ عَنْ
سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهَا تَهَيُّنُ
الْأَقَاوِيلِ الشِّعْرِيَّةِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تُجْعَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ
وَأِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تُجْعَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ أُخْرَى

البحث السابع

في اسطقات الاقاويل الشعرية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَالْأَسْمَاءُ صِنْفَانِ إِمَّا بَسِيطٌ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ هُوَ
مُرَكَّبًا مِنْ أَسْمَاءٍ تَدُلُّ وَإِمَّا مُضَاعَفٌ وَهُوَ الَّذِي يُرَكَّبُ مِنْ أَسْمَاءٍ
تَدُلُّ وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ يُقْصَدُ بِهِ تَنْسِيَةُ شَيْءٍ وَاجِدٌ لَا

تَدُلُّ تِلْكَ الْأَنَاءَ الَّتِي رَكِبَ مِنْهَا مِثْلُ عَبْدِ شَمْسٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ
 (قَالَ) وَكُلُّ أَسْمٍ فَهُوَ أَمَّا حَقِيقَتُهُ وَأَمَّا دَخِيلٌ فِي اللِّسَانِ
 وَأَمَّا تَقُولُ نَادِرُ الْأَسْتِعْمَالِ وَأَمَّا مُزَيْنٌ وَأَمَّا مَعْمُولٌ وَأَمَّا مَعْقُولٌ
 وَأَمَّا مُقَارِقٌ وَأَمَّا مُقَيَّرٌ. فَالْحَقِيقَةُ هُوَ الْأَنَمُ الَّذِي يَكُونُ خَاصًّا
 بِأُمَّةٍ أُمَّةٍ وَالدَّخِيلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِأُمَّةٍ أُخْرَى فَيَدْخُلُهُ
 الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَسْتَبْرَقِ وَالْمَشْكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَنَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ الدَّخِيلَةِ فِي لِسَانِ
 الْمَنْقُولِ فَهُوَ تَقَالُ أَسْمٌ غَرِيبٌ أَمَّا مِنَ النَّوعِ إِلَى الْجِنْسِ وَمِثْلُ
 تَنْسِيَةِ الْقَتْلِ فَهُوَ تَقَالُ أَمَّا مِنَ الْجِنْسِ إِلَى النَّوعِ مِثْلُ تَنْسِيَةِ الثُّغْلَةِ
 حَرَكَةً وَأَمَّا مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِثْلُ تَنْسِيَةِ الْحَيَاةِ سِرَّةً
 وَأَمَّا أَنْ يُنْقَلَ شَيْءٌ مَنُوبٌ إِلَى ثَانٍ إِلَى شَيْءٍ ثَالِثٍ مَنُوبٌ إِلَى
 رَابِعٍ مِثْلُ نِسْبَةِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي مِثْلُ مَا كَانَ يُسَمَّى بَعْضُ
 الْقَدَمَاءِ الشَّجْوَحَةَ عَشِيَّةَ الْعَمْرِ وَيُسَمَّى الْعَشِيَّةَ شَجْوَحَةَ النَّهَارِ وَذَلِكَ
 أَنَّ نِسْبَةَ الشَّجْوَحَةِ إِلَى الْعَمْرِ نِسْبَةُ الْعَشِيَّةِ إِلَى النَّهَارِ وَأَمَّا
 الْأَنَمُ الْمَعْمُولُ الْمُرْجَلُ فَهُوَ الْأَنَمُ الَّذِي يَخْتَرَعُهُ الشَّاعِرُ اخْتِرَاعًا
 وَيَكُونُ هُوَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي أَشْعَارِ
 الْعَرَبِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الصَّنَائِعِ النَّاشِئَةِ وَكَثُرَ مَا فِي الصَّنَائِعِ
 هُوَ مَنْقُولٌ لَا مَعْمُولٌ مُخْتَرَعٌ وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُخْدَتُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى طَرِيقِ الْأَسْتِعَارَةِ أَعْنِي الْمَنْقُولِ إِلَى الصَّنَائِعِ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي
 الطَّيِّبِ:

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَضْلًا مُضَارِعًا

مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَائِزُ

وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلُوا تَضْرِيحًا لَمْ يُسْتَعْمَلْ قَبْلُ مِثْلُ قَوْلِهِ :

تَفَاوَحَ مِنْكَ الْقَالِيَاتِ وَرَنَدَهُ

وَأَمَّا الْفَارَقُ وَالْمَقُولُ فَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ . وَالْمَرْيَنَةُ

هِيَ أَسْمَاءُ كَانَتْ تُجْعَلُ بَعْضُ أَجْزَائِهَا تَعْمًا قَدَرَيْنِ بِهَا وَقَدْ قِيلَ

أَنَّهُ يَعْنِي بِالْفَارَقِ الْأَسْمَاءُ الْمَقْصُورَةُ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا وَالنَّقْصَانُ مِنْهَا

وَالْحَذْفُ أَوْ الْقَلْبُ وَقِيلَ بَلْ يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَسْرُ الْتَطْلُقُ

بِهَا وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ أَسْمُ كَانَ يُؤَلَّفُ عِنْدَهُمْ مِنْ مَقَاطِعَ مُحَدَّوْدَةٍ

وَالْأَسْمُ الْمَقُولُ فَإِنَّهُ فِيمَا أَحْسِبُ الَّذِي سَمَاهُ الْمُخْتَلَفَ وَظَاهِرُ

كَلَامِهِ أَنَّهُ الْإِسْمُ الْمُحْدَوْفُ بِالنَّقْصَانِ مِثْلُ الْأَسْمَاءِ الْمُرْجَمَةِ عِنْدَنَا

وَأَمَّا الْمَعْبَرَةُ فَهِيَ الْمُسْتَعَارَةُ الَّتِي تُسْتَعَارُ أَمَّا مِنَ الشَّيْءِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ

الْكُوكَبَ نَسْرًا وَأَمَّا مِنَ الضَّيْدِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ الشَّمْسَ جَوْنَةً وَأَمَّا

مِنَ اللَّازِمِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ الشَّحْمَ نَدًا وَالْمَطَرَ سَاءً (قَالَ) وَأَفْضَلُ

الْقَوْلِ فِي التَّفْهِيمِ إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ الشَّهِيرُ الْمُبْتَدَلُ الَّذِي لَا يُخْفَى

عَلَى أَحَدٍ وَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ إِنَّمَا تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الشَّهِيرَةِ

الْمُبْتَدَلَةِ وَهِيَ الَّتِي سَمَاهَا فِي مَا قَبْلُ الْحَقِيقَةُ وَتُسَمَّى الْمُسْتَوَلِيَّةُ

وَالْأَهْلِيَّةُ (قَالَ) وَذَلِكَ مِثْلُ شَجَرِ فَلَانٍ وَفُلَانٍ لِقَوْمٍ مَشْهُورِينَ

عِنْدَهُمْ . وَيَتَّبِعِي أَن تَتَفَقَّدَ مِنَ الْقَالِبِ عَلَى أَشْعَارِهِ هَذَا التَّنَوُّعُ مِنْ

الْأَلْفَافِ مِنْ شِعْرَاءِ الْعَرَبِ (قَالَ) وَالْأَقَاوِيلُ الْعَظِيمَةُ الْمَدِيحَةُ

فهي الأقاويل التي تؤلف من الأسماء المبتدلة ومن الأسماء
الآخر أعني المنقولة القرية الغيرة واللغوية لأنه متى ترمى
الشعر كله من الألفاظ الحقيقة المستولية كان رمزاً ولغزاً
ولذلك كانت الألفاظ والرموز هي التي تؤلف من الأسماء
القرية أعني بالقرية المنقول المستعار والمشارك واللغوي. والرمز
واللغز هو القول الذي يشتل على معاني لا يمكن أو يفسر
اتصال تلك المعاني التي يشتل عليها بعضاً ببعض حتى يطابق
بذلك أحد الموجودات. ويكون إما بحسب الألفاظ المشهورة
فأتصال تلك المعاني بعضها ببعض غير ممكن وإما بحسب
الألفاظ الغير المشهورة فمن ذلك كثير في شعر ذي الرمة
من شعراء العرب. وفيه القول الشعري العففي أن يكون مؤلفاً
من الأسماء المستولية من تلك الأنواع الآخر وأن يكون الشاعر
حيث يريد الأيضاح يأتي بالأسماء المستولية وحيث يريد التلجب
والإلذاذ يأتي بالصنف الآخر من الأسماء ولذلك قد يتضح
بمن يريد الأيضاح فيأتي بالأسماء المشتركة أو القرية أو الألسن
أو المفعولات ويتضح أيضاً بمن يريد التلجب والإلذاذ فيأتي
بالأسماء المبتدلة وكان الشاعر يحب له ألا يفرط في استعمال
الأسماء الغير المستولية فيخرج إلى حد الرمز ولا أيضاً يفرط
في الأسماء المستولية فيخرج عن طريقة الشعر إلى الكلام
المستعار (قال) وأما موافقة الألفاظ بعضها لبعض في المقدار

وَمَادَّةُ أَلْمَعْنَى بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَمَوَازِنُهَا فَا مَرَّحِبُ أَنْ يَكُونَ
عَامًّا وَمَشْتَرَكًا لِجَمِيعِ أَلَلْفَظِ أَلَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ أَلْقَوْلِ أَلشِّعْرِيِّ
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ أَلشُّعْرَاءَ وَإِنْ أَسْتَعْمَلُوا أَلَلْفَظَ أَلْحَقِيقِيَّةَ فِي أَلْمَوَاضِعِ
أَلَّتِي يَزُأْسُهُمْ فِي أَسْتِعْمَالِهَا لَيْسَ يَخْلُو شِعْرُهُمْ مِنْ هَذَيْنِ
أَلْأَمْرَيْنِ أَعْنِي مِنْ أَلْمَوَازِنَةِ وَأَلْمُوَافَقَةِ فِي أَلْقَدَارِ وَلَكِنْ كَانَ
هَذَا عَامًّا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ أَلشِّعْرِ. وَلَمَّا أَلأَشْعَارُ أَلَّتِي تَأْتِلِفُ مِنْ أَلأَسْمَاءِ
أَلْمُخْتَلِفَةِ فَوْجُودُ هَذَا أَلْمَعْنَى فِيهَا آيِينَ وَمُوَافَقَةُ أَلَلْفَظِ أَلَّتِي ذَكَرَ فِي
أَلْقَدَارِ هِيَ مُقَارَنَةُ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ فِي عَدَدِ أَلْحُرُوفِ وَإِنْ وَافَقَتْ
مَعَ هَذَا فِي كُلِّ أَللَّفْظِ أَوْ فِي بَعْضِ أَللَّفْظِ فَهُوَ أَلَّذِي يُعْرَفُ
بِأَلطَّبَاقَةِ وَأَلْمُجَاسَمَةِ عِنْدَ أَهْلِ زَهْنَانَا. وَأَلْمُوَافَقَةُ أَخَاهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ
لَا يَخْلُو أَلْمُوَافَقَةُ أَنْ تَكُونَ فِي كُلِّ أَللَّفْظِ وَكُلِّ أَلْمَعْنَى وَهَذَا مِثْلُ
قَوْلِ أَلشَّاعِرِ :

لَا أَرَى أَلْمَوْتَ يَسْتَقُ أَلْمَوْتَ شَيْءٌ

وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ طَوِيلُ أَلْيَحَادِ طَوِيلُ أَلْعِيَادِ. أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي
بَعْضِ أَللَّفْظِ وَبَعْضِ أَلْمَعْنَى أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي بَعْضِ أَللَّفْظِ وَكُلِّ أَلْمَعْنَى
أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ أَللَّفْظِ وَبَعْضِ أَلْمَعْنَى أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ
أَللَّفْظِ قَطُّ أَوْ فِي بَعْضِ أَللَّفْظِ قَطُّ أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ أَلْمَعْنَى
قَطُّ أَوْ فِي بَعْضِ أَلْمَعْنَى فَتَأَلُ أَلْمُوَافَقَةُ فِي بَعْضِ أَللَّفْظِ
وَبَعْضِ أَلْمَعْنَى أَلأَسْمَاءِ أَلْمُشْتَمَّةِ مِنْ تَصْرِيفِ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ
أَلنَّبِيِّ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَامُ

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَمِثَالُ الْمَوَاقِفَةِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَكُلُّ الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ دَرَجَتُهُمْ
ضَرْبُ الْأَمِيرِ وَمَضْرُوبُ الْأَمِيرِ. وَمِثَالُ عَكْسِ هَذَا أَغْنِي فِي كُلِّ
الْأَلْفِظِ وَبَعْضُ الْمَعْنَى الْأَسْمَاءُ الْمُشْكِكَةُ وَالشُّعْرَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا
وَمِثَالُ الْمَوَاقِفَةِ فِي كُلِّ الْأَلْفِظِ فَقَطِ الْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرِكَةُ مِثْلُ قَوْلِ
الْمَعْرِيِّ :

مَعَانُ مِنْ أَحْيَيْنَا سَعَانُ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

فَوَئِدُكَ مُغْتَالٌ وَطَرْفُكَ مُغْتَالٌ

وَمِثَالُ الْمُتَقَفَّةِ فِي بَعْضِ الْأَلْفِظِ فَقَطِ قَوْلُ حَبِيبِ :

مَا أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةٍ بِذَاهِلِ

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْحَوْلِ

وَهَذَا كُأُهُ فِي لَفْظِ الْعَرَبِ مِثْلُ الضَّرْبِ وَالضَّرْبِ وَالْحَمْلِ
وَالْحَمْلِ وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَشَرَقَتْ. وَمِثَالُ الْمَوَاقِفَةِ فِي كُلِّ الْمَعْنَى
فَقَطِ الْأَسْمَاءُ الْمُتَرَادِفَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ أَقْوَى وَأَفْقَرُ. وَمِثَالُ الْمُتَقَفَّةِ فِي
بَعْضِ الْمَعْنَى فَقَطِ الْأَسْمَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي تَدُلُّ مِنْ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ
عَلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِثْلُ الصَّارِمِ وَالذَّكَرِ. وَالْقَوَائِي عِنْدَ الْعَرَبِ
هِيَ مُوَاقِفَةٌ فِي الْمَقْدَارِ وَفِي بَعْضِ الْأَلْفِظِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ

وَهُوَ الْآخِرُ وَمَا فِي حَرْفَيْنِ وَهُوَ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْمُخَدُّونَ بِالزُّومِ وَمَا
 أَلُوذَتُهُ فِي أَجْزَاءِ الْقَوْلِ فَهِيَ عَلَى اتِّحَاءِ أَرْبَعَةٍ أَحَدُهَا أَنْ يَأْتِيَ
 الشَّاعِرُ بِالشَّيْءِ وَشَبِيهِهِ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ أَوْ يَأْتِيَ بِالْأَضْدَادِ مِثْلَ
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ يَأْتِيَ بِالشَّيْءِ وَمَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ الْقَوْسِ
 وَالسَّهْمِ وَالْفَرَسِ وَالْبَعْلِ أَوْ يَأْتِيَ بِالْأَشْيَاءِ الْمُنَاسِبَةِ مِثْلُ أَلَلِكِ
 وَالْأَلَاهِ وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ. وَفِي هَذَا أَلْبَابِ
 عِيبَ عَلَى الْكَيْتِ:

تَكَامَلَ فِيهِ الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

لِأَنَّ الدَّلَّ غَيْرُ شَيْءٍ بِالشَّنْبِ. وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَالَ بَعْضُهُمْ
 فِي قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ:

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا لِلذَّيِّ وَلَمْ أَعْرِفْ كَلَاءِبَاتَ حُخَالٍ
 وَلَمْ أَسْلَمْ الزُّرْقَ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي كَرِيكَرَةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
 إِنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ وَإِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ هُوَ عَكْسُ مَا فَعَلَ أَغْنِي
 أَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صَدْرُ الثَّانِي وَصَدْرُ الثَّانِي صَدْرُ
 الْأَوَّلِ وَمِثْلُ هَذَا قِيلَ فِي قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوْ أَقْبَى

كَأَنَّكَ فِي جَفَنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

تُرْمِ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً

وَوَجْهَكَ وَصَاحَ وَتَشْرَكَ بِأَيْمٍ

إِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لِلثَّانِي وَصَدْرُ

الثَّانِي لِلأَوَّلِ وَمَا قَالَهُ أَبُو الطَّيِّبِ لَهُ وَجْهٌ مِنَ التَّنَاسُبِ وَكَذَلِكَ مَا
قَالَهُ أَمْرُوهُ الْقَلْبِسِر (قَالَ) وَالْقَوْلُ إِنَّمَا يَكُونُ مُخْتَلِفًا أَيْ مُغَيَّرًا عَنْ
الْقَوْلِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ حَيْثُ تَوَضَّعُ فِيهِ الْأَسْمَاءُ مُتَوَافِقَةً فِي الْمَوَازِنَةِ
وَالْمِثْلَادَارِ وَبِالْأَسْمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّغْيِيرِ. وَقَدْ
يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ الشِّعْرِيَّ هُوَ الْمَغْيَرُ أَنَّهُ إِذَا غَيَّرَ الْقَوْلُ
الْحَقِيقِيُّ سَمِيَّ شِعْرًا أَوْ قَوْلًا شِعْرِيًّا وَوَجَدَ لَهُ فِعْلُ الشِّعْرِ مِثْلُ ذَلِكَ
قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَلَا قَضِيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَتَسَمَّحَ بِالْأَذْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَمَحُ
أَخَذْنَا بِأُطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطِيَّةِ الْأَبَاطِحُ
إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ قَوْلَهُ:
أَخَذْنَا بِأُطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطِيَّةِ الْأَبَاطِحُ
بَدَلَ قَوْلِهِ تَحَدَّثْنَا وَمَشَيْنَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقَرْطِ
إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا لِأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ هَذَا الْقَوْلَ بَدَلَ قَوْلِهِ طَوِيلَةُ
الْعُنُقِ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ:

يَا دَارُ أَيْنَ ظَبَاؤُكِ اللَّعْسُ قَدْ سَكَنَ لِي فِي إِنْسِيهَا أَنْسُ
إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا لِأَنَّهُ أَقَامَ الدَّارَ مُقَامَ النَّاطِقِ الْمُخَاطَبَةِ وَأَبْدَلَ
لَفْظَ الْإِنْسَاءِ بِالظَّبَاءِ وَآتَى مُوَافَقَةَ الْإِنْسِ وَالْأَنْسِ فِي اللَّفْظِ وَأَنْتَ
إِذَا تَأَمَّلْتَ الْأَشْعَارَ الْمُحَرَّكَ وَجَدْتَهَا بِهَذِهِ الْحَالِ. وَمَا عَدَا هَذِهِ
التَّغْيِيرَاتِ قَلْبِسٌ فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشِّعْرِيَّةِ إِلَّا الْوُزْنُ فَقَطْ وَالتَّغْيِيرَاتُ

تَكُونُ بِالْمَوَازَنَةِ وَالْمَوَازَنَةُ وَالْإِبْدَالِ وَالْقَشِيهِ وَالْجُمْلَةُ بِإِخْرَاجِ الْقَوْلِ
 غَيْرِ مُخْرِجِ الْعَادَةِ مِثْلُ الْقَلْبِ وَالْحَذْفِ وَالزِّيَادَةِ وَالْثَقَانِ وَالْتَقْدِيمِ
 وَالتَّأْخِيرِ وَتَغْيِيرِ الْقَوْلِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ وَمِنَ السَّلْبِ إِلَى
 الْإِيجَابِ وَالْجُمْلَةِ مِنَ الْقَائِلِ إِلَى الْمُقَابِلِ وَالْجُمْلَةِ بِجَمْعِ
 الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا عَجَازًا فَالْحَذْفُ مِثْلُ قَوْلِ الْقُرْآنِ وَأَسَالِ
 الْقَرِيَةِ. وَقَوْلِهِ: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ
 الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْقَوْلَى. وَالْقَلْبُ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَلَنْ مِنْ
 أَجْلِ بَنِيهِ لَا بُدَّ مِنْ أَجْلِهِ وَالسُّنَّةُ سَبَبُ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ
 سَبَبُ السُّنَّةِ. وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ مِثْلُ قَوْلِهِ: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا.
 وَقَوْلِهِ: وَإِذْ أَتَى ابْرَاهِيمَ رَبُّهُ. وَالزِّيَادَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: تَبَّتْ بِالذَّهْنِ
 وَمِثْلُ قَوْلِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَمِثْلُ قَوْلِهِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
 وَمِثَالُ التَّغْيِيرِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ قَوْلُ الْقَائِلِ: مَا فَعَلَ أَحَدٌ
 إِلَّا أَنْتَ بَدَلْ قَوْلِهِ: أَنْتَ فَعَلْتَهُ وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْبَاقِيَةِ:
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوقَهُمْ بَيْنَ قَوْلٍ مِنْ قَوَاعِ الْأَكْتَائِبِ
 فَإِنَّهُ أَوْجَبَ لَهُمُ الْفَضَائِلَ لِيَتَنَبَّيَ الْغُيُوبَ وَاسْتَشْفَى مِنْهَا مَا لَيْسَ
 بِغَيْبٍ عَلَى جِهَةِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ ضِدِّهِ. وَمِنْ التَّغْيِيرَاتِ اللَّذِيذَةِ
 جَمْعُ الْأَضْدَادِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ:

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَضَمُ وَالْحَكَمُ

وَكُونَ الضِّدَّ سَبَبًا لِضِدِّ كَقَوْلِهِ: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ وَلَيْسَ
 يَحْقُقُ عَلَيْكَ أَنْوَاعُهَا الْبَسِيطَةُ وَالْمُرَكَّبَةُ الْمَحْصُورَةُ فِي هَذِهِ الْأَكْلِيَّاتِ

وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ إِحْصَاءُ أَنْوَاعِهَا الْأَخِيرَةِ عَسِيرًا جِدًّا وَلِذَلِكَ
 اقْتَصَرَ هُنَا عَلَى الْكَلِمَاتِ فَقَطْ. وَالْفَاضِلُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ أَنْ
 يُسَمِّعَ مَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَا هُوَ أَبْيَنُ وَأَظْهَرُ وَأَشْبَهُ وَهَذَا لَا
 يُوجَدُ إِلَّا فِي النَّادِرِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَبْيَنِ مِنْ
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَشْبَهُ هُوَ دَلِيلُ الْمَهَارَةِ. وَهَذَا الصِّفْتُ هُوَ الَّذِي
 يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ الْإِفْهَامِ فِعْلُ الْأَقَاوِيلِ الشُّعْرِيَّةِ أَغْنَى تَحْوِيلِ
 النَّفْسِ مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْإِبْدَالَ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الشَّبهِ أَفَادَ جُودَةَ
 التَّخْيِيلِ وَالْإِفْهَامِ مِمَّا وَرَبَّمَا عَرَضَ مِنَ الْإِبْدَالِ الْمُنَاسِبِ قَلَّةُ فَهْمِ
 عِنْدَ الْقِدَامِ مِنَ السَّامِعِينَ كَمَا عَرَضَ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخِطُّ
 الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِطِّ الْأَسْوَدِ أَنْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْخِطُّ الْحَقِيقِيُّ
 فَذَكَرْتُ مِنَ الْعَجْرِ (قَالَ) وَالْأَسْمَاءُ الْمُرَكَّبَةُ تَضَحُّ لِلْوِزْنِ الَّذِي
 يُشْتَرَى فِيهِ عَلَى الْأَخْيَارِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ
 هِيَ قَلِيلَةٌ الْوُجُودِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: الْعَبْسِيُّ
 الْمُنْسُوبُ إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ. وَأَمَّا اللَّغَاتُ فَتَضَحُّ لِلشُّعْرِ الَّذِي يُذَكِّرُ فِيهِ
 أَمْرُ الْأَعَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَكَانَ صِفًا مِنَ الشُّعْرِ عِنْدَهُمْ
 مَعْرُوفًا. وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْمُتَفَوُّةُ الْقَرِيبَةُ فَتَخْتَصُّ بِالشُّعْرَاءِ الَّتِي تُقَالُ
 فِي الْأَمْثَالِ وَالْحُكْمِ. وَالْقِصَصُ الْمَشْهُورَةُ



البحث الثامن

في صناعة الاشعار القصصية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَبَيَّنَّا فَنَّا فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ
لِأَصْنَافِ الْأَشْعَارِ مِنْ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كِبَافَةً . وَالْأَشْعَارُ الْقَصَصِيَّةُ
سَيِّئَاتُهَا فِي الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَبْدَأُ وَالْوَسْطُ وَالْقَهَاءُ سَيِّئَاتُ أَجْزَاءِ
صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ . وَكَذَلِكَ فِي الْحِكَاةِ إِلَّا أَنَّ الْحِكَاةَ لَيْسَ تَكُونُ
لِلْأَفْعَالِ فِيهَا وَإِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَزْمَنَةِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا تِلْكَ الْأَفْعَالُ وَذَلِكَ
أَنَّهُ إِنَّمَا يُحَاكِي فِي هَذِهِ كَيْفَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْمُتَقَدِّمِ مَعَ
أَحْوَالِ الْمُتَأَخَّرِ وَكَيْفَ ثَقُلَ الدُّوْلُ وَالْمَمْلَكُ وَالْأَيَّامُ . وَحِكَاةُ
هَذَا النَّوعِ مِنَ الْوُجُودِ قَلِيلٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي
الْكِتَابِ الشَّرْعِيِّ . وَذَكَرَ مُجِيدِينَ فِي هَذَا الصَّنْفِ مِنْ شُعْرَانِهِمْ
وَأَتَى ثَمَّ عَامَا عَلَى أَوْمِيدُوشَ . وَمِنْ جَيْدٍ مَا فِي هَذَا الْغَنَى لِلْعَرَبِ
قَوْلُ الْأَسْوَدِ بْنِ يَغْفَرُ :

مَاذَا أُرْقِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ	تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادٍ
أَرْضِ الْخَوَرَقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ	وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِدَادٍ
تَرَلُّوا بِأَنْفَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمِ	مَاءُ الْفَرَاتِ يَحِي مِنْ أَطْوَادِ
جَرَتْ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ	فَكَاتَتْهُمْ سَكَاوُ عَلَى مِعَادِ
فَارَى النِّعَمِ وَكُلَّ مَا يُلْعَى بِهِ	يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَعَادِ

(قَالَ) وَأَجْزَاءُ هَذَا النَّوعِ هِيَ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الْعَفِيفَةِ
 مِنَ الْإِدَارَةِ وَالْأَسْتِدْلَالِ وَالْتَرَكِيبِ مِنْهَا. وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُ أَجْزَائِهَا
 أَنْعَالِيًّا كَالْحَالِ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَصَنَائِعُ الشِّعْرِ وَأَحْكَامُهَا فِي
 الْقَلْبَيْنِ وَالنِّعَاءِ أَحْكَامُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَذَكَرَ فُرُوقًا بَيْنَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 وَبَيْنَ صَنَائِعِ الشِّعْرِ الْآخِرِ عَنْهُمْ وَخَوَاصَّ تَخْتَصُّ بِهَا تِلْكَ الْأَشْعَارُ
 الْآخَرُ فِي الْأَوْزَانِ وَالْأَجْزَاءِ وَالْحَاكَاةِ وَالْقَدْرِ وَأَنَّ هَاهُنَا أَوْزَانًا
 هِيَ الَّتِي بَعْضُ الْأَشْعَارِ مِنْ بَعْضٍ وَذَكَرَ مَنْ أَجَادَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
 فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَنْ لَمْ يُجِدْ وَأَتَى فِي هَذَا كُلِّهِ عَلَى أُوْمَيْرُوشَ
 وَكُلِّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِهِمْ وَغَيْرُ مَوْجُودٍ مِثْلُهُ عِنْدَنَا إِمَّا لِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي
 ذَكَرَ غَيْرُ مُشْتَرَكٍ لِلْأَكْثَرِ مِنَ الْأُمَمِ وَإِمَّا أَنَّهُ عَرَضٌ لِلْعَرَبِ فِي
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الطَّبَعِ وَهُوَ آيِنٌ فَلِأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُشَبَّ
 فِي كِتَابِهِ هَذَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِهِمْ بَلْ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ لِلْأُمَمِ الطَّبِيعِيَّةِ

البحث التاسع

في كيفية التخلّص إلى ما يراد محاكاته

(من الكتاب نفسه)

وَيَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ مَا يَأْتِي بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ الْكَلَامِ يَسِيرًا
 بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَاكِي كَمَا كَانَ يَقُولُ أُوْمَيْرُوشَ فَلِأَنَّهُ إِنَّمَا
 كَانَ يَعْمَلُ صَدْرًا يَسِيرًا ثُمَّ يَخْتَصُّ إِلَى مَا يُرِيدُ مُحَاكَاتَهُ مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَأْتِيَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يُعْتَدَ لَكِنْ مَا قَدْ عَتِيدَ فَإِنَّ غَيْرَ الْعَتَادِ

مُسْكِرًا وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ فَيَا أَحْسِبْ لَأَنَّ لِلْأَمْرِ فِي تَشْبِيهِاتِهِمْ عَوَانِدَ
خَاصَّةً وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِى الْقَيْسِ :

يُهَيِّلُ وَيَذْرِى ثُوبَهَا وَيُيَبِّرُهُ إِثَارَةَ نَبَاتِ الْهَوَاجِرِ مُحْسِرِ
وَكَذَلِكَ تَشْبِيهِهُمْ الضَّبَّ بِالْثَوْنِ لِمَكَانِ السَّرَابِ الَّتِي تَجِدُ فِي
بِلَادِهِمْ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
(قَالَ) وَمَتَى طَالَ الْكَلَامُ وَلَيْسَ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَلَا مُحَاكَاةٌ فَيَنْبَغِي
أَنْ يُعْتَنَى فِي ذَلِكَ بِإِيرَادِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَشْيَاءَ بِأَعْيَانِهَا لَا عَلَى أَشْيَاءَ مُتَضَادَّةٍ أَوْ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْ يَكُونَ
تَرْكِيبُهَا عَلَى الْأَشْهُورِ عِنْدَهُمْ وَتَكُونَ سَهْلَةً عِنْدَ الْطَلْقِ وَيُشَبِّهُ أَنْ
يَكُونَ هَذَا هُوَ أَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَمُّ الْفَصَاحَةِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَوْلُ ظَاهِرَ الصِّدْقِ وَمَشْهُورًا فَإِنَّ الصِّدْقَ
الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ يَشْفَعُ لِمَا فِيهِ مِنْ قَلْوَةِ الْفَصَاحَةِ وَقَلْوَةِ التَّغْيِيرِ وَالْمُحَاكَاةِ

البحث العاشر

في أنواع المحاكاة غير المقبولة

(من الكتاب نفسه)

وَالْعَلَطُ الَّذِي يَقَعُ فِي الشِّعْرِ وَيَحِبُّ عَلَى الشَّاعِرِ تَوْبِيحُهُ
فِيهِ سِتَّةُ أَصْنَافٍ أَحَدُهَا أَنْ يُحَاكِيَ بَغْيَرٌ مُمَكِّنٌ بَلْ مُمْتَنِعٌ وَمِثَالُ
هَذَا عِنْدِي قَوْلُ ابْنِ الْأَعْتَرِ يَصِفُ الْقَمَرَ فِي تَنْقِصِهِ :
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَزُرْقٍ وَنَ فَضَّةٍ قَدْ أَثَقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَابِرِ

فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ . وَإِنَّمَا أَنَسَهُ بِذَلِكَ شِدَّةُ الشَّيْءِ وَرَأَاهُ لَمْ يُقْصِدْ
 بِهِ حَسْرَةً وَلَا نَهْيًا بَلْ إِنَّمَا يُجِيبُ أَنْ يُحَاكِيَ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ أَوْ يُظَنُّ
 أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِثْلُ مُحَاكَاةِ الْأَشْرَارِ بِالشَّيَاطِينِ أَوْ بِمَا هُوَ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ
 فِي الْأَكْثَرِ لَا فِي الْأَقَلِّ أَوْ عَلَى النَّسَائِي فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ
 الْوُجُودِ هُوَ الْبَقِيَّةُ بِالْخَطَايَا مِنْهُ بِالشَّعْرِ . وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي مِنْ غَلْطِ
 الشَّاعِرِ أَنْ يُحَرِّفَ الْمُحَاكَاةَ وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَفْرَضُ لِلْمُصَوِّرِ أَنْ
 يَرِيدَ فِي الصُّورَةِ عُضْوًا لَيْسَ فِيهَا أَوْ يُصَوِّرَهُ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ الَّذِي
 هُوَ فِيهِ كَمَا يُصَوِّرُ الرُّجُلَيْنِ فِي مُقَدِّمِ الْحَيَوَانِ ذِي الْأَرْبَعِ وَالْيَدَيْنِ
 فِي مُؤَخَّرِهِ وَيَتَّبِعِي أَنْ يُتَّفَقَ مِثَالُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَقَرِيبٌ
 مِنْهُ عِنْدِي قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ يَصِفُ الْفَرَسَ :

وَعَلَى أُذُنِهِ أُذُنٌ ثَالِثَةٌ مِنْ سِنَانِ السَّهَرِيِّ الْأَذْرَقِ
 وَالْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ أَنْ يُحَاكِيَ النَّاطِقِينَ بِأَشْيَاءَ غَيْرِ نَاطِقَةٍ فَإِنَّ
 هَذَا أَيْضًا مِنْ مَوَاضِعِ التَّوْبِيخِ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّدْقَ فِي هَذِهِ الْمُحَاكَاةِ
 يَكُونُ قَلِيلًا وَالْكَذِبَ كَثِيرًا إِلَّا أَنْ يُشَبَّهَ مِنَ النَّاطِقِ صِفَةً
 مُشْتَرَكَةً لِلنَّاطِقِ وَغَيْرِ النَّاطِقِ وَقَدْ تَوَسَّسْتُ بِغُلِّ هَذَا الْعَادَةِ مِثْلُ
 تَشْبِيهِ الْعَرَبِ النِّسَاءِ بِالطَّبَّاءِ وَبِقَرِّ الْوَحْشِ . وَالْمَوْضِعُ الرَّابِعُ أَنْ
 يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِشَيْءٍ ضِدِّهِ أَوْ بِضِدِّ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ
 سَقِيمَةُ الْجَهْوَنِ فِي الْحَسَنَةِ الْقَاضِيَةِ النَّظَرِ وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ :

رَأَوْا كَانَهُمْ مَرْضَى مِنَ الْكُرَمِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

وَمُحَرِّقٍ عَنْهُ أَفْقِصُ نَحَالَهُ وَنَسَطَ الْيُبُوتَ مِنْ أَحْيَاءِ سَقَمًا
فَإِنَّ هَذِهِ كُفَّاهِي أَضْدَادُ الصِّغَاتِ الْحَسَنَةِ وَإِنَّمَا آنَسَ بِذَلِكَ
الْعَادَةُ. وَالْمَوْضِعُ الْخَامِسُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَنْمَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّمُضَادِّينَ
بِالسَّوَاءِ مِثْلُ الصَّرِيمِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْقَرَّ وَالْجَلْدَ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا
قَدْ ذَكَرَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ. وَالْمَوْضِعُ السَّادِسُ أَنْ يَتْرَكَ الْحَاكَاةَ الشَّعْرِيَّةَ
وَيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِفْتِنَاعِ وَالْأَقَاوِيلِ التَّضْدِيقِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ مَتَى كَانَ الْقَوْلُ
هَيْئًا قَلِيلَ الْإِفْتِنَاعِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ يَتَّخِذُ عَنْ
جُنَيْتِهِ :

وَمَا جَبَنْتُ خَيْلِي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ مَرَايَطَهَا مِنْ بَرَبِيعِصَ وَمَيْسَرَا
وَقَدْ يَحْسُنُ هَذَا الصَّنْفُ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْإِفْتِنَاعِ أَوْ صَادِقًا
مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ يَتَّخِذُ عَنْ الْفِرَارِ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا قَوْسِي بِأَشْعَرٍ مُزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِي عَدُوِّي مُشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجَبَةُ فِيهِمْ طَمَعَاهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ
فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ إِنَّمَا حَسُنَ فِي الْأَكْثَرِ لِصِدْقِهِ لِأَنَّ التَّغْيِيرَ
الَّذِي فِيهِ يَسِيرُ وَبِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَقَدْ حَسَنْتُمْ
كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْفِرَارَ (قَالَ) وَإِذَا كَانَتْ سَوَاضِعُ الْقَلَطِ شَيْئًا
وَمَوَاضِعُ التَّوْبِخِ مُقَابِلَتَهَا فَحُجِبُ أَنْ تَكُونَ سَوَاضِعُ الْقَلَطِ الدَّائِرَةُ
وَالْتَّوْبِخُ الْخَاصِيَّةُ اثْنِي عَشَرَ مَوْضِعًا سِتَّةٌ أَغْلِيظُ وَسِتَّةٌ تَوْبِخَاتٌ
وَأَمِثَّةُ التَّوْبِخَاتِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ عِنْدَنَا إِذَا كَانَ شَعْرَاؤُنَا لَمْ تَمَسِّرْ

لَهُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَلَا شَعَرُوا بِهَا فَهَذَا هُوَ مَا تَأْدَى إِلَى فَهْمِنَا بِمَا
ذَكَرَهُ أَرِسْطُو فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ
الشَّعْرِ وَالْخَاصَّةِ بِالْمَدِيحِ. أَعْنِي الْمُشْتَرَكَةَ مِنْهَا أَيْضًا لِلْأَكْثَرِ أَوْ
لِلْجَمِيعِ. وَسَائِرُ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْفُضُولِ الَّتِي بَيْنَ سَائِرِ
أَصْنَافِ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَبَيْنَ صِنْفِ الْمَدِيحِ فَهُوَ خَاصٌّ بِهِمْ وَمَعَ
ذَلِكَ فَلَسْنَا نَجِدُهُ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْوَاصِلِ إِلَيْنَا
إِلَّا بَعْضَ ذَلِكَ. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يَتَرَجَمْ عَلَى
الْتِمَامِ. وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهُ أَتَّكَلَّمُ فِي سَائِرِ فُضُولِ أَصْنَافِ كَثِيرٍ مِنْ
الْأَشْعَارِ عِنْدَهُمْ. وَقَدْ كَانَ هُوَ وَعَدَ بِاتِّكَلَمِ فِي هَذِهِ كُلِّهَا فِي
صَدْرِ كِتَابِهِ. وَالَّذِي نَقَصَ بِمَا هُوَ مُشْتَرَكٌ هُوَ اتِّكَلَمُ فِي صَاعَةِ
الْهَجَاءِ لَكِنْ يُشَبُّهُ أَنْ يَكُونَ الْوُقُوفُ عَلَى ذَلِكَ بِقُرْبٍ مِنْ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي قِيلَتْ فِي بَابِ الْمَدِيحِ إِذْ كَانَتْ الْأَضْدَادُ يُعْرَفُ
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَأَنْتَ تَتَبَّنِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا كَتَبْنَاهُ
هَاهُنَا أَنَّ مَا شَعَرَ بِهِ أَهْلُ إِسَائِيَا مِنَ الْقَوَائِنِ الشَّعْرِيَّةِ بِالْإِضَافَةِ
إِلَى مَا فِي كِتَابِ أَرِسْطُو هَذَا وَفِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ زُرُّ يَسِيرٌ كَمَا
يَقُولُهُ أَبُو نُصَيْرٍ. وَائِسَ يَحْتَمِي عَلَيْكَ أَيْضًا كَيْفَ تَرْجِعُ تِلْكَ الْقَوَائِنُ
إِلَى هَذِهِ وَلَا مَا ذَكَرُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ بِمَا ذُكِرَ عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ وَأَلَّهِ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ



الفصل الثاني

في معرفة الشعراء

البحث الاول

في القدماء من الشعراء

(من كتاب المزهر في علوم اللغة للعلامة جلال الدين السيوطي)

وَمِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ أَنْصَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ قَيْسٍ عِيلَانَ بْنِ مُضَرَ
وَهُوَ مُنَبِّهُ أَبُو بَاهِلَةَ وَغَيْثُ وَالطُّغَاوَةِ. وَمِنْهُمْ الْمُسْتَوْعِرُ بْنُ رَبِيعَةَ
أَبْنِ كَعْبِ بْنِ نَهْدٍ وَكَانَ قَدِيمًا وَبَقِيَ بَقَاءً طَوِيلًا حَتَّى قَالَ :
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِّينَ مِئْيَا
مِائَةً أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ يَلِي وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِيًا
وَمِنْهُمْ ذَهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ كَانَ قَدِيمًا شَرِيفًا وَهُوَ
الْقَائِلُ :

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ
وَمِنْهُمْ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ وَحَلِيمُ بْنُ صَعْبٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ
أَبْنِ وَائِلٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

مِنْ كُلِّ مَا تَالَ الْفَتَى قَدْ ثَلَاثُهُ إِلَّا الْخِيَةَ

وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ:

عُوجًا عَلَى طَلَلِ الدِّيَارِ لَعَلًّا تَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَدَامٍ
وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ طَيْيٍّ لَمْ تَسْمَعْ شِعْرَهُ الَّذِي بَكَى فِيهِ وَلَا
شِعْرًا غَيْرَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَمْرُو الْقَيْسِ . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ
قَصَّدَ الْقَصَائِدَ وَذَكَرَ الْوَقَائِعَ الْمُهْلَهُلُ بْنُ رَبِيعَةَ النَّغْلِيُّ فِي قَتْلِ
أَخِيهِ كَلَيْبٍ قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَمُهْلَهُلُ الشُّعْرَاءُ ذَلِكَ الْأَوَّلُ

وَزَعَمَتِ الْعَرَبُ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَثَّرُ وَيَدَّعِي فِي قَوْلِهِ أَكْثَرَ
وَمِنْ فِعْلِهِ . وَكَانَ شُعْرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي رَبِيعَةَ أَوَّلُهُمُ الْمُهْلَهُلُ وَهُوَ خَالَ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَالْمُرْقِسَانِ وَالْأَكْبَرُ مِنْهُمْ أَعْمُ
الْأَصْفَرُ وَالْأَصْفَرُ عَمُّ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ . وَأَسَمُ الْأَكْبَرِ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ
وَأَسَمُ الْأَصْفَرِ عَمْرُو بْنُ حَرْثَةَ وَقِيلَ رَبِيعَةُ بْنُ سُفْيَانَ . وَمِنْهُمْ
سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ وَعَمْرُو بْنُ قَمَيْةٍ وَالْمُتَلِّسُ وَهُوَ خَالَ
طَرْفَةَ . وَالْأَعَشَى وَالْمُسَيْبُ بْنُ عَلَسٍ وَالْحَرُثُ بْنُ حِلْزَةَ . ثُمَّ
تَحَوَّلَ الشُّعْرُ فِي قَيْسٍ فَفَنَّهُمُ اللَّابِقَتَانِ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى وَأَبْنَةُ
كُهَبٍ وَابْنَةُ الْخَطِيطَةِ وَالشَّمَاخُ وَأَخُوهُ مُرَدَّدٌ وَخِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ثُمَّ آلُ إِلَى يَتِيمٍ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ وَوَنَّهُمْ كَانَ أَوْسُ بْنُ
حُجْرٍ شَاعِرٌ مُضَرٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى نَشَأَ اللَّابِقَةُ
وَزُهَيْرٌ وَأَخْلَاهُ وَبَقِيَ شَاعِرُ يَتِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ مُدَافِعٍ . وَكَانَ
الْأَصْبَحِيُّ يَقُولُ أَوْسُ أَشْعَرُ مِنْ زُهَيْرٍ وَلَكِنْ النَّابِغَةُ طَاعَتْهُ

وَكَانَ رَاوِيَةَ أَوْسُ زُهَيْرٍ وَكَانَ أَوْسُ زَوْجَ أُمِّ زُهَيْرٍ (قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ)
 فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ: لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ أَوَّلُ لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ وَقَدْ اخْتَلَفَ
 فِي ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ وَأَدَّعَتْ الْقَبَائِلُ كُلُّ قَبِيلَةٍ لِشَاعِرِهَا أَنَّهُ الْأَوَّلُ وَلَمْ
 يَدَّعُوا ذَلِكَ لِقَائِلِ الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يُسُونُ ذَلِكَ شِعْرًا فَأَدَّعَتْ
 الْإِسْمَانِيَّةُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ وَبَنُو أَسَدِ الْعَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَتَغْلِبُ لِهَلْهَلِ
 وَبَكْرُ لِعَمْرٍو بْنِ قَمْثَةَ وَالْمُرْقَشُ الْأَكْصَرُ وَإِيَادُ لِإِي دُرْدَادٍ (قَالَ)
 وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَفْوَهَ الْأَوْدِيَّ أَقْدَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
 قَصَّدَ الْقَصِيدَ (قَالَ) وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْدَعَى لَهُمُ اتَّقَدَّمَ فِي الشُّعْرِ
 مُتَقَارِبُونَ لَعَلَّ أَقْدَمَهُمْ لَا يَسْبِقُ الْهَجْرَةَ بِمِائَةِ سَنَةٍ أَوْ نَحْوَهَا
 (وَقَالَ تَغْلِبُ فِي آمَالِيهِ) قَالَ الْأَضْعَمِيُّ: أَوَّلُ مَنْ يَزِدِّي لَهُ كَلِمَةٌ
 تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ هَلْهَلُ ثُمَّ ذُوَيْبُ بْنُ كَهْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
 تَيْمٍ ثُمَّ ضَرَّةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَالْأَضْبَطُ بْنُ مُرَاجٍ (قَالَ)
 وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ وَكَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ
 بَعْدَ هَؤُلَاءِ بِكَثِيرٍ (وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي كِتَابِ لَيْسَ) أَوَّلُ مَنْ
 قَالَ الشُّعْرَ ابْنُ حَذَامٍ (وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْمُنَدَةِ): الشُّعَاهِيرُ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِمْ عَدَدٌ وَنَتْنَهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَارَتْ
 أَسْمَاؤُهُمْ وَسَارَ شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ
 فِي زَمَانِهِمْ وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ تَفْضِلُهُ وَتَتَعَصَّبُ لَهُ وَقَلَّمَا
 تَجْتَمِعُ عَلَى وَاحِدٍ إِلَّا مَا رَوَى عَنِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ
 أَنَّهُ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ وَقَادَهُمْ إِلَى النَّارِ يَعْنِي شُعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُشْرِكِينَ

قَالَ دِغِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُرَاعِيُّ: وَلَا يَقُودُ قَوْمًا إِلَّا أَمِيرُهُمْ. قَالَ
 عُزْرُ بْنُ أَطْلَابٍ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْأَطْلَبِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الشُّعْرَاءِ: أَمَرُوهُ
 الْقَيْسَ سَابِقَهُمْ حَسَفَ لَهُمْ عَيْنَ الشَّعْرِ فَأَفْتَقَرَ عَنْ مَعَانٍ دُورِ أَصَحِّ
 بَصَرًا (قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ) حَسَفَ مِنْ الْخُذْفِ وَهِيَ الْمِرَّةُ الَّتِي
 حُفِرَتْ فِي حِجَارَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا مَاءٌ كَثِيرٌ. وَقَوْلُهُ أَفْتَقَرَ أَيَّ قَمَحٍ وَهُوَ
 مِنْ الْفَقْرِ وَهُوَ قَمُ الْقَنَاةِ وَقَوْلُهُ: عَنْ مَعَانٍ دُورٍ يُرِيدُ أَنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ
 مِنْ أَيْمَنِ وَأَنَّ أَهْلَ أَيْمَنِ لَيْسَتْ لَهُمْ فَصَاحَةٌ تَرَارٍ تَجْعَلُ لَهُمْ مَعَانِي
 دُورًا فَكَانَ قَمَحٌ أَمْرِي الْقَيْسِ أَصَحَّ بَصَرًا فَإِنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ عَالِي
 النَّسَبِ تَرَارِي الدَّارِ وَالْأَنْشَاءِ وَفَصَّلَهُ عَلِيٌّ بِأَن قَالَ: رَأَيْتُهُ أَحْسَنَهُمْ
 نَادِرَةً وَأَسْبَقَهُمْ بَادِرَةً وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ (وَقَدْ قَالَ
 الْعُلَمَاءُ بِالشَّعْرِ) إِنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ لَمْ يَتَقَدَّمِ الشُّعْرَاءُ لِأَنَّهُ قَالَ مَا
 لَمْ يَقُولُوا وَأَكْبَهُ سَبَقَ إِلَى أَشْيَاءَ فَاسْتَحَبَّهَا الشُّعْرَاءُ وَاتَّبَعُوهُ فِيهَا
 لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ لَطَفَ الْمَعَانِي وَمِنْ اسْتَوْفَفَ عَلَى الطُّولِ وَوَصَفَ
 النِّسَاءَ بِالظُّلُمِ وَالْمَهْيَ وَالْبَيْضَ وَشَبَّهَ الْخَيْلَ بِالْعِجَابِ وَالْعَبِيَّ وَفَرَّقَ
 بَيْنَ النَّسَبِ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَقَرَّبَ مَا خَذَ الْكَلَامَ قَبْدَ
 الْأَوَائِدِ وَأَجَادَ الْإِسْتِعَارَةَ وَالنَّشِيبَ وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ
 الْجُبَحِيُّ: إِنَّ سَابِلًا سَالَ الْفَرَزْدَقُ مَنْ أَسْرُ النَّاسِ فَقَالَ ذُو
 الْقُرُوحِ (وَسُئِلَ كَيْدٌ): مَنْ أَسْرُ النَّاسِ فَقَالَ أَلَمَّاكَ الْفُضَيْلُ
 قِيلَ لَمْ مِنْ قَالَ: أَشَابُ الْقَتِيلُ قِيلَ: لَمْ مِنْ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو عَتِيلٍ
 يَعْنِي نَفْسَهُ. وَكَانَ الْخُذَاتُ يَقُولُونَ: الْفُحُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ

مُتَمَاهُونَ زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَخْطَلُ وَالْأَعشى وَجَرِيرٌ
وَكَانَ خَلَفَ الْأَحْمَرُ يَقُولُ: أَجْمَعُهُمُ الْأَعشى. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ
الْعَلَاءِ: مِثْلُهُ مِثْلُ الْبَازِي يَضْرِبُ كَثِيرَ الطَّيْرِ وَصَغِيرَهُ. وَكَانَ أَبُو
الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ يُقَدِّمُهُ جِدًّا لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدًا. وَحَكَى
الْأَصْمَعِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي طَرَفَةَ: كَفَاكَ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَرْبَعَةُ زُهَيْرٌ
إِذَا رَغِبَ وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعشى إِذَا طَرِبَ وَعَثْرَةُ إِذَا
كَلَبَ وَرَادَ قَوْمٌ: وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ. وَقِيلَ لِكُثَيْبٍ أَوْ لِحَصِيبٍ
مَنْ أَسْعَرَ الْعَرَبَ فَقَالَ: أَمُرُوهُ أَلْقَيْسٌ إِذَا رَكِبَ وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغَبَ
وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعشى إِذَا شَرِبَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقْدِمُ
النَّابِغَةَ وَيَقُولُ هُوَ أَحْسَنُهُمْ شِعْرًا وَأَعَذُّهُمْ بَحْرًا وَأَبْدَهُمْ قَمْرًا.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْخَطَّابِ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِجَهْمَةِ أَشْعَارِ
الْعَرَبِ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَالَ: أَفْحَابُ السَّبْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطُ أَمُرُوهُ
أَلْقَيْسٌ وَزُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَعشى وَلَيْدٌ وَعَمْرُو وَطَرَفَةُ. (قَالَ)
وَقَالَ الْفَضْلُ: مَنْ دَعَمَ أَنَّ فِي السَّبْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطُ لِأَحَدٍ
غَيْرِ هَؤُلَاءِ فَقَدْ أَبْطَلَ وَأَسْقَطًا مِنْ أَفْحَابِ الْمُلَقَّاتِ عَثْرَةُ
وَالْحَرْثُ بْنُ جِلْزَةَ وَأَثَبَتَا الْأَعشى وَالنَّابِغَةُ وَكَانَتِ الْمُلَقَّاتُ تُسَمَّى
الْمُدَّهَبَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهَا اخْتِيرَتْ مِنْ سَائِرِ الشُّعْرِ فَكُتِبَتْ فِي
الْقَبَاطِيِّ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَعُلِقَتْ عَلَى الْكُتْبَةِ فَلِذَلِكَ يُقَالُ مُدَّهَبَةٌ
فُلَانٍ إِذَا كَانَتْ أَجْوَدَ شِعْرِهِ. ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَقِيلَ بَلْ كَانَ أَمْلِكُ إِذَا اسْتَحْيَدَتْ قَصِيدَةً يَقُولُ: عَلِقُوا لَنَا هَذِهِ

يَسْكُونُ فِي خِرَاتِهِ (وَقَالَ الْجَحْمِيُّ) سَأَلَ عِكْرَمَةُ بْنُ جَرِيرٍ أَبَاهُ
جَرِيرًا. مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ قَالَ: أَعَنْ الْجَاهِلِيَّةُ تَسْأَلُنِي أَمِ الْإِسْلَامُ.
قَالَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِسْلَامَ فَإِذَا ذُكِرَتِ الْجَاهِلِيَّةُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ
أَهْلِهَا قَالَ: ذَهَبُ شَاعِرُهُمْ (قَالَ) قُلْتُ: فَأَلَا إِسْلَامٌ قَالَ:
أَلْفَرَزْدَقُ نَبَأُ الشَّعْرِ قُلْتُ: وَالْأَخْطَلُ قَالَ: يُحِبُّ مَدْحَ الْمُلُوكِ
وَيُصِيبُ صِفَةَ الْخَمْرِ قُلْتُ: فَمَا تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي
بَحَرْتُ الشَّعْرَ بَحْرًا (وَسُئِلَ) أَلْفَرَزْدَقُ مَرَّةً: مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ
فَقَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: يَمَازَا. قَالَ: يَقُولُهُ:

تَوَى فِي مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ تَأْيِياً وَاعْتِرَاباً
ثُمَّ سُئِلَ جَرِيرٌ فَقَالَ: بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: يَمَازَا قَالَ:
يَقُولُهُ:

رَهِينُ بِلَى وَكُلُّ فَتَى سَيْبِلَى فَشَقِي الْجَيْبَ وَانْتَحَبِي انْتِحَاباً
فَأَتَقْنَا عَلَى بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ كَمَا تَرَى (وَكَتَبَ) الْحَجَّاجُ بْنُ
يُوسُفَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَشْعَرِ شُعْرَاءِ وَقْتِهِ فَقَالَ: أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ وَأَضْرَبُهُمْ
مَثَلًا طَرَفَةً. وَأَمَّا شُعْرَاءُ الْوَقْتِ فَأَلْفَرَزْدَقُ الْخَمْرُومُ وَجَرِيرُ أَهْلَاهُمْ
وَالْأَخْطَلُ أَوْصَفُهُمْ (وَأَمَّا الْخَطِيبَةُ) فَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ
أَبُو دُوَادٍ حَيْثُ يَقُولُ:

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ قَعْدُ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الْأَعْدَامُ
وَهُوَ كَانَ فَحْلًا قَدِيمًا وَكَانَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ

وَيُرِي شَعْرَهُ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْقَادِمَةِ الْقَطِيبَةِ (وَسَأَلَهُ
 ابْنُ عَبَّاسٍ مَرَّةً أُخْرَى) فَقَالَ الَّذِي يَقُولُ :
 وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَرْفُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
 يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّيْءَ يَشْتَمُ

وَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ :

وَكُنْتُ يُسْتَبَقِ أَخَا لَا تُلْهُهُ عَلَى شَعْبِ أَبِي الزَّجَالِ الْمَهْدَبُ
 وَلَكِنْ الضَّرَاعَةُ أَفْسَدَتْهُ كَمَا أَفْسَدَتْ جَرْدُ لَا وَاللَّهِ لَوْلَا
 دَوْلَا لَكُنْتُ أَشْعَرَ الْمَاضِينَ . وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَلَا أَشْكُ أَيْ أَشْعَرُهُمْ
 (وَزَعَمَ) ابْنُ أَبِي الْخَطَّابِ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو يَقُولُ أَشْعَرَ النَّاسِ : أَرْبَعَةٌ
 أَمْرُؤُ الْقَيْسِ وَالنَّابِغَةُ وَطَرْقَةُ وَمِهْلَهْلُ وَقَالَ الْفَضْلُ : سُلِّ الْقَرْزَدُ
 فَقَالَ : أَمْرُؤُ الْقَيْسِ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ جَرِيرٌ : النَّابِغَةُ أَشْعَرُ النَّاسِ
 وَقَالَ الْأَخْطَلُ : الْأَعَشَى أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ : زُهَيْرٌ أَشْعَرُ
 النَّاسِ وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ : لَيْدٌ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ نَضْرُ بْنُ شَيْلٍ :
 طَرْقَةُ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ الْكُمَيْتُ : عَمْرُؤُ بْنُ كُثُومٍ أَشْعَرُ النَّاسِ
 وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ وَقِلَّةِ الْإِتِّفَاقِ . وَكَانَ ابْنُ
 أَبِي رِئَاحٍ وَهُوَ عَالِمٌ نَاقِدٌ وَمُقَدِّمٌ مَشْهُورٌ يَقُولُ : أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْمُرْقَشُ الْأَكْبَرُ وَأَشْعَرُ الْإِسْلَامِيِّينَ كَثِيرٌ وَهَذَا غُلُوٌّ مُفْرَطٌ
 غَيْرَ أَنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ الْمَدْحَ (وَقِيلَ) لُصِيبِ
 مَرَّةً : مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَقَالَ : أَخُو تَيْمٍ يَعْنِي عَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ وَقِيلَ
 أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بَعْدَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَا

زُهَيْرَ وَاللَّيْلَةَ وَالْأَعَشَى فِي الثُّنُوسِ . وَعُلَمَاءُ الْبَصَرَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ
 أَمْرًا الْقَيْسَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْأَعَشَى وَأَهْلَ الْحِجَازِ
 وَالْبَادِيَةَ كَانُوا يُقَدِّمُونَ زُهَيْرًا وَاللَّيْلَةَ وَكَانَ أَهْلُ الْعَالِيَةِ لَا
 يَعْدِلُونَ بِاللَّيْلَةِ أَحَدًا كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ لَا يَعْدِلُونَ بِزُهَيْرٍ أَحَدًا .
 قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : قَالَ أَهْلُ النَّظَرِ كَانَ زُهَيْرٌ أَحَقَّهُمْ شِعْرًا
 وَأَبَدَهُمْ مِنْ تَحْفِيفِ وَأَجْمَعَهُمْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعَالِيَةِ فِي قَلِيلٍ مِنْ
 الْإِنطِقِ . وَأَمَّا اللَّيْلَةُ فَقَالَ مَنْ يَتَخَيَّرُ لَهُ كَانَ أَحْسَنُهُمْ دِيبَاجَةً شِعْرًا
 وَأَكْثَرُهُمْ رَوْنَقَ كَلَامٍ وَأَجَزُهُمْ بَيِّنَاتٍ شِعْرُهُ كَلَامٍ لَيْسَ
 فِيهِ تَكَلُّفٌ . وَزَعَمَ أَصْحَابُ الْأَعَشَى أَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ عَرُوضًا وَأَذْهَبُهُمْ
 فِي فُنُونِ الشِّعْرِ وَأَكْثَرُهُمْ طَوِيلَةً جَيِّدَةً وَمَدَحًا وَجَمًّا وَتَحْوًا
 وَصِفَةً (وَقَالَ بَعْضُ مُتَقَدِّمِي الْعُلَمَاءِ) الْأَعَشَى أَشْعَرُ الْأَرْبَعَةِ قِيلَ
 لَهُ : قَائِنَ الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ يَسِدُهُ لَوَاهُ الشِّعْرِ
 فَقَالَ : بِهَذَا الْخَبَرِ صَحَّ لِلْأَعَشَى مَا قُلْتُ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ حَامِلٍ لَوَاهُ
 إِلَّا عَلَى رَأْسِ أَمِيرٍ فَأَمَرُوهُ الْقَيْسَ حَامِلَ اللَوَاهِ وَالْأَعَشَى الْأَمِيرُ
 (وَسُئِلَ) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ : أَرْجُلَا أَمْ حَيًّا
 قِيلَ بَلْ حَيًّا قَالَ : أَشْعَرُ النَّاسِ حَيَّا هَذَا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ .
 الْجَحْمِيُّ وَأَشْعَرُ هَذَا أَبُو ذُرَيْبٍ غَيْرَ مُدَافِعٍ (وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ)
 قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : أَفْقَحُ الشُّعْرَاءِ السَّنَا وَأَعَزُّهُمْ أَهْلُ
 السَّرَوَاتِ وَهُمْ ثَلَاثٌ وَهِيَ الْحِجَالُ الْمُطَلَّةُ عَلَى تِهَامَةٍ يَمَّا يَلِي
 أَلْسِنَ قَاوُهَا هَذَا وَهِيَ تَلِي الرَّمْلَ مِنْ تِهَامَةٍ ثُمَّ عَلَيْهِ السَّرَاوُ

أَلَوْسَطَى وَقَدْ شَرَكْتَهُمْ ثَقِيفٌ فِي تَاجِيبِهِ مِنْهَا . ثُمَّ سَرَاةُ الْأَزْدِ
 أَزْدَشُوهُ وَهُمْ بَنُو الْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ نَضْرِ بْنِ
 الْأَزْدِ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا : أَفْضَحُ النَّاسِ عَلِيًّا يَمِيمٌ وَسُئِلَ الْقَيْسُ
 وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَفْضَحُ النَّاسِ سَافِلَةُ الْعَالِيَةِ وَعَالِيَةُ السَّافِلَةِ يَعْنِي
 هَوَازِنَ وَأَهْلَ الْعَالِيَةِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ يَلِيهَا وَدَنَا مِنْهَا
 وَلَهُمْ لَيْسَتْ بِتِلْكَ عِنْدَهُ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ تَقْدِيمَةَ الشَّعْرِ لِلْيَسَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَفِي الْإِسْلَامِ بِحَسَّانَ بْنِ تَابِتٍ وَفِي الْمُؤَلَّدِينَ
 بِالْحَسَنِ بْنِ هَانِيَةَ وَأَصْحَابِهِ . وَأَشْعَرُ أَهْلِ الْمَدَرِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ النَّاسِ
 وَاتَّفَقَ حَسَّانُ بْنُ تَابِتٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْأَعْلَاءِ : خُجِمَ الشَّعْرُ
 بِذِي الرُّمَّةِ وَالرَّجَزُ بِرُوثَةَ بْنِ الْعُجَاجِ . وَزَعَمَ يُوسُفُ : أَنَّ الْعُجَاجَ
 لَيْسَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : لَوْ كَانَ مَكَانَهُ
 غَيْرُهُ لَكَانَ أَجْوَدَ (وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ) إِنَّمَا كَانَ أَشَاعِرُ يَقُولُ
 مِنَ الرَّجَزِ الْبَيْتَيْنِ وَاللَّسْلَاةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ إِذَا حَارَبَ أَوْ شَاتَمَ أَوْ
 فَاعَرَ حَتَّى كَانَ الْعُجَاجُ أَوَّلَ مَنْ أَطَالَهُ وَقَصَّده وَشَبَّ فِيهِ وَذَكَرَ
 الدِّيَارَ وَاسْتَوْقَفَ الرِّكَابَ عَلَيْهَا وَاسْتَوْصَفَ مَا فِيهَا وَبَكَى عَلَى
 الشَّبَابِ وَوَصَفَ الرَّاجَةَ كَمَا فَعَلَتِ الشُّعْرَاءُ بِالْقَصِيدِ فَكَانَ فِي
 الرَّجَزِ كَأَمْرِ الْقَيْسِ فِي الشُّعْرَاءِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَوَّلُ مَنْ طَوَّلَ
 شَعْرَ الرَّجَزِ الْأَعْلَبُ الْبُهْلِيُّ وَهُوَ قَدِيمٌ . وَزَعَمَ الْبُخَيْرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ أَوَّلُ
 مَنْ رَجَزَ . وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ : وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لَهُ
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَنَحْنُ نَحْمَدُ الرَّجَزَ أَقْدَمَ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ: أَفْتَحَ الشِّعْرُ بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَخَمَّ بِأَمْرِ
 هَرَمَةَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الشُّعْرَاءُ ثَلَاثَةٌ جَاهِلِيٌّ وَإِسْلَامِيٌّ وَمَوْلَدٌ
 فَالْجَاهِلِيُّ أَمْرُ الْقَيْسِ وَالْإِسْلَامِيُّ ذُو الرُّمَّةِ وَالْمَوْلَدُ ابْنُ الْمُعْتَدِرِ
 وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ يُفَضِّلُ الْبَدِيعَ وَخَاصَّةً التَّشْبِيهَ عَلَى جَمِيعِ فُنُونِ
 الشِّعْرِ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى تَقُولُ بِلِ الثَّلَاثَةِ الْأَعَشَى وَالْأَخْطَلِ وَأَبُو
 الْقَوَارِسِ وَهَذَا مَذْهَبُ أَخْطَبِ الْخَنْزِرِ وَمَا نَاسَبَهَا وَمَنْ يَقُولُ
 بِالْتَّحْرِيفِ وَثَلَّةُ التَّكَاثُفِ. وَقَالَ قَوْمٌ بِلِ الثَّلَاثَةِ 'مَهْلٍ' وَابْنُ أَبِي
 رَيْعَةَ وَعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ يُؤَيِّرُ الْأَنْفَاقَ وَسُهولةَ
 الْكَلَامِ وَالْفُتُورَةَ عَلَى الصَّنْعَةِ وَالْتَّجْوِيدِ فِي فَنٍّ وَاحِدٍ وَلَيْسَ فِي
 الْمَوْلَدِينَ أَشْهُرُ أَسْمَاءٍ مِنَ الْحَسَنِ ثُمَّ حَبِيبٍ وَالْجُثْرِيِّ. وَيُقَالُ إِنَّهُمَا
 أَحْمَلَا فِي زَمَانِهِمَا خَمْسِيَّةٌ شَاعِرٌ كُلُّهُمُ مُجِيدٌ ثُمَّ تَبِعَهُمَا فِي
 الْأَشْتِهَارِ ابْنُ الْأَرَوَمِيِّ وَابْنُ الْمُعْتَدِرِ وَطَارَ اسْمُ ابْنِ الْمُعْتَدِرِ حَتَّى صَارَ
 كَالْحَسَنِ فِي الْمَوْلَدِينَ وَأَمْرُ الْقَيْسِ فِي الْقَدَمَاءِ. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَنَبِّيُّ
 قَبْلَ الذَّنْبِيَّ وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ رَشِيقٍ

قَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي:

وَمَنْ صَنَعَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ فَأَجَادَ وَأَحْسَنَ وَبَرَعَ
 وَتَقَدَّمَ أَهْلَ عَصْرِهِ فَضْلًا وَشَرَفًا وَآدَابًا وَشِعْرًا وَظُرْفًا
 وَتَصَرَّفًا فِي سَائِرِ الْأَدَابِ أَبُو الْقَيْسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَدِرِ بِاللَّهِ
 وَأَمْرُهُ مَعَ قُرْبِ عَصْرِنَا هَذَا مَشْهُورٌ فِي فَضَائِلِهِ وَآدَابِهِ. وَشِعْرُهُ
 وَإِنْ كَانَ فِيهِ رِقَّةٌ الْمُلُوكِيَّةُ وَغَزَلُ الظُّرَفَاءِ وَهَلْهَلَةُ الْمُحَدِّثِينَ

فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَجْرِي فِي أَسْلُوبِ الْمُحِيدِينَ وَلَا تُقْصَرُ
عَنْ مَدَى السَّائِقِينَ وَأَشْيَاءَ ظَرِيفَةً مِنْ أَشْعَارِ أَلْمُلُوكِ فِي جِنْسِ
مَا هُمْ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشَبَهُ فِيهَا بِمُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَلَيْسَ
يُمْكِنُ وَاصِفًا لَصُبْحٍ فِي تَجَلُّسِ شَكْلِ ظَرِيفٍ بَيْنَ نُدَامَى وَقِيَانٍ
وَعَلَى مِيَادِينَ مِنَ النُّورِ وَالْبَنَفْسِجِ وَالْأَرْجَسِ وَمَنْصُودٍ مِنْ أَمْثَالِ
ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ جِنْسِ التَّجَالِسِ وَقَاخِرِ الْقُرَشِ وَمُخْتَارِ
الْأَلَاتِ وَرَقَّةِ الْحَدَمِ أَنْ يَعْدِلَ بِذَلِكَ عَمَّا يُشَبِّهُهُ مِنَ الْكَلَامِ.
السَّبْطِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ إِلَى جَعْدِ الْكَلَامِ.
وَوَحْشِيَّةٍ وَإِلَى وَصْفِ الْبَيْدِ وَالْمَهَامِ وَالْطَّبَاءِ وَالْأَطْلِمِ وَالنَّاقَةِ وَالْجَمَلِ
وَالدَّيَّارِ وَالْقَنَارِ وَالْمَنَازِلِ الْخَالِيسَةِ الْمَهْجُورَةِ وَلَا إِذَا عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ
وَأَحْسَنَ قِيلَ لَهُ مُسِيءٌ وَلَا أَنْ يَغْطِطَ حَقَّهُ كُلُّهُ إِذَا أَحْسَنَ
الْكَثِيرَ وَتَوَسَّلَ فِي الْبَعْضِ وَقَصَرَ فِي الْيَسِيرِ وَيُنْسَبُ إِلَى التَّمْثِيلِ
فِي الْجَمِيعِ لِشَرِّ الْمَقَاجِجِ وَطَيِّرِ الْحَاسِنِ. فَلَوْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا
كُلُّ أَحَدٍ بِمَنْ تَقَدَّمَ لَوْجَهَ مَسَافَا وَلَوْ أَنْ قَانِلًا أَرَادَ الطُّغْنَ عَلَى
صُدُورِ الشُّعْرَاءِ لَقَدَّرَ أَيُّ أَنْ يَطْعَنَ عَلَى الْأَعْشَى وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ
يُقَدِّمُهُ الْأَوَائِلُ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ بِقَوْلِهِ :

فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطَحَّاهَا

وَبَقَوْلِهِ :

وَقَدْ كَانَ إِنْ يَأْمُرُهُمْ كُلُّ لَيْلَةٍ بِقِتٍّ وَتَعْلِيقٍ فَقَدْ كَادَ يَنْسِقُ
وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرَةٌ. وَإِنَّمَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ مِنْ

الشَّيْءَ أَحْسَنَ وَيُلْنِي مَا لَا يُسْتَحْسِنُهُ فَلَيْسَ مَأْخُودًا بِهِ وَلَكِنْ أَقْوَامًا
 أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا أَنْفُسَهُمْ أَلَوْضِيعَةً وَيَشِيدُوا بِذِكْرِهِمُ الْخَامِلِ
 وَيُعَلِّمُوا أَقْدَارَهُمُ السَّاقِطَةَ بِالطَّنِّ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْقُدْحِ فِيهِمْ
 فَلَا يَزْدَادُونَ بِذَلِكَ إِلَّا ضَعْفًا وَلَا يَزْدَادُ الْآخَرُ إِلَّا ارْتِفَاعًا. أَلَا تَرَى
 إِلَى ابْنِ الْمَعْتَرِ قَدْ قُتِلَ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ وَدَرَجَ قَلَمٌ يَبْقَى لَهُ خَلْفٌ يَفْرُطُهُ
 وَلَا عَقَبٌ يَرْفَعُ مِنْهُ وَمَا يَزْدَادُ بِأَدَبِهِ وَشِعْرِهِ وَفَضْلِهِ وَحُسْنِ إِخْبَارِهِ
 وَتَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعُلُومِ إِلَّا رُقْعَةً وَعُلُوًّا وَلَا تَظَرُّ إِلَى أَضْدَادِهِ
 كُلَّمَا أَزْدَادُوا فِي طَنِّهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ. وَأَسْلَفُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا
 مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّنِّ عَلَيْهِ زَادُواهَا سُقُوطًا وَضَعَةً وَكَلَمًا وَصَفَا
 أَشْعَارَهُمْ وَقَرُّطًا أَدَابَهُمْ زَادُوا بِهَا ثَقَلًا وَمَقَامًا قَاذًا وَقَعَ عَلَيْهِمْ
 الْمُحْصَلُ أَلْوَانُ عَدْلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْأَدَابِ إِلَى التَّشْنِيعِ بِأَمْرِ
 الَّذِينَ وَجَّهُوا آلَ أَبِي طَالِبٍ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى
 آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَنَفِيِّ حَتَّى نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَدْلُوا عَنْ عَيْبِ
 أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ وَأَرْتَكَبُوا أَكْثَرَ مِنْهُ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
 حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَى وَالْكَلَامِ عَلَى النَّعْمِ وَعِلْمَهَا وَلَهُ فِي
 ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي هَمْدُونَ
 وَغَيْرِهِمْ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاةٍ عَلَيْهِ وَأَدَبِهِ وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِحِطِّ عُمَيْدِ
 اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُقْعَةً إِلَيْهِ بِحِطِّهِ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ
 هَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يُجَوِّزُ وَلَا يُنْكِرُ أَنْ يُغَيِّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضُ نَعْمِ الْغِنَاءِ

أَلْقَدِيمَ وَيَعْدِلُ بِهَا إِلَى مَا يَحْسُنُ فِي خُلُقِهِ وَمَذْهَبِهِ وَهِيَ رِسَالَةٌ طَوِيلَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا

البعث الثاني

في المقلّين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

ثُمَّ قَالَ: وَلَا كَانَ الْمَشَاهِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَمَا قَدَّمْتُ أَصْغَرَ
بَيْنَ أَنْ يُخْصُوا ذَكَرْتُ مِنَ الْمَقْلَبِينَ مَنْ وَسَّعَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
فَمِنْهُمْ طَرَقُ بْنُ الْعَبْدِ وَعُيَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ وَعَلَقَمَةُ الْفَحْلُ وَعَدِي
أَبْنُ زَيْدٍ. وَطَرَقُ فَضَّلَ النَّاسَ بِوَاحِدَةٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَهِيَ الْمُعَلَّمَةُ:
لِحَوَاةِ أَطْلَالٍ بِرَقَّةٍ تَهْمِدُ

وَلَمْ يَوَاها يَسِيرٌ لِأَنَّهُ قُتِلَ صَغِيرًا حَوْلَ الْعِشْرِينَ فِيمَا رُوِيَ
وَأَصَحُّ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ أُخْتِهِ تَرْيِيهِ:

عَدَدُ نَالَ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا صَحْبًا
فَحُصِّنًا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَتْمًا
أَنشَدَهُ الْبَرْدُ وَالْحَمُّ الْمُنْتَهَامِي فِي السِّنِّ. وَعُيَيْدُ قَلِيلُ الشُّعْرِ
فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَى قَدَمِ ذِكْرِهِ وَعِظَمِ شُهْرَتِهِ وَطُولِ عُمرِهِ يُقَالُ
إِنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَكَذَلِكَ أَبُو ذُرَّادٍ. وَإِعْلَامَةُ الْفَحْلِ ثَلَاثُ
قَصَائِدَ مَشْهُورَاتٍ أَحَدَاهَا قَوْلُهُ:

(ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ (طَلَبَكَ قَلْبُ

فِي الْحَسَنِ طُرُوبُ) وَالثَّلَاثَةُ قَوْلُهُ (هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومًا)
وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فَشُهُورَاتُهُ أَرْبَعٌ قَوْلُهُ: (أَرَوَّاحٌ مُودِعٌ أَمْ
بُكُورُ) وَقَوْلُهُ (أَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ) وَقَوْلُهُ (لَيْسَ
شَيْءٌ عَلَى النَّوْنِ يَبَاقِي) وَقَوْلُهُ:

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَيْرِ أَلَا مَ يَأْمُ يَنْسُونَ مَا عَوَّقِيهَا
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: عَدِيُّ فِي الشُّعْرَاءِ مِثْلُ سَهْلٍ فِي النُّجُومِ
يُعَارِضُهَا وَلَا يَجْزِي مَعَهَا هُوْلَاءُ أَشْعَارِهِمْ كَبِيرَةٌ فِي ذَاتِهَا قَلِيلَةٌ
فِي أَيْدِي النَّاسِ ذَهَبَتْ بِذَهَابِ الرُّوَاةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهَا .
وَمِنَ الْمُتَلَقِّينَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ وَحَصِينُ بْنُ الْحَكَمِ الْمُرِّيُّ
وَالْمُتَلَسِّسُ وَالْمُسَبِّبُ بْنُ عَلَسٍ كُلُّ أَشْعَارِهِمْ قَلِيلٌ فِي ذَاتِهِ جَدُّ
الْجُمْلَةِ وَيُرْوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: اتَّفَقُوا أَنَّ أَشْعَرَ الْمُتَلَقِّينَ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ الْمُتَلَسِّسُ وَالْمُسَبِّبُ بْنُ عَلَسٍ وَحَصِينُ بْنُ الْحَكَمِ
الْمُرِّيُّ . وَأَمَّا أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ فَعَطْرَةٌ أَوَّلُهُمْ وَنَهْمُ عَنَدَرَةٍ وَالْحَرُثُ
أَبْنُ جِلْزَةٍ وَعَمْرُو بْنُ كُثُومٍ أَصْحَابُ الْأَعْلَاقَاتِ الشُّهُورَاتِ وَعَمْرُو بْنُ
مَعْدِي كَرَبٍ وَالْأَشْعَرُ بْنُ خُرَّانَ الْجَمْعِيِّ وَسُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَهْلٍ
وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرٍ وَكَانَ أَمْرُهُ أَفْقِسَ مُقْبَلًا كَثِيرًا الْمَعَانِي
وَالْقَصْرِفُ لَا يَصِحُّ لَهُ إِلَّا ثِنْفٌ وَعَشْرُونَ شِعْرًا يَنْ طَوِيلُ وَقِطْعَةٌ



البحث الثالث

في المغلّين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْمَغْلَبُونَ فَمِنْهُمْ تَابِثَةُ بْنُ جَعْفَدَةَ وَمَعْنَى الْمَغْلَبِ الَّذِي لَا
ذَالَ مَغْلُوبًا قَالَ أَبُو عَرُوبٍ الْقَيْسُ :

فَالَمْ لَمْ يَنْحَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ وَشَلُّ مُغْلَبٍ
يَعْنِي إِذَا قَدَّرَ لَمْ يُنْقِ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْجَعْدِيِّ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ
وَلَكِنِّي الْأَخِيلِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا وَقِيلَ إِنَّ مَوْتَ الْجَعْدِيِّ كَانَ بِسَبَبِ أَيْلَى
الْأَخِيلِيَّةِ فَرُّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا قَاتَ فِي الطَّرِيقِ مُسَافِرًا . وَالْمَغْلَبُونَ
أَبُو بَرْقَانَ غَلَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْأَعْتَمِ وَغَلَبَهُ الْمَغِيلُ السَّمْعِيُّ وَغَلَبَهُ الْخَطِيبَةُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ الْبَيْتُ مُغْلَبًا فِي الْخُطْبِ

قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْعُدَّةِ فِي بَابِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدَّثِينَ :
كُلُّ قَدِيمٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَهُوَ مُحَدَّثٌ فِي زَمَانِهِ بِالْإِضَاقَةِ إِلَى مَنْ
كَانَ قَبْلَهُ وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ يَقُولُ لَقَدْ حَسُنَ هَذَا أُمُودٌ
حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ صَبِيحًا بِرِوَايَتِهِ يَعْنِي بِذَلِكَ شِعْرَ جَرِيرٍ
وَالْفَرَزْدَقِ لِحَمَلِهِ مُوَلَّدًا بِالْإِضَاقَةِ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْخَضْرَمِيِّينَ
وَكَانَ لَا يَبْدُو الشُّعْرَ إِلَّا مَا كَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : جَلَسْتُ
إِلَيْهِ عَشَرَ حَجَجٍ فَمَا سَمِعْتُهُ يَنْحُمُ بَيْتَهُ إِسْلَامِيَّ وَنُسِلَ عَنْهُ
الْمَوْلَدِينَ فَقَالَ : مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ سُبِقُوا إِلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ

قَبِيحٌ فَهُوَ مِنْ عِنْدِهِمْ لَيْسَ النَّبَطُ وَاحِدًا هَذَا مَذْهَبُ أَبِي عَمْرٍو
 وَأَصْحَابِهِ كَمَا لَأَصْحَبِي وَأَبْنِ الْأَفْرَاقِي أَعْنِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 يَذْهَبُ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْمَذْهَبَ وَيَقْدِمُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيْسَ
 ذَلِكَ لِيَشِيءَ إِلَّا لِحَاجَتِهِمْ فِي الشِّعْرِ إِلَى الشَّاهِدِ وَقِلَّةِ ثِقَتِهِمْ بِمَا يَأْتِي
 بِهِ أَلْمُودُنُونَ فَأَمَّا أَبْنُ قُتَيْبَةَ فَقَالَ: لَمْ يَقْصِرِ اللَّهُ الشِّعْرَ وَالْعِلْمَ
 وَالْبَلَاغَةَ عَلَى زَمَنٍ دُونَ زَمَنٍ وَلَا خَصَّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ بَلْ جَعَلَ
 ذَلِكَ مُشْتَرَكًا مَقْسُومًا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَجَعَلَ كُلَّ قَدِيمٍ
 حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ ثُمَّ قَالَ أَبْنُ رَشِيْقٍ فِي بَابِ آخَرٍ: طَبَقَاتُ
 الشُّعْرَاءِ أَرْبَعٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ وَمُحَضَّرٌ وَهُوَ الَّذِي أَذْرَكَ الْجَاهِلِيَّةُ
 وَإِسْلَامِيٌّ وَمُحَدَّثٌ ثُمَّ صَارَ الْمُحَدَّثُونَ طَبَقَاتٍ أُولَى وَثَانِيَّةٌ عَلَى
 التَّدْرِيجِ هَكَذَا فِي أَهْبُوطٍ إِلَى وَفْتِنَاهَذَا فَلْيَعْلَمْ الْمُتَأَخِّرُ مِقْدَارَ مَا
 بَقِيَ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ مُتَضَعًا أَشْعَارَ مَنْ قَبْلَهُ لِيَنْظُرَ كَيْفَ بَيْنَ الْمُحَضَّرِ
 وَالْجَاهِلِيِّ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمُحَضَّرِ وَأَنَّ لِلْمُحَدَّثِ الْأَوَّلِ فَضْلًا
 عَنْ بَعْدِهِ فِي الثَّرْوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ ذَهَبِ
 بِكُلِّ مَلَاخَةٍ وَرَشَاقَةٍ وَسَبَقَ إِلَى كُلِّ طُلَاوَةٍ وَلَبَاقَةٍ (قَالَ) أَبُو
 الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ: يُقَالُ مَاءٌ خَضِرٌ إِذَا تَسَاهَى فِي الْكَثْرَةِ
 وَالسَّعَةِ فَفَنَّهُ سَيِّئُ الرَّجُلِ الَّذِي شَهِدَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ مُحَضَّرًا
 كَمَا أَنَّهُ اسْتَوَفَى الْأَمْرَيْنِ (قَالَ) وَيُقَالُ: أُذُنٌ مُحَضَّرَةٌ إِذَا
 كَانَتْ مَقْطُوعَةً فَكَأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ
 (وَحَكَى) أَبْنُ قُتَيْبَةَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَسْلَمَ قَوْمٌ فِي

الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمي كل من أدرك الجاهلية
والإسلام مُحَضَرًا وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُحَضَرًا حَتَّى يَكُونَ
إِسْلَامُهُ بَعْدَ وَقَاةِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَدْرَكُهُ كَبِيرًا قَلَمَ يُسَلِّمُ (قَالَ) ابْنُ
رَشِيْقٍ : وَهَذَا عِنْدِي خَطَأٌ لِأَنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيَّ وَلَيْدًا قَدْ وَقَعَ
عَلَيْهَا هَذَا الْأِسْمُ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ كِرَاعٌ فَقَدْ حَكَى شَاعِرٌ
مُحَضَّرٌ بِحَاءٍ غَيْرِ مُجَنِّهَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ الْخَضِرَةِ وَهِيَ الْخُلَاطَةُ لِأَنَّهُ خَلَطَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَقَالُوا : الشُّعْرَاءُ أَرْبَعَةٌ : شَاعِرٌ خِنَازِيدٌ وَهُوَ
الَّذِي يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ شِعْرِهِ رَوَايَةَ الْخَيْدِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ . وَسُئِلَ
رُؤْبَةُ عَنْ الْخَوْلِ فَقَالَ : هُمْ الرُّوَاةُ . وَشَاعِرٌ مُفَلِّقٌ وَهُوَ الَّذِي لَا
رَوَايَةَ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ يُجَوِّدُ كَالْخِنَازِيدِ فِي شِعْرِهِ . وَشَاعِرٌ فَقَطٌ وَهُوَ
فَوْقَ الرَّدِيِّ بِدَرَجَةٍ وَشِعْرُورٌ وَهُوَ لَا شَيْءَ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :
يَا رَابِعَ الشُّعْرَاءِ كَيْفَ هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ إِنِّي مُفْهِمٌ لَا أَنْطِقُ
وَقِيلَ بَلْ هُمْ شَاعِرٌ مُفَلِّقٌ مُطَبَّقٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشِعْرُورٌ وَالْمُفَلِّقُ
الَّذِي يَأْتِي فِي شِعْرِهِ بِالْفَلَقِ وَهُوَ التَّجَبُّ وَقِيلَ الدَّاهِيَّةُ (قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ) الشُّوَيْعِرُ خُرَّانُ بْنُ أَبِي خُرَّانَ سَمَاءُ يَذَلِكُ أَمْرُهُ
أَقْنِيسَ وَمِثْلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَعْرُوفِ بِالشُّوَيْعِرِ . قَالَ الْحَاجِظُ :
وَالشَّاعِرُ عَبْدُ بَالِيلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ بْنُ لَيْثٍ وَقِيلَ أَنَّهُ رِبِيعَةُ بْنُ
عُثْمَانَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ شَاعِرٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشِعْرُورٌ . قَالَ الْعَبْدِيُّ فِي شَاعِرٍ
يُدْعَى الْمَعْرُوفَ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي جَمِيسَ :
أَلَا تَنْهَى سَرَاةَ بَنِي جَمِيسَ شَوَيْعِرَهَا فَوَيْلَةَ الْأَفَاعِي

فَسَمَاهُ سُويْعِيًّا ، وَقَالَهُ الْآفَاعِي دُويَّةٌ قَوْفَ الْخَنَسَاءِ قَصَّرَهَا تَحْمِيْرًا بِهِ
وَزَعَمَ الْحَاقِمِيُّ أَنَّ النَّابِغَةَ سُبُلَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ مَنْ أَسْتَحْيِدَ
جَيْدُهُ وَأَضْحَكَ رَدِيئُهُ كَانَ مِنْ سَفَلَةِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
فِي الْهَجَاءِ خَادَةً وَقَالَ الْخَطِيئَةُ :

الشُّعْرُ صَغْبٌ وَطَوِيلٌ سَأَهُ وَالشُّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْخَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرَبَهُ فَيُجْعَلُهُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

الشُّعْرَاءُ قَاعِلَمْنَ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجَى لِنَفْعِهِ
وَشَاعِرٌ يَنْشُدُ وَسْطَ الْحَجْمَةِ وَشَاعِرٌ آخَرُ لَا يُجْرَى مَعَهُ
وَشَاعِرٌ يُقَالُ خَمَرٌ فِي دَعَاهُ

قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ : وَإِنَّمَا سُمِّيَ الشُّعْرُ شَاعِرًا لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِمَا لَا
يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ . قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي شَرْحِ الدَّرِيدِيِّ يَقَالُ :
أَنشَدْنَاهُ مُقَلَّدَاتِ الشُّعْرَاءِ أَيَّ آيَاتِهِمُ الطَّنَانَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَيَقُولُ
آخَرُونَ : إِنْ أَلْمَقَلَدَ مِنَ الشُّعْرِ مَا كَانَ أَمُّ الْمَدُوحِ فِيهِ مَذْكُورًا
فِي قَافِيَتِهِ وَيُقَالُ : هَذَا أَلَيْتُ عُقْرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَيَّ أَجُودُ بَيْتٍ
فِيهَا كَمَا يُقَالُ : هَذَا بَيْتٌ طَلَانٌ . اهـ . وَفِي الْقُصُورِ وَالْمَدُودِ
لِلْقَائِلِي : قَالَ أَبُو عَيْدَةَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ الدُّبَيَّانِي :

يَصْدُ الشُّعْرُ اثْنَانِ عَنِّي صُدُودُ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ الْعِجَانِ
قَالَ اثْنَانِ الَّذِي هُوَ شَاعِرٌ وَأَبُوهُ شَاعِرٌ كَكَمْبِ بْنِ زَهْدِيرٍ

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ وَرُوَيْتُهُ بْنُ الْحَجَّاجِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرِو الشَّيْبَانِيُّ
 الثَّيْنَانُ الَّذِي يُسَمَّنِي قِيلَ مَا فِي الْقَوْمِ أَشْعَرُ مِنْ فُلَانٍ إِلَّا
 فُلَانٌ قُلَانٌ أَلَسْتُ هُوَ الْأَفْضَلُ الْأَشْعَرُ. وَقَالَ الْأَصَمِيُّ الثَّيْنَانُ
 الَّذِي تُشَنَّى عَلَيْهِ الْخَاصِرُ فِي الْعَدَدِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ
 هُوَ الَّذِي يُسَمَّنِي مِنَ الشُّعْرَاءِ لِأَنَّهُ دُونَهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ الثَّيْنَانُ
 الضَّعِيفُ. وَقَالَ الْقَالِي: الثَّيْنَانُ عِنْدِي الَّذِي يُسَمَّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 رَفِيعًا كَانَ أَوْ ضَعِيفًا قِيلَ لِلدُّونِ وَالضَّعِيفِ ثَيْنَانٌ وَالرَّفِيعِ
 وَالشَّاعِرِ ثَيْنَانٌ (وَقَالَ الْقَالِي) فِي الْمَقْصُورِ وَالْمُسَدَّدِ. حَدَّثَنَا
 أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ قَالَ ذَكَرَ أَبُو عُمَيْدَةَ وَأَحْسِبُ الْأَصَمِيَّ قَدْ
 ذَكَرَهُ أَيْضًا قَالَ لَقِيتُ السَّعْلَةَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فِي بَعْضِ
 طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَبَسَّكَ عَلَى صَدْرِهِ
 وَقَالَتْ أَنْتَ الَّذِي رَجَوْ قَوْمَكَ أَنْ تَكُونَ شَاعِرُهُمْ قَالَ: نَعَمْ.
 قَالَتْ: فَأَنْشِدْنِي ثَلَاثَةَ آيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَلَا تَقَاتِلْكَ فَقَالَ:
 إِذَا مَا تَرَعَوْعَ فِينَا الْفُلَا مُمْ قَا إِنْ يُقَالُ لَهُ مِنْ هَوَ
 إِذَا لَمْ يَسُدَّ قَبْلَ شَدِّ قَدْ مِ لِكَ فِينَا الَّذِي لَا هَوَ
 وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْضَبَا نِ فَحِينَا أَقُولُ وَحِينَا هَوَ
 فَحَلَّتْ سَيْلَهُ وَقَالَتْ: أَوَّلَى لَكَ قَالَ الْأَصَمِيُّ: يُقَالُ السَّعْلَةُ
 سَاحِرَةُ الْحَجَرِ
 (قَائِدَةٌ) قَالَ أَبُو اسْحَقَ الْبَطْلَيْسِيُّ. وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ
 الْقَرَزْدَقِيِّ:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَ أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
 هَذَا وَمِثْلُهُ وَإِنْ كَانَ جَانِزًا فِي الْأَعْرَابِ . فَلَيْسَ يَحْسُنُ فِي
 الشَّعْرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . لِمَا فِيهِ مِنْ وَهْمِ التَّنَجُّهِ وَالْإِضْطِرَابِ .
 وَالشَّعْرُ إِذَا أَخْرَجَ إِلَى شَرْحٍ لَمْ يُعَدَّ فِي فَاحِشِ الْمَسَاقِ . وَلَا قَامَ
 فِي الْإِحْسَانِ عَلَى سَاقٍ . وَلَا عَذِبَ فِي الْمَذَقِ . فَهُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ
 الْخُدَّاقِ . وَيَحْتَاجُ الشَّعْرُ إِلَى أَنْ يَسْبِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ . فَتَسْلُكُ النَّفْسُ
 رِوَايَتَهُ وَحِفْظَهُ . وَأَوَّلُ مَا يَتَّبِعِي لِلشَّاعِرِ وَالْمُتَكَلِّمِ . بَيَانُ مَا يُخَاوِلُهُ
 لِلْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ . فَإِنْ تَكَلَّمَ بِقُلُوبٍ . نَجَّهَ الْأَسْمَاعَ وَالْقُلُوبَ . وَلَمْ
 يَخْصُلْ مِنْهُ الْقَرَضُ الْمَطْلُوبُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَمَا تَرَى فِي الْأَشْعَارِ
 أَمْثَالَ هَذَا كَقَوْلِهِ :

لَهَا مُثَلَّثًا أَدَاءً طَلَّ حَبِيلُهُ مِنْ الْوَحْشِ مَا يَنْفَكُ يَدْعِي عَرَادَهَا
 قِيلَ لَهُ وَهَذَا أَيْضًا قَدْ أَحَالَ وَمِنْ تَكَلَّفٍ شَلَّ هَذَا لَمْ
 يُخَفِّفْ عَنْ تَفْسِيهِ الْكَفَافَةِ وَاللَّامِ . وَتَعَرَّضَ لِأَنْ يَلَامَ . وَتَرَكَ
 بَيْنَ الْكَلَامِ . وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ الْكَلَامُ وَالشَّعْرُ بِحُسْنِ الْعِبَارَةِ
 وَالذَّبِيبَةِ . وَرَوِّقِ الْفَصَاحَةِ حَتَّى تَكُونَ الْقَاطِطُهَا كَزُرْجَانَةٍ . وَإِلَّا
 فَالْعَامِي مُعَرَّضٌ لِكُلِّ جِيلٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ حَتَّى
 لِلزُّنُحِ وَالْأَسَدِ وَالْثَّرَكِ لِكَيْتُمْ قُصِرَتْ بِهِمُ السُّتُومُ عَنْ بُلُوغِ
 مَا رَامُوهُ مِنْ أَرَبٍ . قَدْ تَهَيَّأَ عَلَى الْبَيْتِ الْعَرَبِ . وَأَقْلُ مَا يَجِبُ عَلَى
 الْمُتَكَلِّمِ الْبَيَانُ لِلْمُخَاطَبِ . وَإِلَّا كَانَ كَالْمُخَاطَبِ اللَّيْلِ وَالْحَاطِيهِ . يُخَاطَبُ
 الْعَرَبِيَّ بِالْعَجَبَةِ وَيُخَاطَبُ الْعَجَبِيَّ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَصِنَاعَةُ الشَّعْرِ أَشَدُّ

حَضَرًا. وَأَمَدُ عَصَا وَذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا هُوَ رَاغِبٌ رَاهِبٌ أَوْ
مُعَاتِبٌ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ فَإِنْ حَكَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِلَّا كَانَ جَدِيرًا
بِأَنْ يَمْلِكَ فَبِنَ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو جَنِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
رَكْرِيَاءَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَلَايُي حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ:
دَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُثَنِّدِ فَقَالَ:

تَحِفُّ الْأَرْضُ إِنْ تَفَقَّدَكَ يَوْمًا وَبَقِيَ مَا بَقِيََتْ بِهَا ثَقِيلًا
فَنَظَرَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ فَظَرَ غَضَبَانِ . وَكَانَ كُفُّ بْنُ زُهَيْرٍ حَاضِرًا
فَقَالَ: أَضَلَّكَ اللَّهُ الْمَلِكُ إِنْ مَعَ هَذَا بَيْتًا ضَلَّ عَنْهُ هُوَ

لِأَنَّكَ مَوْضِعُ الْقِسْطِ مِنْهَا فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَمِيلَا
فَضَحِكَ النُّعْمَانُ وَأَمَرَ لَهَا بِجَانِزَتَيْنِ قَالُوا لَا كُفُّ كَانَ قَدْ هَلَكَ .
فَإِنْ كَانَ الشَّاعِرُ مُحَاطًا مِنْ دُونِ الْمَلِكِ الْأَسْمَرِ بَلَا لَا يَفْهَمُ وَكَانَ
رَاغِبًا فِي دِرْهَمٍ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِيُطْلَانَ حَاجَتِهِ وَأَسْتَهْجَانِ شِعْرِهِ
وَتَحْقِيرِ أَمْرِهِ وَالْقَدَمَاءُ فِي هَذَا أَعْدَرُوا لِأَنَّهَا لَعَنَهُمُ



الفصل الثالث

في فنون الشعر

البحث الاول

في المطبوع والمصنوع

(من كتاب المدة لابن رشيقي)

وَمِنْ الشَّعْرِ مَطْبُوعٌ وَمَصْنُوعٌ فَالْمَطْبُوعُ هُوَ الْأَصْلُ وَضَعَ عَلَيْهِ
أَوَّلًا وَعَلَيْهِ الدَّارُ وَالْمَصْنُوعُ وَإِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ هَذَا الْإِسْمُ فَلَيْسَ
مُشْكَلًا تَكَلَّفَ اشْعَارِ الْمَوْلَدِينَ. لَكِنْ وَقَعَ فِي هَذَا النَّوعِ
الَّذِي سَمَّوْهُ صَنَعَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعَلُّلٍ أَسْكَنَ بِطِبَاعِ الْقَوْمِ
عُنُوا وَاسْتَحْسَنُوهُ وَمَالُوا إِلَيْهِ بَعْضُ الْكَلِيلِ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا وَجْهَ
اخْتِيَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ حَتَّى صَنَعَ دُهِيرُ الْخَوْلِيَّاتِ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْتِفَافِ
يَضَعُ الْقَصِيدَةَ ثُمَّ يُكَرِّرُ نَظْرَهُ بِهَا خَوْفًا مِنَ اتَّعُيْبِ بَعْدَ أَنْ
يَكُونَ قَدْ قَرَعَ مِنْ عَمَلِهَا فِي سَاعَةٍ أَوْ لَيْلَةٍ. وَرَبَّمَا قَصَدَ إِقَامَةَ
كَشَاطِهِ قَبَاطًا عَمَلُهُ لِذَلِكَ. وَالْعَرَبُ لَا تَنْظُرُ فِي أَنْطَافِ شِعْرِهَا بِأَنْ
تُجَبِّسَ أَوْ تُطَابِقَ أَوْ تُتَابِلَ فَتَذْكُ لَفْظَةً لِلْفِظَةِ أَوْ مَعْنَى لِمَعْنَى كَمَا
يَفْعَلُ الْمُخَدُّونَ وَلَكِنْ نَظَرُهَا فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ أَوْ جَزَالَتِهِ

وَبَسَطَ الْمَغْنَى أَوْ ابْرَأَوْه وَاتَّقَانِ بَيْتَ الشَّعْرِ وَاحْكَامِ الْقَافِيَةِ
وَتَلَا حُمِ الْكَلَامِ بَعْضُهُ يَنْقُصُ حَتَّى عُدُّوا مِنْ فَضْلِ صَنْعَةِ
الْخَطِيئَةِ حَتَّى نَسَهُ الْكَلَامُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ :

فَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ بَانَ يَبْنُوا الْمَكَارِمَ حَيْثُ شَاوُوا
وَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ وَلَا عَفُّوا بِذَلِكَ وَلَا آسَاوُوا
فَإِنَّ الْجَارَ مِثْلَ الضَّيْفِ يَفْدُو لَوُجْهِتِهِ وَإِنْ طَالَ الْقَوَاءُ
وَرَأَيْتُ قَدْ عَلِقْتُ بِجَبَلِ قَوْمٍ أَعَانَهُمْ عَلَى الْحَسْبِ الثَّرَاءُ
وَأَسْتَظِرُّوهُ مَا جَاءَ مِنْ الصَّنْعَةِ نَحْوِ الْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ فِي الْقَصِيدَةِ
بَيْنَ الْقَصَائِدِ يُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى جُودَةِ شِعْرِ الرَّجُلِ وَصِدْقِ حِسِّهِ
وَصَفَاءِ خَاطِرِهِ . وَأَمَّا إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَيْبٌ يَشْهَدُ بِخِلَافِ الطَّبْعِ
وِائْتَارِ الْكَلَفَةِ وَلَيْسَ يُجْهِمُ الْبَيِّنَةُ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الشَّاعِرِ قَصِيدَةٌ
كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا مُتَّصِعٌ مِنْ غَيْرِ قَضْدٍ كَالَّذِي يَأْتِي مِنْ أَشْغَارِ
حَبِيبٍ وَالْجُثَرِيِّ وَغَيْرِهِمَا وَقَدْ كَانَا يَطْلُبَانِ الصَّنْعَةَ وَيُوتَلَعَانِ بِهَا . فَأَمَّا
حَبِيبٌ قَدْ هَبَّ إِلَى حُزُونَةِ اللَّفْظِ وَمَا يَلَا أَلْسِنَاعَ مِنْهُ مَعَ التَّصْنِيعِ
الْمُحْكَمِ طَوْنًا وَكُزْهَا يَأْتِي الْأَشْيَاءَ مِنْ بُعْدٍ وَيَطْلُبُهَا بِكَلَفَةٍ
وَيَأْخُذُهَا بِقُوَّةٍ . وَأَمَّا الْجُثَرِيُّ فَكَانَ أَعْلَمَ وَأَحْسَنَ مَذْهَبًا فِي
الْكَلَامِ . يَسْأَلُ مِنْهُ دِمَائَةٌ وَسُهُولًا مَعَ إِحْكَامِ التَّصْنِيعِ وَقُرْبِ
الْمَأْخِذِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ كُفَّةٌ وَلَا مَشَقَّةٌ . وَمَا أَعْلَمُ شَاعِرًا أَكْمَلَ
وَلَا أَعْلَمُ تَصْنَعًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَرِّزِ فَإِنَّ صَنْعَتَهُ حَقِيقَةٌ لَا تَكَادُ
تَظْهَرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ إِلَّا لِلْبَصِيرِ بِدَقَائِقِ الشَّعْرِ وَهُوَ عُسْدِي

أَنْظَفُ أَصْحَابِهِ شِعْرًا وَأَكْثَرُهُمْ بَسِيحًا وَأَقْبَنَانَا وَأَقْرَبُهُمْ قَوَانِي
 وَأَوْزَانًا وَلَا أَرَى وَرَاءَهُ غَايَةً لِطَالِبِهَا فِي هَذَا الْبَابِ. فَعَيَّرَ أَنَا لَا أَخُجِدُ
 أَلْتَبَدِي فِي طَلَبِ التَّصْنِيعِ وَمَزَاجَةِ الْكَلَامِ أَكْثَرَ اتِّفَاعًا مِنْهُ
 يُطَالَعُ شِعْرُ حَبِيبٍ وَشِعْرُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَضِيلَةِ
 لِمُتَعَبِيهَا وَلَا نَهْمًا طَرَفًا إِلَى الصَّنْعَةِ وَمَعْرِفَتِهَا طَرِيقًا سَابِقًا وَكَثَرًا مِنْهَا
 فِي أَشْعَارِهِمَا تَكْثِيرًا سَهْلًا عِنْدَ النَّاسِ وَحَسْرَةً عَلَيْهِمَا عَلَى أَنَّ مُسْلِمًا
 أَسْهَلَ شِعْرًا مِنْ حَبِيبٍ وَأَقْلَّ تَكَلُّفًا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّفَ
 الْبَدِيعَ مِنَ الْمُؤَلَّدِينَ وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِالصَّنْعَةِ وَكَثُرَ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي
 الْأَشْعَارِ الْمُحْدَثَةِ قَبْلَ مُسْلِمٍ إِلَّا التَّبْدُ الْيَسِيرَةُ. وَهُوَ دُهِيرُ الْمُؤَلَّدِينَ
 كَانَ يُنْطَى فِي صَنْعَتِهِ وَنُجَيْدُهَا. وَقَالُوا: أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ الْبَدِيعَ
 مِنَ الْمُحْدَثِينَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ وَهُوَ سَاقَةُ الْعَرَبِ وَآخِرُ مَنْ
 يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِ ثُمَّ اتَّبَعَهُمَا مُقْتَدِيًا بِهِمَا كُثُومُ بْنُ عَمْرِو الْعِتَابِيِّ
 وَمَنْصُورُ الدَّرِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَبُو نُوَاسٍ وَاتَّبَعَ هَؤُلَاءِ أَبُو
 نَعَامٍ وَالْخَثَرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَعْتَرِ فَأَتَتْهُ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَالصَّنْعَةُ وَخَتَمَ
 بِهِ. وَشَبَّ قَوْمُ أَبِي نُوَاسٍ بِالنَّابِغَةِ لِمَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْجَوَالِقَةِ مَعَ الرَّسَاقَةِ
 وَحُسْنِ الدِّيَابِجَةِ وَالْعُرْفَةِ بِمَدْحِ الْمُلُوكِ. وَأَمَّا بَشَارٌ فَقَدْ شَبَّهُ
 بِأَمْرِئِ الْقَيْسِ لِتَقْدُّمِهِ عَلَى الْمُؤَلَّدِينَ وَأَخَذَهُمْ عَنْهُ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ:
 بَشَارُ أَبُو الْمُحْدَثِينَ. وَسَبَعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ: إِنَّمَا سَبَّحِي
 الْأَعشى صَنَاجِعَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ الصَّحْخَ فِي شِعْرِهِ. قَالَ
 وَيُقَالُ بَلْ سُمِّيَ صَنَاجِعَ إِمْرَءَةَ طَبِيعِهِ وَحِلْيَةِ شِعْرِهِ يُحِيلُ إِلَيْكَ إِذَا

أَنْشَدَتْهُ أَنَّ آخَرَ يُنْشِدُ مَعَكَ . وَمِثْلُهُ بَشَّارُ بْنُ بُرَيْدٍ تُنْشِدُ أَقْصَرَ شِعْرِهِ
عَرُوضًا وَآلِيَةً كَلَامًا مُجَدُّلَةً فِي نَفْسِكَ هَزَّةً وَجَلَّةً مِنْ قُوَّةِ الطَّبَعِ
إِنْ نَقَضَى كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ وَرَجَعْنَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الطَّبَعِ وَالتَّصْنِيعِ .
فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ مُصَنِّعًا فَإِنَّ جَيْدَهُ مِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ كَأَبْيِ تَمَامٍ
فَصَارَ مَحْضُورًا مَعْرُوفًا بِأَعْيَانِهِ فَإِذَا كَانَ الطَّبَعُ غَالِبًا عَلَيْهِ لَمْ يَبَيِّنْ
جَيْدَهُ كُلَّ الْبَيِّنَاتِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ قَرِيبِ كَالْبُحْثَرِيِّ . وَمَنْ شَاكَلَهُ
وَقَدْ نَصَّ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي بَعْضِ تَنْظِيرَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
حَكِيمَةَ الشَّاعِرِ حِينَ عَابَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فِي الْفَرَسِ مِنْ قَصِيدَةٍ رَأَى
بِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ ظَاهِرٍ :

فَلَهُ شَهَامَةٌ سُودَنِيَّةٌ بِأَكْبَرِ وَخَوَافِرُ حُفْرٍ وَرَأْسٌ صَنْعٌ
وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ (بِخَوَافِرِ حُفْرٍ وَصُلْبِ ضَلَبٍ) فَحِيلَ بِهِ وَاعْتَذَرَ
لَهُ وَخَرَجَ التَّحَارِجُ أَلْسَانًا وَذَكَرَ أَنَّ الْخَافِرَ الْوَأْبَ وَالْخَافِرَ الْفُتَيْبَ
وَنَحْوَهُمَا أَشْرَفَ فِي الَّلَفْظِ مِنَ الْخَافِرِ الْآخِرِ إِلَّا أَنَّ أَبَا تَمَامٍ
كَانَ يَطْلُبُ الْمَعْنَى وَلَا يُبَالِي بِاللَّفْظِ حَتَّى لَوْ تَمَّ لَهُ الْمَعْنَى بِالْفُتَيْبِ
بَطْنِيَّةٍ لَأَتَى بِهَا . وَالَّذِي أَرَادَهُ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ أَبْصَرَ بِأَبْيِ تَمَامٍ
وَعَبْرَهُ مِمَّا وَأَنَّ التَّسْلِيمَ لَهُ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ أَخْزَمُ . غَيْرَ أَنِّي لَوْ شِئْتُ
أَنْ أَقُولَ وَلَسْتُ رَادًّا عَلَيْهِ وَلَا مُعْتَرِضًا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّ الْمَعْنَى
الَّذِي أَرَادَهُ وَآشَارَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ أَبِي تَمَامٍ إِنَّمَا هُوَ مَعْنَى الصَّنْعَةِ
مِثْلُ التَّطْطِيقِ وَالتَّخْيِيسِ وَمَا أَشْبَهَهَا لَا مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ
رُوحُهُ . وَأَمَّا الَّلَفْظُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يُبَالِي بِهِ إِنَّمَا هُوَ فَصِيحٌ

الْكَلَامِ وَمُسْتَعْمَلُهُ وَيَذُكُّ عَلَى صِحِّهِ مَا ادَّعَيْتُهُ عَلَى ابْنِ الرُّومِيَّةِ
 قَوْلُهُ إِنَّ الْحَافِرَ الْوَابَ وَالْقَعْبَ أَشْرَفَ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْحَافِرِ الْآخِرِ .
 فَكَلَامُهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا قُلْتُهُ فِي أَبِي تَمَّامٍ غَيْرُ مُحَالٍ لَهُ وَإِنْ كَانَ
 فِي الظَّاهِرِ عَلَى خِلَافِهِ لَسَاغَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى مَا قَالَ
 وَإِنَّمَا هُوَ هَذَا مَعْرُضٌ لِلْكَلَامِ لَا مُحَالَةٍ . وَقَالَ لِلْحَافِرِ: كَمَا لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ عَامِيًّا وَلَا سَاقِطًا سَوِيًّا فَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ بَدَوِيًّا أَوْ رَائِيًّا فَإِنْ
 الْوَحْشِيُّ مِنَ الْكَلَامِ يَفْهَمُهُ الْوَحْشِيُّ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَفْهَمُ
 السُّوْقِيُّ رَطَانَةَ السُّوْقِيِّ (قَالَ) وَأَنْشَدَ رَجُلٌ قَوْمًا شِعْرًا فَاسْتَرْبُوهُ
 فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِغَرِيبٍ وَلَكِنَّكُمْ فِي الْأَدَبِ غُرَبَاءُ . وَعَنْ غَيْرِهِ أَنْ
 رَجُلًا قَالَ لِأَبِي تَمَّامٍ فِي نَحْسٍ قَدْ حَقَلَ وَارَادَ تَبَكُّيْتُهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ:
 يَا أَبَا تَمَّامٍ لِمَ لَا تَقُولُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُفْهَمُ . فَقَالَ لَهُ: وَأَنْتَ لِمَ لَا
 تَفْهَمُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُقَالُ قَفْضُهُ . وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ
 كَانَتْ مَعَ أَبِي الْعَمِشِ وَصَاحِبَيْهِ لَهُ خَاطَبَاهُ فَاجَابَهُمَا . وَقَالَ بَعْضُ
 مَنْ نَظَرَ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَآبِي الطَّيِّبِ إِنَّمَا أَبُو تَمَّامٍ كَأَقْلَابِي الْقَدَلِ
 يَضَعُ اللَّفْظَةَ مَوْضِعَهَا وَيُعْطِي الْمَعْنَى حَقَّهُ بَعْدَ طَوْلِ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ
 عَنِ الْمَيْتَةِ أَوْ كَالْقَفِيهِ الْوَرَعِ يَتَعَرَّى فِي كَلَامِهِ وَيَتَجَرَّجُ . وَآبُو الطَّيِّبِ
 كَالشَّجَاعِ الْبَرِيِّ يَتَّجِمُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ لَا يُبَالِي مَا لَقِيَ وَلَا حَيْثُ
 وَقَعَ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ مِنْ عَسِيدِ الشِّعْرِ يُرِيدُ
 أَنَّهُمَا يَتَكَلَّفَانِ إِصْلَاحَهُ وَيُسْفِلَانِ بِهِ خَوَاطِرَهُمَا وَحَوَاسَهُمَا . وَمِنْ

أَفْصَحِيهَا فِي اسْتَعِجَ وَفِي التَّنْفِيفِ وَالتَّحْكِيكِ طُفِيلُ الْقَتَوِيِّ . وَقَدْ
قِيلَ إِنَّ زُهَيْرًا أَيْضًا رَوَى لَهُ وَكَانَ يُسَمَّى مُحَبَّرًا لِحُسْنِ شِعْرِهِ .
وَمِنْهُمْ الْخَطِيبَةُ وَالتَّيْرُ بْنُ تَوَلَّبَ وَكَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ
الْكِنِيسَ . وَكَانَ بَعْضُ الْخُذَّاقِ يَقُولُ : قُلْ مِنَ الشَّعْرِ مَا يُخْدُمُكَ وَلَا
تَقُلْ مِنْهُ مَا تُخْدَمُهُ وَهُوَ مَعْنَى كَلَامِ الْأَصْحَمِيِّ . وَسَأَحْكِي هَذَا
الْبَابَ مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ بِحِلَّةٍ تَكُونُ لَهُ زِينَةً قَائِمَةً
وَاخْتِمَاءً بِحَايِمَةٍ تَكْسُوهُ حِلَّةٌ رَائِقَةٌ لِأَوْفَى بِذَلِكَ بَعْضَ مَا صَنَعْتُ
وَأَفْضَى بِهِ حَقًّا مَا شَرَطْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سَنَةَ
٤٠٥ يَشْرُقُ أَهْلُهُ :

وَلِي كَبْدٌ مَكْلُومَةٌ لِفِرَاقِكُمْ أَطْلَأْتُ مِنْهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجَبَتْ
تَمَنِّيْتُكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبْرًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يُبْدِيَ لَهَا مَا تَمَنَّتِ
وَعَيْنٌ جَفَاهَا النَّوْمُ وَأَعْتَادَهَا الْبُكَاءُ إِذَا عَنْ ذِكْرِ الْفَيْدِ وَأَنْ أُسْتَهْلَتْ
قُلُوْا أَنْ أَغْرَابِيًّا تَذْكُرُ نَجْدًا حَنَّنَ بِهِ إِلَى الْوُطَنِ أَوْ تَشْوَقَ فِيهِ
بَعْضَ السَّكَنِ مَا حَبِيبَتُهُ يَرِيدُ عَلَى مَا آتَى بِهِ هَذَا الْوَلَدُ الْخَضِرِيُّ
الْمُتَأَخِّرُ الْعَصْرِ . وَمَا أَخْطَأَ فِي هَذَا التَّيْزِيرِ فِي هَوَايَ وَلَا اتَّقَعْتُ هَذَا
الْقَوْلَ عِنْدَ مَوْلَايَ وَلَا الْحَدِيثَ بِمَا نَظُنُّ بِهِ وَلَا فِيهِ وَلَكِنْ قَدْ
رَأَيْتُ وَجْهَ الْحَقِّ فَعَرَفْتُهُ وَالْحَقُّ لَا يَتَلَمَّ وَمَا هُوَ فِي بِلَاقَتِهِ وَإِجَارِهِ
إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَخَرُّ السَّعْدِيُّ فِي وَصِيَّتِهِ :

مِنْ الْقَوْلِ مَا يَكْنِيهِ الْمُصِيبَ قَلِيلُهُ
وَمِنْهُ الَّذِي لَا يَكْتَفِي الدَّهْرَ قَائِلُهُ

يَصُدُّ عَنِ الْمَنَى فَيَتْرُكُ مَا نَحَا
وَيَذْهَبُ فِي التَّقْصِيرِ مِنْهُ تَطَاوُلُهُ
فَلَا تَكُ مَكْتَنَارًا تَرِيدُ عَلَى الَّذِي
عُنِيَتْ بِهِ فِي خَطْبِ أَمْرِ تَرَاوُلُهُ

البحث الرابع

في اقسام الشعر

(من الكتاب نفسه)

قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ يَجْمَعُ أَصْنَافُ الشِّعْرِ أَرْبَعَةُ الْمَدِيحُ وَالْهَجَاءُ
وَالْحِكْمَةُ وَاللَّهُوُ ثُمَّ يَنْفَرُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ قُتُونٌ فَيَكُونُ
فِي الْمَدِيحِ الْمَرَاثِي وَالْإِفْتِخَارُ وَالشُّكْرُ ثُمَّ يَكُونُ مِنَ الْهَجَاءِ الذَّمُّ
وَالْعِتَابُ وَالْأَسْخِطَاءُ وَمِنْ الْحِكْمَةِ الْأَمْثَالُ وَالْتَرَاهِيدُ وَالْمَوْاعِظُ
وَيَكُونُ مِنَ اللَّهِوِ الْقَزْلُ وَصِفَةُ الْخَمْرِ وَالْخَمُورِ. وَقَالَ قَوْمُ الشِّعْرِ
كُلُّهُ نَوْعَانِ مَدْحٌ وَهَجَاءٌ قَالِي الْمَدْحِ يَجْمَعُ الرِّثَاءُ وَالْإِفْتِخَارُ وَالْتَشْيِيبُ
وَمَا تَعَلَّقَ بِذَلِكَ مِنْ مَحْمُودٍ أَوْضَفَ كَهَمَاتِ الْحُمُولِ وَالْآثَارِ
وَالْتَشْيِيبَاتِ الْحَسَنَةِ وَكَذَلِكَ تَحْسِينُ الْخُلُقِ كَالْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ
وَالْمَوْاعِظِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْقَنَاعَةِ. وَالْهَجَاءُ هَذَا ذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرَ أَنَّ
الْعِتَابَ حَالٌ مِنَ الْخَالَيْنِ فَهُوَ طَرَفٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَكَذَلِكَ
الْإِغْرَاءُ لَيْسَ بِمَدْحٍ وَلَا هَجَاءٍ لِأَنَّكَ لَا تُغْرِي بِإِنْسَانٍ مَقُولَ أَنَّهُ
حَقِيرٌ وَلَا ذَلِيلٌ إِلَّا كَانَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْغَرَى الدَّرَكُ وَلَا تَقْصِدُ

أَيْضًا بِعَدَمِهِ الشَّاءَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ . وَأَلَيْتُ مِنْ
 الشَّعْرِ كَأَلَيْتُ مِنَ الْآيَةِ وَالشَّعْرُ قَرَارُهُ الطَّعْمُ وَسَكُنُهُ الرِّوَايَةُ
 وَدَعَائِيهِ الْقَلَمُ وَبَابُهُ الدَّرَبَةُ وَسَاكِنُهُ الْمَغْنَى وَلَا حَيْرَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ
 مَسْكُونٍ . وَصَارَتْ الْأَعَارِضُ وَالْقَوَائِي كَأَلَوَائِيْنَ وَالْأَمَثِلَةُ لِلْآيَةِ
 أَوْ كَأَلَوَائِيْهِ وَالْأَوْتَادُ لِلْأَخْيَةِ . وَأَمَّا مَا سَوَى ذَلِكَ مِنْ تَحَايِينَ
 الشَّعْرِ فَلَنَّمَا هُوَ زِينَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَأَسْتَعْنِي عَنْهَا . قَالَ
 الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْوَسَاطَةِ :
 الشَّعْرُ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِ يَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّعْمُ وَالرِّوَايَةُ وَالذِّكَاةُ
 ثُمَّ تَكُونُ الدَّرَبَةُ مَادَّةً لَهُ وَقُوَّةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ فَمَنْ
 أَجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْخِصَالُ فَهُوَ الْحَخِينُ الْمُبَرِّزُ وَيَقْدَرُ تَصْيِيبُهَا مِنْهَا
 تَكُونُ مَرْقَبَتُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ . قَالَ وَكَلْتُ أَفْصَلَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
 بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَالْجَاهِلِيِّ وَالْحَضَرَمِ وَالْأَعْرَابِيِّ وَالْمَوْلَدِ إِلَّا
 أَنِّي أَرَى حَاجَةَ الْحَدِيثِ إِلَى الرِّوَايَةِ أَمْسَ وَاجِدُهُ إِلَى كَثْرَةِ
 الْخِلَافِ أَفْقَرُ فَلَمَّا اسْتَكْشَفْتُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ وَجَدْتُ سَبِيلَهَا وَالْعِلَّةَ
 فِيهَا أَنَّ الْمُطْبُوعَ الَّذِي لَا يُعْكِثُهُ تَنَادُلُ الْقَاطِرِ الْعَرَبِ إِلَّا رِوَايَةً
 وَلَا رِوَايَةً وَلَا طَرِيقَ إِلَى الرِّوَايَةِ إِلَّا السَّمْعُ وَمِلَاكُ السَّمْعِ
 الْخِلَافُ . وَقَالَ دَنْبَلٌ فِي كِتَابِهِ مَنْ أَرَادَ الْمَدِيحَ فَلِأَرْغَبَةٍ وَمَنْ أَرَادَ
 الْعِجَاءَ فَلِإِبْغَضَاءٍ وَمَنْ أَرَادَ التَّشْيِيبَ فَلِالشَّرْقِ وَالْعُشْقِ وَمَنْ أَرَادَ
 أُمَامَتَهُ فَلِإِسْتِطَاءٍ : فَتَقَسَّمَ الشَّعْرُ كَهَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ وَكَانَ
 الرِّثَاءُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْمَدْحِ عَلَى مَا قَدَّمْتُ . إِلَّا أَنَّهُ جَمَلَ الْعِتَابِ

بَدَلًا مِنْهُ وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الشَّعْرُ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْإِسْعَادَةُ الرَّائِعَةُ وَالشَّيْبَةُ الْوَاقِعُ وَمَا سَوَى ذَلِكَ فَلَنَا
لِقَائِهِ فَضْلُ الْوَزْنِ

المبحث العاشر

في صناعة المديح

(من الكتاب نفسه)

وَسَبِيلُ الشَّاعِرِ إِذَا مَدَحَ مَلِكًا أَنْ يَسْلِكَ طَرِيقَةَ الْإِفْصَاحِ
وَالْإِسَادَةِ بِذِكْرِ الْمَدْحِ وَأَنْ يَجْعَلَ مَعَانِيَهُ جَزَلَةً وَالْقَاطِلَةَ نَقِيبَةً
غَيْرَ مُبْتَدَأَةٍ سَوِيَّةٍ وَيَجْتَنِبُ مَعَ ذَلِكَ التَّقْصِيرَ وَالْتِّطْوِيلَ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ
سَامَةً وَخَصْرًا وَرَبَا عَابٍ وَنَ أَجَاهَا مَا لَا يُرِيدُ جِرْمَانَهُ وَقَدْ
رَأَيْتُ عَمَلَ الْفَجْهَرِيِّ إِذَا مَدَحَ الْخَلِيفَةَ كَيْفَ يُقْلُ الْأَنْبِيَاءَ وَيُبْرِدُ
وُجُوهُ الْمَغَانِي فَإِذَا مَدَحَ الْكُتَّابَ عَمَلَ طَائِفَتَهُ وَبَلَغَ مُرَادَهُ. وَقَدْ
حُكِيَ عَنْ عَمْرَةَ أَنَّ جَدَّهُ جَرِيرًا قَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا مَدَحْتَمْ فَلَا
تُطِيلُوا الْمُدَاحَةَ وَإِذَا هَجَرْتُمْ فَخَالِفُوا. وَحَكَى آخَرُ قَالَ: دَخَلَ
الْقُرْزُوقُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:
يَا أَبَا فِرَاسٍ دَعْنِي مِنْ شِعْرِكَ الَّذِي لَيْسَ يَأْتِي آخِرُهُ حَتَّى يُنْسَى
أَوَّلُهُ وَقُلْ فِيَّ بَيْتَيْنِ يَتَلَقَّانِ بِالزَّوَايَةِ وَأَنَا أَنْعِيكَ عَطِيَّةً لَمْ
يُنْطَقْهَا أَحَدٌ قَبْلِي فَقَدَا عَلَيْهِ وَقَالَ:

وَأَنْتَ ابْنُ بَطْحَاوَى قُرَيْشٍ وَإِنْ تَشَاءُ

تَكُنْ مِنْ تَعْنِيفٍ سُبُلَ ذِي حَدَرٍ عُمَرُ

وَأَنْتَ ابْنُ سُورِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْعَلَا

تَلَقَّتْ بِكَ الشَّمْسُ الْمَضِيئَةَ لِلْبَدْرِ

فَقَالَ لَهُ: أَحَسَنْتَ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ. وَإِذَا كَانَ الْمَذْرُوحُ

مَلِكًا لَمْ يُبَالِ الشَّاعِرُ مَا قَالَ فِيهِ وَلَا كَيْفَ أَطْنَبَ وَذَلِكَ مُحَمَّدٌ

وَسِوَاهُ الْمَذْمُومُ. فَإِنْ كَانَ سُوقَةً فَإِيَّاهُ وَالتَّجَاوُزُ بِهِ خُطُّهُ فَإِنَّهُ مَتَى

تَجَاوَزَ بِهِ خُطُّهُ كَانَ كَمَنْ نَقَصَهُ مِنْهَا وَكَذَلِكَ لَا يُجِبُ أَنْ يُقْصَرَ

بِهِ عَمَّا يَنْسَحِقُ وَلَا أَنْ يُعْطِيَهُ صِفَةٌ غَيْرُهُ فَيَصِفَ الْكَاتِبُ بِالشَّجَاعَةِ

وَالْقَاضِي بِالْحَيَّةِ وَالْمُهَابَةِ. وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ هَذَا لِشِعْرَاءِ وَقْتِنَا وَهُوَ

خَطَأٌ. إِلَّا أَنْ تَصْبِحَ قَرِينَةً تَذُلُّ عَلَى صَوَابِ الرَّاْيِ فِيهِ وَكَذَلِكَ

لَا يَجُوزُ أَنْ يُمدَحَ الْمَلِكُ بَعْضُ مَا يَنْجُو فِي غَيْرِهِ مِنَ الرُّؤْسَاءِ وَإِنْ كَانَ

فَضِيَّةً وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ النُّجَاشِيِّ فِي مَدْحِ الْعَلَاءِ :

لَا الْعَدْلُ يَرُدُّهُ وَلَا مِ التَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهُ

فَإِنَّهُ يَمَّا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهُ قَالَ :

وَمَنْ ذَا يَعِيفُ الْخَلِيفَةَ عَنِ الْكَرَمِ أَوْ يَصُدُّهُ هَذَا بِالْهَجَاءِ أَوَّلَى

مِنْهُ بِالْمَدْحِ. وَيَعِيبُ عَلَى الْأَخْطَلِ قَوْلُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

هَذَا أَلَيْتَ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَاقَةَ مِنْهُمْ

لَا يَنْصُ لَا عَارِي الْخِلْوَانِ وَلَا جَذْبِ

وَقَالُوا: لَوْ مَدَحَ بِهَذَا حَرِيصًا لَعَبِدَ الْمَلِكِ لَكَانَ قَصْرًا بِهِ
وَأَجُودُ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي الْإِلَهِ جَفَنَةً
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيضَ عَلَيْهِمْ

بَرْدَى يُصَقُّ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
وَيُرَوَّى مِنْكُمْ. وَعَابُوا عَلَى الْأَحْوَصِ قَوْلَهُ لِلْمَلِكِ:
وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ

مَذْنُ السَّلْسِلِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
قَالُوا لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُمدَحُ بِمَا يَلْزَمُهَا فَعَلَهُ كَمَا مُدَحُّ بِهِ الْعَامَّةُ
وَأَنَّا مُدَحُّ بِالْإِغْرَاقِ وَالتَّقْضُلِ لَا بِمَا يَنْسَعُ غَيْرُهُمْ لِيَذَلُّ. وَمِنْ هَذَا
النَّوعِ قَوْلُ كَثِيرٍ:

رَأَيْتُ ابْنَ لَيْلَى يَتَّبِعِي ضَلَبَ مَالِهِ
مَسَائِلُ شَيْءٍ مِنْ غَيْبِي وَمُضْمِرٍ
مَسَائِلُ إِنْ تُوجَدَ لَدَيْكَ تُجَدُّ بِهَا

يَدَاكَ وَإِنْ تُظْلَمَ بِهَا تَتَظَلَّمُ
لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ دُونَ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ رُهَيْبٍ فِي هَرَمٍ. وَلَيْسَ بِكَ فِلَذِكِ حَسَنَ قَوْلِهِ:
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفُوا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيُظْلَمُ
يُرِيدُ أَنَّهُ يُسْأَلُ مَا لَيْسَ قَبْلَهُ فَيَحْمَلُهُ. وَحُكِيَ عَنِ الصَّوَلِيِّ أَنَّهُ
مَرَدَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ كَانَ يُعَدِّمُ كَثِيرًا فِي الْمَدْحِ عَلَى جَرِيرٍ
وَالْفَرَزْدَقِ. وَجَمًّا قَدِيمٌ بِهِ رُهَيْبٌ قَوْلُهُ:

لَوْ كَانَ يَفْقَهُ قَوْلَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا

وَقَدْ مَه قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ نَقْدُ الشُّعَرِ

لَوْ كَانَتْ قَضَائِلُ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ لَا مِنْ طَرِيقِ مَا هُمْ

مُشْتَرِكُونَ فِيهِ مَعَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَلْبَابِ مِنْ

الْإِتِمَاتِي فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ الْعَقْلُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدَانَةُ وَالشَّجَاعَةُ كَانَ

الْقَاصِدُ لِلْمَذْحِ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مُصِيبًا وَإِنَّمَا سِرَافَهَا مُخْطِئًا. وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ:

أَخِي ثِقَبٌ لَا يَتَلَفُ الْخَيْرَ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَلَفُ أَمْثَالُ تَائِلُهُ

لِأَنَّهُ قَدْ وَصَّهَ بِالْعِفَّةِ لِقَلَّةِ إِمْعَانِهِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنَّهُ لَا يَفْقَهُ

فِيهَا مَالُهُ بِالشَّيْءِ لِأَهْلَاكِ مَالِهِ فِي السَّرَالِ وَالتَّخْرَافِ فِي ذَلِكَ عَنْ

اللَّذَاتِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ (قَالَ) ثُمَّ قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَهُ مُتَمَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أَرَادَ أَنْ فَرَحَهُ بِمَا يُعْطِي أَكْثَرَ مِنْ فَرَحِهِ بِمَا يَأْخُذُ قَرَادَ فِي وَصْفِ

السَّخَاةِ مِنْهُ بِأَنَّهُ جَعَلَهُ يَبْسُ وَلَا يُلْحَقُهُ مَضَضٌ وَلَا تَكَرُّهُ لِفِعْلِهِ

ثُمَّ قَالَ :

وَمَنْ مِثْلُ حِضْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ

لِإِنْكَارِ صَمِّهِ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

وَيُرَوَّى أَوْ لِحُضْمِ نِجَادِلِهِ. فَآتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ

جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ فَاسْتَوْفَى فِي ضُرُوبِ الْمَذْحِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ

قَضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَزَادَهَا بِهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي

الْأَرْبَعَةُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ وَجَهَ دُخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ :
 (أَخِي ثَعْلَبٌ) قَوْصَهُ بِالْوَقَاءِ وَالْوَقَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْأَقْصَائِلِ
 الَّتِي قَدَّمْنَا وَقَدْ تَحْدُثُ هَذَا لِلشُّعْرَاءِ فَيَعُدُّونَ أَنْوَاعَ الْأَقْصَائِلِ الْأَرْبَعِ
 وَأَقْسَامَهَا وَكُلُّ دَاخِلٍ فِي جُمْلَتِهَا مِثْلُ أَنْ يَذْكُرُوا الْمَرْقَةَ وَالْحَيَاءَ
 وَالْبَيَانَ وَالنِّيَاسَةَ وَالصَّدْعَ بِالْحَجَّةِ وَالْعِلْمَ وَالْجَلْمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا
 يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَكَرَهُمُ الْقَنْعَةُ وَفَتَّةُ
 الشَّرِّ وَطَهَارَةُ الْأَزَارِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ . وَكَذَكَرَهُمُ
 الْحَيَاةُ وَالْأَخَذُ بِالنَّارِ وَالِدِقَاعُ عَنْ أَجَارِ وَالسَّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ وَقَتْلُ
 الْأَقْرَانِ وَالْمَهَابَةُ وَالسَّيْرُ فِي الْمَهَابَةِ وَالْقِفَارُ الْمَوْجِشَةُ وَمَا شَاكَلَ
 ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ . وَكَذَكَرَهُمُ السَّامَةُ وَالنَّعَابُنُ وَالْإِظْلَامُ
 وَالْتَّبَرُّعُ بِالنَّائِلِ وَاجَابَةُ السَّائِلِ وَقَرَى الْأَضْيَافِ وَمَا جَانَسَ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ

وَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ فَتَحْدُثُ مِنْهُ سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ
 مِنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ الصَّبْرُ عَلَى أَلِيمَاتِ وَتَوَازِلِ الْخُطُوبِ .
 وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالسَّخَاةِ الْبِرُّ وَاتِّخَاذُ الْوَعْدِ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ
 تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ التَّزَهُدُ وَالرَّغْبَةُ عَنِ الْمَسْتَقَةِ وَالْإِقْتِسَادُ عَلَى
 أَدْنَى مَعِيشَةٍ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاةِ
 الْإِتْلَافُ وَالْإِسْرَافُ وَمَا جَانَسَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ
 الْعِفَّةِ انْكَارُ الْقَوَاحِشِ وَالْمُزِيدَةُ عَلَى الْحَرِيمِ . وَعَنْ السَّخَاةِ مَعَ الْعِفَّةِ
 الْإِسْعَافُ بِالْعُتْرِ وَالْإِيْشَارُ عَلَى النَّفْسِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . قَالَ وَكُلُّ

وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْأَرْبَعِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ
مَذْمُومَيْنِ وَمِنْ الْمَدِيحِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَفِيهِ مَعَالِمَاتُ حَسَنٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةُ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَأِنْ جِشْتُمْ أَلْقَيْتَ حَوْلَ يَبُوتَيْهِمْ مَجَالِسٌ قَدْ يَشْفَى بِأَحْلَامِهَا أَجْهَلُ
عَلَى مَكْثِهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَغْتَرِبُ بِهِمْ وَعِنْدَ الْقَلِيلَيْنِ الْمَمَاحَةُ وَالذُّلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلَيْسُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَلَمْ يَكُ مِنْ خَيْرِ أَثْوَةٍ وَأَنَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْتِ الْحَطِيَّ إِلَّا وَشِيخُهُ وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا أَجْحَلُ
وَقَوْلُهُ :

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى الْمَمَاحَةَ مِنْهُ وَأَلْدَى خُلَامًا
أَيْثُ بَعَثَ يَضْطَاذُ الرِّجَالِ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَابِهِ صَدَقًا
يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَمًا
لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ أَفْقَى السَّمَاءِ لَمَاتَ كَمُهُ الْأُفْقَا
وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الشَّعْرِ فِي مَدْحِ الْوَزِيرِ وَالْكَاتِبِ
عَلَى مَا اخْتَارَهُ قُدَامَةُ وَغَيْرُهُ مَا نَاسَبَ حُسْنَ الرُّوْيَةِ وَسُرْعَةَ الْخَاطِرِ
بِالصُّوَابِ وَشِدَّةِ الْحَزْمِ وَقِلَّةِ الْغَفْلَةِ وَجُودَةِ النَّظَرِ لِلخِيفَةِ وَالْيَبَابَةِ عَنْهُ
فِي الْمَعْضَلَاتِ بِالرَّأْيِ أَوْ بِالذَّاتِ كَمَا قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

إِذَا تَابَهُ أَمْرٌ قَامًا كَفَيْتُهُ وَإِمَامًا عَلَيْهِ بِالْكَفَى تَشِيرُ
وَبِأَنَّهُ مَحْمُودُ السَّيَرَةِ حَسَنُ السِّيَاسَةِ لَطِيفٌ فَلَنْ أَصَافَ إِلَى
ذَلِكَ ذِكْرَ الْبَلَاغَةِ وَالْحُطِّ وَالْتِمَازِ فِي الْعِلْمِ كَانَ غَايَةً. وَأَفْضَلُ مَا

مُدَحِّ بِهٖ الْقَائِدُ الْجُودَ وَالشَّجَاعَةَ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهَا مِنْ الْإِفْرَاطِ فِي التَّجْدَةِ
وَسُرْعَةِ الطَّشْرِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ. وَيُمدَحُ الْقَاضِي بِمَا نَاسَبَ الْعَدْلَ
وَالْإِنصَافَ وَتَقَرُّبَ الْبَعِيدِ فِي الْحَقِّ وَتَبَعِيدَ الْقَرِيبِ فِي الْإِخْذِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَالْفَتَى بِسَطِّ الْوَجْهِ
وَلِينِ الْجَانِبِ وَقِلَّةِ الْمُنَالَةِ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ
فَإِنْ زَادَ إِلَى ذَلِكَ وَذَكَرَ الْوَرَعَ وَالنَّجَرَ وَمَا شَاكَلَهُمَا فَقَدْ بَلَغَ
الْهَيْبَةَ. وَصِفَاتُ الْقَاضِي كُلُّهَا لِأَنَّهُ بِصَاحِبِ الظَّالِمِ وَمَنْ كَانَ
دُونَ هَذِهِ الثَّلَاثِ الطَّبَقَاتِ سِوَى طَبَقَةِ أَلَلِكٍ فَلَا أَرَى لِدُنْجِهِ وَجْهًا
فَإِنْ دَعَتْ إِلَى ذَلِكَ ضَرُورَةٌ مُدَحُّ كُلِّ إِنْسَانٍ بِالْقَضْلِ فِي
صِنَاعَتِهِ وَالْعَرَفَةِ بِطَرِيقَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا. وَكَثُرَ مَا يُقُولُ عَلَى
الْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا قُدَّامَةُ وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا فَضَائِلُ
عَرَضِيَّةٍ أَوْ جَسِيَّةٍ كَالْجَمَالِ وَالْأَهْبَةِ وَبَسْطَةِ الْخُلُقِ وَسَعَةِ الدُّنْيَا
وَكثْرَةِ الْعَيْشِ كَانَ ذَلِكَ جَيِّدًا. إِلَّا أَنَّ قُدَّامَةَ قَدْ أَبَى مِنْهُ وَأَنْكَرَهُ
جُمْلَةً وَلَيْسَ ذَلِكَ صَوَابًا وَإِنَّمَا الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: الْمَدْحُ
بِالْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ أَشْرَفُ وَأَصَحُّ قَامًا إِنْكَارُ مَا سِوَاهَا جُمْلَةً
وَاجِدَةً قَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يُسَاعِدُهُ فِيهِ وَلَا يُوَاقِفُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ صَوَّرَهُ
الْخُذَّاقُ أَنْ يُمدَحَ الْمُوَكَّلُ بِمَا نَاسَبَ قَوْلَ مُوسَى شَهَوَاتٍ وَزُرَى
لِفَعْلِهِ:

أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ قَانِي

وَحَكِي عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ قَالَ مَا لِهَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ قَاتَلَهُمْ
 اللَّهُ رَبُّمَا ذَكَرُونَا شَيْئًا نَحْنُ أَكْثَرُ لَهُ ذِكْرًا مِنْهُمْ فَيَنْصُونَ بِهِ عَلَيْنَا
 أَوْقَاتَ لَذَائِنَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَلَمَتْ. وَمِنْ أَبْشَعِ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ
 أَبِي تَمَامٍ :

فَلْيَطْلُ غَمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي طَوْسٍ مُقِيمًا لَمَاتَ فِيهَا غَرِيبًا
 مَا أَلَذِّي دَعَاهُ إِلَى ذِكْرِ أَلَمَتْ هَهُنَا إِلَّا التَّكْدُ وَالْبَغَاصَةُ
 وَاجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِمَدْحِ الرَّسُولِ :
 نَحْمِلُهُ الثَّلَاثَةَ الْأَدَمَاءُ مُعْتَجِرًا بِأَبْرَدِ كَالْبَدْرِ جَلِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ
 وَفِي عَطَافِهِ أَوْ أَثْنَاءَ رَيْطِنِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينِ وَوَنِ كَرَمِ
 وَالْجَهَالُ يَرَوْنَ أَلْبَيْتَ لِأَبِي دُعَيْلِ الْجَحِي وَيُنَاسِبُهُ قَوْلُ
 الْحَجَّاجِ :

يَحْمِلُنَ كُلُّ سُودْدٍ وَخَرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَذَرِي وَمَا لَا نَذَرِي
 قَالَ الْأَضْمِيُّ أَضَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ :
 وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ مَ وَإِنْ لِلْحَائِثِينَ دَمَاءُ
 قَالَ وَلَمْ يُقَلِّ شَعْرٌ قَطُّ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْقَمَارِيِّ. قَالَ
 أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ : مِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَحْمِلُ الْمَدْحَ فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا
 حَسَنًا لِلْوَعْدِ الْإِرَادَةِ مَعَ خُلُوعِهِ مِنَ الْإِطَاعَةِ وَبَعْدِهِ عَنِ الْإِصْطَارِ
 وَدُخُولِهِ فِي الْإِخْتِصَارِ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِ الْخَطِيبَةِ :

تَرُودُ فَنِي يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَكَ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ
 كُتُوبٌ وَتَلَاَفٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَرَّ اهْتَرَّاهُ الْمُهْدَى

مَتَى تَأْتِيَهُ تَشْهُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَحْذِخُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ
تَصَرَّفَ فِي آيَاتِهِ هُذُو فِي أَصَافِ السَّيْحِ وَآتَى بِجَمَاعِ
الْوُضْفِ وَجَمْعِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْاِقْتِصَادِ فِي الْبَيْتِ الْاٰخِرِ وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الشَّمَاخِ :

رَأَيْتُ عُرَابَةً الْاَفْرَسِيَّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفْعَتِ الْجَدِ تَلَقَّاهَا عُرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
وَأَفْضَلُ مَدْحٍ مُدَحِّ بِهَ الْمُلُوكُ وَأَكْثَرُهُ إِصَابَةٌ لِلْعَرَضِ مَا
يُنَاسِبُ قَوْلَ ابْنِ هَرَمَةَ فِي الْمَنْصُورِ :

لَهُ لَحْظَاتٌ عَنْ حِفَافِ سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَّا الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى وَأَمَّا الَّذِي أَوْعَدَتْ بِالشَّكْلِ تَاكِلُ
وَقَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَدْحُ أَهَادِي :

يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ الْكِنَانِيِّ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبْنِ مَرْوَانَ وَتُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَقِيلَ بَلْ قَالَهَا
فِي الْأَعْلَنِ الْإِنْفَرِيِّ وَقِيلَ هِيَ لِدَاوُدَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي قُتَمَ بْنِ الْعَبَّاسِ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّهِ أَرْوَاعٌ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ قَامَا يُكَاثِمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وَأَجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ بِبَابِ الْمُنْعَمِ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ قَوْلِ مَنْصُورِ النَّسْرِيِّ فِي الرَّشِيدِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْعُرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا قَالَهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّعٍ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينٍ اللَّهُ مُعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَمِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلُفْ أَنَا إِلَهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَسْمَعُ
فَلْيَدْخُلْ. فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ: فِينَا مَنْ يَقُولُ خَيْرًا مِنْهُ
وَأَشَدَّ:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِفَتْحِهِمْ شَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلُهُ فِي كُلِّ نَابِيَةٍ الْغَيْثُ وَاللَّيْثُ وَالصَّمَامَةُ الدُّكْرُ
فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُ
وَقَالُوا لَمَّا حَضَرَتِ الْخَطِيئَةُ الْوَفَاةُ قَالَ: بَلِّغُوا الْأَنْصَارَ أَنَّ
أَخَاهُمْ أَمَدَحُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ:
يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ
قَالَ ثَعْلَبُ بَلِّ قَوْلُ الْأَعَشَى:
فَتَى لَوْ يُبَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِبَاعَهَا

أَوْ الْقَمَرَ الشَّارِي لَأَلْقَى الْقَالِدَا
أَمَدَحُ مِنْهُ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: بَيْتُ جَبْرِ
الْشَّمُ خَيْرٌ مِنْ رَبِّ الطَّيَا وَأَنْدَى الْعَالَيْنِ بَطُونِ دَارِ
أَسِيرٌ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُهُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلِّ قَوْلُ
الْأَخْطَلِ:

شَمْسُ الْمَدَاوِرِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

وَقَالَ دُعِلْ بِلْ قَوْلِ أَبِي الطَّحَّانِ التَّمِينِي
أَصْأَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ

دُحِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَنْعُ صَاحِبُهُ
قَالَ : وَقَدْ تَنَازَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَتَنِي أَبِي الطَّحَّانِ قَوْمٌ
وَفِي بَيْتِ حَسَّانَ فِي آلِ جَفَّةَ وَبَيْتِ النَّائِمَةِ :

بِأَنَّكَ شَسْ وَأَلْمُوكَ كَوَايِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَايِبُ
وَبَيْتُ أَبِي الطَّحَّانِ أَشْعَرُهَا. قَالَ الْحَاقِمِيُّ : بَلْ بَيْتُ ذَهَيْرٍ :
تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَّهُ مُتَبَلِّلًا سَكَانَكَ تُنْطِئُهُ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَحُكِّي عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعَ أَهْلُ
الْعِلْمِ أَنَّ بَيْتِي أَبِي نَوَاسٍ أَجْوَدُ بَيْتَيْنِ فِي الْمَدِيحِ لِلْمَوْلَدَيْنِ وَهُمَا :
أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِشُجْرَتِهِ

إِذَا الزَّيْمَانُ عَلَى أَنْيَابِهِ كَلْحَا
وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنَا غَيْرَ غَافِلَةٍ

مِنْ جُودِ كَيْفِكَ تَأْثُرُ كُلَّمَا جَرَحَا
وَحَكَّى الْحَاقِمِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَّاحِدِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى
قَالَ : سَمِعْتُ أَبْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالَهُ مَوْلَدُ قَوْلِ
أَبِي نَوَاسٍ :

تَفْطِنْتُ مِنْ ذَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى ذَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَالُ الْأَجْدَاثُ مَا أَسْمِي مَا دَرَّتْ

وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ: نَحْنُ إِلَى الْإِنصَافِ أَخَوَجُ مِمَّا إِلَى
 الْمَكَابِرَةِ وَالْخِلَافِ وَأَبُو نُوَاسٍ ذَهَبَ مَذْهَبًا لَطِيفًا يُخْرِجُ لَهُ فِيهِ الْقُدْرُ
 وَالتَّأْوِيلُ وَالْأَقْمَا فِي صِفَةِ الْخُمُولِ أَشَدُّ مِمَّا ذُكِرَ لَاسِيًّا عَلَى
 رِوَايَةٍ مَنْ رَوَى (فَلَوْ كُنَّا الْأَيَّامُ) . وَمِنْ جَيْدٍ مَا سَعَيْتُ لِتَحْدِثِ
 وَأَطْلَعْتُ لِابْنِ الرُّومِيِّ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَرَأَيْتُ
 مِنْ بَرَوِيهِ لِأَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ :

إِذَا أَبُو قَالِمٍ جَادَتْ يَدَاهُ لَنَا

لَمْ يُحْمَدِ الْأَجُودَانِ الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
 وَإِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ

تَضَاءَلَ النَّسِيرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَإِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ

تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ السِّيفُ وَالْقَدَرُ
 مَنْ لَمْ يَبْتَ حَذِرًا مِنْ سَطْوِ صَوْلَتِهِ

لَمْ يَذِرْ مَا أَلْزَمَ الْبَحْثُ السِّيفُ وَالْحَذَرُ
 يَبَالُ بِالظَّنِّ مَا يَبَا الْعِيَانُ بِهِ

وَالشَّاهِدَانِ عَلَيْهِ الْعَيْنُ وَالْأَلْوَرُ
 كَنَاءَةٌ وَزِمَامُ الدُّهْرِ فِي يَدِهِ

يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأْتِي وَمَا يَسْتَدِرُّ
 قَالَ خَلَفَ الْأَحْمَرُ: أَخْلَبَ الْمَذْحِ وَأَكْثَرُهُ مَلَقًا قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ

أَبِي سَلَمَى :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَحْوِثِي لَمْ تَتَلَفْ الْحَمْرُ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أَمَالُ نَائِلُهُ
 غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ قَوَّائِيَّتُهُ قُمُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِيَّتُهُ
 يُعْدِيئُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْسَنُهُ وَأَعْيَا قَمَا يَدْرِينِ أَيْنَ نَحَائِيَّتُهُ
 فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَوِّدًا جُمُوعٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ قَائِلُهُ
 وَقَوْلٍ طُفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا جِئْنَاكَ بِمَا نَعْلَمُنَا فِي الْوَاطِنِ وَزَلَّتْ (١)
 أَبَوَانِ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تُتْلَا فِي الَّذِي لَأَقُوهُ مِمَّا لَمَلَّتْ
 وَسَالَ الرَّشِيدُ الْفَضْلَ الضَّيِّ : أَيَّ بَيْتٍ قَالَتْ الْعَرَبُ أَمَدُحُ
 فَقَالَ :

أَعْرِضْ أَلَمْ تَأْتِ الْمُدَاةُ بِ كَأَنَّهُ عَالِمٌ فِي رَأْيِهِ نَارُ
 قَالَ شَرَّاحِيلُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ : كُنْتُ أَسِيرُ تَحْتَ قُبَّةٍ يَحْيَى
 أَبْنُ خَالِدٍ وَقَدْ خَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ وَعَدِيدُهُ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي إِذْ
 أَعْرَاجِي مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَ يَلْقَاهُ إِذَا خَجَّ قَسِدَهُ فَاَنْشَدَهُ شِعْرًا
 أَنْكَرَ يَحْيَى مِنْهُ بَيْتًا فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ مِثْلِ
 هَذَا الشِّعْرِ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْقَلَاءِ كَأَنَّهُمْ لَجَارِهِمْ بَيْنَ النِّمَاطِينَ مَنَزِلُ
 بِهَامِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا الصَّابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي اللَّائِيَاتِ وَاجْتَلَوْا
 فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لِمَنْ هَذَا الشِّعْرُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَدْ سَمِعْتُ أَحْسَنَ
 مِنْهُ فَقَالَ يَحْيَى يَقُولُهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِي هَذَا أَلْفَتِي وَأَوَمَّا إِلَيَّ
 فَكَانَ قَوْلُهُ أَسْرًا إِلَيَّ مِنْ جَلِيلِ الْقَوَائِدِ ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ
 يَا سَرَّاجِيلُ أَتَشِدُّنِي أَجُودَ مَا قَالَهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِيكَ
 فَأَنْشَدْتُهُ:

نَعَمْ أَلْتَسَاخُ لِزَاهِبٍ وَلِرَاقِبٍ مِمَّنْ تُصِيبُ حَوَائِجُ الْأَزْمَانِ
 مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ
 إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْقَلَاءِ فَلَانَا يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَانِ
 يَكْسُو الْأَيْرَةَ وَالْمَنَابِرَ بَهْجَةً وَيَزِيهَا بِجَهَادَةٍ وَيَبَانِ
 تَقْضِي أَمْنَتَهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ فِي الْحَرْبِ عِدَّةُ تَعَثُّرِ الْأَلْوَانِ
 نَفْسِي فِدَاكَ أَبَا الْوَلِيدِ إِذَا بَدَا رَحِمُ السَّنَائِكِ وَالرِّمَاحِ دَوَانِ
 فَقَالَ يَحْيَى أَنْتَ لَا تَذَرِي جَيْدَ مَا مُدِحٌ بِهِ أَبُوكَ وَأَجُودُ مِنْ
 هَذَا قَوْلُهُ:

تَسَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَاشْكَلَا فَلَا تَحْنُ تَذَرِي أَيُّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
 أَيُّومُ نَدَاهُ الْعُمْرُ أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرُ مُجْجَلُ
 وَبَيْنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَنْقُلُ الْمَدِيحَ عَنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَكَانَ
 ذَلِكَ دَأْبَ الْجُثْرِيِّ وَفَعَلَهُ أَبُو ثَعَامٍ فِي قَصَائِدِ مِنْهَا:

قَدْكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْقُلُوءِ

نَقَلَهَا عَنْ يَحْيَى بْنِ تَابِتٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الصَّبَّيِّ

البحث الرابع

في الافتخار

(من الكتاب نفسه)

الِافْتِخَارُ هُوَ الْمَدْحُ بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ يُخَصُّ بِهِ نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ
فَكُلَّمَا حَسَنَ فِي الْمَدْحِ حَسَنَ فِي الْإِفْتِخَارِ وَكُلَّمَا قَبِجَ فِيهِ قَبِجَ
فِي الْإِفْتِخَارِ مِنْ آيَاتِ الْإِفْتِخَارِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى أَمَّا بَيْتَانِئُهُ أَعَزَّ وَأَطْوَلُ
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ ثَعْلَبٍ : أَفْخَرُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

مَا يُسْكِرُ النَّاسُ وَمَا حِينَ تَمْلِكُهُمْ سَكَنُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابَا
وَقَالَ دِغِيلُ أَفْخَرُ الشُّعَرَاءِ قَوْلُ كُثَيْبٍ :

وَيَسِيرُ بَدْرٌ إِذَا يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
وَقَالَ الْحَافِي : قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

تَرَى النَّاسَ مَا يَمُرُّنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَةٌ تَأْتِي النَّاسَ وَقَفُوا
قَالَ وَيَتَأَوَّهُ قَوْلُ جَرِيْمٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو عَقِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا
وَقَالَ آخَرُ : بَلْ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَنَحْنُ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ قَدِيمَهَا مَكَانَ النَّوَاحِي مِنْ وَجْهِهِ السَّوَابِقِ
وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ لَجَرِيْمٍ :

فَإِذَا نَظَرْتُ رَأَيْتَ قَوْكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تَقْطَعُ الْآبْصَارُ
وَقِيلَ بَلْ قَوْلُ ابْنِ مَيْدَةَ:
وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ غَيْلَانَ أَقْسَمَتْ

عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وَأَفْخَرُ بَيْتٍ صَنَعَهُ مُحَمَّدٌ عِنْدَهُمْ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ:
إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضِرَّةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا (١)
إِذَا مَا أَعْرَفْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
وَمِنْ جَيْدِ الْأَفْخَارِ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ الْأَطَّاحِ:

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِمَّا يَعْشُ بِجُحَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ
وَنَحْنُ وَصِفْنَا دُونَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِبَأْسٍ شَدِيدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَأَنَا لَنَلْعَبُ فِي الْخُرُوبِ كَمَا لَهَتْ فِتَاةٌ يَعْقِدُ أَوْ سِجَابٍ قَرْنُفَلٍ

يَعْنِي قَوْلَ الْقُرْآنِ: سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ. وَيَسَبِّحُ
هَذَا الشُّعْرُ وَأَشْبَاهِهِ طَلَبُ الرِّشِيدِ أَشَدَّ طَلَبٍ فَقَالَ: كَيْفَ تَفْتَقِرُ عَلَى
مُضَرٍّ مِنْهُمْ الَّذِي: فَهَذَا الْأَفْخَارُ بِالشُّجَاعَةِ خَاصَّةً. وَمِنْ أَفْخَرٍ
بِالْكَثَرَةِ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءٍ فَقَالَ:

مَا تَطَاعَ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيَبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
وَقَدْ أَنْكَرَ قَدَامَةَ أَنْ نَمْدَحَ الْإِنْسَانَ بِأَبَانِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ
مَمْدُوحًا بِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَكُونُونَ كَمَا بَالِهِمْ. وَالَّذِي

دَهَبَ إِلَيْهِ حَسَنٌ. وَأَنْكَرَ لِمُرْجَائِي عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ :
 مَا يَقْرِي شَرْتُ بَلْ شَرُّوْا بِي بَلْ بِنَفْسِي فُحِشْتُ لَا يَجْدِي
 وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَمَا سَوَّدَتْ عَجَلًا مَاتُوا عَنْهُمْ وَلَكِنْ بِهِمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهَا عَجَلُ
 قَالَ وَهَذَا مَعْنَى سُوءِ يُغْضُ مِنْ حَسَبِ الْمَدْحِ وَيُخَفِّرُ مِنْ شَأْنِ
 سَلَفِهِ وَإِنَّمَا طَرِيقَةُ الْمَدْحِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَدْحُ لِشَرَفِ آبَائِهِ وَالْآبَاءُ
 تَزْدَادُ شَرَفًا بِهِ فَيَجْعَلُ لِكُلِّ وَنْتَهُمْ فِي التَّخَرُّجِ حَقًّا وَفِي الْمَدْحِ
 نَصِيحًا. وَإِذَا حَصَلَتِ الْحَقَائِقُ كَانَ النَّصِيحَانِ مَقْسُومَيْنِ بَلْ كَانَ
 الْكُلُّ خَالِصًا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَرَفَ الْوَالِدِ جُزْءٌ مِنْ
 مِيرَاثِهِ وَمُنْتَقِلٌ إِلَى وَلَدِهِ كَمَا تَقَالُ إِلَيْهِ فَإِذَا دُعِيَ وَحُرِثَتْ تَبَتَّ
 وَأَزْدَادَ وَإِنْ أَهْمِلَ وَضُيْعَ هَلَكَ وَكَذَلِكَ شَرَفُ الْوَالِدِ يَمُتُ الْقِسْلَةَ
 وَلِلْوَلَدِ مِنْهُ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ وَالْحَظُّ الْأَكْبَرُ
 قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : وَالَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَخْتِيَارُ عَنْهُمْ مَا
 نَاسَبَ قَوْلَ الْمُتَوَكِّلِ اللَّيْثِيِّ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابًا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكَلَّمَتْ
 نَسِينِي كَمَا كَانَتْ أَوَانُسَا تَسِينِي وَتَفْعَلُ مِثْلًا فَعَلُوا
 وَقَوْلُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ :

وَأَيُّيَ وَإِنْ كُنْتُ أَبْنَى سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي التَّسْرِ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمَهْدَبِ
 قَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاقَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمْرٍ وَلَا أَبِ
 وَمِنْ أَنْخَرٍ مَا قَالَ الْمُؤَلَّدُونَ قَوْلُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِي :

يَفْخَرُ بِوَلَايَةِ مِنْ خَزِيمَةَ بْنِ خَازِمٍ الْهَشَلِيِّ :

إِذَا مُضِرَّ الْحَزْمِ أَكَاثَتْ أَرْوَمِي وَقَامَ بِضُرِّي خَازِمٍ وَأَبْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفِ شَاخِجٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الْكُرْيَا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
وَمِنْ قَوْلِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ يَفْخَرُ بِقَوْمِهِ بَنِي شَيْبَانَ .

يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ وَلَا خَبَتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْقِيدِ
أَنْتُمْ دَعَانِي هَذَا الْمَلِكُ مُذْ رَكَّضَتْ قَبْلُ الْخَيْلُ لِإِبْرَاهِمَ وَتَوَكَّيْدِ
أَلْنَعْمُونَ إِذَا مَا أَرَمَتْ أَرَمَتْ وَالْوَاهِبُونَ عَتِيقَاتِ الْمُرَاوِدِ
سُيُوفُكُمْ أَفْقَدَتْ كِسْرَى مَرَايِبَهُ فِي يَوْمٍ ذِي قَارِ إِذَا جَاؤُوا لِلْمَوْعِدِ
فَهَذَا هُوَ الْفَخْرُ الْحَلَالُ غَيْرُ الْمُدْعَى فِيهِ وَلَا الْمُنْتَحَلِ .
وَعَابَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ قَوْلَ عَامِرِ بْنِ مُعَيْصِرٍ بْنِ أَسْنَمَ يَصِفُ
أَسِيرًا :

فَظَلَّ يُجَالِسُ الْمَذَقَاتِ فِيهَا يُقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيْقُ
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَصَفَ أَسِيرَهُمْ بِأَنَّهُ جَانِعُ مُجَالِسِ الْقَلِيلِ الْمَذُوقِ
مِنَ اللَّبَنِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ . وَمِنْ أَحْجُودٍ قَصِيدَةً أَفْخَرُ فِيهَا شَاعِرُ
قَصِيدَةُ السَّوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ فَلَهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا ضُرُوبَ الْمَدَاحِ
وَأَنْوَاعِ الْمَقَاجِرِ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ



البحث الخامس

في الرثاء

(من الكتاب نفسه)

وَلَيْسَ بَيْنَ الرِّثَاءِ وَالْمَدْحِ قَرْنٌ إِلَّا أَنْ يُخْلَطَ بِالرِّثَاءِ نَحْوُ
 يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُصُودَ بِهِ مِثْتُ مِثْلٍ كَانَ أَوْ عِدْمًا كُنْتَ وَكُنْتَ
 أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِثْتُ وَسَبِيلُ الرِّثَاءِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ
 التَّجَمُّعِ بَيْنَ الْحَسْرَةِ مَخْلُوطًا بِالتَّهْنِ وَالْأَسَفِ وَالْإِسْتِعْظَامِ إِنْ
 كَانَ أَتَيْتَ مَلَكًا أَوْ رَئِيسًا كَبِيرًا كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ فِي حِضْنِ بْنِ
 حَذِيقَةَ :

يَقُولُونَ حِضْنُ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ يَحِضُنُ وَالْجِبَالُ جُجُوحُ
 وَلَمْ تَلْفُظِ الْقَوْلَى الْقُبُورُ وَلَمْ تُولُ نَجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيجُ
 فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيُهُ فَظَلَّ بَدِيُّ الْقَوْمِ وَهُوَ يَنُوحُ
 فَهَذَا وَمَا شَاكَاهُ رِثَاءُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ الْحَلِجَةِ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ
 أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ : (مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) فَرَفَعَ النَّاسُ
 رُؤُوسَهُمْ وَقَفَعُوا عُيُونَهُمْ وَقَالُوا : أُنْعَاهُ إِلَى الْحَقِّ وَالْإِنْسِ ثُمَّ قَالَ :
 (فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ) يُرِيدُ إِلَيَّ يُجَاهَرُ فِي هَذَا
 الْقَوْلِ كَأَنَّمَا جَاهَرْتُ نَهَارًا بِالْأَفْطَارِ فِي رَمَضَانَ فَكُلُّ أَحَدٍ
 يُسَكِّرُ عَلَيَّ ذَلِكَ وَيَسْتَفْظِمُهُ مِنْ فَعَلِي وَهَذَا مَعْنَى جِدِّ غَرِيبٍ فِي
 لَفْظِهِ رَدِّي غَيْرِ مُغْرَبٍ عَمَّا فِي النَّفْسِ . وَمِنْ أَفْضَلِ الرِّثَاءِ قَوْلُ

أَلْحَسِينَ بْنَ مَطِيرٍ يَرَى مَعْنَى زَائِدَةً وَيُرَى لِابْنِ أَبِي حَفْصَةَ:
 قِيَا قَبْرَ مَعْنَى أَنْتَ أَوَّلُ بَقْعَةٍ
 مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّامَةِ مَوْضِعًا
 وَيَا قَبْرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ

وَقَدْ كَانَ وَنَهُ أَبَرُّ وَالْجَرُّ مُتَرَعًا
 بَلَى قَدْ وَسِعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيْتٌ
 وَلَوْ كَانَ حَيًّا عِشْتَ حَتَّى تَصْدَعَا
 فَوَيْ عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ

كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّبِيلِ تَجَرَّاهُ مَرْتَعًا
 وَمِمَّا قَصَرَ بِهِ أَبُو تَمَّامٍ فِي رِثَائِهِ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْدٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي
 يَقُولُ فِيهَا:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَعَرَ الثَّغْرُ
 وَقَدْ أَجَادَ أَيْضًا فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَفَى بِهَا أَذْرِيْسَ بْنَ بَدْرِ
 يَقُولُ فِيهَا:

وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْثَفِ بِالٍ يَسْتَقِلُّ وَيَطْلُعُ
 وَأَبُو تَمَّامٍ مِنَ الْمَعْدُودِينَ فِي إِجَادَةِ الرِّثَاءِ وَمِثْلُهُ دِيكَ الْخِنْ
 وَهُوَ أَشْهُرُ فِي هَذَا مِنْ أَبِي تَمَّامٍ لَهُ فِيهِ طَرِيقٌ قَدْ أَنْفَرَدَ بِهَا قَالَ
 فِي عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ:

قَدْ أَسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ أَيْنَ الرِّجَالِ
 هَذَا أَبُو الْقَلِيمِ فِي تَمَشُّهِ قَوْمُوا أَنْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْحِبَالُ

وَمِنْ عَادَةِ الْقَدَمَاءِ أَنْ يَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ فِي الْمَرَاتِي بِأَلْوَلُوكِ
الْأَعِزَّةِ وَالْأُتَمِّ السَّالِفَةِ وَيَأْوُلُوكِ الْمُجْتَمِعَةَ فِي قُلُلِ الْحِجَالِ وَالْأَسُودِ
الْحَادِرَةِ فِي الْفِيَاضِ وَحَرِّ الْوَحْشِ الْمُتَصَرِّقَةِ بَيْنَ الْقِفَارِ وَالْأَسُورِ
وَالْعِبَانِ وَالْحَيَاتِ لِبَاسِهَا وَطُولِ أَعْمَارِهَا وَذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ
مَوْجُودٌ لَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْهُ. فَأَمَّا الْخُذْنُ فَهُمْ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ أَمِيلٌ وَمَذْهَبُهُمْ فِي الرِّثَاءِ أَمْتَلُ فِي وَقْتِنَا هَذَا وَقَبْلَهُ وَرَبَّمَا
جَرَوْا عَلَى سُنَنِ مَنْ قَبْلَهُمْ أَقْتَدَاءُ بِهِمْ وَأَخَذُوا بِسُنَنِهِمْ كَمَا لَدِي صَنَعَ
أَبُو نُوَاسٍ فِي رِثَائِهِ أَبَا الْوَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ وَخَلَقُوا الْأَحْمَرَ وَمَرَّاشِيهِ
فِيهَا ثَلَاثُ قَوَافٍ مَشْهُورَاتٌ

وَكَمَا صَنَعَ ابْنُ الْمُغْتَرِّ يَرِي أَبَاهُ بِالْقَصِيدَةِ الْأَلَمِيَّةِ الْمُقَيَّدَةِ
فِي الرِّمْلِ أَوَّلُهَا :

رُبُّ حَنْفٍ بَيْنَ أَثْمَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَوْتِ ظِلٌّ مُنْتَقِلٌ
وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ وَلَوْ لَا اشْتِهَارُ هَذِهِ الْقَضَائِدِ وَوُجُودُهَا وَخِيفَةُ التَّطَوُّيلِ
لَا ثَبَتَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ يُقَدِّمُوا قَبْلَ
الرِّثَاءِ نَسِيئًا كَمَا يَضَعُونَ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ. قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ
وَكَانَ عَلَامَةً لَا أَعْرِفُ مَرِئَتَهُ فِي أَوَّلِهَا نَسِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةً دُرَيْدِ بْنِ
الْصِّمَّةِ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ خَالِدٍ :

أَرَتْ جَدِيدُ الْخَلِّ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ لِعَاوَنَةٍ أَوْ أَخَلَّتْ كُلُّ سَوْعِدٍ
وَحَكَى الْخَلْسُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَخْوَلِ
أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي لِأَبِي قُحَاةٍ أَغْنَى بِأَهْلَةٍ إِنَّمَا هِيَ لِابْنَةِ الْمُتَنَشِّرِ

وَأَسْمَاهُ الدَّعْجَاءُ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُتَعَارِفَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ لَيْسَ الْعَرَبُ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرِيئَةً أَوْ لَهَا تَشْيِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةُ دُرَيْدٍ. وَأَنَا أَقُولُ إِنَّهُ
الْوَاجِبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى وَفِّائِ هَذَا وَمِنْ بَصِيدِهِ لِأَنَّ
الْأَخْذَ فِي الرِّثَاءِ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُشْغُولًا عَنِ السَّبَبِ بِمَا هُوَ فِيهِ
مِنَ الْخُسْرَةِ وَالْأَهْتِمَامِ بِالْمُصِيبَةِ وَإِنَّمَا تَقُولُ دُرَيْدٌ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ
يَسْتَعِ وَيَجِنَ أَخَذَ بِثَارِهِ وَأَدْرَكَ طَائِلَتَهُ

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ يَقُولَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ فِي تَأْيِينِ قَيْسِ بْنِ
عَاصِمٍ الْبُقَرِّي:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
وَيَقُولَ الْكُفَيْتُ فِي تَأْيِينِ النَّبِيِّ هَذَا الْقَوْلَ فَهَلَّا قَالَ مِثْلَ
قَوْلِ قَاطِمَةَ:

إِغْبَرَ أَفَاقُ السَّمَاءِ وَكَثُرَتْ شَسُوسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
وَالنِّسَاءُ اسْتَحْيَى النَّاسَ قُلُوبًا عِنْدَ الْمُحِيبَةِ وَأَشَدُّهُمْ جَزَاعًا عَلَى
هَالِكٍ لِمَا رَكِبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي طَبَاعِيهِمْ مِنْ ضَعْفِ الْعَرِيَّةِ
فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ جَلِيلَةٍ بِنْتِ مَرْثَةَ تَرْتِي زَوْجَهَا كُنِيًّا جِئْنَ قَتْلَهُ
أَخُوَهَا جَسَاسٌ مَا اسْتَحْيَى لَفْظَهَا وَأَظْهَرَ الْحُجْمَةَ فِيهِ وَكَيْفَ يُثِيرُ
الْأَنْتِحَانَ وَيَقْدَحُ سِرَرَ التَّيْدَانِ وَذَلِكَ:

يَا أَبْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ كُنْتَ فَلَا تَهْجِي بِاللُّومِ حَتَّى تَسْأَلِي
وَمِنْ أَشَدِّ الرِّثَاءِ ضُعُوبَةٌ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَرِي طِفْلًا أَوْ امْرَأَةً
لِضَيْقِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِيهَا وَقِلَّةِ الصِّفَاتِ أَلَا تَرَى مَا صَنَعُوا بِأَبِي

الطَّيِّبِ وَهُوَ تَحْلُ الْجُودِ إِذْ ذَكَرَ الْمُحْدُثُونَ فِي قَوْلِهِ يَذْكُرُ أَمْ سَيَفِ
الدَّوْلَةَ :

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقَنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْنُ بِالْجَمَالِ
وَقَالُوا مَا لَهُ وَلِهَذِهِ الْعُجُوزُ يَصِفُ جَمَاهَا وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ
عَبَادٍ : هَذِهِ أَسْتَعَارَةٌ جَدَادٍ فِي عُرْسٍ فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الصَّاحِبُ
بِالْأَسْتَعَارَةِ الْحَنُوطَ فَقَدْ وَآلَهُ ظَلَمٌ وَتَعَسَفٌ وَإِنْ كَانَ أَرَادَ
أَسْتَعَارَةَ الْمَكْنُ لِلْجَمَالِ الْعُجُوزُ فَقَدْ اعْتَرَضَ فِي مَوْضِعٍ اعْتَرَضَ
إِلَى مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا يَنْحَقُّ كُلُّ زَلَّةٍ وَيُعْقِي كُلُّ
إِسَاءَةٍ . قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَرِيضَةٍ لَهُ فِي
أَمْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَدُلُّ مَعَ قَسَادِ الْحُسْنِ عَلَى سُوءِ آدَبِ النَّفْسِ
وَمَا ظَنُّكَ بِنِّ يُخَاطَبُ مَا سَكَ فِي أَنِهِ يَقُولُهُ :

رَوَاقُ الْعِرِّ فَوْقَكَ مُسَبَّطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَيْنَكَ فِي كِبَالٍ
وَلَعَلَّ لَفْظَ الْأَسْبَطَرِ فِي مَرَاتِي النِّسَاءِ مِنَ الْخِلْدَانِ الصَّفِيقِ
الرَّقِيقِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ مَا هَجَّنَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَجَعَلَهَا مَقَامَ
قَصِيدَةٍ هَجَاءٍ أَنَّهُ قَرَنَهَا بِقَوْلِكَ فُجَاءَ عَمَلًا تَلَمَّ لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلَّا قِضَاءُ
وَمَنْ أَضْمَبَ الزَّكَاةَ أَيْضًا جَمْعُ تَعْزِيَةٍ وَتَهْنِئَةٍ فِي مَوْضِعٍ
قَالُوا : لَا مَاتَ مُعَاوِيَةُ اجْتَمَعَ النَّاسُ بَبَابٍ يَرِيدُ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى
الْجَمْعِ بَيْنَ التَّعْزِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ حَتَّى آتَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ هُثَامٍ السَّأُولِيُّ
فَدَخَلَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ . وَبَارَكَ لَكَ
فِي الْعَلِيَّةِ . وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَةِ . فَقَدْ رَزَيْتَ عَظِيمًا وَأَعْطَيْتَ فَاشْكُرْ

اللَّهُ عَلَى مَا أُعْطِيَتْ وَأَضِيزَ عَلَى مَا رُزِيَتْ فَقَدَتْ خَلِيقَةَ اللَّهِ وَأُعْطِيَتْ
خِلَاقَةَ اللَّهِ فَفَارَقَتْ جَلِيلًا وَأُعْطِيَتْ عَظِيمًا إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ
وَوُكِّلَتِ الرِّئَاسَةُ وَأُعْطِيَتْ السِّيَاسَةُ فَأَوْرَدَهُ اللَّهُ مَوَارِدَ السُّرُورِ
وَوَفَّقَكَ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ :

فَأَصْبِرْ يَرِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ

فَأَشْكُرْ جَاءَ الَّذِي بِأَمْلِكَ أَضْفَاكَ
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي الْأَيَّامِ نَعْلَمُهُ كَمَا رُزِيَتْ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
فَفَتَحَ لِلنَّاسِ بَابَ الْقَوْلِ وَعَلَى هَذَيْنِ الْبَلَّتَيْنِ جَرَى الشُّعْرَاءُ بَعْدَهُ
قَالَ أَبُو نُوَاسٍ يُعْزِي الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَيُهَيِّئُهُ بِالْأَمِينِ :
تَعَزَّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْ خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ حَيٍّ سَكَانَ أَوْ هُوَ سَكَانَ
حَوَادِثِ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَمَحَاسِنُ
وَفِي الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ الَّذِي غِيبَ النَّوَى

فَلَا أَمْلُكَ مَغْبُونٌ وَلَا أَلَمْتُ غَابِنُ
وَيُرَوَّى فَلَا أَنْتَ مَغْبُونٌ. وَأَتَّبَعَهُ أَبُو شَمَامٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلَهَا
(مَا لِلدُّمُوعِ ثَرُومٌ كُلُّ مَرَامٍ) يَقُولُ فِيهَا لِبُؤَائِي بَعْدَ الْفَتْحِ صَرَفَ
فِيهَا الْكَلَامَ حَيْثُ شَاءَ وَأَطْلَبَ كَمَا أَرَادَ وَأَخْجَعَ وَأَسْهَبَ وَتَقَدَّمَ
فِيهَا عَلَى مَنْ سَلَكَ هَذِهِ النَّاحِيَةَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَأَرَادَ أَنْ يَرِىَ
مُجَادَاتَهُ فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ التَّفْصِيلَ فَأَقْتَصَرَ عَلَى :

قَدْ قُلْتُ إِنَّ غَيِّبُكَ وَأَصْطَفَيْتَ عَلَيْكَ أَيْدِي الْأَثَرِ وَالْأَطْلَعِينَ
إِذْ هَبَّ قَبْعُ الْمَعِينِ كُنْتُ عَلَى الدُّمُومِ نَيْبًا وَنِعْمَ الظُّهَيْرُ لِلدِّينِ

لَنْ يَجِدَ اللَّهُ أُمَّةً قَدَّتْ مِثْلَكَ إِلَّا يَغْلِبَ هَارُونَ
وَمِنْ جَيْدٍ مَا رُئِيَ فِي النِّسَاءِ وَأَشَدُّهُ تَأْيِيدًا فِي الْقَلْبِ وَآثَارَةً
يُخْزِنُ قَوْلُ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا فِي أُمِّ وَلَدِهِ :
أَلَا مَنْ رَأَى الطُّفْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّهُ

بُعِيدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ

يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا إِنْ سَجَلًا وَاحِدًا قَدْ أَرْقَتْهُ مِنْ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلَيْنِ قَدْ شَفَيَانِي
وَأَنَّ مَكَانًا فِي الْأَثَرِ خُطَّ لِحْدُهُ

لَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ

وَمِنْ أَشْجَى الشَّعْرِ رِثَاءُ قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَهَبْنِي عِدَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي جَلِيدٌ قَدْ بَالَصَّبْرِ لِابْنِ ثَمَّانٍ
فَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ الَّتِي يَخْرِي حُذَاكَ الشُّعْرَاءُ إِلَيْهَا وَيَتَّعِدُونَ
فِي الرِّثَاءِ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَكُنِ الْمُرِيثَةُ مِنْ نِسَاءِ الْمَلِكِ وَبَنَاتِ
الْأَشْرَافِ وَغَيْرِ ذَوَاتِ مَحَارِمِ الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ يُتَجَانَى عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
إِلَى أَرْفَعِ مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ قَدَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حَفَاةً كَانَ الْمَرْءُ مِنْ زَفْرِ الرِّيَالِ

وَقَوْلِهِ لِأَخْتِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ :

يَا أُخْتَ حَيْرٍ آخِرَ يَا بِنْتَ حَيْرٍ أَبِي كِنَايَةً يَهْمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُنْسِيَ مُوَبَّةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
وَرِثَاءِ الْأَطْقَالِ أَنْ يَذْكُرَ تَحَايِلَهُمْ وَمَا كَانَتْ الْفِرَاسَةُ تُعْطِيهِ
فِيهِمْ يَمْنٌ تَحْتَنُّ لِصَاحِبِهِمْ وَيَتَجَمَّعُ بِهِمْ كَأَنِّي صَنَعَ أَبُو تَمَّامٍ فِي أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

البحث السادس

في الاقتضاء والاستنجاز

(من الكتاب نفسه)

حَسْبُ الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ مَدْحُهُ شَرِيفًا وَأَقْتِضَاؤُهُ لَطِيفًا
وَمِجَازُهُ إِنْ هَجَا عَيْفًا فَإِنَّ الْأَقْتِضَاءَ لِحُسْنِ رُبَمَا كَانَ سَبَبَ الْمُنْعِ
وَالْجُرْمَانِ وَدَاعِيَةِ الْقَطِيعَةِ وَالْهَجْرَانِ. وَقَوْمٌ يُدْرِجُونَ الْعِتَابَ فِي
الْأَقْتِضَاءِ وَالْأَقْتِضَاءُ بِالْعِتَابِ وَأَنَا أَرَى غَيْرَ هَذَا الْمَذْهَبِ أَصَوَّبَ
فَالْأَقْتِضَاءُ طَلَبُ حَاجَةٍ وَبَابُ التَّلَطُّفِ فِيهِ أَجُودُ فَإِنْ بَلَغَ الْأَمْرُ
الْعِتَابَ فَإِنَّمَا هُوَ طَلَبُ الْإِبْقَاءِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْمِرَاعَاةِ وَفِيهِ تَوْجِيحٌ
وَمُضَادَّةٌ لَا يَجُوزُ مَعَهَا بَعْدُ أَقْتِضَاءٌ إِلَّا أَنْ النَّاسَ قَدْ خَلَطُوا هَذَيْنِ
وَسَاوَوْا بَيْنَهُمَا. فَمَنْ أَحْسَنَ الْأَقْتِضَاءَ عَلَى مَا تَحْدِثُهُ وَتَحْوِتُ إِلَيْهِ
قَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ أَحْيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ قَرُوعُ لَهُ الْحَسْبُ الْمَذْهَبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ عَسَاحٌ عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْمَوْتَ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّجِهِ أَشْنَاءُ
فَأَنْتَ تَرَى هَذَا الْإِقْتِضَاءَ كَيْفَ يُلِينُ الصَّخْرَ وَيَسْتَدْرِلُ الْقَطَرَ
وَيَحْطُ الْعُصَمَاءُ إِلَى السَّهْلِ وَمِثْلُهُ. قَوْلُ الْآخَرِ:
لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَّتَ بِهِ إِنْ أَهْتَمَّ بِكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُوْمُكَ إِنْ لَمْ يُخَيِّجْ قَدْرُ قَالَتِي بِالْقَدْرِ الْخَتْمُ مَصْرُوفُ
فَأَمَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ الْأَمَوِيِّ لِعِيسَى بْنِ قُرْحَانَ
إِذْ يَقُولُ لَهُ مُسْتَبْطِنًا:

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجِيكَ لِمَا أَخَشَى مِنَ الدَّهْرِ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ أَوْكَدِ مَسَابِي إِلَى الْفَقْرِ
أَرْضَى لِي بِأَنْ أَرْضَى بِتَضْيِيقِكَ فِي أَمْرِي
وَقَدْ أَفْنَيْتُ مَا أَفْنَيْتُ فِي شُكْرِكَ مِنْ عُمرِي
فَهُوَ الْعِتَابُ الْخَفِيُّ وَالْوَبْحُ الَّذِي دُونَهُ الْجِلْدُ بِالسَّوْطِ بَلْ
بِالسَّيْفِ. وَمِمَّا صَنَعَهُ فِي الْعِتَابِ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ بَعْدَ الْيَأْسِ
الْمُحْكَمِ كَمَا شَرَطْتُ:

رَجَوْنَكَ بِالْأَمْرِ أَنَّهُمْ وَفِي يَدِي بَقَا يَا أُمْنِي النَّفْسَ فِيهَا الْأَمَانِيَا
فَسَاوَتْ فِي الْأَيَّامِ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ

أَوَاخِرُ مَا عَشِي قَطَعْتُ رَجَائِي
وَكُنْتُ كَأَنِّي نَازِفُ الْبَرِّ طَالِبَا لِإِحْمَالِهَا أَوْ يَرْجِعَ آلَاءُ صَافِيَا
فَلَا هُوَ أَبْقَى مَا أَصَابَ لِنَفْسِهِ وَلَا هِيَ أَعْطَتْهُ الَّذِي كَانَ رَاجِيَا
وَمِنْ أَمْلَحَ مَا رَأَيْتُ فِي الْإِقْتِضَاءِ وَالْإِسْتِبْطَاءِ قَوْلُ أَبِي

الْمَتَاهِيَةِ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ. وَأَبْنُ الْمُعْتَزِ يُسَيِّ هَذَا النَّوْعَ مَرْحًا
يُرَادُ بِهِ الْخُلْدُ وَهُوَ:

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عَمْرُؤَ فَتَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّامِيمَ وَالنُّشْرَ
سَنَزِيْمِكَ بِأَلْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَأَهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقِيْمَاكَ بِالسُّوَرِ
وَكُنْتُ صَنَعْتُ فِي الْأَسْتِطَاءِ:

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مَنَةً لَوْ لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِيْنِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ
وَجَهَةُ الْفِرْدَوْسِ يُدْعَى بِهَا أَجَلَةٌ لِلْمَرَّةِ لَا عَاجِلَةٌ
لَكِنَّمَا أَضْعَفَ مِنْ شَيْءٍ أَيَّامُ عَمْرٍو دُونَهَا زَائِلَةٌ
وَالْعِتَابُ أَوْسَعُ جِدًّا مِنَ الْإِقْتِضَاءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِثْلَهُ بِسَبَبِ
الْحَاجَاتِ وَقَدْ يَكُونُ بِسَبَبِ غَيْرِهَا كَثِيرًا وَالْإِقْتِضَاءُ لَا يَكُونُ
إِلَّا فِي حَاجَةٍ

البحث السابع

في العتاب

(من الكتاب نفسه)

وَأِنْ كَانَ حَيَاةُ الْمَوَدَّةِ وَشَاهِدَ الْوَفَاءِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ
الْحَقْدِيَّةِ وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ وَالْخَفَاءِ وَإِذَا قُلْتُ كَانَ دَاعِيَةً
الْأَلْفَةِ وَقَيْدَ الصُّحْبَةِ وَإِذَا كَثُرَ حَسَنُ جَانِبِهِ وَثَقُلَ صَاحِبُهُ. وَلِلْعِتَابِ
طُرُقٌ كَثِيرَةٌ وَالنَّاسُ فِيهِ ضُرُوبٌ مُخْتَلِفَةٌ فَمِنْهُ مَا يَمَازِجُهُ الْأَسْتِغْطَافُ

وَالْإِسْتِنَافُ وَمِنْهُ مَا يَدْخُلُهُ الْإِحْتِجَاجُ وَالْإِتِّصَافُ. وَقَدْ يَعْزُضُ
فِيهِ أَلَنٌ وَالْإِنْجَافُ. مِثْلُ مَا يَشْرُكُهُ الْإِعْتِدَارُ وَالْإِعْزَافُ. وَأَحْسَنُ
النَّاسِ طَرِيقًا فِي عِتَابِ الْأَشْرَافِ شَيْخُ الصَّنَاعَةِ وَسَيِّدُ الْجَمَاعَةِ أَبُو
عِبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ الَّذِي يَقُولُ :

يُرِيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْثَرُ قَدْرِكَ أَنْ أَسْتَرِيَا
وَأَصْرُهُ أَنْ أَمَادَى عَلَى سَبِيلِ اعْتِدَارٍ قَالَتِي شُعُوبَا
أَكْذِبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخَطْتُ م وَمَا كُنْتُ أَهْدُ ظَنِّي كَذُوبَا
وَلَوْلَمْ تَكُنْ سَاقِطًا لَمْ أَكُنْ أَذْمُ الزَّيْمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا
وَلَا بَدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَهِي عَلَيْكَ بِهَا مَخْطِئًا أَوْ مُصِيبَا
أَضْمِجْ وَرَدِّي فِي سَاحَتِكَ م طَرَقًا وَمَرَعَايَ مَخْلًا جَدِيَا
فَقِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ يُشَقِّقُ فِيهِ الْوَدَاعَ الْجُيُوبَا
وَالَّذِي يَقُولُ :

وَأَعِيدَ إِنْ نَازَعَنِي اللَّحْظُ رَدَّهُ كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعَنِي الْقَوْلَ جَجَمَا
ثَنَاهُ الْبَدَا عَنِّي فَأَضْمِجْ مُعْرِضًا وَأَوْقَمَهُ الْوَأْشُونَ حَتَّى تَوْهَمَا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا قَتَوَعَرَتْ رُبَاهُ وَطَلَقَا صَاحِكًا فَمُجَهَّمَا
يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ

تَبَيَّنَ مِنْ جُزْمِ إِلَيْكَ تَقْدَمَا
أَنْتَ أَلْوَالِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ
مِثْلُ الْأَنْجَمِ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمَا

فَهَذَا أَغْتَبُ كَمَا قَالَ :

عَتَابُ بِأَطْرَافِ الْقَوَائِي كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَبِّرِ
وَقَدْ نَحَوْتُ أَنَا بَعْضَ هَذَا الْخَوْرِ فِي كَلِمَةِ عَاتَبْتُ بِهَا الْقَاضِيَ
جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ قُلْتُ فِيهَا :

وَقَدْ كُنْتُ لَا آتِي إِلَيْكَ مُخَايَلًا لَدَيْكَ وَلَا أُثْنِي عَلَيْكَ تَصْنَعًا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَذْحَ فِيكَ فَرِيضَةً عَلَيَّ إِذَا كَانَ الْمَدِيحُ طُغْوَعًا
فَقُمْتُ بِمَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَكَانُهُ مِنْ الْقَوْلِ حَتَّى ضَاقَ مِمَّا تَوَسَّعَا
إِلَى أَنْ أَقُولَ :

فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ لِسَانِي وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مِسْمَعًا
أَلُوذُ بِإِكْثَافِ الرَّجَاءِ وَأَتَّقِي شِمَاتِ الْمَدِّ إِنْ لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا
وَوَيْلٌ مُعَاتَبَاتِ أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ لِأَبْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّرْيَاتِ :
تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ إِنْ لَمْ تُعْرِ لَهَا

قُوَى أَوْ يَصِلَهَا مِنْ يَمِينِكَ وَاعِثُ
سِوَى مَطْلَبٍ يَبْغِي الرَّجَاءَ بِطَوْلِهِ

وَتُخْلِقُ أَخْلَاقَ الْجُفُورِ أَلْوَسَانِلُ
وَقَدْ تَأَلَّفُ أَلْعَيْنُ الدُّجَى وَهِيَ قَبْدُهَا
وَيَرْجَى شِفَاءَ السَّمِّ وَالسَّمُّ قَاتِلُ

إِلَى قَوْلِهِ :

وَأَنَّ الْمَعَالِي يُسَدَّمُ بِأَوَّهَا وَشَيْكَا كَمَا قَدْ تُسَدَّمُ الْمَزَالُ
مُتَحَنِّكُهَا تَشْفِي الْجَوَى وَهُوَ لَا عِجْ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ أَلْقَى وَهُوَ ذَاهِلُ

رُدُّ قَوَائِمِهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ هَوَامِلَ تَجِدِ الْقَوْمَ وَهِيَ هَوَامِلُ
فَكَيْفَ إِذَا حَلَّتْهَا بِحَايَتُهَا تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ
وَقَالَ ابْنُ أَرْوَمٍ لِأَيِّ الصَّغِيرِ يُعَاتِبُهُ فِي قَصِيدَةٍ جَيِّدَةٍ :
عَدْرُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءً تَقَشَّعَتْ سَحَابَتُهَا أَوْ كَانَ رَوْضًا تَصَوَّحَا
فَيَا لَكَ تَجَرًّا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَعًا وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْجَعًا
مَدِيحِي عَصَا مُوسَى وَذَلِكَ أَتْنِي ضَرَبْتُ بِهِ تَجْرَ الَّذِي قَتَضَ حَصِيحًا
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

سَامِدُحُ بَعْضُ الْبَاطِلِينَ أَعْلَهُ إِذَا أَطْرَدَ الْإِقْيَاسُ أَنْ يَتَسَحَّحَا
فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُبْلَغُ جُودَةٌ وَلَا يُجَارَى سَبَقًا عَلَى أَنْ
الْبَحْرِيُّ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ لِنَقِصِ بْنِ خَاقَانَ :
غَمَامٌ خَطَا فِي صَوْبِهِ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَا فِي فَيْضِهِ وَهُوَ مُنْعِمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَحْلِي وَمِثْلُهُ أَسْوَدُ أَقَمُ
وَمَا يَجْلُ الْقَمَحُ بْنُ خَاقَانَ بِالَّذِي وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِي وَتَحْرُمُ
فَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَكَانَتْ فِي طَبْعِهِ غِلْظَةٌ وَفِي عَتَابِهِ شِدَّةٌ
وَكَانَ كَثِيرَ الْحَامِلِ ظَاهِرَ الْكِبَرِ وَالْأَنَفَةِ وَمَا ظَنُّكَ بِنِّ يَقُولُ
لِسِنِّ الدَّوَلَةِ :

يَا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ لَخِصْمٌ وَالْخِصْمُ
أَعْيِذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ أَنْ تَحْسَبَ الشَّخْمَ فِي مَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وَمَا أُنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا أَسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وَفِيهَا يَقُولُ :

إِذَا رَأَيْتَ يُوبَ الْبَلَاءِ بَارِدَةً فَلَا تَهْلَنْ أَنْ الْبَلَاءِ مُبْتَلِمٌ
 فَهَذَا الْكَلَامُ فِي نِهَآةِ الْجُودَةِ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْوَاجِبِ
 وَالسِّيَاسَةِ غَايَةً فِي الْقُبْحِ وَالزَّوْءِ وَأَنَا عَرَضَ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَهُ
 عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيُعَارِضُونَهُ فِي أَشْعَارِهِ . وَالْإِشَارَةُ كُلُّهَا إِلَى
 سَيْفِ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ آيَاتٍ :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُ وَجَدَانَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
 مَا كَانَ أَحْلَقْنَا مِنْكُمْ بِسُكْرَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةٌ إِنَّ الْآعَارِفَ فِي أَهْلِ الْتَهَى ذَمٌّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عِيَابًا فَيُخْرِجُكُمْ وَاللَّهُ يَكْرَهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
 مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ مِنْ شَرِّ فِي

أَنَا الْبُشْرَى وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
 وَلَيْسَ هَذَا عِتَابًا لِكِنَّهُ سَبَابٌ وَسَبَبٌ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ كَذَلِكَ
 يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ مَجْلِسِ إِنْشَادِهَا . وَأَمَّا عِتَابُ الْأَصْفَاءِ
 وَأَهْلِ الْمَوَدَّاتِ مِنَ الظُّرَفَاءِ فَمِنْهُ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّاسٍ الصُّوفِيِّ
 يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْإِيَّاتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ كَمَا وَرَدَ :

وَكُنْتُ أَخِي بِأَخَاهُ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَا جَرْتُ حَرْبًا عَوَانَا
 وَكُنْتُ أَذَمُّ إِلَيْكَ الزَّمَانِ فَاصْبَحْتُ فِيكَ أَذَمُّ الزَّمَانَا
 وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّيَّاتِ فَهِيَ أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْآمَانَا
 وَهَذَا عَلَيَّ مِنْ أَشَدِّ الْعِتَابِ وَأَوْجَعِهِ . وَمِنْ أَكْثَرِهِ الْعِتَابِ

قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ :

وَأَتَى لِأَطْرَافِي كُلِّ خَلٍّ صَحْبُهُ وَأَنْتَ تَرَى سَنَتِي بِغَيْرِ حَيَاءٍ
وَمِنْ مَلِيحٍ مَا سَعَيْتُ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ يُعَاتِبُ صَدِيقًا
لَهُ :

أَقْلَبُ عَتَابَكَ فَأَلْبَاءُ قَلِيلُ وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ مَرَّةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ دَمْنٍ دَمْتُ ضَرْفَهُ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْكَ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِيَةٍ أَلَّتْ مُدَّةُ وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْلَبْتُ تَحْوِيلُ
وَأَلْمَنْتُنُونِ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حَصَلُوا أَفْنَاهُمْ الْتَحْصِيلُ
وَأَعْلَ أَحْدَاثِ الْنَيَّْةِ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحْوِلُ
فَلَيْنَ سَبَقْتُ لَتُسَكَبَنَّ بِحَجَرَةٍ وَلَيْكُفَّرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَتَتَجَفَّنُ بِمُجْلَاصِكَ وَأَيُّ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْضُولُ
وَلَيْنَ سَبَقْتُ وَلَا سَبَقْتُ لَيْسُضِينَ مَنْ لَا يُشَاكُهُ لَدَيَّ خَلِيلُ
وَلَيَذْهَبَنَّ بِهَا كُلُّ مُرْوَةٍ وَلَيَفْقَدَنَّ جَاهُهَا الْجَهْلُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوَدَّ نَا صَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدَّ بَدَا لَدَوِي الْإِخَاءَ كَمَا لَهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَجَةٍ وَقَبُولُ
وَأَعْلَ أَيَّامِ الْإِخَاءِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتْبَانَا وَيَطُولُ
وَأِلَى هُنَا أَوْمًا أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ :

دُرِّ النَّفْسِ تَأْخُذُ وَسَعْمَا قَبْلَ بَيْنِنَا فَفُتِرَقُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ
وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ وَارْدَتْ أَلَيْتَ الْآخِرِ :
وَصَلِيًّا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّرِّ : يَا قَارِنَ أَلْقَامَ فِيهَا قَلِيلُ
وَالْجَمِيعُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مُجَنِّبًا

أَنَّ الصُّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ

حَسْبُ الْأَجْبَةِ أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ الْأَثْنُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَحِيلُ

إِلَّا أَنْ أَيْنَ حَمِيدٍ قَدْ فُتِنَ وَبَيَّنَ وَشَرَحَ مَا أَجْمَلَ غَيْرُهُ يَقُولُهُ:

لَيْنَ سَبَقْتُ أَنَا وَلَكِنْ سَبَقْتَ أَنْتَ وَلَا سَبَقْتُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ فَضْلُ بَيْنِ
الرُّجْحَانِ ظَاهِرٌ. وَمَا أَحْسَنَ إِيجَازَ الَّذِي قَالَ:

أَلْعُرْ أَقْصُرُ مُدَّةً مِنْ أَنْ يُحَقِّقَ بِالْعِتَابِ

وَقَالَ أَبُو الْخَدَّائِينَ بِشَارِبُ بْنُ بُرْدٍ:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

البحث الثامن

في الوعيد والانذار

(من الكتاب نفسه)

كَانَ الْعُقَلَاءُ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَوُو الْحِزْمِ يَتَوَعَّدُونَ بِالْهَجَاءِ
وَيَحْذَرُونَ مِنْ سُوءِ الْأَحْدُوثِ وَلَا يُعْضُونَ الْقَوْلَ إِلَّا ضَرْدَةً حِينَ
لَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ. قَالَ أَيْبُنُ مُقْبِلٍ:

بَيْنِي عَابِرٌ مَا تَأْمُرُونَ لِشَاعِرٍ
أَاعْفُو كَمَا يَعْفُو الْكَرِيمُ فَإِنِّي
أَاعْغِضُ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْجِلْدِ غَمَضَةً
فَأَمَّا سُرَاقَاتُ الْهَجَاءِ فَإِنَّهَا
تَحْدَرُ آيَاتُ الْكِتَابِ هِجَانِيَا
أَرَى الشَّعْبَ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَدَانِيَا
عَبْدُ رُدْوَاجٍ يَقْطُرُ الدَّوَابِيَا
كَلَامُ تَهَادَاهُ اللَّهَامُ تَهَادِيَا

وَعَيْدِي الدَّهْمُ لَوْ أَحِلَّ عَقَالَهَا فَتَضَحَّيَ لَمْ تَعْدَمِ مِنَ الْحُجْنِ حَادِيَا
 شَبَّ إِسَانُهُ يَبْرُدُ رُومِي لِضَائِهِ وَشَبَّ الْقَصِيدَةُ الَّتِي لَوْ شَاءَ
 هِجَاءُ هُمْ بِهَا بِالدَّهْمِ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ وَأَعْلُ ذَلِكَ أَنَّ الدَّهْمَ نَاقَةُ عَمْرُو بْنِ
 رَبَّانٍ الثَّعْلَبِيِّ الَّتِي حَمَلَتْ رُؤُوسَ بَنِيهِ مُعَلَّقَةً فِي عُنُقِهَا فَجَاءَتْ بِهَا الْحَيَّ
 فَضْرِبَ بِهَا أَمْلُ لِلدَّاهِيَةِ وَقَالَ جَرِيرٌ لَبَنِي حَنِيفَةَ وَكَانَ مَيْلُهُمْ
 مَعَ الْقُرَزْدَقِيِّ عَلَيْهِ :

أَبْنِي حَنِيفَةَ حَكِّمُوا سُفَهَاكُمْ إِيَّايَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
 قَوْلُهُ حَكِّمُوا إِنِّي كُفُؤًا وَقَالَ لَتَيْمُ الرَّبَّابِ زَهَطُ عَمْرُو بْنِ جَلَا
 يَا تَيْمُ تَيْمُ عَيْدِي لَا أَبَا لَكُمْ لَا يَلْفَيْسُكُمْ فِي سَرَّوَةٍ عُمَرُ
 وَمِمَّا قُلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

يَا مُرْجِعِي شَتَا عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَرَكْتُ الْبُرْعُوثُ مَا أَوْجَعَا
 كُلُّهُ مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ الْخَلْقِ أَنْ تَلْسَمَا

البحث التاسع

في الهجاء

(من الكتاب نفسه)

يُرْوَى عَنْ أَبِي عَمْرُو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ الْهَجَاءِ مَا تُشِيدُهُ
 الْعَذْرَاءُ فِي خَدِّهَا فَلَا يَنْفُجُ عَنْهَا نَحْوُ قَوْلِ جَرِيرٍ :
 لَوْ أَنَّ تَعْلَبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَرَنْ مِثْقَالَ
 وَقَوْلِ الْآخَرِ :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُسَيْرٍ فَلَا كَهْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا
وَلَمَّا أَطْلَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخَطِيبَةَ مِنْ حَبْسِهِ إِيَّاهُ بِسَبَبِ
هَيْجَانِهِ الزَّبْرَقَانَ قَالَ لَهُ: تَدْعُ الْهَيْجَاءَ الْمُنْدِعَ. قَالَ: وَمَا الْهَيْجَاءُ الْمُنْدِعُ.
قَالَ: الْمُنْدِعُ أَنْ تَقُولَ هَوْلَاءُ أَفْضَلُ مِنْ هَوْلَاءُ وَأَشْرَفُ وَتَبْنِي
شِعْرًا عَلَى مَدْحِ لِقَوْمٍ وَذَمٍّ لِمَنْ يُعَادِيهِمْ. قَالَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ مِنِّي بِعَذَابِ الشَّعْرِ لِكَيْتِي حَبَانِي هَوْلَاءُ قَدْ خُتُّهُمْ
وَحَرَمَنِي هَوْلَاءُ قَدْ كُرْتُ جِرْمَانَهُمْ وَلَمْ أَنْلِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ شَيْئًا
وَصَرَفْتُ مَدْحِي إِلَى مَنْ أَرَادَهُ وَرَغِبْتُ بِهِ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَزَهَّدَ
فِيهِ. يُرِيدُ قَصِيدَتَهُ الْمَهْمُوزَةَ وَهِيَ أَحَبُّ مَا صَنَعَ فِيهَا أَوْ مِنْ أَجْلِهَا
قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ: أَشَدُّ الْهَيْجَاءِ أَعْفُهُ وَأَصْدَقُهُ. وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى:
مَا عَفَ لَفْظُهُ وَصَدَقَ مَعْنَاهُ. وَمِنْ كَلَامِ صَاحِبِ الْوَسَاطَةِ: فَأَمَّا
الْهَجْوُ فَأَبْلَغُهُ مَا قُرِبَتْ مَعَانِيهِ وَسَهْلَ جَفْظُهُ وَأَسْرَعَ عُلُوقُهُ
بِالْقَلْبِ وَلَوْقُهُ بِالنَّفْسِ فَأَمَّا الْقَذْفُ وَالْتِمَاشُ فَبَابٌ مُحْضٌ وَلَيْسَ
لِلشَّاعِرِ فِيهِ إِلَّا أَقْلَامَةُ الْوِزْنِ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ صَاحِبُ
الْوَسَاطَةِ وَحُسْنُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِعْجَابُ التَّحْدِثِ وَنَ الْعُلَمَاءِ
وَفُرْسَانِ الْكَلَامِ يَقُولُ زُهَيْرٌ فِي تَشْكُكِهِ وَتَهْزِيلِهِ وَتَجَاهِلِهِ فِيمَا
يَعْلَمُ:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِحَالُ أَذْرِي أَقْرَبُ آلُ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءُ
فَإِنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْهَيْجَاءِ وَأَمَّضِهِ. وَلَمَّا قَدِمَ النَّابِغَةُ بَعْدَ
وَقْعَةِ حُصَا سَالَ بَنِي دُيَّانَ مَا قُلْتُمْ لِعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَمَا قَالَ

لَكُمْ . فَأَنشَدُوهُ . فَقَالَ : اأَتَحْشُمُ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ شَرِيفٌ لَا يُقَالُ
لَهُ بِمِثْلِ هَذَا وَلَكِنِّي سَأَقُولُ ثُمَّ قَالَ :

فَإِنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَطْنَةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ (١)

فَلَمَّا بَلَغَ عَامِرًا قَوْلُ النَّابِغَةِ شَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ جَعَلَنِي الْقَوْمُ رَيْسًا
وَجَعَلَنِي النَّابِغَةُ سَفِيهَا جَاهِلًا وَتَهَكَّمُ بِي . وَرُوِيَ أَنَّ شَاعِرًا مَدَحَ
أَلْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَجَزَلَ مَطْنَتَهُ فَلَمَّ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : أَتَرُونِي خِفْتُ
أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ أَبْنَى قَاطِئَةً وَلَا أَبْنَى عَلِيًّا . وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ :
لَسْتُ كَأَلرُّسُولِ وَلَسْتُ كَعَلِيٍّ . فَيَصْدُقُ وَيُحْمَلُ عَنْهُ وَيَبْقَى مُخْلَدًا فِي
الْكِتَابِ مُحْفُوظًا عَلَى السِّنَةِ الرُّوَادَةِ . فَقَالَ الشَّاعِرُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ
مَنْ بِي بِالْمَدْحِ . وَقَدْ وَقَعَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ بِغَضٍّ مَا قَالَ فِيهِ أَبُو
عَاصِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ الْمَدِينِيُّ :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَبِيلُ
وَجَمِيعُ الشُّعْرَاءِ يَرُونَ قَصْرَ الْعِجَاءِ أَجُودَ وَرَكَ الْفُحْشِ أَضَوَّبُ
الْأَجْرِيًّا فَإِنَّهُ قَالَ لِنَبِيهِ : إِذَا مَدَحْتُمْ فَلَا تُطِيلُوا وَإِذَا هَجَوْتُمْ
فَحَالِفُوا . وَأَنَا أَرَى التَّعْرِيزَ أَهْجَى مِنْ التَّصْرِيحِ لَا إِسْعَاقَ الْفُظْنَ فِي
التَّعْرِيزِ وَشِدَّةَ قَلْبِ النَّفْسِ بِهِ وَالتَّجَنُّبَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَطَلَبَ حَقِيقَتِهِ
فَإِذَا كَانَ الْهَجْوُ تَضَرُّعًا أَحَاطَتْ بِهِ النَّفْسُ عَلِمًا وَقَلَّتْهُ يَقِينًا فِي أَوَّلِ
وَهْلَةٍ وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ فِي نَفْسٍ لِنِسْيَانٍ أَوْ مَلَلٍ يَغْرِضُ . وَهَذَا الْمَذْهَبُ
الْصَّحِيحُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْهَجْوُ ذَا قَدَرٍ فِي نَفْسِهِ وَحَسَنِهِ . فَأَمَّا

(١) انظر تسمية هذه القصيدة في ترجمة النابغة من كتاب شعراء النصارية

إِنْ كَانَ مِنْ لَا يُوقِظُهُ التَّلَوُّجُ وَلَا يُؤْمِلُهُ إِلَّا التَّصْرِيحُ فَذَلِكَ .
 وَلِهَذَا أَلَعَلَّ اخْتَلَفَ هَجَاءُ أَبِي نُوَّاسٍ وَكَذَلِكَ هَجَاءُ أَبِي الطَّيِّبِ فِيهِ
 اخْتِلَافٌ لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْمُهْجَرِينَ فَمَنْ التَّفْضِيلِ فِي الْهَجَاءِ قَوْلُ
 رَسِيمةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّقِّي:

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي الدَّيِّ يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَعَزُّ بْنُ حَاتِمٍ
 فَهَمْ أَلَقَى الْقَيْسِيَّ إِنْ لَافَ مَالِهِ وَهُمْ أَلَقَى الْعَبْسِيَّ جَمْعَ الدَّرَاهِمِ
 فَلَا يَحْسِبُ التَّمَنَّا أَيْ هَجُوتَهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْكَرَامِ
 وَمَنْ الْأَخْتِصَارِ وَالْإِسْتِخْفَافِ قَوْلُ زِيَادِ الْأَنْجَمِ:

قُمْ صَاحِبًا يَا سَنَجُ جُرْمٍ فَإِنَّمَا يُقَالُ لِسَنَجٍ الصَّدَقِ قُمْ غَيْرُ صَاحِبٍ
 قَنْ أَتَمُّ إِنَّمَا نَسِيًا مَنْ أَتَمُّ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيْ رِيحِ الْأَعَاصِرِ
 أَأَتَمُّ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ الرِّيحِ وَالِدَبَا فَطَارَ وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
 قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خَلَقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
 فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَيْنَ كَانَ قَبْلَكُمْ

وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْخَوَافِرِ

أَخَذَ مِنْهُ الطَّرِمَاحُ هَذَا أَلَعَلَّ فَقَالَ:

وَمَا خُلِقْتَ تَمِّمْ وَعَبْدُ مَتَانِيهَا وَضَبَّةُ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

وَمَنْ الْأَخْتِصَارِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي تَمِّمِ:

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَمِّمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهَدُ

وَأَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَمِّمٍ وَتَمًّا قُلْتَ أَيُّهَا الْعَيْدُ

وَمَنْ مَلِجَ التَّمَكُّمِ قَوْلُ أَبِي هَفَّانَ:

سُلَيْمَانُ مَيُونُ التَّقِيَّةِ حَازِمٌ وَلَكِنَّهُ وَقَفُ عَلَيْهِ أَهْزَامُ
 وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيَّةِ
 قَرْنَ سُلَيْمَانَ قَدْ أَصْرَبَ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَلْفُهُ
 كَمْ يَبْعِدُ الْقَرْنَ بِاللِّقَاءِ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

أَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنْ قَوْلِ الْحَارِجِيِّ وَقَدْ قَالَ لَهُ
 الْمُنْصُورُ: أَيُّ أَصْحَابِي كَانَ أَشَدَّ إِقْدَامًا فِي مُبَارَزَتِكُمْ فَقَالَ: مَا
 أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَقْفَاءَهُمْ. وَأَجُودُ فِي الْهَجَاءِ أَنْ
 يُسَلِّبَ الْإِنْسَانُ الْفَضَائِلَ النَّفْسِيَّةَ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْ بَعْضِهَا. فَأَمَّا مَا
 كَانَ فِي الْخِلْقَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ مِنَ الْمَلَائِبِ فَإِنَّ الْهَجَاءَ بِهِ دُونَ مَا تَقَدَّمَ
 وَقُدَّامَةً لَا يَرَاهُ مَهْجُؤُا الْبُتَّةَ وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَهْلَاتِ مِنْ
 النِّقْصِ وَالْفَسَادِ لَا يَكُونُ عَيْنًا وَلَا يُعَدُّ الْهَجَاءُ بِهِ صَوَابًا وَكَانَ
 النَّبَاطَةُ الْجَعْدِيُّ يَقُولُ إِنِّي وَأَوْسًا لِنَبْتَسِيرِ أَبَا مِنْ الْهَجَاءِ قَدْ غَلَبَ
 مَنَّا إِلَيْهِ غَلَبَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا قَالَ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءَ:

لَعَنَكَ مَا تُبْلَى سَرَايِلُ عَايِمٍ مِنَ اللَّوْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
 قَالَ النَّبَاطَةُ: هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَسِرُهُ. وَالَّذِي أَرَاهُ عَلَى
 كُلِّ حَالٍ أَنَّ أَشَدَّ الْهَجَاءِ مَا أَصَابَ الْقَرَضَ وَوَقَعَ عَلَى الثُّكْتِ وَهُوَ
 كَمَا قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ بِعَيْنِهِ



البحث العاشر

في الاعتذار

(من الكتاب نفسه)

وَيَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ لَا يَقُولَ شَيْئًا يَحْتَاجُ أَنْ يُعْتَذِرَ مِنْهُ قَارِئُ
 اضْطِرَّهِ الْقِدَارُ إِلَى ذَلِكَ وَأَوْقَعَهُ فِيهِ الْقَضَاءُ فَلْيَذْهَبْ مَذْهَبًا طَيِّفًا
 وَلْيَقْصِدْ مَقْصِدًا عَجِيبًا وَلْيَعْرِفْ كَيْفَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ الْمُتَعَذِّرِ إِلَيْهِ مِنْ
 بَابِ الْأَخْتِجَاجِ وَأَقَامَةِ الدَّلِيلِ لَا سِيَّمَا مَعَ الْمُلُوكِ وَذَوِي السُّلْطَانَةِ
 وَحُكْمُهُ أَنْ يُلَطِّفَ بِرَهَائِهِ مُدْرَجًا فِي التَّضَرُّعِ وَالذُّخُولِ تَحْتَ عَفْوِ
 الْمُلُوكِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْكُشْفِ عَنْ كَذِبِ الْمَاقِلِ وَالْحَاسِدِ قَامًا
 مَعَ الْأَخْوَانِ قِتْلِكَ طَرِيقَهُ أُخْرَى وَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَضْبَهَائِي
 حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَدْ أَسَأْتُ فَإِلْتَعَمَى إِلَيَّ سَلَفْتُ إِلَّا مَنْتَ بِعَفْوِ مَا لَكَ سَبَبُ
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ لِلْمَأْمُونِ مِنْ آيَاتِ يُعْتَذِرُ إِلَيْهِ :
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا جَهْدُ الْآلِيَةِ مِنْ مُقَرِّ حَاضِرٍ
 مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْعَوَاةُ تُعَذِّبُنِي أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيشَةِ طَائِعٍ
 وَقَدْ سَلَكَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ مَذْهَبَ الْحُجَّةِ وَأَقَامَةَ الدَّلِيلِ بَعْدَ
 أَرْتِكَابِ الْجَلِيَّةِ فَقَالَ :

لَمْ أَجْنُ ذَنْبًا فَإِنْ رَزَعْتَ بَانَ جَنَيْتُ ذَنْبًا فَغَيْرُ مُعْتَبِدٍ
 نَحَوْتُ هَذَا النَّحْوَ فَقُلْتُ :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دَعَاةً بَثَّ عَلَى تَارِهَا

وَأَنْ تَأْذَيْتَ قِيَارُبَنَا تَأَذَّتِ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وَأَجَلَ مَا وَقَعَ فِي الْأَعْتَذَارِ مِنْ شَهُورَاتِ الْعَرَبِ قَصَائِدُ النَّابِغِ

الثَّلَاثُ إِحْدَاهُنَّ «يَا دَارَ مَيَّةَ يَا عَلِيَاءَ بِالسَّنَدِ» يَقُولُ فِيهَا :

فَلَا أَعْمَرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هَرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وَالْمُؤْمِنِ الْعَانِدَاتِ الطَّيِّرِ تَمَسَّحُهَا دُحْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّءٍ بِمَا آتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي

إِلَّا مَقَالَةً أَقْوَامٍ شَقِيَتْ بِهَا كَانَتْ مَقَاتِلُهُمْ قُرْعًا عَلَى الْكَيْدِ

أُنَبِّئُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ

وَالثَّانِيَةُ (أَرْنَا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَنَّبُ) يَقُولُ فِيهَا مُعْتَذِرًا

مِنْ مَدْحِ آلِ جَفْنَةَ وَمُخْتَجًا بِإِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِ :

خَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْعَمْرِ مَذْهَبُ

لَبِئْسَ كُنْتَ قَدْ بَاغَتْ عَنِّي خِيَانَةً لِمَلِئُكَ الْوَأْيِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ

وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٍ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا آتَيْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ

كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَدَاكَ أَضْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي

كَلِمَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرُبُ

يَأْتِيكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ

وَالثَّالِثَةُ (عَفَا ذُو حُسَى مِنْ قَرْنًا قَالِقَوَارِعُ) يَقُولُ فِيهَا بَعْدَ

قَسَمَ قَدَمُهُ عَلَى عَادَتِهِ :

لَسْكَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرِ يُكْوِي غِيْهُ وَهُوَ دَاتِعُ
وَإِنْ كُنْتُ لَا ذُو الصُّغْرِ عَنِّي مُكَدِّبُ

وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعُ
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرِ لَا مَحَالَةَ وَاقِعُ
فَإِنَّكَ كَأَلِيلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ جَلْتَ لَنْ أَلْتَمِتْ أَعْلَمُكَ وَأَسْمُ
وَقَدْ عَلِقَ بِهَذَا أَلْفَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ سَلِمَ الْخَائِرُ
يَعْتَدِرُ إِلَى الْهَدْيِ :

إِنِّي أَعُوذُ بِغَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ ذَاكَ لِمَا نَأْتِي وَتَجْتَنِبُ
وَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْثُوثًا حَبَالُهُ وَالْدَّهْرُ لَا فَنَاجٍ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَأِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنْتِي أَفْوَتْكَ إِنْ أَرَانِي مِنْي لَعَازِبُ
وَأِلَى هَذِهِ النَّاجِيَةِ أَشَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ :

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَى حَبِيَّةٍ فَمَاعْلَمُكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ
غَيْرَ أَنَّهُ حَرَفَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَخْتَارَ الْمُلَمَّا بِهَذَا الشَّانِ
قَوْلَ عَلِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ :

وَمَا لِي بِامْرِئٍ حَادَثَهُ عَنْكَ مَهْرَبُ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ أَلْطَاعُ
بَلَى هَارِبُ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا صَوْتُ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
لِأَنَّهُ قَدْ أَجَادَ مَعَ مُعَارَضَتِهِ النَّابِغَةَ وَزَادَ عَلَيْهِ ذِكْرَ الضُّمِيرِ
وَإِظْهُهُ أَقْتَدَى بِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ فِي بَيْتِ النَّابِغَةِ : لَيْسَ اللَّيْلُ أَوَّلِي

بِهَذَا الْمَثَلِ مِنَ الْفَهْرِ . وَفِي هَذَا الْأَعْتِرَاضِ كَلَامٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ
مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَفْضَلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَوْلُ
الْقُرْآنِ : إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنْفُذُوا . وَجَدَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى عَلَى أَبِي الْهَوَلِ الْحَمِيرِيِّ فَدَخَلَ
إِلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :

كسائي وعيدُ الفضلِ ثوباً من ألبلى

وَإِعَادُهُ عِنْدِي الَّذِي مَا لَهُ رُدُّ
فَجِدْ بِالرِّحَى لَا أَتَّبِعِي مَلِكَ غَيْرُهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَى مَذْهَبِ الْكِتَابِ فِي تَحْرِيرِ الْحِطَابِ : لَا
أَحْتَمِلُ وَاللَّهِ قَوْلَكَ (وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ) فَقَالَ أَبُو
الْهَوَلِ : لَا تَنْتَظِرْ إِلَى قِصْرِ بَاعِي وَقِلَّةِ تَمْيِيزِي وَأَفْعَلْ بِي مَا أَنْتَ
أَهْلُهُ . فَأَمَرَ لَهُ بِمَالِ جَسِيمٍ وَرَخِي عَنْهُ وَقَرَّبَهُ

وَفِي اسْتِغْفَارِ الْأَعْدَاءِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنْ سَكُونَ مِنْ
الْخَوْ كَأَنَّكَ تَحَوَّتْ آثَارُ الْمَوْجِدَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَعْتَذَرْتَ الْمَنَازِلُ إِذَا
دَرَسْتَ وَأَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ خُجْرٍ :
أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِ فَقْدِ جَعَلْتَ

أَطْلَالَ الْيَنَكِ بِالْوَدَّاءِ مَسْتَذِرُ
وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَنْتِطَاعِ كَأَنَّكَ قَطَعْتَ الرَّجُلَ عَمَّا أَمْسَكَ
فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمَوْجِدَةِ وَيَقُولُونَ أَعْتَذَرْتَ الْمِيَاهُ إِذَا أَنْقَطَعَتْ :
وَأَقُولُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَجَرِ وَالنَّعْرِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ

يُقَالُ عَذَرْتُ الدَّابَّةَ أَيَّ جَعَلْتُ لَهَا عَذْرًا يَخْجُزُهَا مِنَ الشِّرَادِ
فَعَنَى اعْتَذَرَ الرَّجُلُ اخْجَزَ وَعَذَرْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْعُقُوبَةِ أَوْ الْقَتْلِ وَمِنْهُ تَعَذَّرَ الْأَمْرُ وَاخْجَزَ أَنْ يُقْضَى وَمِنْهُ جَارِيَةٌ
عَذْرَاءُ

البحث الحادي عشر

في سيرورة الشعر والحظوة في المدح

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

كَانَ الْأَعْمَى أَسِيرَ النَّاسِ شِعْرًا وَأَعْظَمَهُمْ فِيهِ حَظًّا حَتَّى كَادَ
يُنْسِي أَصْحَابَهُ الْمَذْكُورِينَ مَعَهُ وَقَلَهُ ذُهَيْرٌ وَالذَّابِغَةُ وَأَمْرُوهُ الْقَيْسُ
وَكُنَّ جَرِيرٌ بِأَقْعَةٍ سَازِرَ الشَّعْرِ مَظْفَرًا. قَالَ الْأَخْطَلُ لِلْفَرَزْدَقِ وَأَنَا
وَاللَّهُ أَمْعَرُ مِنْ جَرِيرٍ غَيْرَ أَنَّهُ رُبِّقَ مِنْ سَيُورَةِ الشَّعْرِ مَا لَمْ أُرْزَقْهُ
وَقَدْ قُلْتُ بَيْتًا لَا أَحْسَبُ أَحَدًا قَالَ أَهْجَأَ مِنْهُ

وَلَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ إِلَّا وَقَدْ نِيلَ مِنْهَا وَعُدَّتْ وَهَجِيَتْ لِحْطًا
الشَّعْرِ مِنْهُمْ بَعْضًا بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِيقَةِ وَمَضَى صَفْحًا عَلَى الْآخَرِينَ لَمَّا لَمْ
يُؤَافِقِ الْحَقِيقَةَ وَلَا صَادَفَ مَوْضِعَ الرِّيَّةِ. فَمِنْ الَّذِينَ لَمْ يُجْثَكْ فِيهِمْ هِجَاءٌ
إِلَّا قَلِيلًا عَلَى كَثْرَةِ مَا قِيلَ فِيهِمْ تَقِيْمُ بْنُ مَرْوَةَ وَبَسْكَرُ بْنُ وَائِلٍ
وَأَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ وَنَظَرَاؤُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ أَلْسِنَ. فَأَمَّا مَنْ شَتُّوا بِالْهَجَاءِ
وَمُرَّتُوا كُلُّ مُمَرَّقٍ عَلَى تَقَدُّمِهِمْ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْفَضْلِ أَحْيَاءُ مِنْ قَيْسِ
خَوْغَنِي وَبَاهِلَةَ بْنِ أَغْصَرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ وَأَسْمُ غَنِيٍّ

عَمْرُو وَكَانُوا . وَآلِي عَامِرٍ بَنَ صَفْصَعَةَ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِمُ الدِّيَاتِ وَالذَّرَائِبَ
وَنَحْوُ مُحَارِبِ بْنِ خُصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ وَجَسْرِ بْنِ مُحَارِبِ
وَمِنْ وَلَدِ طَلْحَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ تَيْمٌ وَعُكْلُ ابْنَا عَبْدِ مَنَاءَ
وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّبُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاسْتَهَاتِ الْعَرَبُ بِهِمْ وَأَنْطَلَعَ الْعَجَّاءُ
فِيهِمْ وَعَدِيُّ بْنُ عَبْدِ مَنَاءَ كَانُوا قَطِينًا لِحَاجِبِ بْنِ ذُرَادَةَ وَآرَادَ أَنْ
يَسْتَمْلِكَهُمْ مَلِكٌ رَقِيٍّ يَسْجُلُ مِنْ قَبْلِ الْمُنْدَرِ . وَالْحِطَّاتُ وَهُمْ وَلَدُ
الْحَارِثِ بْنِ عَمْرُو بْنِ تَيْمٍ وَسَمِيَ الْحِطُّ لِعَظَمِ بَطْنِهِ شَبَّوهُ بِالْحِجْلِ
الْحِطُّ وَهُوَ الَّذِي أَتَمَّحَ بَطْنُهُ مِنْ كَلَالٍ يَسْتَوِيهِ . فَأَمَّا السَّلُولُ فَقَدْ
قَالَ فِيهِمْ أَبُو زَيْدٍ الْكِلَابِيُّ : كِرَامٌ مِنْ كِرَامِ عَفْصَةَ لَمْ يُحَاقِلُوا فِي
أَمْرِ . وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي صَمَارٍ وَإِنَّمَا كَلِمَةُ عَامِرٍ بْنِ الْفُطَيْلِ هِيَ الَّتِي
شَاقَمَتْهُمْ يُرِيدُ قَوْلُهُ : أَغْدَةُ كَمْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ .
قُلْتُ أَمَّا عَامِرٌ فَقَدْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حِينَ دَعَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَمَا
يَصْنَعُ يَقُولُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ :

وَأَنَا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

وَالسَّمَوَالُ فِي ذِمَانِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَبَيْنَ أَمْرِ الْقَيْسِ
وَمَنْعَتِ الرَّسُولِ مِئَةً وَارْبَعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً . قَالَ الْحَاجِطُ لَمْ يَمْدَحْ
قَبِيلَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ كَمَا دَبِحَتْ نَحْرُومٌ . قَالَ وَكَانَ عَبْدُ
الْعَزِيزِ بْنُ مُرْوَانَ أَخْطَأَ فِي الشَّعْرِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ خُلَفَائِهِمْ . وَمَا
أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ نِعْمَةً بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ
الرَّجُلُ مُمَدِّحًا . قُلْتُ أَنَا : أَمَّا هَذِهِ النِّعَةُ فَقَدْ أَحَلَّهَا اللَّهُ مُضَاعَفَةً

عِنْدَ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَرَنَهَا مِنْهُ بِالْإِسْتِحْقَاقِ فَقَرَّتْ مَقَرَّهَا
وَرَزَلَتْ مَازِلَهَا أَلْخُتَارَ لَهَا . وَأَحْيَا اللَّهُ بِهٖ لِبَنِي شَيْبَانَ حَمْدًا لَمْ
يَشْبُهُ ذُمْ وَجُودٌ لَمْ يُعْقِبْهُ نَدَمٌ بِمَا زَادَ عَلَى يَرِيدٍ وَلَمْ يَدَعْ لِعَيْنٍ مَعْنَى
فِي الْجُودِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ مَمْدُوحًا وَفِيهِ يَقُولُ
بِشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

قُلْ لِلْكَافَّةِ إِنْ جِئْتُهِ نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي أَلْتَمِّهِمْ
إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا قَبْلَهُ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ ثُمَّ ثُمَّ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ أَلَاءَ إِلَّا بِدَمٍ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنَّ أَلْطَائِيَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّا قَطَعْتُ إِلَيْكَ سَبَابِيَا وَرِمَا لَا
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : لَمْ يَدَعْ أَحَدٌ قَطُّ بَنِي كُليبٍ غَيْرُ
الْحَطِيئَةِ :

لَعَمْرُكَ مَا أَلْجَاوِزُ فِي كُليبٍ يُنْقَضَى فِي الْخَوَارِ وَلَا مُضَاعِرُ
وَكَاثَتْ قَيْسُ تَفْخَرُ عَلَى عِمِّمَ لِأَنَّ شُعْرَاءَ عِمِّمَ تَضْرِبُ أَلْثَلَّ
بِقَبَائِلِ قَيْسٍ وَرِجَالِهَا . فَأَقَامَتْ عِمِّمُ دَهْرًا لَا تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا حَتَّى
قَالَ لَيْدُنُ بْنُ رَيْعَةَ :

أَبْنِي كُليبٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرُ وَبَنُو ضُبَيْعَةَ حَاضِرُوا الْأَجْنَابِ
قَتَلُوا آتِينَ عُرُوزَةً ثُمَّ لَطَوْا دُرَّةَ حَتَّى يُحَاكِمَهُمْ إِلَى جَوَابِ
يَرْعُونَ مُتَحَرِّقُ اللَّدِيدِ كَانَهُمْ فِي الْعِزِّ أُنْسَرَةً حَاجِبٍ وَسَهَابِ
مُتَظَاهِرُ حَاقُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَبَنِي ذُرَّارَةَ أَوْ بَنِي عَتَابِ

قَوْمٌ لَهُمْ عَرَقَتْ مَعَدُّ فَضْلُهُمْ وَالْفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذُو الْأَلْبَابِ
وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ بْنُ سَيَّارٍ الْقَزَائِيُّ :

فَجَاؤُوا بِمَجْمَعٍ مُجْزَلٍ كَانَتْهُمْ بَنُو دَارِهِمْ إِذْ كَانَ فِي النَّاسِ دَارِمْ
فَتَكَلَّمْتُ نَعِيمٌ وَاتَّخَرْتُ لِمَكَانِ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ
قَدْرًا فِي قَيْسٍ فَذَلِكَ هَذَا عَلَى أَنَّ قَيْسًا أَخْطَى بِالْمَدْحِ مِنْ نَعِيمٍ .
وَالْأَوَايِدُ مِنَ الشُّعْرِ الْآيَاتُ السَّائِرَةُ كَالْآيَاتِ وَالْكَوْنُ مَا
تُسْتَعْمَلُ الْأَوَايِدُ فِي الْهَجَاءِ يُقَالُ : رَمَاهُ بِأَيَّةٍ فَتَكُونُ الْآيَةُ
هَهُنَا الدَّاهِيَةُ . قَالَ الْجَاهِظُ : الْأَوَايِدُ الدَّوَاهِي وَمِنْهُ أَوَايِدُ الشُّعْرِ
حَكَاهُ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَحَكَى : الْأَوَايِدُ الْإِبِلُ الَّتِي تَتَوَحَّشُ فَلَا
يُقَدَّرُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْعَمْرِ . وَالْأَوَايِدُ الطَّيْرُ الَّتِي تُقِيمُ صَيْفًا وَشِتَاءً .
وَالْأَوَايِدُ الْوَحْشُ فَإِذَا جُمِلَتْ آيَاتُ الشُّعْرِ عَلَى مَا قَالَ الْجَاهِظُ
كَانَتْ الْمَعَانِي السَّائِرَةُ كَالْإِبِلِ الشَّارِدَةِ الْمُتَوَحَّشَةِ وَإِنْ شِئْتَ
الْقَيْسَةَ عَلَى مَنْ قِيلَتْ فِيهِ لَا تَفَارِقُهُ كَقَامَةِ الطَّيْرِ الَّتِي لَيْسَتْ
بِقَوَاطِعٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي بَعْدِهَا مِنَ الشُّعْرِ وَأَمْتِنَاعِهَا عَلَيْهِمْ
كَالْوَحْشِ فِي نِفَاقِهَا مِنَ النَّاسِ . وَأَمَّا الْحَبْدُ دُونَ فِي الْكُتُبِ
بِالشُّعْرِ وَالْحَظَرَةُ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَتَنْهَمُ مُسْلِمٌ الْخَالِصُ مَاتَ عَنْ مِائَةِ
أَلْفٍ دِينَارٍ وَلَمْ يَتْرُكْ وَارِثًا وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَنَعَ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْخَوْصُ انْعَسَاكَ الرِّجَالُ
وَكَانَ صَدِيقَهُ جَدًّا . فَقَالَ مُسْلِمٌ : وَيَلِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ جَمْعُ
الْقَطَايِرِ مِنَ الذَّهَبِ وَقَدْ تَسَبَّحَنِي إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنْ الْخَوْصِ . وَلَمْ

يَرَدُّ ذَلِكَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ وَمَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ أَنْطَبِي مِائَةَ أَلْفٍ
 دِينَارٍ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً وَكَانَ لَا يُقَابِلُ إِلَّا بِالْكَثِيرِ وَهُوَ لَعْمَرِيٌّ مِنْ
 ذَوِي أَلْسُونَاتٍ وَالْعَرُوفِينَ فِي الْأَكْسَبِ وَالشَّعْرِ . وَكَانَ أَبُو نَوَاسٍ
 مَحْظُوظًا لَا يُدْرَى لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ لِكِنَّهُ كَانَ مُتَلَقًا سَخَاً وَكَانَ
 يَتَسَاجَلُ فِي الْأَنْفَاقِ هُوَ وَعَبَّاسُ بْنُ أَخْنَفَ . وَكَانَ الْجَحْثَرِيُّ مِلِيًّا
 قَدْ قَاضَى كَسْبُهُ مِنَ الشَّعْرِ . وَكَانَ يَرْكَبُ فِي مَوْكَبٍ مِنْ عِيْدِهِ .
 وَأَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَمَا وَفَى حَقَّهُ مَعَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِأَنَّهُ تَبَذَّلَ
 وَجَابَ الْأَرْضَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ

البحث الثاني عشر

في ما اشكل من المدح والهجاء

(من كتاب العمدة لابن رشيقي)

أَنشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخَوَّيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ
 الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَمْدِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ
 تَيْمِيمٍ :

تَصِفَنِي وَهَذَا قُلْتُ أَسَابِقِي إِلَى الزَّادِ شَلْتُ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
 وَلَمْ تَلَقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ الْأَوْهَرِ غُرَيَانِ جَانِعُ
 لَمْ يَرُدَّ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَّادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ
 لِكِنَّهُ وَصَفَ ذَلِكَ قِيَمَهُ لَيْلًا فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتَ إِلَى الْأَكْلِ
 أَيُّ تَأْكُلُنِي شَلْتُ إِذَا أَصَابِعِي إِذَا لَمْ أَرْمِكَ فَأَقْتُلَكَ وَآكُلُ
 حُلْمَكَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى الْمَثَلِ : لَمْ تَلَقَ لِلسَّعْدِيِّ يَغْنِي نَفْسَهُ ضَيْفًا فِي

قَفَرَةٌ يَعْنِي الذَّنْبَ إِلَّا هُوَ جَانِعٌ فَهُوَ لَا يُنْبِئِي عَلَيَّ لِأَنِّي أَقْتُلُهُ قَبْلَ
أَنْ يَشْبَعَ مِنْ حَيِّي. وَمِنْ أَتَشِيدُهُمْ:

أَبُوكَ الَّذِي بُنِيتُ يَحْبِسُ حَيْلَهُ عِدَاةَ الدَّيِّ حَتَّى يَخْفَ هَا أَبْقُلُ
قَالُوا إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَتَبْتَ بَقْلًا فِي أَصُولِ
بَقْلِ قَدْ يَبِسَ فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ الشَّرُّ وَهُوَ الْقَمِيرُ فَتَأْكُلُهُ
الْأَبِلُ فَيَأْخُذُهَا السَّهَامُ وَلَا سَهَامَ فِي الْحَيْلِ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْحَيْلِ.
قَالَ الْأَضْعَى: هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ بَلْ مَدَحَهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَيْلِ لِأَنَّ
الشَّرَّ مُؤَدِّ بِكُلِّ مَا اسْكَنَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَّ سَهَامٌ. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ
قُتَيْبَةَ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَذَكَرِ آلَ الرَّسُولِ:

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيعُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَأَتِ
قَالَ قَوْمٌ أَرَادَ لَمْ يُعِيدُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ كَثْرَةِ الْقَتْلِ بِهَا كَمَا
تَقُولُ لَمْ أَضْرِبْكَ وَلَمْ تَحْنِ عَلَيَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ. وَقَالَ
آخَرُونَ: أَرَادَ لَمْ يَسْلُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا وَكَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى كَمَا
تَقُولُ: لَمْ أَلْقَ وَلَمْ أُحْسِنِ إِلَيْكَ أَيَّ إِلَّا وَقَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ
وَالْقَوْلَانِ مِمَّا صَحِيحَانِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ وَيُشَدُّونَ قَوْلَ الْآخَرِ:
هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَغِ أَمَّا الْكَلْبُ فَابْجُ
وَيَرْوَى:

دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْتَنُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَاكَ فَابْجُ
وَأَنشَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:

فَجَبَيْتُ الْخَيْشَ أَبَا حَبِيبٍ وَجَادَ عَلَى مَحَلَّتِكَ الْحَبَابُ

وَيُرَوَّى أَنَّ أَبَا زَيْبٍ قَالَ : إِنْ دَعَا لَهُ فَلَنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَاتِيَ مِنْ
الْجُيُوشِ وَأَنْ يَجُودَهُ السَّحَابُ فَتَخَصَّبَ أَرْضُهُ وَإِنْ دَعَا عَلَيْهِ قَالَ :
لَا أَبْقَى لَكَ خَيْرًا تَطْمَعُ فِيهِ الْجُيُوشُ فَمَهِيَ تَحْتَبُّ دِيَارَكَ لِأَعْلَمِهِمْ
بِقِلَّةِ الْخَيْرِ فِيهَا وَيَدْعُو عَلَى مَحَلَّتِهِ بِأَنْ تَدْرُسَهَا الْأَمْطَارُ . وَقَالَ
غَيْرُهُ : إِنَّمَا مَعْنَاهُ جَادَ عَلَى مَحَلَّتِكَ السَّحَابُ فَأَخْصَبَتْ وَلَا مَاشِيَةَ
لَكَ فِيهَا فَذَلِكَ أَشَدُّ لَهْمِكَ وَغَمِّكَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ كَقَوْلِ
الْآخِرِ :

وَحِفَاءُ أَلْقَى اللَّيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فَسَرَتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمُضْرِمٍ
أَيَّ سَرَتْ كُلُّ ذِي مَاشِيَةٍ وَسَاءَتْ كُلُّ قَعِيرَةٍ . وَأَشَدُّ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ أَيْضًا :

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِيسَارٍ وَغَسْرَةٍ أَذْعُو حَيْثَا كَمَا تُدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ
وَرَوَى الْمُبَرِّدُ حَنِيفًا يُرِيدُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ بِسُرْعَةٍ كَالصَّهْبِ وَهُوَ ابْنَةُ
الْجَبَلِ وَقِيلَ ابْنَةُ الْجَبَلِ الصَّخْرَةُ الْمُخْتَدِرَةُ مِنْ أَعْلَاهُ . وَرَدَّ أَبُو
زَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ بَيْتًا وَهُوَ :

إِنْ تَدْعُهُ مُوهِنًا يَجْعَلُ بِحَايِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ يَسْمَعِي غَيْرَ مُشْتَمِلٍ
فَهَذَا مَدْحٌ لَا حَالَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى قَوْلِهِ الْآخِرِ :

كَأَنِّي إِنْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمْ الْجَبَالَ
وَرَوَاهُ قَوْمُ بَنِي سُلَيْمٍ فَمَنْ مَدَحَ جَعَلَهُ مِثْلَ الْأَوَّلِ فِي سُرْعَةِ
الْإِجَابَةِ وَمَنْ ذَمَّ نَسَبَهُمْ إِلَى الْبَقْلِ عَنْ إِجَابَتِهِ مِثْلَ الْجَبَالِ . وَمِنْ
الدُّعَاءِ الَّتِي يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ :

تَفَرَّقَتْ غَسِييَ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّنْبَ وَالضَّبْعَا
 قِيلَ إِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا لَا يُؤْذِيَانِ وَشَغَلَ كُلُّهُمَا الْآخَرُ
 وَإِذَا تَفَرَّقَا آذِيَا وَقِيلَ : إِنَّ مَعْنَاهُ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهَا : قَتَلَ الذَّنْبُ
 الْأَخْبَاءَ عَيْنًا وَأَكَلَتِ الضَّبْعُ الْأَمْوَاتَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ . وَمِنْ
 لطيف ما وقع في هذا الباب قول النابغة الذبياني :

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثَّنِيانَ عَنِّي ضُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ الْهَجَانِ
 وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ يَغْلِبُ الثَّنِيانَ وَلَا يَغْلِبُ الْفَحْلَ لَكِنْ أَرَادَ التَّضْيِيقَ
 بِالذِّي هَاجَاهُ جَعَلَهُ ثَنِيَانًا . وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَنْفَرُ بِبَيْتِ أَبِي وَجَدِي يَحْيَى قَبْلَ السَّوَابِرِ وَهُوَ كَانَ
 أَرَادَ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عَنَانِهِ لَا يُسْبِقُ مُسْتَهْلًا . وَمِمَّا يَمْدَحُ بِهِ وَيَذَمُّ
 قَوْمَهُمُ بَيْضَةُ الْبَلَدِ فَمَنْ مَدَحَ أَرَادَ أَنَّهَا أَضْلُ الطَّائِرِ وَمَنْ ذَمَّ أَرَادَ أَنَّهَا
 لَا أَضْلَ لَهَا . قَالَتْ أُخْتُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فِي عَلِيٍّ لَمَّا قَتَلَ أَخَاهَا :
 لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِو غَيْرَ قَاتِلِي لَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
 لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ مَنْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 فَهَذَا لَمَدَحُ كَمَا تَرَاهُ وَقَالَ الرَّاعِي التَّمِيمِيُّ يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ
 الرَّقَاعِ الْعَلَامِيَّ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ تُهْجَى هَجَوْتُكُمْ

يَا أَبْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعُهُ أَنْ تَرْضَى بِكُمْ نَسَبًا

وَأَبْنَا زَارٍ فَانْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وَأَنشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :

وَأَيَّ لَطْلَامٍ لَأَشْمَتَ بَأْسِ
عَرَادًا وَمَقْرُورًا يَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ

وَجَارٍ قَرِيبٍ الدَّارِ أَوْ ذِي جَنَاقَةٍ

غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَقْرٌ
يَظُنُّهُ السَّامِعُ هَجَا نَفْسِهِ يَظْلِمُ هَوْلَاءَ الَّذِينَ ذُكِرُوا إِنَّمَا
مَدَحَهَا بِأَنَّهُ يَظْلِمُ النَّاقَةَ فَيَنْحَرُ لِلضِّيَافَةِ فَصِيلَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا دَاءٍ
هَذَا هُوَ الْأَشْمَتُ وَالْجَارُ وَأَشْبَاهُهُمَا

البحث الثالث عشر

في البدية والارتجال

(من كتاب العمدة لابن رشيقي)

الْبَدِيَّةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَسِّمِينَ يَعْلَمُونَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فِي
بَلَدَيْنَا وَمِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا هِيَ الْأَرْتِجَالُ وَلَيْسَتْ بِهِ لِأَنَّ الْبَدِيَّةَ
فِيهَا الْفِكْرُ وَالْتِمَازُ . وَالْأَرْتِجَالُ مَا كَانَ أَتَمَّارًا وَتَدَقُّقًا لَا يَتَوَقَّفُ
فِيهِ قَائِلُهُ كَالَّذِي صَنَعَ الْفَرَزْدَقُ وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ أَسِيرًا مِنَ الْأُرُومِ لِيَقْتُلَهُ فَدَسَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ سَيْفًا
كَهَامًا فَنَبَا حِينَ ضَرَبَ بِهِ وَصَحَّحَ سُلَيْمَانُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَرْتِجَالًا
فِي مَقَالَةٍ يَتَعَذَّرُ لِنَفْسِهِ وَيُعَايِرُ بَنِي عَبْسٍ بِأَبْوِ سَيْفِهِ وَرَقَاءِ بْنِ
زُهَيْرٍ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ :

فَإِنْ يَكُ سَيْفُ حَانَ أَوْ نَبَا حَدَّهُ

لِتَأْخِذَ نَفْسٌ حَيْثُهَا غَيْرُ شَاهِدٍ

فَسَيْفُ بَنِي عَبَسَ وَقَدْ صَرَبُوا بِهِ

نَبَا يَدَيَّ وَرَقَاهُ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ

كَذَلِكَ سُوفُ الْهَنْدِ تَنْبُو ظُبَاهَا

وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَانِدِ

وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ

إِلَى عَرَقِ دُونَ الشَّرَاسِيفِ حَايِدٍ

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَا نَقْتُلُ الْأَنْسَى وَلَكِنْ نَفْكَهُمْ

إِذَا شَغَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَعَادِمِ

وَأَعْظَمُ الْأَرْجَالِ وَقَعَ قَصِيدَةُ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ بَيْنَ يَدَيَّ عَمْرُو

أَبْنِ هَنْدٍ فَإِنَّهُ يُقَالُ أَتَى بِهَا كَالْخُطْبَةِ . وَكَذَلِكَ قَصِيدَةُ عُبَيْدِ بْنِ

الْأَبْرَصِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْبَدِيَّةِ بَدِيَّةُ أَمِنْ وَرَدَتْ فِي مَوْضِعٍ

خَوْفٍ فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَرْجَالِ وَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْبَدِيَّةِ . وَكَانَ أَبُو

نُوَاسٍ قَوِيَّ الْبَدِيَّةِ وَالْأَرْجَالِ لَا يَكَاذُ يَنْقُطُ وَلَا يَرُوي إِلَّا فَلْتَةً .

وَيُرْوَى أَنَّ الْخُطْبَةَ قَالَ لَهُ مَرَّةً يَأْزُمُهُ وَهُوَ بِالْمَحْجِدِ الْجَامِعِ :

وَأَنْتَ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي الشَّعْرِ وَلَكِنَّكَ لَا تَحْطُبُ . فَقَامَ مِنْ قُوْرِهِ

يَقُولُ مُرْتَجِلًا :

مَتَحَتُّكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ نَصِيحَتِي أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ نَاصِحٍ بِصَيْبٍ

رَمَاكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَيَّةٍ أَكُولِ لِحَاتِ السِّلَاحِ شُرُوبِ
 قَانَ يَكُ بَابِي سَخِرَ فَوْعُونَ فِيكُمْ قَانَ عَصَا مُوسَى يَكْفَى حَاطِبِ
 ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِ : وَاللَّهِ لَا يَأْتِي بِمِثْلِهَا حَاطِبٌ مَضْمَعٌ فَكَيْفَ
 رَأَيْتَ فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فُحْلَفَ : إِنْ كُنْتُ إِلَّا مَا زِحًا . وَسَمِعَتْ جَمَاعَةٌ
 مِنْ أَعْلَمَاءَ يَقُولُونَ : كَانَ مُسْلِمٌ مِنْ أَوْلَادِ قَطِيفٍ أَبِي نُؤَاسٍ فِي
 وَتُوفِهِ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي أَشْيَاءَ إِلَّا أَنَّ أَبَا نُؤَاسٍ
 قَهَرَ بِالْبِدْيَةِ وَالْأَرْجَحَالِ مَعَ تَقْبُضِ كَانَ فِي مُسْلِمٍ وَاطْهَارِ تَوْفِدِ
 وَكَانَ صَاحِبَ فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ لَا يَبْتَدِيهِ وَلَا يَرْتَجِلُ فَكَانَ أَبُو
 أَلْعَاطِيَةِ فَيَا يُقَالُ أَفَدَرَ النَّاسِ عَلَى أَرْجَحَالٍ وَبِدْيَةِ لِقُزْبٍ مَأْخِذِهِ
 وَسُوءُهُ طَرِيقَهُ

وَأَجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِيهِمْ أَبُو نُؤَاسٍ فَشَرِبَ أَحَدُهُمْ مَاءً
 ثُمَّ قَالَ أَجِزُونَا : بَرَدَ أَلْمَاءُ وَطَابَا . فَكَلَّمَهُمْ تَلَعَّمُ حَتَّى طَلَعَ أَبُو
 أَلْعَاطِيَةِ . قَالَ : فِيهِمْ أَنْتُمْ فَأَنْشُدُوهُ . فَقَالَ وَمَا تَرَدَّدَ : حَبَدَا أَلْمَاءُ
 سَرَابَا . فَأَتَى بِالتَّسْمِيمِ شَيْبَا بِصَاحِبِهِ . وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَعَوَزَ الْقَوْمَ لَا
 وَزْنَ الْكَلَامِ . وَحَبِيبُ رَفِيقَةٍ فَسَمِعَ دُقَاءَ الدُّيُوكِ . فَقَالَ لِرَفِيقِهِ :
 هَلْ رَأَيْتَ أَلْضُجَّ لَاحَا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَسَمِعْتَ أَلَدِيكَ صَاحَا .
 قَالَ نَعَمْ . قَالَ :

إِنَّمَا بَكَى عَلَى أَلْمَةٍ تَرَى بِالْأَدْنَى وَنَاحَا

فَأَسْتَقِظَ رَفِيقُهُ لِلْكَلامِ أَنَّهُ شَعُرُ فَرَوَاهُ . فَمَاجَرَى هَذَا الْحَجَرَى
 فَهُوَ الْأَرْجَحَالُ . وَأَمَّا الْبِدْيَةُ فَمَعْدٌ أَنْ يُفَكِّرَ الشَّاعِرُ يَسِيرًا وَيَكْتُبَ

سريعاً إن حضرت آله إلا أنه غير بطيء ولا متأخر فإن أطال
 حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد يديها
 وقالوا اجتمع الشعراء بباب الرشيد فاذن لهم وقال: من
 يجيز هذا القصيم وله حكمة قالوا: ما هو يا أمير المؤمنين قال:
 ألمنك الله وحده فقال الجباز: وللفيفة بعده وللجب إذا ما
 حبيبته بات عنده فقال: أحسنت وأتيت على ما في نفسي وأمر
 له بعشرة آلاف درهم وقد كان أبو الطيب كثير البديهة
 والأدب والجمال إلا أن شعره فيها نازل عن طبقته جداً وهو لصمري في
 سعة من الفند إذا كانت البديهة كما قال ابن الزومى فيها:
 نار الروية نار جد تُضجِع وللبديهة نار ذات تلويح
 وقد يفضيها قوم إعاها لكن عالجها يضي مع الريح
 وقال ابن المعتز:

والقول بعد الفكر يوم زينه شتان بين روية وبديهة
 ومن الشعراء من شعره في الروية والبديهة سواء وعند
 الأبن والخوف للذرية وسكون جأشه وقوة غريزة كهدي بن
 الحشم الغدري وطرفة بن العبد البكري ومرة بن حبان
 السعدي إذ يقول وقد أمر مضب بن الربيع رجلاً من بني
 أسد بقتله:

بني أسد إن تقتلوني تحاربوا قيساً إذا الحرب العوان أشمعت
 وأنت وإن كانت إلي حبيبة يالك على الدنيا إذا ما تولت

وَهَذَا شِعْرٌ لَوْ تَرَوَى فِيهِ صَاحِبُهُ حَوْلًا كَامِلًا عَلَى أَمْنٍ وَدَعَةٍ
وَقَرَطٍ شَهْوَةٍ أَوْ شِدَّةٍ حَيَّةٍ لَمَا آتَى بِهِ قَوْقَ هَذَا وَكَذَلِكَ عَبْدُ
يَاغُوثَ بْنِ صَلَاحٍ إِذْ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمْعَسَرَ تَيْمَرٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
أَيَا دَاكِئًا إِمَامًا عَرَضَتْ فَيَلْفَنُ نُدَامَايَ مِنْ تَحْرَانِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَكُنَّا شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنْ الْهَجَاءِ فَعَاهَدَهُمْ فَأَطَاعُوهُ
لِيُنْجَحَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي فِدَائِهِ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قَتْلَهُ فَقَالَ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي بِخَيْرِكُمْ وَإِنْ تُطَاعُونِي تَحْرُبُونِي بِعَاقِلِيَا
وَهَذِهِ شَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ وَشِدَّةٌ . وَمِنْ قَوْلِهِ طَرَفَةٌ مِنْ الْعَبْدِ لَمَّا
أَيَقَنَ بِالْمَوْتِ :

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي
وَلَمْ أَعْطِكُمْ فِي الطَّرْعِ إِلَيَّ وَلَا عِرْضِي
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبْقِ بَعْضَنَا

حَنَاتِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَأَيْنَ هُوَلَاءِ مِنْ عُيَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَهُوَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ
الضَّنَّاعَةِ وَمُقَدِّمٌ فِي السِّنِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ إِذْ يَقُولُ لَهُ التَّعْمَانُ يَوْمَ
بُورْسِهِ : أَنَشِدْنِي . قَالَ : حَالُ الْخَرِيضِ دُونَ الْفَرِيضِ . قَالَ : أَنَشِدْنِي
قَوْلَكَ أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ . فَقَالَ :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عُيَيْدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

فَبَلَّغْتَ بِهِ حَالُ الْجَزَعِ إِلَى مِثْلِ هَذَا عَلَى أَنَّ فِي طَرَفَةِ
بَعْضِ الصَّرَاعَةِ

حَكَى عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمُوَكَّلِ إِذْ آتَاهُ رَسُولُ
إِسْحَقَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَجْنَهْمَ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَقُولُ:
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولِ جِثٍّ يَمَّا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
رَأْسِ إِسْحَقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ

فَقَالَ الْمُوَكَّلُ أَلْعَطُوا هَذَا الْجَوْهَرَ لَا يَضِيعُ . وَاشْتَقَاتُ الْبَدِيَّةِ
مِنْ بَدَءٍ بِمَعْنَى بَدَأَ أُبْدِلْتُ الْهَمْزَةُ هَاءٌ كَمَا أُبْدِلْتُ فِي أَشْيَاءَ
كَثِيرَةٍ لِقُرْبِهَا مِنْهَا . فَقَدْ قَالُوا: مَدَحَ وَمدَّ وَلَهُنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا
بِمَعْنَى لِأَنَّكَ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَالْأَرْجَالُ: أَخُوذُ مِنَ السَّهْوَةِ
وَالْإِنْجَابِ . وَبَنُو قَيْلٍ: شَعْرُ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ شَعْرُهُ سَبَطًا مُسْتَرِيسًا
غَيْرَ جَعْدٍ . وَقَيْلٌ هُوَ مِنَ أَرْجَالِ الْبَيْتِ وَهُوَ أَنْ تَنْزِلَهَا بِرِجْلَيْكَ وَمِنْ
غَيْرِ حَبْلٍ

البحث الرابع عشر

في آداب الشاعر

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

مِنْ حِكْمِ الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ
طَلَقَ أَبُو جَبْرِ بَعِيدَ الْقَوْرِ مَأْمُونُ الْجَانِبِ سَهْلُ النَّاحِيَةِ وَطِيءُ
الْأَكْنَافِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَمَّا يُجَنَّبُ إِلَى النَّاسِ وَيُرْتَبُّ فِي عِيُونِهِمْ وَيُقَرَّبُ

مِنْ قُلُوبِهِمْ وَلَسِيكُنْ مَعَ ذَلِكَ شَرِيفَ النَّفْسِ لَطِيفَ الْحِسِّ عَرُوفَ
 أَلْهَمَةِ نَظِيفَ الْبَرَّةِ أَيْفًا لِتَهَابِهِ الْعَامَّةُ وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ خَاصَّةٍ فَلَا
 تَجِبُ أَبْصَارُهُمْ سَمَحَ الْيَدَيْنِ وَالْأَفْهَمُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي قَتَّانٍ:
 وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّؤْمِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْجُلِّ الرِّجَالُ وَيَجْلُ
 وَإِلَى هَذَا الْغَنَى ذَهَبَ الطَّلَافِيُّ بِقَوْلِهِ:

أَلُومٌ مَنْ يَجْلُ يَدَاهُ وَلَعَدَى لِلْجُلِّ جَرِيًا سَاءَ ذَلِكَ صَنِيعَا
 وَالشَّاعِرُ مَاخُودٌ بِكُلِّ عِلْمٍ مَطْلُوبٌ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ لَا تَسَاعُ
 الشَّعْرُ وَأَحْتِمَالُهُ كُلُّ مَا جُمِلَ مِنْ تَحْوٍ وَلُغَةٍ وَفَقْهٍ وَجَبَرٍ وَحِسَابٍ
 وَفَرِيضَةٍ وَأَحْتِيَاجٍ أَكْثَرُ هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَى شَهَادَتِهِ وَهُوَ مُكَيِّفٌ
 بِذَاتِهِ مُسْتَعْتَبٌ عَمَّا سِوَاهُ وَلِأَنَّهُ قَدْ لَلْأَخْبَارَ وَتَجَدِيدُ اللَّاتَارِ وَصَاحِبُهُ
 الَّذِي يَذُمُّ وَيُحْمَدُ وَيَفْجُو وَيَمْدَحُ وَيَعْرِفُ مَا يَأْتِي النَّاسُ مِنْ مُحَاسِنِ
 الْأَشْيَاءِ وَمَا يَذَرُونَهُ فَهُوَ عَلَى نَفْسِهِ شَاهِدٌ وَبِحُجَّتِهِ مَاخُودٌ. وَلِيَأْخُذَ
 نَفْسُهُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ وَالْخَبَرِ وَمَعْرِقَةِ النَّسَبِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ يَسْتَعْمِلُ
 ذَلِكَ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَثَارِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِيُعَاقَ نَفْسُهُ
 بَعْضَ أَنْفَاسِهِمْ وَيَقْوَى بِقُوَّةِ طَبَاعِهِمْ. فَقَدْ وَجَدْنَا الشَّاعِرَ مِنْ
 الْمَطْبُوعِينَ الْمُتَعَدِّينَ يَفْضَلُ أَحْكَامُهُ بِرَوَايَةِ الشَّعْرِ وَمَعْرِقَةِ الْأَخْبَارِ
 وَالتَّلَمُّدَةِ لِمَنْ قُوَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ يَقُولُونَ: فُلَانٌ شَاعِرٌ رَاوِيَةٌ
 يُرِيدُونَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ رَاوِيَةً عَرَفَ الْمَقَاصِدَ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ مَاخُذُ
 اللَّفْظِ وَلَمْ يَضِيقْ بِهِ الْمَذْهَبُ وَإِذَا كَانَ مَطْبُوعًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَوَايَةَ
 ضَلَّ وَاهْتَدَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَرُبَّمَا طَلَبَ الْغَنَى فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ

وَهُوَ مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِضَعْفِ آلِهِ كَأَلْفَعِدٍ يَحْدُ فِي نَفْسِهِ الْقُوَّةَ عَلَى
الْشُّهُوسِ فَلَا تُعِينُهُ إِلَّا لَهُ . وَقَدْ سُئِلَ رُوَيْهُ بْنُ الْحَجَّاجِ عَنْ التَّخَلُّفِ
مِنَ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ : هُوَ الرَّأْيُ يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا رَوَى اسْتَفْخَلَ . قَالَ
يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ إِلَى جَيْدِ شَعْرِهِ مَعْرِفَةً
جَيْدَ غَيْرِهِ فَلَا يَحْمِلُ نَفْسَهُ إِلَّا عَلَى بَصِيرَةٍ . وَقَالَ رُوَيْهُ بْنُ
صِقَّةٍ شَاعِرٌ :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَوَايَةً مُرًّا وَمُرًّا شَاعِرًا
وَأَسْتَظْلِمَ حَالَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِالسِّحْرِ . وَقَالَ الْأَصْبَعِيُّ : لَا يَصِيرُ
الشُّاعِرُ فِي قَرْيَضِ الشُّعْرِ تَخْلًا حَتَّى يَرَوِيَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَيَسْمَعَ
الْأَخْبَارَ وَيَعْرِفَ أَلْعَابِي وَتَدَوَّرَ فِي مَسَابِعِهِ الْأَلْقَاطُ . وَأَوَّلُ ذَلِكَ
أَنْ يَعْرِفَ الْفُرُوضَ لِيَكُونَ مِيزَانًا عَلَى قَوْلِهِ وَالْحَوْ يُضْلَعُ بِهِ لِسَانُهُ
وَيُعَيَّمُ بِهِ أَعْرَابُهُ وَالنَّسَبُ وَأَيَّامُ النَّاسِ لِيَسْتَعِينَ بِذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةِ
الْمُنَاقِبِ وَالْمَثَالِبِ وَذِكْرِهِمَا يَمْدَحُ أَوْ ذَمُّ . وَقَدْ كَانَ الْقُرَزْدِيُّ
عَلَى فَضْلِهِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَرَوِي لِلْحُطَيْئَةِ كَثِيرًا وَكَانَ الْحُطَيْئَةُ
رَوَايَةً ذَهَبًا وَكَانَ ذَهَبُ رَوَايَةِ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ وَطَقِيلِ الْقَنْوِيِّ جَمِيعًا .
وَقَدْ تَرَلَّ أَغْشَى بَنِي قَيْسٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي
يَسُوقُ عُكَّاطَ . وَأَنشده فَقَدَّمَهُ . وَأَنشده حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَلَيْدُ
أَبْنِ رَيْبَعَةَ فَمَا عَابَهُمْ ذَلِكَ وَلَا غَضَّ مِنْهُمْ . وَكَانَ كَثِيرَ رَوَايَةٍ
يَحْمِلُ مُفَضَّلًا لَهُ . وَكَانَ أَبُو حَيَّةَ النَّدَرِيُّ وَأَسْنَهُ الْهَيْثَمُ بْنُ الرَّبِيعِ
وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ شِعْرًا وَأَنْظِفِهِمْ كَلَامًا مَوْتَمًا بِالْقُرَزْدِيِّ

أَخَذًا عَنْهُ كَثِيرًا مُتَعَصِّبًا لَهُ . وَلَا يَسْتَعْنِي الْمَوْلَدُ عَنْ تَصْفِيهِ أَشْعَارَ
الْمَوْلَدِينَ لِمَا فِيهَا مِنْ حَلَاوَةِ اللَّفْظِ وَقُرْبِ الْأَخْذِ وَإِشَارَاتِ الْفَحْ
وُجُوهِ الْبَدِيعِ الَّذِي مِثْلُهُ فِي شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَلِيلٌ وَإِنْ كَانُوا هُمْ
فَقَحَّوْا بَابَهُ وَقَتَّقُوا جَلْبَابَهُ . وَلِلْمُتَعَقِّبِ زِيَادَاتٌ وَافْتِكَانٌ . لَا عَلَى أَنْ
تَكُونَ عُدَّةُ الشَّاعِرِ مُطَالَعَةً مَا ذَكَرْتَهُ آخِرَ كَلَامِي هَذَا دُونَ مَا
قَدَّمْتُهُ فَإِنَّهُ مَتَى فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ الْمِلَّةِ وَفَضْلُ الْقُوَّةِ مَا
يَنْلِغُ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ تَبَعِ فَيْحَارِيَّةٍ . وَإِذَا آتَاكَ قَصَاحَةُ الْمُتَقَدِّمِ وَحَلَاوَةُ
الْمُتَأَخِّرِ اشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَبَعُدَ مَرَامُهُ فَلَمْ يَقَعْ دُونَ الْقَرَضِ وَسَعَى
أَنْ يَكُونَ أَوْتَقَ سِهَامًا وَأَحْسَنَ مَوْفِقًا يَمُنُّ لَوْ عَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ
الْمُحَدِّثِينَ لَقَصَّرَ عَنْهُ وَوَقَعَ دُونَهُ . وَلِيَجْعَلَ طَلَبَهُ أَوَّلًا لِلْسَّلَامَةِ فَإِذَا
صَحَّتْ لَهُ طَلَبُ الْجَوِيدِ جَيَّنَدَ وَلِيَرْغَبَ فِي الْحَلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ رَغْبَتَهُ
فِي الْجَزَالَةِ وَالْفَحَامَةِ . وَلِيَجْتَنِبَ السُّوْفِيَّ الْقَرِيبَ وَالْوَحْشِيَّ الْقَرِيبَ
حَتَّى يَكُونَ شِعْرُهُ حَالًا بَيْنَ حَالَيْنِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا ضَعْفًا
وَأَوَّلُ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بَعْدَ الْحَدِّ الَّذِي هُوَ الْقَائِلَةُ وَفِيهِ
وَحْدَهُ الْكَفَايَةُ حُسْنُ التَّلَاقِي وَالسِّيَاسَةِ وَطِلْمُ مَقَاصِدِ الْقَوْلِ فَإِنْ
نَسَبَ ذَلِكَ وَخَضَعَ وَإِنْ مَدَحَ أَطْرَبَ وَأَسْمَعَ وَإِنْ هَجَا أَقْلَّ
وَأَوْجَعَ وَلِتَكُنْ غَايَتُهُ مَعْرِقَةُ أَغْرَاضِ الْمُخَاطَبِ كَانَتْ مِنْ كَانَ
لِيَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ بَابِهِ وَيَدْخُلَهُ فِي ثِيَابِهِ فَذَلِكَ هُوَ سِرُّ صِنَاعَةِ
الشُّعْرِ وَمَفْزَاهُ الَّذِي تَفَاوَتَ النَّاسُ فِيهِ تَفَاضُلًا . وَقَدْ قِيلَ : يَكْتَلِ

مَقَامَ مَقَالٍ. وَشِعْرُ الشَّاعِرِ لِنَفْسِهِ وَفِي مُرَادِهِ وَأُمُورٍ ذَاتِهِ مِنْ مَدْحٍ
وَعَزْلِ وَمُكَاتَبَةٍ وَحُجُونٍ وَخَمْرِيَّةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ غَيْرُ شِعْرِهِ فِي
قَصَائِدِ الْخُفْلِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا بَيْنَ السِّبَاطَيْنِ. يُقْبَلُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ
غَفَرُ كَلَامِهِ وَمَا لَا يَتَكَلَّفُ لَهُ وَلَا أَلْفَى بِهِ بَالًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ
فِي هَذِهِ إِلَّا مَا كَانَ نَحْوَكَا مُعَاوَدًا فِيهِ النَّظَرُ جِدًّا لَا غَثَّ
فِيهِ وَلَا سَاقِطَ وَلَا قَاتِقَ. وَشِعْرُهُ لِلْأَمِيرِ غَيْرُ شِعْرِهِ لِلْوَزِيرِ وَالْكَاتِبِ
وَنَحَاطِيبَتِهِ لِلْمُقَضَّاةِ وَالْمُقَهَّاءِ بِخِلَافِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ
وَالْمُتَأَخَّرِ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي الزَّمَانِ لَا يَضُرُّهُ تَأَخُّرُهُ إِذَا أَجَادَ
كَمَا لَا يَنْفَعُ الْمُتَقَدِّمُ تَقَدُّمُهُ إِذَا قَصَرَ وَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ
فَعَلَيْهِ دَرَكُ التَّخْصِيرِ كَمَا أَنَّ لِلتَّأَخُّرِ فَضْلَ الْأَجَادَةِ وَالزِّيَادَةِ. وَلَا
يَكُونُ الشَّاعِرُ حَازِقًا مُجُودًا حَتَّى يَتَفَقَّدَ شِعْرَهُ وَيُعَيِّدَ فِيهِ نَظْرَهُ
فَيُسْقِطَ رَدِيَّهُ وَيُثَبِّتَ جَيِّدَهُ وَيَكُونُ بِالرَّكِيكِ مُطَرِّحًا لَهُ رَاغِبًا
عَنْهُ. فَإِنَّ بَيْنَنَا جِدًّا مَقَامَ أَلْفِ رَدِيٍّ. وَقَالَ أَمْرُوهُ الْقَلِيصَ وَهُوَ
أَوَّلُ مَا دَعَوْا أَنَّهُ اخْتِيرَ لَهُ وَعُلِمَ بِهِ أَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّعْرَاءِ وَالْمُقَدَّمُ
عَلَيْهِمْ:

أَدْرُدُ الْقَوَائِي عَنِّي ذِيَادًا ذِيَادُ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَرَادًا
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَتَيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا حِيَادًا
فَاعْزَلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَاخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسَجَّادَا
وَيَقَالُ إِنَّ أَبَا نُوَاسٍ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ وَيُنْقِي الْحَيْدَ
وَيَلْتَمِسُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَهْلٌ وَمِنْ الْمَعْنَى مَا كَانَ وَاضِحًا جَلِيًّا

يُعرفُ بدياً. فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ: شَرُّ الشِّعْرِ مَا سُئِلَ عَنْهُ.
وَكَانَ الْخَطِيئَةُ يَقُولُ: خَيْرُ الشِّعْرِ الْخَوَلِيُّ الْحُكَّكَ. أَخَذَ فِي ذَلِكَ
بِعَذَابِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى وَأَوْسٍ وَطَفِيلٍ. وَلَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ
كَمَا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا بِنَفْسِهِ مُثْنِيًّا عَلَى شِعْرِهِ وَإِنْ
فَضِيحَةً ظَاهِرَةً كَانَ غَنِيًّا عَنْهَا. وَكَانَ فِي الْبُحْرِيِّ إِعْجَابٌ شَدِيدٌ إِذَا
أَنشَدَ يَقُولُ: مَا كُنْمْ لَا تَعْجَبُونَ مَا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ. فَأَنشَدَ
الْمُتَوَكِّلُ يَوْمَ مَا قَصِيدَتَهُ:

عَنْ أَيِّ شَعْرِ تَبْتِمُ وَبِأَيِّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
وَأَبُو الْعَبَّاسِ الصِّيرِيَّ حَاضِرٌ قَلَمًا رَأَى إِعْجَابَهُ قَامَ إِذْءَاءُ
وَقَالَ:

مِنْ أَيِّ سَلْعٍ تَلْتَمِمْ وَبِأَيِّ كَفٍّ تَلْتَطِمُ
قَوْلُهُ وَهُوَ غَضَبَانُ. فَقَالَ: وَعَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْهَرُمُ. فَضَحِكَ
الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى فَخَصَ بِرِجْلَيْهِ وَأَعْطَى الصِّيرِيَّ جَائِزَةً سَنِيَّةً

البحث الخامس عشر

في عمل الشعر وشعر القريحة

(من كتاب المدة)

لَا بُدَّ لِلشَّاعِرِ وَإِنْ كَانَ فَخْلًا حَازِقًا مُبِيرًا مُقَدِّمًا مِنْ فَتَرَةٍ
تَعْرِضُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَرْقَاتِ إِمَّا لِشُغْلٍ طَرَأَ أَوْ مَوْتِ قَرِيْبَةٍ أَوْ
نُبُوِّ طَبْعٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ ذَلِكَ الْحِينِ. وَقَدْ كَانَ الْقُرَزْدِيُّ

وَهُوَ نَحْلٌ مُضَرٌّ فِي زَمَانِهِ يَقُولُ : تُرِّى عَلَى السَّاعَةِ وَقَاعُ ضَرْبٍ مِنْ
 أَضْرَاسِي أَهْرُونَ عَلَى مِنْ عَمَلٍ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَلَذَا تَأْدَى ذَلِكَ
 عَلَى الشَّاعِرِ قِيلَ : قَدْ أَصْفَى كَمَا يُقَالُ أَصْفَتِ الدَّجَاجَةُ إِذَا
 أَنْقَطَعَ يَبُضُّهَا وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُ أَجْبَلَ كَمَا يُقَالُ لِحَافِرِ الْبُيْرِ
 إِذَا بَلَغَ جَبَلًا تَحْتَ الْأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ أَجْبَلَ . وَالْحِمِّ
 الشَّاعِرِ عَلَى أَفْعَلٍ وَقَالُوا : هُوَ مِنْ نَحْمٍ الْحَمِي إِذَا أَنْقَطَعَ صَوْتُهُ مِنْ
 شِدَّةِ الْبُكَاءِ . فَإِنْ سَاءَ أَفْظُهُ وَقَسِدَتْ مَعَانِيهِ قِيلَ لَهُ أَهْتَرُ فَهُوَ
 مُهْتَرٌ . وَقَدْ قِيلَ فِي الذِّيَّانِي إِنَّهُ كَانَ شِعْرُهُ نَظِيفًا مِنَ الْعُيُوبِ
 لِأَنَّهُ قَالَهُ كَثِيرًا وَمَاتَ عَنْ قُرْبٍ وَلَمْ يَهْتَرِ وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ الْأَهْتَارُ
 فِي صِفَةِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَخْتَلِطُ كَلَامُهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي شِعْرِ النَّابِغَةِ
 إِنَّهُ قَالَ كَثِيرًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ هَذَا يُسَمَّى نَابِغَةً كَمَا عِنْدَ أَكْثَرِ
 النَّاسِ لَا يَقُولُهُ : « فَقَدْ نَبَغَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُورُنْ » كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ
 قَوْلِ بَعْضِهِمْ . وَيُقَالُ أَخْلَى الشَّاعِرُ كَمَا يُقَالُ أَخْلَى الرَّامِي إِذَا
 لَمْ يُصِيبْ مَقْعًا

وَيُحْكِي عَنْ الْجُبَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : قَاوَضْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَكَمِيِّ فِي
 الشَّعْرِ وَذَكَرْتُ أَشْجَعَ السَّلَمِيِّ فَقَالَ : أَنَّهُ يُحْكِي . فَلَمْ أَفْهَمْهَا وَأَنْفَتُ
 أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا . فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ فَكَّرْتُ فِيهَا وَظَنَرْتُ فِي شِعْرِ
 أَشْجَعَ فَلَذَا هُوَ رَبَّمَا مَرَّتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مَعْشُورَةً لَيْسَ فِيهَا بَيْتٌ
 رَائِعٌ

ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ فِيهَا بَعْدُ ضُرُوبًا مُخْتَلِفَةً يَسْتَدْعُونَ بِهَا الشَّعْرَ

فَلْتَحْدُ الْقَرَائِحَ وَتُنْبِئِ الْخَوَاطِرَ وَتُلِينُ عَوِيكَهَ الْكَلَامِ وَتُسَهِّلَ
طَرِيقَ الْخَفِيِّ بِكُلِّ أَمْرٍ بِحَسَبِ تَذْيِيرِ طَبْعِهِ وَأَطْرَادِ عَادَتِهِ .
وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي أَقَابِلِ الْعُلَمَاءِ بِمَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ هِدَايَةٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

قَالَ بَكْرُ بْنُ الْأَطَّاحِ الْخَنَفِيُّ: الشَّعْرُ مِثْلُ عَيْنِ الْمَاءِ إِنْ تَرَكْتَهَا
تَضَبَّتْ وَإِنْ اسْتَهْتَمْتَهَا هَتَمَتْ . وَلَيْسَ مُرَادُ بَكْرٍ أَنْ تُسَهِّلَ بِالْعَمَلِ
وَحَدَهُ لِأَنَّا نَحْدُ الشَّاعِرَ تَكِلُ قَرِيحَتُهُ مَعَ كَثْرَةِ الْعَمَلِ مِرَارًا وَتَنْوِفِ
مَادَّتُهُ وَتَقْدُ مَعَانِيَهُ فَإِذَا جَمَّ طَبْعُهُ أَيَّامًا وَرَبَّمَا زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ
صَنَعَ الشَّعْرَ جَاءَ بِكُلِّ آيَةٍ وَآتَمَّهُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ مُتَارِدَةٍ وَفَتَحَ لَهُ
مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ مَا لَوْ رَأَاهُ مِنْ قَبْلِ لَأَسْتَفْلِقَ عَلَيْهِ وَابْتِهِمُ
ذَوْنَهُ . لَكِنْ بِالْمَذَاكِرَةِ مَرَّةً فَإِنَّهَا تَقْدَحُ زِنَادَ الْخَاطِرِ وَتُخَوِّرُ عَيْنَ
الْمَعَانِي وَتُوقِظُ أَبْصَارَ الْفِتَنِ وَتُطَالِعُ الْأَشْعَارَ كَرَّةً فَإِنَّهَا تَبْعُثُ
الْجَسَدَ وَتُولِدُ الشَّهْوَةَ . وَسُئِلَ ذُو الرُّمَّةُ كَيْفَ تَفْعَلُ إِذَا انْتَقَلَ
ذَوْنُكَ الشَّعْرَ . فَقَالَ: كَيْفَ يَنْقَلُ ذَوْنِي وَعِنْدِي مَفَاتِيحُهُ . قِيلَ لَهُ:
وَعَنْهُ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ . قَالَ: ائْخُلُؤْ بِذِكْرِ الْأَحْبَابِ وَلَعْمَرِي إِنَّهُ إِذَا
انْفَتَحَ لِلشَّاعِرِ نَسِيبُ الْقَصِيدَةِ فَقَدْ وَجَعَ مِنَ الْبَابِ وَحَطَّ رِجْلُهُ فِي
الرِّكَابِ عَلَى أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ لَمْ يَكُنْ كَثِيرَ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ وَإِنَّمَا
كَانَ وَاصِفَ أَطْلَالٍ وَنَادِبَ أَطْلَانٍ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ طَبَعِهِ
الْفُحُولَ . وَقِيلَ لِكَثِيرٍ كَيْفَ تَضَعُ الشَّعْرَ إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ . قَالَ:
أَطُوفُ فِي الرِّيَاضِ الْأَشْجَبَةِ فَيَسْهَلُ عَلَيَّ صَعْبُهُ وَيُسْرِعُ إِلَيَّ

أَحْسَنُهُ . وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : مَا اسْتَنْدَعِي شَارِدُ الشَّعْرِ بِبِشْلِ الْمَاءِ
الْجَارِي وَالشَّرَفِ الْعَالِي وَالْمَكَانِ الْحَالِي . وَقِيلَ الْحَالِي يَعْنِي الرُّوضَ
وَحَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَهْدِيَّةِ وَقَدْ مَرَدَّنَا بِمَوْضِعٍ
بِهَا يُعْرَفُ بِالْمَهْدِيَّةِ وَهُوَ اشْتَرَفُهَا أَرْضًا وَهَوَاءً . قَالَ : جِئْتُ هَذَا
الْمَوْضِعَ مَرَّةً فَإِذَا عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلَى سَطْحٍ هُنَاكَ قَدْ كَشَفَ الدُّنْيَا .
فَقُلْتُ : أَبَا مُحَمَّدٍ . قَالَ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا . قَالَ : أُلْقِ
خَاطِرِي وَأَجْلِسْ تَأْطِرِي قُلْتُ : فَهَلْ نَتَجَّ لَكَ شَيْءٌ . قَالَ : مَا تَقَرُّ بِهِ
عَيْنِي وَعَيْنُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَدَ شِعْرًا يَدْخُلُ مَسَامَ الْقُلُوبِ
رِقَّةً . قُلْتُ : هَذَا اخْتِيارٌ مِنْكَ اخْتَرْتَهُ . قَالَ : بَلْ يَرَأِي
الْأَضْمَعِيُّ

وَقَالُوا كَانَ جَرِيرٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَيِّدَ قَصِيدَةً صَنَعَهَا لَيْلًا يُشْعِلُ
سِرَاجًا وَيَقْرَأُ أَهْلَهُ وَرَبًّا عَلَا السَّطْحَ وَحَدَهُ وَعَطَى رَأْسَهُ رَغْبَةً فِي
الْخَلَاةِ فِي نَفْسِهِ . فَحُكِّي أَنَّهُ صَنَعَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَخْرَجَ
بِهَا بَنِي عُثَيْمٍ

وَرُوي أَنَّ الْقُرْذُقَ كَانَ إِذَا عَصَتْ عَلَيْهِ صَنْعَةُ الشَّعْرِ رَكِبَ
نَاقَةً وَطَافَ وَحَدَهُ مُنْفِرِدًا فِي شِعَابِ الْجِبَالِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَمَاكِنِ الْحَالِيَةِ فَيُعْطِيهِ الْكَلَامُ قِيَادَهُ . حُكِّي ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ
الْقَائِيَةِ :
عُرِفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تُعْرِفُ

وَدُكِرَ أَنَّ فُتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَاحَرَ بِأَنْبَاءِ حَسَّانَ بْنِ

ثَابِتٍ :

لَنَا الْجَمَّاتُ الثَّرُ يُلَمِّنَ فِي الصُّحَى

وَأَسْيَافُنَا يَغْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَأَنْظَرَهُ سَنَةً قَضَى حَقًّا وَطَالَتْ لَبْلَثُهُ لَمْ يَضْغُ شَيْئًا فَلَمَّا كَانَ
قَرُبَ الصَّبَاحِ أَتَى جَبَلًا بِأَلْمِيَّةٍ يُقَالُ لَهُ ذُبَابٌ قَنَادَى : أَحَاكُمْ
أَحَاكُمْ يَا بَنِي لَيْنَا صَاحِبَكُمْ صَاحِبَكُمْ صَاحِبَكُمْ وَتَوَسَّدَ ذِرَاعَ
نَاقَتِهِ فَأَنَّثَالَتْ عَلَيْهِ الْقَوَارِي وَجَاءَ بِالْقَصِيدَةِ بُكْرَةً وَقَدْ انْجَزَتْ
الشُّعْرَاءُ وَبَرَّتْهُمْ طَوْلًا وَجُودَةً

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : وَلِلشَّعْرِ أَوْقَاتٌ تُسْرِعُ فِيهَا قَوَائِيهِ مِنْهَا أَوَّلُ
الَلَّيْلِ قَبْلَ تَغَشِّي الْكَرَى وَمِنْهَا صَدْرُ اللَّيْلِ وَقَبْلَ الْغَدَاةِ وَمِنْهَا
يَوْمٌ شَرِبَ الدَّوَاءَ وَمِنْهَا الْخُلُوءُ فِي الْجَنَسِ . فَلِهَذَا الْأَسْبَابِ
تُخْتَلِفُ أَشْعَارُ الشَّاعِرِ وَرَسَائِلُ الْمُرْسَلِ . وَحُكِيَ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَقَدْ سَأَلَهُ النُّجَاشِيُّ عَنْ أَوْقَاتِ صَنْعَةِ الشَّعْرِ فَقَالَ قَرِيبًا مِنْ هَذَا
لَا أَحْفَظُهُ وَلَا أَشْكُ أَنَّ ابْنَ قُتَيْبَةَ بِهِ أَقْتَدَى وَإِنْ كَانَ بِمَا
رَوَاهُ

وَمَا يَجْمَعُ الْفِكْرَةَ فِي طَرِيقِ الْفَلَسَفَةِ اسْتِغْلَافُ الْمَرءِ عَلَى ظَهْرِهِ
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَلَيْسَ يَنْفَعُ مُقْتَلِ الْخَوَاطِرِ مِثْلُ مُبَاكَرَةِ الْعَمَلِ
بِالْأَسْحَارِ عِنْدَ الْغُيُوبِ مِنَ النَّوْمِ بِكَوْنِ النَّفْسِ مُجْتَمِعَةً لَمْ يَتَفَرَّقْ
حِسْمًا فِي أَسْبَابِ اللَّهِ أَوْ الْمَعِيشَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَإِذَا هِيَ مُسْتَرْجَعَةٌ
جَدِيدَةٌ كَأَنَّمَا نَشَأَتْ نَشَأَةً أُخْرَى وَلِأَنَّ الشَّعْرَ الْلَطْفَ هَوَاءَ وَارَقُ
نَسِيمًا وَاعْدَلُ مِيزَانًا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَشِيُّ كَالشَّعْرِ

وَهُوَ عَلَيْهِ فِي التَّوَسُّطِ بَيْنَ طَرَفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِدُخُولِ الظُّلُمَةِ
فِيهِ عَلَى الصَّبَا بَعْدَ دُخُولِ الصَّبَا بِالسَّحَرِ عَلَى الظُّلُمَةِ وَلِأَنَّ النَّفْسَ
فِيهِ كَالْمُرِيضَةِ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ وَتَصَرُّفِهَا مُحْتَاجَةً إِلَى قُوَّتِهَا مِنْ
النَّوْمِ وَتَتَوَسَّوَةٌ نَحْوَهُ فَالسَّحَرُ أَحْسَنُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ . فَأَمَّا لِمَنْ
أَرَادَ الْحِفْظَ وَالِدِّرَاسَةَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَاللَّيْلُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ
أَمْدُقُ اللَّعَالَيْنِ : إِنَّ نَاسِيَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً . وَهَذَا
الْكَلَامُ لَا مَطْعَنَ فِيهِ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يُكْرَهُ
نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ . حَكَى ذَلِكَ عَنْهُ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يَسْتَرِ عَنِّي فَأَذِنَ لِي
فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُصْهَجٍ . قَدْ غَسَلَ بِالْمَاءِ يَتَقَلَّبُ مِثْلًا
وَمِثْلًا قُلْتُ : لَقَدْ بَلَغَ بِكَ الْحُرُّ مَبْلَغًا شَدِيدًا . قَالَ : لَا وَلَكِنْ غَيْرُهُ .
فَمَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَامَ كَأَنَّمَا أُطْلِقَ مِنْ عِمَالٍ فَقَالَ : الْآنَ الْآنَ
أَرَدْتُ . ثُمَّ اسْتَمَدَّ وَكَتَبَ شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : أَتَذَرِي مَا
كُنْتُ فِيهِ مِنْذُ الْآنَ . قُلْتُ : كَلَّا . قَالَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

« كَالدَّهْرِ فِيهِ شِرَاسَةٌ وَلَيَّانُ » ذَاوُلُهُ حَتَّى أَمْكُنَ اللَّهُ مِنْهُ

فَعِيَاتُ :

شَرِسْتُ بَلْ لَيْتَ بَلْ فَأَيْتَ ذَلِكَ نَدَى

فَأَيْتَ لَا شَكَّ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وَلَعَمْرِي لَوْ سَكَتَ هَذَا الْحَاكِي لَمْ يَلَمْ هَذَا الْبَيْتُ يَمَا كَانَ

دَاخِلَ الْبَيْتِ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ فِيهِ ظَاهِرَةٌ وَالتَّعْمَلُ بَيِّنٌ . عَلَى أَنَّ مِثْلَ

حِكَايَةِ أَبِي تَمَّامٍ وَأَشَدَّ مِنْهَا وَقَعَتْ لِي أَن لَا يُتَّهَمُ وَهُوَ جَرِيرٌ. صَنَعَ
الْقُرْذُقُ شِعْرًا يَقُولُ فِيهِ:

قُلْتُ أَنَا أَلَمْتُ الَّذِي هُوَ ذَاهِبٌ

بِنَفْسِكَ فَأَنْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلَةٌ
وَحَافٍ بِالطَّلَاقِ أَنَّ جَرِيرًا لَا يُغْلِبُهُ فِيهِ فَكَانَ جَرِيرٌ يَتَمَرَّغُ
فِي أَلَمِ ضَاءٍ وَيَقُولُ: أَنَا أَبُو حُرْزَةَ حَتَّى قَالَ مِنْ آيَاتِهِ لَهُ
مَشْهُورَةٌ:

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِي أَلَمَتَ وَالِدِهِ خَالِدٌ

فَحَبْنِي مِثْلُ الدَّهْرِ شَيْئًا يُطَاوِلُهُ
وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يَنْصُبُ الْقَافِيَةَ لِلنِّبْتِ لِمَعْلَقِ الْأَنْجَارِ بِالصُّدُورِ
وَذَلِكَ هُوَ التَّضْدِيدُ فِي الشَّعْرِ وَلَا يَأْتِي بِهِ كَثِيرًا إِلَّا شَاعِرٌ مُتَصَنِّعٌ
كُحْبِيبٍ وَنُظْرَانِهِ وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لَا يَصْنَعُ الشَّاعِرُ بَيْتًا لَا يَعْرِفُ قَافِيَتَهُ
غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ ذَلِكَ فِي طَبْعِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ بَلْ أَصْنَعُ
الْقَسِمَ الْأَوَّلَ عَلَى مَا أُرِيدُهُ ثُمَّ أَتَمِّسُ فِي نَفْسِي مَا يَلِيقُ بِهِ
مِنَ الْقَوَائِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَبْنِي عَلَيْهِ الْقَسِمَ الثَّانِي أَفَعْلُ ذَلِكَ فِيهِ
كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يَبْنِي الْبَيْتَ كُلَّهُ عَلَى الْقَافِيَةِ وَلَمْ أَرِ ذَلِكَ يَجْعَلُ عَلَى
وَلَا يُزِيحُنِي عَنْ مُرَادِي وَلَا يَنْتَبِهُ عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ لَفْظِ الْقَسِمِ الْأَوَّلِ
إِلَّا فِي التَّدْرَةِ الَّتِي لَا يُعْتَدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ اسْتَقْبَالِ الْفَرْطِ

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بَيْتٌ وَاثْنَانِ وَخَاطِرُهُ فِي
غَيْرِهِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِآيَاتٍ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ طَبْعِهِ وَأَنْبَغُ

خَاطِرِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْصِبُ قَافِيَةَ بَعَيْنِهَا لِلْبَيْتِ بِعَيْنِهِ مِنَ الشَّعْرِ
مِثْلَ أَنْ تَكُونَ ثَالِثَةً أَوْ رَابِعَةً أَوْ تَحْوِ ذَٰلِكَ لَا يَعْدُو بِهَا ذَٰلِكَ
الْمَوْضِعَ إِلَّا أَنْحَلَّ عَلَيْهِ نَظْمُ آيَاتِهِ وَذَٰلِكَ عَمِّي فِي الصَّنْعَةِ شَدِيدٌ
وَنَقْصٌ بَيْنٌ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَصِيرُ مُحْضُورًا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ مُضِيقًا
عَلَيْهِ وَدَاخِلًا تَحْتَ حُكْمِ الْقَافِيَةِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ لِيَكُنِ الشَّعْرُ
تَحْتَ حُكْمِكَ وَلَا تَكُنْ تَحْتَ حُكْمِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَخَذَ فِي صَنْعَةِ الشَّعْرِ جَمَعَ مِنَ الْقَوَائِي مَا
يَضِلُّ لِذَٰلِكَ الْوِزْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ . ثُمَّ أَخَذَ مُسْتَعْمِلَهَا وَشَرِيفَهَا وَمَا
سَاعَدَ عَائِيَهُ وَوَاقَفَهَا وَأَطْرَحَ مَا سِوَى ذَٰلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ
يَجْمَعَهَا لِيُكَرِّرَ فِيهَا نَظْرَهُ وَيُعِيدَ عَلَيْهَا التَّخَيُّرَ فِي حِينِ الْعَمَلِ .
هَٰذَا الَّذِي عَلَيْهِ حَدَاقُ الْقَوْمِ .

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ إِذَا جَاءَهُ الْبَيْتُ عَفْوًا أَنْشَبَهُ ثُمَّ رَاجَعَ فِيهِ
قَفْحُهُ وَنَقَاهُ مِنْ كَدَرِهِ وَذَٰلِكَ أَسْرَعُ وَأَخَفُ عَلَيْهِ وَأَصَحُّ لِنَظَرِهِ
وَأَخَفُ لِلْبَالِهِ . وَآخِرُ لَا يُشْتَبُهْ إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِهِ فِي نَفْسِهِ وَتَثْبِيهِ
مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَذَٰلِكَ أَشْرَفُ لِلْهَوَا وَآدِلُّ عَلَى الْقَدْرِ وَأَظْهَرُ
لِلْكُلْفَةِ وَأَبْعَدُ مِنَ السَّرِقَةِ . وَسَأَلْتُ شَيْخًا مِنْ شُيُخِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى الشَّعْرِ . فَقَالَ : زَهْرَةُ الْبُسْتَانِ وَرَاحَةُ الْحَمَامِ
وَقِيلَ : إِنَّ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَالشَّرَابَ الطَّيِّبَ وَسَمَاعَ الْغِنَاءِ يَرْوِقُ
الطَّبْعُ وَيُصْنَعِي الْمَزَاجَ وَيُعِينُ عَلَى الشَّعْرِ . وَلَمَّا آرَادَتْ قُرَيْشُ
مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ عَكَفَ فَصَحَاؤُهُمُ الَّذِينَ تَمَاطَوْا ذَٰلِكَ عَلَى لُبَابِ

أَبْرَ وَسَلَافِ الْخَيْرِ وَلَحْمِ الضَّانِ وَالْخَلَوَةِ إِلَى أَنْ بَلَّغُوا مَجْهُودَهُمْ .
فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ الْقُرْآنِ : وَقِيلَ يَا أَرْضُ أَبْلَغِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلَبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، يَسْأَلُونَ بِمَا طَعِمُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامٍ مَخْلُوقٍ .
وَقِيلَ : مَقْشُودُ الشَّجَرِ الْعِتَابُ . وَذُكِرَ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ أَنَّ مُشْرِفًا
تَشَرَّفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَصْنَعُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا « جَلَّالَ كَمَا
بِي فَلَيْكَ التَّبَرُّجُ » وَهُوَ يَتَعَنَّى وَيَصْنَعُ فَإِذَا تَوَقَّفَ بَعْضُ التَّوَقُّفِ
رَجَعَ بِالنَّشَادِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى مِنْهَا . وَقَالُوا :
الْحَيْلَةُ بِكَلَالِ الْقَرِيحَةِ أَنْ تَطَارَ الْحَمَامُ . وَهَذَا عِنْدِي أَجْمَعُ الْأَقْوَالِ
وَبِهِ أَقُولُ وَإِلَيْهِ أَذْهَبُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْهَرِيُّ : لَا
تَكْذِبُوا الْقُلُوبَ وَلَا تُهَيِّئُوهَا وَخَيْرُ الْفِكْرِ مَا كَانَ عَنْ عَقِبِ الْحَمَامِ
وَأَتَّخِذُوا الْقُلُوبَ بِالْمَذَاكِرَةِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ إِصَابَةِ الْحِكْمَةِ إِذَا
أَمْنَحْنَتْ بَعْضَ الْأَسْفِلَاتِ فَإِنَّ مَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ وَصَلَ .
وَقَالَ الْخَلِيعُ : مَنْ لَمْ يَأْتِ شَعْرُهُ مَعَ الْوَحْدَةِ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ .
وَقَالُوا يُرِيدُ الْخَلَوَةَ وَرُبَّمَا ارَادَ الْغُرْبَةَ كَمَا قَالَ دِيكَ الْخِنْزِرُ : مَا
أَصْفَى شَاعِرٌ مُقَرَّبٌ قَطُّ

وَبِمَا لَا يَسَعُ تَرْكُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَحِيفَةٌ كَتَبَهَا بِشَرُّ بْنُ
الْمُعْتَبِرِ ذَكَرَ فِيهَا الْبَلَاغَةَ وَدَلَّ عَلَى مَطَانِ الْكَلَامِ وَالْفَصَاحَةِ يَقُولُ
فِيهَا : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةَ قِرَائِكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَإِجَابَتَهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ
قَلِيلَ تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا وَلَشَرَفُ جِنْسًا وَآخَسُنْ فِي الْأَسْمَاعِ

وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَاءِ وَأَغْلَبَ بِكُلِّ
عَيْنٍ وَغَرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى بَدِيعٍ

وَأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ أَجَدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطْوَلُ
بِالْكَيْدِ وَالْجَاهِدَةِ وَبِالتَّكْلِيفِ وَالْمَعَانِدَةِ وَمَهْمَا أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئَكَ
أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا أَوْ حَقِيقَةً عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا كَمَا خَرَجَ مِنْ
يَنْبُوعِهِ وَنَجَّمَ عَنْ مَعْدِنِهِ وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعَّرَ فَإِنَّ التَّوَعَّرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى
التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ الْفَاطِكَ . وَمَنْ
أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْلَفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ يَصُونَهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا وَيُهْنِيهَا
وَعَمَّا يَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ يُلْتَمَسَ إِظْهَارُهَا
وَتَرْهَنْ نَفْسَكَ فِي مُلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ حَقِّهَا وَكُنْ فِي إِحْدَى ثَلَاثِ
مَنَازِلَ فَإِنَّ أَوَّلَ الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا أَوْ فَحْمًا
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . إِمَّا عَشَدَ
الْخَاصَّةُ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ . أَوْ لِلْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
قَصَدْتَ وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَشْرَفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ
فَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَصَنَّمُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ وَإِنَّمَا مَدَارُ
الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ وَإِخْرَازِ الْمُنْفَعَةِ وَمَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَعَ
مَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ . وَكَذَلِكَ الْلَفْظُ الْعَامِيُّ وَالْخَاصِيُّ
فَإِنْ أَمْسَكَكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ قَلْبِكَ وَلَطْفِ
مَدَاخِلِكَ وَاقْتِدَارِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ أَلَمَّةً مَعَانِي

خَاصَّةً وَتَكْسُوهَا أَلْفَاظُ التَّوَسُّطَةِ الَّتِي لَا تَلْطَفُ عَنْ أَلَدِّهَا
 وَلَا تَحْتَقِي عَنْ الْأَكْفَاءِ فَإِنَّتِ الْبَلِيغُ الثَّامُ فَإِنْ كَانَتْ الْمَنْزِلَةُ
 الْأُولَى لَا تُؤَاتِيكَ وَلَا تَعْتَرِيكَ وَلَا تَسْمَعُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ نَظَرِكَ
 فِي أَوَّلِ تَكَلُّفِكَ وَتَجِدُ اللَّفْظَةَ لَمْ تَقْعْ مَوْعِمَهَا وَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى
 قَرَارِهَا وَإِلَى حَقِّهَا مِنْ أَمَاكِينِهَا الْمُقْسُومَةِ لَهَا وَالْقَائِيَةِ لَمْ تَحِلَّ مِنْ
 مَرْكَزِهَا فِي إِصْلَاحِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِشَكْلِهَا وَكَانَتْ قَلِيلَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهَهَا عَلَى انْتِصَابِ مَكَانِهَا وَالتَّزْوِيلِ فِي
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفْ
 اخْتِيارَ الْكَلَامِ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ فَإِنْ أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُحْكِمًا لِشَأْنِكَ بَصِيرًا بِمَا
 عَلَيْكَ وَلَكَ عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقَلُّ مِنْهُ عِيًّا وَرَأَى مَنْ هُوَ دُونَكَ
 أَنَّهُ فَوْقَكَ فَإِنْ أَنْتَ أَتْبَلَيْتَ بِأَنْ تَتَكَلَّفَ الْقَوْلَ وَتَتَعَاطَى
 الصَّنْعَةَ وَلَمْ تَسْمَعْ لَكَ الطَّبَاعُ فَلَا تَعْمَلْ وَلَا تَصْغُرْ وَدَعُهُ بِيَاضَ
 يَوْمِكَ وَسَوَادَ لَيْلِكَ وَعَاوِذَهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ فَرُبَّمَا لَا تَعْدُمُ
 الْإِجَابَةَ وَالْمُؤَاذَةَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ أَوْ جَرِيَتْ فِي الصَّنْعَةِ عَلَى
 عُرْفِهِ فَإِنْ تَمَنَعَ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ شُغْلٍ وَمِنْ غَيْرِ
 طَوْلٍ إِيْمَالٍ فَالْمَنْزِلَةُ الثَّالِثَةُ أَنْ تَحْوَلَ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِلَى
 آسَهِ الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَآخِضَهَا عَلَيْكَ

إِلَّا أَنَّ النَّفْسَ لَا تَجُودُ بِمَكْنُونِهَا مَعَ الرَّغْبَةِ وَلَا تَسْمَعُ بِخَيْرِهَا
 عِنْدَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ بِهِ مَعَ الشَّهْوَةِ وَالْحُبِّهِ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ

الآدَبُ : حَسَبُ الشَّاعِرِ عَوْنًا عَلَى صِبَاغَتِهِ أَنْ يَجْمَعَ خَاطِرُهُ بَعْدَ أَنْ
يُجَلِّي قَلْبَهُ مِنْ فُضُولِ الْأَنْفِعَالِ وَيَدَعِ الْأَمْتِلَاءَ مِنَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ ثُمَّ يَأْخُذَ فِيمَا يُرِيدُ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَعَانَ بِهِ الشَّاعِرُ غِنَى
أَوْ فَضْلُ طَمَعٍ وَالْفَقْرَاقَةَ الشَّعْرَ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا صَنَعَ
الْقَصِيدَةَ وَهُوَ فِي غِنَى وَوُسْعَةٍ نَحْمَهَا وَأَمِنَ النَّظَرَ فِيهَا عَلَى مَهَلٍ
وَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ طَمَعُ غِنَى قَوَى أَنْبَاءَهَا مِنْ يَتَبَوَّعَهَا وَجَاءَتْ
الرَّغْبَةُ فِيهَا فِي نَهَائِهَا مُحْكَمَةً . وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا مُضْطَرًّا رَجِي بِعَفْوِ
الْكَلَامِ وَآخَذَ مَا أَمَكْنَهُ مِنْ نَتِيجَةِ خَاطِرٍ وَلَمْ يَتَدَنَّ فِي بُلُوغِ
مُرَادِهِ وَلَا بَلَغَ مَجْهُودَ نَفْسِهِ لِأَخْفَافِهِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ فَجَاءَ
دُونُ عَادَتِهِ فِي سَائِرِ أَشْعَارِهِ وَرُبَّمَا قَصَرَ عَنْ دُونِهِ بِكَثِيرٍ . وَمِنْهُمْ
مَنْ نُحِمِّي الْحَاجَةَ خَاطِرُهُ وَتَبَعَتْ قَوَائِمُهُ فَيَجُودُ فَإِذَا أَوْسَعَ آيَفَ
وَصَعِبَ عَلَيْهِ عَمَلُ الْآيَاتِ الْيَسِيرَةِ فَضَلًا عَنِ الْكَثِيرَةِ وَالْعَادَةِ
فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِعْلٌ عَظِيمٌ وَهِيَ طَبِيعَةٌ خَاسِئَةٌ كَمَا قِيلَ فِيهَا

البحث السادس عشر

في المقاطع والمطالع

(من كتاب الممددة لابن رشيق)

اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَفَةِ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَطَالِعِ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
هِيَ الْفُضُولُ وَالْوُضُولُ بَعْثِنَهَا . فَاَلْمَقَاطِعُ أَوَاخِرُ الْفُضُولِ وَالْمَطَالِعُ
أَوَائِلُ الْوُضُولِ . وَالْفُضُولُ أَخِيرُ جُزْءٍ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ كَمَا قَدْ مَتَّ

وَهُوَ الْعَرُوضُ أَيْضًا . وَالْوُضُولُ أَوَّلُ جُزْءِ يَلِيهِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي .
وَقَالَ غَيْرُهُمْ : الْمُتَاطِعُ مُنْقَطِعُ الْآيَاتِ وَهِيَ الْقَوَافِي وَالْمُطَالِعُ
أَوَائِلُ الْآيَاتِ . وَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ فِي بَعْضِ تَأْلِيْفِهِ وَقَدْ ذَكَرَ
التَّصْرِيعَ وَهُوَ أَنْ يَتَوَخَّى تَصْيِيرَ مُقَاتِلِ الْأَجْزَاءِ فِي الْبَيْتِ عَلَى سَجْعٍ
أَوْ شَبِيهِهِ أَوْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي التَّصْرِيفِ . فَأَشَارَ بِهَذِهِ
الْعِبَارَةِ إِلَى الْمُتَاطِعِ أَوْ آخِرِ أَجْزَاءِ الْبَيْتِ كَمَا تَرَى . وَقَدْ نُحِذُّ مِنْ
السَّعْرِ الْمُرْصَعِ مَا يَكُونُ سَجْعُهُ غَيْرَ مُقَاتِلِ الْأَجْزَاءِ نَحْوَ قَوْلِ أُمِّ
مَعْدَانَ فِي مَرْثِيَةِ لَهَا :

فِعْلُ الْجَمِيلِ وَتَفْرِيجُ الْجَلِيلِ وَرَاءَ مِ طَاءِ الْجَزِيلِ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ
فَالسَّجْعُ فِي هَذَا الْبَيْتِ اللَّامُ الْمَطْرُودَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَمَاكِنَ مِثْلُ
وَأَخِرِ الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْمُتَاطِعُ عَلَى شَرِيطَةِ الْبَاءِ الَّتِي قَبْلَ اللَّامِ .
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ السَّجْعُ هُوَ الْبَاءُ الْمُلْتَزِمَةُ فَحِينَئِذٍ عَلَى أَنَا لَا نَعْلَمُ
حَرْفَ السَّجْعِ يَكُونُ إِلَّا مُتَأَخِّرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ وَمِثْلُ هَذَا
فِي أَنْوَاعِ الْأَعَارِضِ كَثِيرٌ

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَنَّ الْمُتَطْعَ وَالْمُطَلَّعَ أَوَّلَ الْقَصِيدَةِ
وَأَخِرُهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لِأَنَّا نُحِذُّ فِي كَلَامِ جِهَابِذَةِ النُّقَادِ
إِذَا وَصَفُوا قَصِيدَةً قَالُوا : حَسَنَةُ الْمُتَاطِعِ حَمِيدَةُ الْمُطَالِعِ . وَلَا
يَقُولُونَ الْمُتَطْعَ وَالْمُطَلَّعَ . وَفِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ
إِنَّمَا لَهَا أَوَّلٌ وَاحِدٌ وَآخِرٌ وَاحِدٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا أَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ إِلَّا
عَلَى مَا قَدَّمْتُ مِنْ ذِكْرِ ابْتِدَآئَاتِ الْآيَاتِ أَوْ الْأَقْسِمَةِ وَانْتِهَائِهَا

وَسَأَلْتُ السَّخَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّيِّدِ عَنْ
 هَذَا فَقَالَ: الْقَطَاعُ أَوَاخِرُ الْآيَاتِ وَالطَّلَاعُ أَوَائِلُهَا. قَالَ وَمَعْنَى
 قَوْلِهِمْ: حَسَنُ الْقَطَاعِ جَيِّدُ الطَّلَاعِ أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعُ الْبَيْتِ وَهُوَ
 الْقَافِيَةُ مُتَمَكِّنًا غَيْرَ قَلْبِي وَلَا مُتَعَلِّقٍ بغيرِهِ وَهَذَا هُوَ حُسْنُهُ. وَالطَّلَعُ
 هُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ وَجُودُهُ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَى مَا بَعْدَهُ كَالْتَضْيِيرِ
 وَمَا شَاكَاهُ. وَرَوَى الْجَاهِظُ أَنَّ حَبِيبَ بْنَ شَبَّةٍ كَانَ يَقُولُ: النَّاسُ
 مُوَكَّلُونَ بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْإِتْدَاءِ وَيَمْدِيهِمْ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُوَكَّلٌ
 بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْقَطْعِ وَيَمْدَحُ صَاحِبِهِ. وَحَظُّ جُودَةِ الْقَافِيَةِ وَإِنْ
 كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَرْفَعُ مِنْ حَظِّ سَائِرِ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ. حَكَاهُ
 الْجَاهِظُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَطْعَ آخِرُ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ بِالْبَيْتِ
 أَلْيَقُ لِلذِّكْرِ حَظُّ الْقَافِيَةِ

وَحِكْمِي أَيْضًا عَنْ سَمِيعٍ لَهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْعَتَائِي مَا أَلْبَلَاغُهُ. فَقَالَ:
 كُلُّ كَلَامٍ أَفْهَمَكَ صَاحِبُهُ حَاجَتَهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا حُبْسَةٍ
 وَلَا اسْتِعَانَةٍ فَهُوَ بَلِغٌ. قَالَ: قُلْتُ قَدْ عَرَفْتُ الْإِعَادَةَ وَالْحُبْسَةَ فَمَا
 الْاسْتِعَانَةُ فَقَالَ: أَمَّا تَرَاهُ إِذَا تَحَدَّثَ قَالَ عِنْدَ مَا طَعِمَ كَلَامِهِ
 يَا هَذَا أَسْمِعْ مِنِّي وَأَسْتَمِعْ إِلَيَّ وَافْهَمْ وَالسَّتْ تَفْهَمُ هَذَا كُلَّهُ
 عِيٍّ وَفَسَادٌ

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْعَتَائِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
 الْقَطَاعَ أَوَاخِرَ الْفُصُولِ. وَمِثْلُهُ مَا حَكَاهُ الْجَاهِظُ عَنِ الْمَأْمُونِ إِنَّهُ
 قَالَ لِسَمِيعِ بْنِ مُسْلِمٍ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُضْنِي لِحَدِيثِي وَتَقِفُ عِنْدَ

مَقَاطِعَ كَلَامِي. وَإِذَا جُعِلَ الْمَقْطَعُ وَالْمَطْلَعُ مُصْدَرَيْنِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كَانَتْ أَلْطَاءُ وَاللَّامُ مَفْتُوحَتَيْنِ وَإِذَا أُريدُ مَوْضِعُ الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كُسِرَتِ اللَّامُ خَاصَّةً وَهُوَ مَسْنُوعٌ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ

البحث السابع عشر

في المبتدأ أو الخروج والنهاية

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

قِيلَ لِبَعْضِ الْحَذَاقِ بِضَاعَةَ الشَّعْرِ لَقَدْ طَارَ أَسْنُكَ وَأَشْتَهَرَ
فَقَالَ لِأَيِّ أَقَلَّتْ أَلْحَقَّ وَأَصَبْتُ مَقَامِعَ الْكَلَامِ وَقَرُطْتُ نُصَّتَ
الْأَغْرَاضِ بِحُجْرِ الْقَوَاجِمِ وَالْخَوَاتِمِ وَلَطَفْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ
وَقَدْ صَدَقَ لِأَنَّ حُسْنَ الْإِفْتِتَاحِ دَاعِيَةُ الْإِنْشِرَاحِ وَمَطْيَةُ الْجَحَاحِ
وَلَطَافَةُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدْحِ سَبَبُ أَرْتِيَاكِ الْمَدْحِ وَخَاتِمَةُ الْكَلَامِ
أَبْقَى فِي السَّنْعِ وَالصَّقُّ بِالنَّفْسِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِهَا فَإِنْ حَسُنَتْ حَسُنَ
وَرِنْ فَجَبَتْ قَمَجٌ وَالْأَعْمَالُ بِحُجَاوَاتِهَا. وَيَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يُجَوِّدَ أَيْدِيَهُ
شِعْرَهُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُقْرَعُ السَّنْعُ بِهِ وَبِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ
أَوَّلٍ وَهُلَّةٍ. وَقَدْ اخْتَارَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْإِيْتِدَآتِ سَأَذْكُرُ هُنَا مَا
أَمَكَّنَ مِنْهَا لِيُسْتَدَلَّ بِهِ نَحْوُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ «فَقَا نَبِكَ مِنْ
ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَثَرِلٍ» وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ أَيْدِيَاءِ قَالَهُ شَاعِرٌ لِأَنَّهُ
وَقَفَ وَأَسْتَوْقَفَ وَبَكَى وَأَسْتَبَكَى وَذَكَرَ الْحَيْبَ وَالْمَثَرِلَ فِي
مَضْرَإٍ وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ «الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي» وَمِثْلُهُ

قَوْلُ الْقَطَّاعِي « إِنَّا نُحْيِيكَ فَأَسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ » وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :
 كَلَيْلِي لَهْمَ يَا أُمَيْتَهُ نَاصِبٌ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ
 وَقَوْلُهُ :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُمُوعَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِينًا وَظَاهِرًا
 هَذَا بَعْضُ مَا اخْتِيرَ لِلْقُدَمَاءِ وَمِمَّا اخْتِيرَ فِي الرِّثَاءِ قَوْلُ أَوْسٍ
 ابْنِ حَجْرٍ :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
 وَمِمَّا اخْتِيرَ لِلْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ « أَيُّ طَلَلٍ بِالْخَزَعِ
 أَنْ يَسْكَلَمَا » وَهُوَ عَنْدهُمْ أَفْضَلُ أَبْتَدَأَ قَالَهُ مُحَدِّثٌ . وَقَوْلُ أَبِي
 نُوَّاسٍ :

لَنْ دَمَنْ تَرْدَادُ طِيبَ نَسِيمٍ
 عَلَى طُولِ مَا أَقَوْتُ وَحُسْنِ رُسُومٍ
 وَقَوْلُهُ :

رَسْمُ الْكَرَى بَيْنَ الْخُفُونِ حَيْلٌ عَنَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
 وَقَوْلُهُ :

أَعْطَنَكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلَانَا أَنْسِفَارُ
 وَقَوْلُهُ :

دَعِ عَنْكَ لَوْحِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوِي بِأَلَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
 وَمِمَّا أَشَبَّ ذَلِكَ لَوْ تَقَصَّيْتَهُ لَطَالَ وَكَثُرَ . وَلَيَرْغَبُ عَنِ التَّعْمِيدِ
 فِي الْإِبْتِدَاءِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ أَلْيِ وَدَلِيلُ أَلْفِهِ . وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ دِغِيلَ

أَبْنَى عَلِيٍّ الْخُرَاعِيَّ وَرَدَّ رَحِمَ فَقَصَدَ دَارَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ رَغَبَانَ
 دِيكَ الْحِنْ فَصَمَّ نَفْسَهُ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ قَوَارِصِهِ فَقَالَ : مَا لَهُ
 يَسْتَبِزُّ وَهُوَ أَشْعَرُ الْحِنْ وَالْإِنْسِ أَلَيْسَ الْقَائِلُ :
 بِهَا غَيْرُ مُعْدُولٍ فِدَاً وَحَمَارَهَا وَهَلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ أَبْتِكَارُهَا
 فَظَهَرَ إِلَيْهِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَحْسَنَ . ثُمَّ تَنَاشَدَا فَانْشَدَ دِيكَ
 الْحِنْ أَبْتِدَاءَ قَصِيدَةٍ :

كَانَهَا مَا كَانَهُ خَلُّ الْحَلَّةِ وَقَفُ أَهْلُوكِ أَنْ بَعَمَا
 فَقَالَ لَهُ دُعِيلٌ : أَسَكْتَ قَوْلَهُ مَا ظَنَنْتُكَ تُنِمْ أَلَيْتَ إِلَّا وَقَدْ
 غُشِيَ عَلَيْكَ أَوْ تَشَكَّيْتَ دِمَاعَكَ وَكَكَانَكَ فِي جَهَمٍ تَخَاطَبُ
 أَلْزَابِيَّةً أَوْ تَحْبَطُكَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَلَيْتُكَ أَنْ
 يُهَوَّلَ عَلَيْهِ وَيَقْرَعَ سَمْعُهُ عَنَى أَنْ يُزْجِعَهُ أَوْ يَرُوْعَهُ فَسَمِعَ مِنْهُ مَا
 كَرِهَ . وَلَعَمْرِي مَا ظَلَمَهُ دُعِيلٌ وَلَقَدْ أَبْعَدَ مَسَافَةَ الْكَلَامِ وَخَالَفَ
 الْعَادَةَ وَهَذَا يَتَّ قَبِيحٌ مِنْ جِهَاتٍ مِنْهَا إِضْطَارٌّ مَا لَمْ يُذَكَّرْ قَبْلُ وَلَا
 جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ فَيَعْتَدِرُ وَلَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَيُشْهِرُ مَعَ إِحَالَةِ
 الْأَشْيَاءِ عَلَى تَشْبِيهِ ثَقُلَ تَحَاوُسُهُ الَّذِي هُوَ حَشْوٌ فَارِعٌ لَوْ طُبِحَ مِنْ
 أَلَيْتُكَ كَانَ أَحْزَمَ وَأَسَدَعَى قَافِيَةً لَا لِيْهِ إِلَّا لِقَاسَادِ الْمَعْنَى وَاسْتِحَالَةِ
 الْأَشْيَاءِ مَا الَّذِي يُرِيدُ بِنِعَامِهِ فِي تَشْبِيهِ أَلَوْقِفِ وَهُوَ السَّوَارُ وَلَمْ
 كَانَ وَقَفُ أَهْلُوكِ خَاصَّةً . وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْزِّيَّاتِ
 يَصِفُ نَاقَتَهُ فِي أَوَّلِ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ :
 كَانَهَا حِينَ تَنَاءَى خَطُوهَا أَجَشُّ مَوْشِي الشَّوَى يَرْعَى الْقَتْلَ

فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي مُحَافَظَةِ الْعَادَةِ لِأَنَّهُ وَمَعَ ذَلِكَ قَوْلُهُ «حِينَ
تَمَاضَى خَطُوهَا» فَقَصَرَ بِهَا وَهُوَ يَقْشِرُ أَنْ يَقُولَ «حِينَ تَدَانِي
خَطُوهَا» وَخَالَفَ جَمِيعَ الشُّعْرَاءِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَ النَّاقَةَ بِالظَّلِيمِ
وَالْحِمَارِ وَالثَّوْرِ بَعْدَ الْكَلَالِ غُلَاً وَمُبَالَغَةً فِي الْوَصْفِ . هَذَا هُوَ
الْجَيْدُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا لَمْ يَذْكُرُوا أَنَّهَا بَذَلَتْ جَهْدَهَا وَاسْتَفْرَعَتْ جَمِيعَ
مَا عِنْدَهَا بَلْ يَدْعُونَ التَّأْوِيلَ مُحْتَمِلَ الزِّيَادَةِ . ثُمَّ قَالَ «تَرَعَى
الْقُلُلُ» وَالثَّوْرُ لَا يَرَعَى قُلُلَ الْحِمَالِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ الْوَعْلُ لِأَنَّهُ لَا يُسْهَلُ
وَالثَّوْرُ فِي السُّهُولِ وَمَوَاضِعِ الرِّمَالِ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِالنَّبَاتِ أَعَالِيهِ
فَرُبَّمَا أَنْ يَكُونَ الْقُلُلُ نَبَاتًا بَعِيْنَهُ أَوْ مَكَانًا فَقَدْ يُمَكِّنُ وَمَا سَمِعْتُ

بِهِمَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَقْطَعُ الْمَضْرَاعَ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ إِذَا ابْتَدَأَ
شِعْرًا وَاصْطَرَفَ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي النَّسِيبِ كَأَنَّهُ يَدُلُّ بِذَلِكَ عَلَى
وَلَهُ وَشِدَّةٌ حَالِ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

جَلَا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبَرُّجُ أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْخُ
فَهَذَا اعْتِدَارُ مَنْ اعْتَدَرَ لَهُ لَوْ وَقَعَ بِمِثْلِ هَذَا فِي الرِّثَاءِ
وَالشُّجْعِ لَكَانَ مَوْضِعُهُ أَيْضًا وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْعُظَمَاءِ مِنَ الْأُمُورِ
وَالنَّوَارِثِ الشَّدِيدَةِ . وَلِيَحْتَرِسَ بِمَا يَنَالُهُ فِيهِ زِيَادَةٌ أَوْ يَقَعُ عَلَيْهِ مَطْعَنٌ
فَلَنْ أَبَا ثَمَامٍ أَنْتَدَحَ أَبَا ذَلْفَرٍ بِحَضْرَةٍ مَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ وَأَفْتَحَ
أَصِيدَتُهُ الشُّهُورَةَ «عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَايِبٍ» وَكَانَتْ فِيهِ
حُسْنَةٌ شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الرَّجُلُ لَعَنَهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ .

فَدَهَشَ أَبُو نَعْمٍ حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْخُوذٍ بِمَا قِيلَ
وَلَا هُوَ بِمَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ عَيْبًا. وَلَا يَلْزِمُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ الْحَوَاطَةَ
وَالْتَحَفُظَ مِنَ النُّجَّةِ الْبَارِدَةِ أَفْضَلَ وَالتَّنْرِيطَ أَرْدَلُ وَأَخْبَثُ.
وَدَخَلَ جَرِيرٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَنْشَدَهُ « أَتَفْخَمُونَ أَمْ فُؤَادُكُمْ
غَيْرُ صَاحِي » فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : بَلْ فُؤَادُكَ يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ كَأَنَّهُ
يَسْتَنْقِلُ هَذِهِ الْمَوَاجِهُةَ وَالْأَفْعَدُ عَلِمَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا خَاطَبَ نَفْسَهُ
وَمِنْ هَذِهِ الْمَجْهَةِ بِعَيْنِهَا عَابُوا عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ لِكَافُورٍ أَوَّلَ
لِقَائِهِ مُبْتَدِئًا وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُخَاطَبُ نَفْسَهُ لَا كَافُورًا :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا

وَحَسْبُ النِّسَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
فَالْعَيْبُ مِنْ بَابِ التَّأْدِبِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ لَا يَزِمُ لِأَبِي الطَّيِّبِ
فِي هَذَا الْإِتِّدَاءِ لَا سِيَّمَا وَهَذَا النُّوعُ أَغْنَى جُودَةَ الْإِتِّدَاءِ مِنْ
أَجْلِ مَحَاسِنِ أَبِي الطَّيِّبِ وَأَشْرَفِ مَائِرِ شِعْرِهِ إِذَا ذُكِرَ الشِّعْرُ.
وَدَخَلَ ذُو الرِّمَّةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَاسْتَشْدَهُ شَيْئًا مِنْ
شِعْرِهِ فَأَنْشَدَهُ « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلَمَّا يَنْسَكِبُ » وَكَانَ بِعَيْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ رِيثَةٌ فِيهِ تَدْمَعُ فَتَوَهَّمُ أَنَّهُ خَاطَبَهُ أَوْ عَرَضَ بِهِ فَقَالَ :
وَمَا سُؤَالُكَ يَا جَاهِلُ عَنْ هَذَا وَمَقْتُهُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
أَبْنُ هِشَامٍ بِأَبِي النُّجْمِ وَقَدْ أَنْشَدَهُ فِي أَرْجُوزَةٍ :

صَفَرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفَعَّلَ فَكَانَتْهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَانَ هِشَامُ أَحْوَلَ فَامَرَ فَحُجِبَ عَنْهُ مُدَّةً وَقَدْ كَانَ قَبْلَ

ذَلِكَ مِنْ خَاصَّتِهِ يَسْمُرُ عِنْدَهُ وَهُوَ يَمَازِحُهُ وَإِنَّمَا يَأْتِي الشَّاعِرُ بِهِ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءُ إِمَّا مِنْ غَفْلَةٍ فِي الطَّعْمِ أَوْ مِنْ اسْتِغْرَاقٍ فِي الصَّنْعَةِ
 وَشُغْلٍ هَاجِسٍ بِالْعَمَلِ يَذْهَبُ مَعَ حُسْنِ الْقَوْلِ حَيْثُ ذَهَبَ
 وَالْقَلْبُ الْخَاضِقُ يَخْتَارُ لِلْأَوْقَاتِ مَا يُشَاكِهَا وَيَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ
 الْخَاطِطِينَ فَيَقْصِدُ مُحَابَبَهُمْ وَيَعِيلُ إِلَى شَهَوَاتِهِمْ وَإِنْ خَالَفَتْ شَهَوَاتِهِ
 وَيَتَمَقَّدُ مَا يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ فَيَجْتَنِبُ ذِكْرَهُ . أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ
 قَالَ لِأَحَدِ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ أوردَ بَيْتًا ذَكَرَ فِيهِ «لَوْ خُلِدَ أَحَدُ أَكْرَمِ
 كُنْتَ مُخْلَدًا بِكَرَمِكَ» وَقَالَ كَلَامًا نَحْوَ هَذَا . فَقَالَ أَلَيْكَ : إِنْ
 أَلَمْتُ حَتَّى وَلَنَّا مِنْهُ نَصِيبٌ . غَيْرَ أَنَّ الْمُلُوكَ تَكَرَّرَ مَا يُسَكِّدُ عَيْنَهَا
 وَيُغْنِصُ لَذَّتَهَا فَلَا تَأْتِيهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ

وَمِنْ الْأَشْهُورِ أَنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَتَى شَجَرَةَ ظَلِيلَةٍ مُلْتَمِّئَةً
 الْأَغْصَانِ فِي مَرْجٍ حَسَنٍ كَثِيرِ الشَّقَائِقِ وَكَانَ مُجْبَبًا بِهَا وَإِلَيْهِ
 أَضِيفَتْ قَيْلُ شَقَائِقِ الثُّعْمَانَ . فَقَالَ فَامَرَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
 فَأُخْضِرَا وَجَلَسَ لِلذَّيْتِ . فَقَالَ عَبْدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعَبَّادِيِّ وَكَانَ كَاتِبَهُ :
 أَتَعْرِفُ آيَةَ اللَّعْنِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : وَمَا تَقُولُ . قَالَ :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ آتَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِأَلَاءِ الْأَزْوَاجِ
 عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَشَرُّوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ
 مَنْ رَأَى فليوطن نفسه إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قُرْطِ الزَّوَالِ
 كَأَنَّهُ قَصْدٌ مَوْعِظَةٌ فَتَغْصَ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ وَاسَرَ بِالطَّعَامِ

وَالشَّرَابِ فَرُفْعًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَارْتَحَلَ مِنْ قَوْمِهِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِقِيَّسَةِ
يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ . فَهَذَا شَأْنُ الْمُلُوكِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أَكْثَرُ
النَّاسِ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِطُولِ الْعُمُرِ حَتَّى بَلَغُوا بِهِمْ مَا لَا يُحْسِنُ
فَقَالُوا : عِشْ أَبَدًا وَسَلِّمْ مَدَى الدَّهْرِ وَابْقِ بَقَاءَ الزَّمَانِ . وَاعْتَرَضَ
الْفَقَادُ فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَفُوا بِحَسَبِ مَا يَتَّحِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قَوْلِ
أَبِي نُوَّاسٍ :

يَا أَمِينَ اللَّهِ عِشْ أَبَدًا دُمُ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

وَفِي كَثِيرٍ مِثْلِهِ فَإِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ عَنْ حَدِّ الْإِمْكَانِ فَأَتَمَّا
يُرَادُ بِهِ بُلُوغُ الْعَالِيَةِ لَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنْ قَبِيحِ مَا وَقَعَ لِأَبِي نُوَّاسٍ
الَّذِي آسَأَ فِيهِ آدَبُهُ وَخَالَفَ بِهِ مَذْهَبَهُ أَنَّ بَعْضَ بَنِي بَرْمَكٍ بَنَى
دَارًا اسْتَفْرَعَ فِيهَا بِمُجْهُودِهِ وَأَنْتَقَلَ إِلَيْهَا . فَضَعَّ أَبُو نُوَّاسٍ لِذَلِكَ
الْحَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ قَصِيدَةً يَدْعُو بِهَا وَيَقُولُ أَوَّلُهَا :

أَرْبَعُ أَلْيَإِنَّ الْخُشُوعَ لَبَادٍ عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُكْ وَدَادِي
وَحْتَمَهَا أَوْ كَادَ يَقُولُهُ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدْنَتْمْ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي
قَطِيرٍ الْبَرْمَكِيِّ وَأَشْمَارُكُمْ قَالَ : نَعَيْتَ إِلَيْنَا أَنْفُسًا يَا أَبَا
نُوَّاسٍ فَمَا كَانَتْ إِلَّا مُدِيدَةً حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمُ الرِّشِيدُ وَصَحَّتْ بِهِمُ
الْطَّيْرَةُ . وَزَعَمَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَصَدَ التَّشَاوُمَ لَهُمْ لَشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ
مِنْ جَعْفَرٍ وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لِأَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ

الَّذِي لَا أَشْكُ أَنْ يُحْتَمَلَ لَهُ. اَللّٰهُمَّ اِلَّا اَنْ يَضَعَ ذَلِكَ حِيلَةً لَهُ وَسِتْرًا
عَلَى مَنْ قَصَدَ اِلَيْهِ بِذَلِكَ. وَلِلشُّعْرَاءِ مَذَاهِبٌ فِي افْتِتَاحِ الْقَصَائِدِ
بِالنَّسِيبِ اِلَى مَا فِيهِ عَطْفُ الْقُلُوبِ وَاسْتِدْعَاءُ الْقَبُولِ بِحَسَبِ مَا
فِي الطَّبَاعِ مِنْ حُبِّ الْقَزْلِ وَالْمِيلِ اِلَى الْهَوَىٰ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ
اِلَى مَا بَعْدَهُ. وَمَقَاصِدُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فَطَرِيقُ اَهْلِ الْبَلَدِيَّةِ ذِكْرُ
الرَّحِيلِ وَالْاِتِّقَالِ وَتَوَقُّعُ اَلْبَيْنِ وَالْاِسْتِغْنَاءِ مِنْهُ وَصِفَةُ الطُّلُولِ
وَالْحُمُولِ وَالْاِبْلِ وَلَمْعُ الدَّرْقِ وَرَمْسُ النَّسِيمِ وَذِكْرُ الْمِيَاهِ الَّتِي يَلْتَقُونَ
عَلَيْهَا وَالرِّيَاضِ الَّتِي مِنْ خَرَامَى وَالْفُحُوفِ وَبَهَارِ وَعَوَارِ وَمَا اشْبَهَ
مِنْ ذَهْرِ الْبَرِّيَّةِ. وَاهْلُ الْحَاظِرَةِ يَأْتِي تَعْرِفُهُمْ فِي الضُّدُودِ
وَالْعُجْرَانِ وَالرُّقَبَاءِ وَمَنْعَةِ الْحَرَسِ وَالْاَبْوَابِ وَفِي ذِكْرِ الشَّرَابِ
وَالنَّدَامَى وَالسَّرِيرِ وَالذُّلُوفِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِنَ النَّوَارِيزِ الْبَلَدِيَّةِ
وَالرِّيَاحِينَ الْبُسْتَانِيَّةِ فِي تَشْبِيهِ الشُّفَاحِ وَالْحِجَّةِ بِهِ وَدَسْرِ الْكُتُبِ
وَمَا مَمَّاكَلَ ذَلِكَ بِمَا هُمْ مُنْفَرِدُونَ بِهِ

وَالْعَادَةُ اَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ مَا قَطَعَ مِنَ الْمَقَاوِزِ وَمَا اَنْصَى مِنْ
الرَّكَائِبِ وَمَا تَجَسَّمَ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ وَسَهَرِ وَطُولِ النَّهَارِ وَهَجِيرِهِ
وَقَلَّةِ الْمَاءِ وَغُورِهِ. ثُمَّ يَخْرُجُ اِلَى مَدْحِ الْمَقْصُودِ لِيُوجِبَ عَلَيْهِ حَقَّ
الْقَصْدِ وَدِمَامَ الْقَاصِدِ وَيَنْتَحِقَ مِنْهُ الْمَكَافَاةُ. وَكَانُوا قَدِيمًا أَضْحَكَ
خِيَامَ يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَوْضِعٍ اِلَى آخَرَ فَلِذَلِكَ كَانَ اَوَّلُ مَا يَتَّبِعُونَ
أَسْعَادَهُمْ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَتِلْكَ دِيَارُهُمْ وَلَيْسَتْ كَانِيَّةَ الْحَاضِرَةِ
فَلَا مَعْنَى لِدِكْرِ الْحَضَرِيِّ الدِّيَارِ اِلَّا بَحَارًا لِأَنَّ الْحَاضِرَةَ لَا تَنْسِفُهَا

الرَّيْحُ وَلَا تَخُوفَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ لَا يُمَكِّنُ
أَنْ يَعْيشَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْحَيْلِ وَأَحْسَنُ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُؤَلَّدُونَ
الْمُخْدَثُونَ مَا تَأْسَبَ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :

سَمَى اللَّهُ قَصْرًا بِالرِّصَاقَةِ شَاقِنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدِّيَارِ رُصَايِ
أَشَارَ بِقُضْبَانِهِ مِنَ الدَّرِّ قَمِيعَتِ يَوَاقِيتِ نَحْمَرًا فَاسْتَبَاحَ عَفَايِ
وَكَانَتْ دَوَائِبُهُمُ الْإِبِلُ بِكَثْرَتِهَا وَعَدَمِ غَيْرِهَا وَصَدِيرُهَا عَلَى
الْتَعَبِ وَقَلَّةِ الْمَاءِ وَالْعَافِ فَلِهَذَا أَيْضًا خَضُّوْهَا بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا وَلَمْ
يَكُنْ أَحَدُهُمْ يَرْضَى بِالْكَذِبِ قِيَصَ مَا أَيْسَرَ عِنْدَهُ كَمَا يَفْعَلُ
الْمُخْدَثُونَ أَلَا تَرَى أَمْرًا أَقْيَسَ لِمَا كَانَ مِلْكًا كَيْفَ ذَكَرَ خَيْلُ
الْبَرِيدِ وَالْفَرَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَفِنْ عَنْ ذِكْرِ الْإِبِلِ لِلْعَادَةِ الَّتِي
جَرَتْ عَلَى السَّيِّئِ فَقَالَ يَصِفُ رَجُلُهُ إِلَى قَيْصَرَ :

إِذَا قُلْتُ رَوْحًا أَدْنَى فُرَاتٍ

عَلَى هَزَجٍ وَاهِي الْأَبَاجِلِ ابْتَدَأَ

عَلَى كُلِّ مَقْصُوصٍ الذَّنَائِي مُعَاوِدِ

بَرِيدَ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْرِ بَرَدَا

إِذَا رُعْتُ مِنْ جَانِبَيْهِ كَلَيْمًا

مَشَى الْهَيْدَى فِي دَقِّهِ ثُمَّ قَرَوَا

كَانَتْ الْحَيْلُ الْبَرَبَرِيَّةُ تُهْلَبُ أَذْنَابُهَا كَالْبَعَالِ لِتَدْخُلَ مَدَاحِلَهَا

فِي خِدْمَةِ الْبَرِيدِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُمَا لِلْمَلِكِ . وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ فِي ابْنِ

هُبَيْرَةَ لَمَّا كَانَ أَمِيرًا :

جَاءَتْ بِهِ مُتَجَرِّبًا بِبُرْدِهِ سَفَرًا تَزِي بِسَبْعٍ وَخَدِيدِهِ

تَقْدَحُ قَيْسُ كُلُّهَا بِزُنْدِهِ

إِلَّا أَنْ مِنْهُمْ مَنْ خَالَفَ هَذَا كُلَّهُ فَوَصَفَ أَنَّهُ قَصْدَ الْمَمْدُوحِ
رَاجِلًا أَمَّا إِخْبَارًا بِالْصِدْقِ وَإِمَّا تَعَاظِي صَعْلَكَةٍ . قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ
لِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى

عَلَيْهَا أَمْتَطَيْنَا الْخَضِرَمِيَّ الْمَلْسَا

قَلَانِصُ لَمْ تَعْرِفْ حَيْثَا عَلَى طَلَا

وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقَ وَلَا أَلْهَنَا

فَذَكَرَ أَنَّ قَلَانِصَهُمُ الْيَتِي أَمْتَطَوْا إِلَيْهِ مَشْدُودَةً بِالْعَمَالِ
وَأَخْرَجَهُ كَمَا تَرَى مُخْرَجَ الْفَرِّ وَأَتَبَعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

لَا نَأْوِي تَحِيلُ الرَّدِيفَ وَلَا السَّوْطَ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدَهَا
شِرَاكُهَا كُورَهَا وَمَشْفَرَهَا زِمَامَهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدَهَا
وَقَالَ كَرَّةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ يَتَشَكَّى :

وَمَهْمَ جُبْنُهُ عَلَى قَدِيمِي تَحْجُزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُ

وَلَوْ شَاءَ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ فَإِنَّ أَبَا نُؤَاسٍ لَمْ يَرُدْ مَا ذَهَبَ

إِلَيْهِ أَبُو الطَّيِّبِ لَكِنْ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَهُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ قَصْدَهُ فِي حَاجَتِهِ
مُحْتَذِيًا تَعْلِيَهُ لَكَانَ أَظْهَرَ وَجْهًا مَا لَمْ يَكُنِ الْخَضِرَمِيُّ مِنَ الْجُلُودِ
مُخْصُوصًا بِهِ الْمَسَافِرُ دُونَ الْحَاضِرِ . وَظَاهِرُ الْكَلَامِ أَنَّ مَقْصِدَ
الشَّاعِرَيْنِ وَاحِدٌ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ الْخَيْلَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شِعْرِهِ

وَكَانَ يُؤْثِرُهَا عَلَى الْأَيْلِ لَمْ يَقُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ التَّهَيُّبِ بِذِكْرِ
الْخَيْلِ وَتَطَايُ الشَّجَاعَةِ . فَقَالَ يَذْكُرُ قُدُومَهُ إِلَى مِصْرَ عَلَى خَوْفٍ
مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَثَلُهُ
أَرَأَيْتُ فِيهِ الشَّسَّ أَيْانَ تَغْرُبُ
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعَزُّ كَأَنَّهُ

مِنْ اللَّيْلِ بَاقِيَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ
وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ بَلَدِنَا خَاصَّةً شَيْءٌ مِنْ هَذَا سُلْكِهِ إِلَّا مَا يُعَدُّ
قِلَّةً قَالُوا جِبُّ اجْتِنَابُهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُ حَقِيقَةٌ لَاسِيًا إِذَا كَانَ
الْمَادِحُ مِنْ سُكَّانِ بَلَدٍ أَلْمَدُوحُ يَرَاهُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ فَمَا أَفْجَحَ ذِكْرُ
الْنَاقَةِ وَالْفَلَاةِ

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَفْجَحُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مُكَافَأَةً وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ
هُوَ التَّوْبُّ وَالتَّبَرُّ وَالْقَطْعُ وَالْكَسْعُ وَالْإِفْتِضَابُ كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ
وَالْقَصِيدَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ بَتَرَاءً كَالْخُطْبَةِ الْبَتَرَاءِ
وَالْقَطْعَاءِ وَهِيَ الَّتِي لَا يُبْتَدَأُ فِيهَا بِمُحَمِّدٍ أَوْ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْخُطْبِ
كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ « إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْنَّسِيبُ الْمَقْدَمُ » فَأَنْكَرُوا
النَّسِيبَ وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَ هَذَا الْبَابَ وَقَفَى هَذَا الْمَعْنَى أَبُو
نُؤَاسٍ بِقَوْلِهِ « لَا تَبْكُ لَيْلِي وَلَا تَطْرُبْ إِلَى هِمْدٍ » وَقَوْلُهُ عِنْدَ
الْحَارِثِيِّ فَيَا رَدَى بَعْضُ أَشْيَاخِهِ أَفْضَلُ أَيْدَاءِ صَنْعَةِ شَاعِرٍ مِنْ
الْمَقْدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ :

أَعَزَّ شَعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْقَفْرَ
 فَقَدْ طَالَ مَا إِنْ رَأَيْتُكَ الْخَمْرَ
 دَعَانِي إِلَى نَفْتِ الطُّلُولِ مُسَلَّطُ
 يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَرُدَّ لَهُ أَمْرًا
 فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً

وَأَنْ كُنْتُ قَدْ جَسَمْتَنِي مَرْكَبًا وَعَرَا
 فَجَاءَ هُوَ بِأَنْ وَصَفَ الْأَطْلَالَ وَالْقَفْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَشْيَةِ
 الْإِمَامِ وَالْأَفْهَمُ عِنْدَهُ فَرَاغٌ وَجْهٌ. وَإِنْ فِي اللِّسَانِ وَكَثْرَةُ وَلُوعِهِ
 بِالشَّيْءِ لَشَاهِدًا عَدْلًا لَا تَرُدُّ شَهَادَتُهُ وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ: «لِسَانُ
 الْأَمْرِ مَنْ خَدَّمَ الْفُؤَادَ» وَمِنْ غُيُوبِ هَذَا أَلْبَابِ أَنْ يَكُونَ النَّسِيبُ
 كَثِيرًا وَالْمَدِيحُ قَلِيلًا كَمَا يَضَعُ بَعْضُ أَهْلِ وَقْتِنَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ لَا يُجِيدُ الْإِبْدَاءَ وَلَا يَتَكَلَّفُ لَهُ ثُمَّ يُجِيدُ
 بَاقِيَ الْقَصِيدَةِ وَكَثَرَتْهُمْ فَعَلًا لِذَلِكَ الْبُخْرِيُّ كَانَ يَضَعُ الْإِبْدَاءَ
 سَهْلًا وَيَأْتِي بِهِ عَفْوًا وَكَلِمًا تَمَادَى قَوِيَّ كَلَامُهُ وَلَهُ مِنْ جَيِّدِ
 الْإِبْدَاءِ أَتَرٌ كَثِيرٌ لِكَثْرَةِ شَعْرِهِ وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ مَا قَدَّمْتُ غَيْرَ أَنَّ
 الْقَاضِي الْأَجْرَجَانِي فَضَّلَ بِجُودَةِ الْإِسْتِهْلَالِ وَهُوَ الْإِبْدَاءُ عَلَى أَبِي
 تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ وَقَدْ فَضَّاهُمَا بِالْخُرُوجِ وَالْحَاطِمَةُ وَلَسْتُ أَرَى
 لِذَلِكَ وَجْهًا إِلَّا كَثْرَةَ شَعْرِهِ كَمَا قَدَّمْتُ فَإِنَّهُ لَوْ حَاسِبَهَا إِبْدَاءَ
 جَيِّدًا بِإِبْدَاءِ لَارْتِي وَقَصْرًا عَنْ عَدُوِّهِ

وَأَمَّا الْحَاطِمَةُ فَإِنَّهُ يَفُضُّ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ غَضًا شَدِيدًا وَيَجُورُ

عَلَيْهِ جَزَاءٌ بِنَاءٍ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ وَلَا يُسَلَّمُ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ فُحْمَ
الْإِتْدَاءِ لَهُ رَوْعَةٌ وَعَلَيْهِ أُبْهَةٌ كَقَوْلِهِ :
أَلْحَقْ أَلْبَجُ وَالسُّيُوفُ عَوَارُ فُحْذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ
وَقَوْلِهِ أَيْضًا :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ أَلْكَتُبِ

فِي حَتَمِهِ أَلْحَدُ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
وَقَوْلِهِ « يَا رُبْعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى أَبِي هُمُومٍ » وَالْعَالِبُ تَحْتَ اللَّفْظِ
وَجَهَادَةُ الْإِتْدَاءِ

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَمْدِيُّ يُفَضِّلُ أَيْدِيَاتِ
الْبُحْثَرِيِّ جِدًّا وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ الْمَوَازِنَةِ وَالْتَّرَجِيمِ بَيْنَ
الطَّالِبِينَ وَتَوَهَّ فِيهِ بِالْبُحْثَرِيِّ أَعْظَمَ تَنْوِيهِ وَمِنْ جِيدِ أَيْدِيَاتِهِ
قَوْلُهُ :

عَارَعْنَا أَصْلًا قَعَانَا الرَّبْرُبُ حَتَّى أَضَاءَ الْأَفْحَوَانُ الْأَشْنَبُ
وَقَوْلُهُ « ضَمَانٌ عَلَى عَيْنِكَ آتِي لَا أَسْأَلُ » وَقَوْلُهُ « نَرَى عَنْدهُمْ
عِلْمًا بِشُجْوَى وَادْمُعِي » فَمَا أَلْخُورُجُ فَهُوَ عَنْدهُمْ شَيْءٌ بِالْأَسْطَرَادِ
وَلَيْسَ بِهِ لِأَنَّ الْخُورِجَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ تَسْبِيحٍ إِلَى مَذْحٍ أَوْ
غَيْرِهِ بِأُطْفَرٍ تَحْمِيلٍ ثُمَّ تَتِمَّادَى فِيمَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ كَقَوْلِ أَبِي عِبَادَةَ
الْبُحْثَرِيِّ :

سُقِيتَ رُبَاكَ بِكُلِّ غَيْثٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيمَنْ أَلْتَى أَسْقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا

وَأَكْثَرُ النَّاسِ اسْتَعْمَالًا لِهَذَا الْقَوْلِ أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ مَا يَكَادُ
يَشُدُّ عَنْهُ حَتَّى رُبَّمَا قَبِجَ سُؤْطُهُ فِيهِ خَوْ قَوْلِهِ:
هَذَا فَانْظُرِي أَوْ فَظُّبِي بِي تَرِي حُرَقًا

مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَالَا
عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ بِي

إِلَى أَلَّتِي تَرَكْتَنِي فِي أَلْهَوَى مَشَلَا
فَقَدْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ لَهُ قَوَادًا وَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ:
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَانًا لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
فِي شَيْءٍ لِأَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَالَ: يَجْمَعُ بَيْنَنَا ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ ذِكْرَ
أَمَاءٍ وَالسَّخَاةِ فَقَالَ:

أَمِيرٌ رَأَيْتُ أَلْمَالَ فِي نَعْمَاتِهِ ذَلِيلًا مَهِينٍ النَّفْسَ بِالْعَظِيمِ مُوقِنًا
وَكَاثَهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ جَمْعَهُ بَيْنَهُمَا بِالْمَالِ خَاصَّةً يَفْضُلُ عَلَيْهِ
وَيُجْزَلُ عَظِيمَتُهُ فَيَتَرَدَّجُهَا أَوْ يَتَسَرَّاهَا. وَأَبُو الطَّيِّبِ قَالَ لِيَشْفَعُ
وَالشَّفَاعَةُ رَغْبَةٌ وَسُؤَالٌ. ثُمَّ أَتْبَعَ بَيْتَهُ بِمَا هُوَ مُقَوِّلُ لَعْنَاهُ فِي
الْقِيَادَةِ فَقَالَ:

أَيَقُنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالزُّنْحِ مُعْتَبِلًا
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَشْفَعُ فَإِنْ أُجِيبَ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ
فَذَلِكَ وَالْأَرَجُّ دَجَمَ إِلَى الْفَهْرِ وَالَّذِي يُشَاكِلُ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ قَوْلُهُ:
أُحِبُّ الَّذِي فِي الْبَذْرِ مِنْهُ مَشَاهِدٌ

وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلٌ

فَلَمَّا نَظَرْتُ الشَّكْوَى تَحْمِلُ عَنْهُ كَمَا حَمَلْتُ عَنْ أَبِي نُورَسٍ
وَأَوَّلَى الشَّعْرِ بِأَنْ يُسَيَّ تَحْصًا مَا تَحْلُصَ فِيهِ الشَّاعِرُ عَنْ مَعْنَى
إِلَى . مَعْنَى ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ وَأَخَذَ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ
فِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّ آخِرَ نَسِيبٍ قَصِيدَةٍ اعْتَذَرَ بِهَا إِلَى
الْثُّغَمَانِ :

فَكَفَفْتُ مِنِّي عَابَةً فَرَدَدْتُهَا
عَلَى الْعَمْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ
عَلَى حِينَ عَانَتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبِي
وَقُلْتُ أَلَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ
ثُمَّ تَحْلُصَ إِلَى الْأَعْتِذَارِ فَقَالَ :

وَلَكِنْ هُمَا دُونَ ذَلِكَ دَاخِلًا مَكَانَ الشَّعْفِ تَبْنِيهِ الْأَصَابِعُ
وَعِيدَ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ آتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاغِ
ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ عِنْدَ مَا سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ فَقَالَ :
فَبِتُ كَأَنِّي سَاوَرْتُ صَيْبَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَيْلِهَا السَّمُ نَاقِعٌ
يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ الْأَمَامِ سَابِيهَا لِحْلِي النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَا قَعُ
فَوَصَفَ الْحَيَّةَ وَالسَّلِيمَ الَّذِي شَبَّ نَفْسُهُ بِهِ مَا شَاءَ ثُمَّ تَحْلُصَ
مِنَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَقَالَ :

آتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ لَمُنْتَنِي وَتِلْكَ أَتَيْتُكَ مِنْهَا الْمَسَامِيحُ
ثُمَّ أَطْرَدَ لَهُ الْقَوْلُ مَا شَاءَ مِنْ تَحْلُصٍ إِلَى تَحْلُصٍ حَتَّى انْقَضَتْ
الْقَصِيدَةُ وَهُوَ مَا أَشْرَفَ إِلَيْهِ غَيْرُ خَافٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ

يَقَعُ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ شَيْءٌ يَعْترِضُ فِي وَسْطِ الشَّيْبِ مِنْ مَذْحٍ
مَنْ يُرِيدُ الشَّاعِرُ مَذْحَهُ تِلْكَ الْقَصِيدَةُ ثُمَّ يَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا
كَانَ فِيهِ وَنَ الشَّيْبِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَذْحِ كَمَا فَعَلَ وَمِنْ قَوْلِ
أَبِي تَمَّامٍ يَمْدَحُهُ الَّذِي تَمَادَى فِيهِ مُنْقَطِعًا وَذَلِكَ فِي وَسْطِ الشَّيْبِ
مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ التَّوَى
مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ
مَا ذَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا غَدْتُ

نَفْسِي عَلَى رَأْفِ سِوَاكَ تَحُومُ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

يُحْمَدُ بْنُ أَهْمَشٍ بْنُ شَبَابَةَ حَجَّدَ إِلَى جَنْبِ السَّيَالِ مُقِيمٌ
وَيَسْتَعِي هَذَا التَّنَوُّعُ الْإِلَامَ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَذْهَبُ هَذِهِ
الْمَذَاهِبَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذْحِ بَلْ يَقُولُونَ بَعْدَ قِرَائِهِمْ مِنْ نَعْتِ
الْأَبْلِ وَذِكْرِ الْفَقَارِ وَمَا هُمْ بِسَيْلِهِ دَعَا وَعَدَا عَنْ ذَا وَيَأْخُذُونَ
فِيمَا يُرِيدُونَ أَوْ يَأْتُونَ بِإِنْ الشَّدَدَةِ أَتْدَاءَ لِلْكَلَامِ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ خُرُوجُ الشَّاعِرِ إِلَى الْمَذْحِ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ وَلَا مُنْفَصِلًا
بِقَوْلِهِ : دَعَا وَعَدَا عَنْ ذَا وَخَوَّ ذَاكَ سُتَيْ طَفَرًا وَأَنْتِطَاعًا. وَكَانَ
الْجَبْثِيُّ كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِهِ كَقَوْلِهِ :

لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمْتُ مِنْ أَلْمِ أَهْوَى
لَكِنَّ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلٌ
إِنَّ الرَّغِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ
مَحْمُودَةٍ مَذْ سَاهَا التَّوَكُّلُ

وَرَبَّمَا قَالُوا بَعْدَ صِفَةِ اللَّاقَةِ وَالْمَقَادَةِ إِلَى فُلَانٍ قَصَدْتُ وَحَتَّى
تَرَلْتُ بِفَنَاءِ فُلَانٍ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الْإِتِّهَاءُ فَهُوَ قَاعِدَةٌ
الْقَصِيدَةِ وَآخِرُ مَا يَبْقَى مِنْهَا فِي الْأَنَامِ وَسَبِيلُهُ أَنْ يَكُونَ مُحْكَمًا
لَا يُمَكِّنُ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَإِذَا كَانَ أَوَّلُ
الشَّعْرِ مُقْتَحَلًا لَهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ آخِرُهُ قُفْلًا عَلَيْهِ . وَقَدْ أَرَانِي أَبُو
الطَّيِّبِ عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ فِي جُودَةٍ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ إِلَّا أَنَّهُ
رُبَّمَا عَقَّدَ أَوَائِلَ الْأَشْعَارِ ثِقَةً بِنَفْسِهِ وَإِغْرَابًا عَلَى النَّاسِ كَقَوْلِهِ أَوَّلُ
قَصِيدَةٍ :

وَقَالُوا كَمَا كَالرَّبْعِ اشْتَجَاهُ طَائِسُهُ يَأْنِ تَسْعِدَا وَالِدَمْعِ أَشْفَاهُ سَائِحُهُ
فَإِنَّ هَذَا يَخْتَاجُ الْأَضْمَعِيَّ إِلَى أَنْ يُفْسِرَ مَعْنَاهُ . وَيَقَعُ لَهُ فِي
الْخُرُوجِ مَا كَانَ تَرْكُهُ أَوَّلِي بِهِ وَأَشْعَرُ لَهُ وَإِنَّمَا أَذْخَلُهُ فِيهِ حُبُّ
الْإِغْرَابِ فِي بَابِ التَّوْلِيدِ حَتَّى جَاءَ بِالْعَثِّ الْبَارِدِ وَالتَّشْنِيعِ الْمُتَكَفِّلِ
نَحَرَ قَوْلِهِ :

أُجِبْكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ غُلٍّ ثِيْرًا وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رَيْعَا
فَهَذَا مِنَ الْبَشَاعَةِ وَمِنْ الشَّنَاعَةِ بَحِثْ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ . وَمَا
أُظْهِرَ سَرَقَ هَذَا الْمَقْنَى الشَّرِيفَ إِلَّا مِنْ كِذْبَةٍ كَانَ أوردَهَا أَبُو
الْعَتَّاسِ الْحَمِيرِيُّ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ فَرَعَمَ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا
نَامَ فَجَرَّهُ التَّمَلُّ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ . وَقَدْ جَعَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مَكَانَ الرَّجُلِ
جَبَلًا وَإِنْ عَلِمْنَا الْإِغْرَابَ فِي مُرَادِهِ وَلَفْظِهِ . وَقَالَ أَيْضًا :
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَائِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

وَنَجْرُ أَبُو الْمَسْكِ الْحِصَمِ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ نَجْرٍ ذَخْرَةٌ وَعُجَابٌ
يُرِيدُ وَخَيْرُ نَجْرٍ أَبُو الْمَسْكِ وَهَذِهِ غَايَةُ التَّصْنَعِ وَالتَّكْلِيفِ. وَمِنْ
الْعَرَبِ مَنْ يَحْتِمُ الْقَصِيدَةَ فَيَقْطَعُهَا وَالنَّفْسُ بِهَا مُتَعَلِّقَةٌ وَفِيهَا رَاغِبَةٌ
وَلَهَا مُشْتَبِهَةٌ وَيَبْقَى الْكَلَامُ مَنثورًا كَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ جَعْلُهُ خَاتَمَةً
كُلُّ ذَلِكَ رَغْبَةٌ فِي اخْتِذِ الْعَفْوِ الْآخَرِ مُتَعَلِّقَةٌ أَمْرِي الْقَيْسِ كَيْفَ
خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ يَصِفُ السَّيْلَ عَنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ :

كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقَى غُدِيَّةً بِأَرْجَاهِ الْقُصْوَى عَنَابِيشُ عُضُلٍ
فَلَمْ يَفْعَلْ لَهَا قَاعِدَةً كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْعُلُقَاتِ
وَهِيَ أَفْضَلُهُنَّ. وَقَدْ كَرِهَ الْحَذَّاقُ مِنَ الشُّعْرَاءِ خَتَمَ الْقَصِيدَةَ بِالْأَدْعَاءِ
لَأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الضَّعِيفِ الْأَلْمَلُوكِ فَإِنَّهُمْ يَشْتَبِهُونَ ذَلِكَ كَمَا قَدَّعَتْ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ يَذْكُرُ الْحَيْلَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ
فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ
فَإِنَّ هَذَا يُشَبِّهُ مَا ذَكَرَ عَنْ بَغِيضٍ كَانَ يُصَاحِبُ الْأَمِيرَ
فَيَقُولُ « لَا صَبَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِعَافِيَةٍ » وَيَسْكُتُ سَكْتَةً ثُمَّ يَقُولُ
« إِلَّا وَمَسَاءَهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا » وَيُمَاسِيهِ فَيَقُولُ « لَا مَسَى اللَّهُ الْأَمِيرَ
بِنَفْعَةٍ » ثُمَّ يَقُولُ « إِلَّا وَصَبْحَهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا » وَتَحْوُ هَذَا فَلَا يَدْعُو
لَهُ حَتَّى يَدْعُرَ عَلَيْهِ وَمِثْلُ هَذَا قَبِيحٌ لَا يَسِيئًا مِنْ مِثْلِ أَبِي الطَّيِّبِ



فهرس

المقالات

وجه

١٢ الجذيرة بالخطيب

البحث الثاني في وسائل الاقتناع التي

٢٥ يتخذها الخطيب البليغ

الفصل الثالث في الاقوال

٢٨ المقدمة

البحث الاول في ان الخطيب لا بد له

للاقتناع من معرفة القياس وعلم

٢٨ المنطق

البحث الثاني في الطريق اي الدليل

٣٠ وتقسيمه

البحث الثالث في المواضع

البحث الرابع في التعريف والحد

٣٣ والرسم

البحث الخامس في الكلبي

٣٧ والجزئي

البحث السادس في الجنس والنوع

البحث السابع في تعريف الملة

٤١ والمعلول

وجه

القسم الاول في علم الخطابة

الفصل الاول في تعريف الخطابة

١ واقسامها ومنافعها

البحث الاول في تحديد الخطابة وما

١ تشتمل عليه بوجه الاجمال

البحث الثاني في تعريف الخطابة

٣ وموضوعها

البحث الثالث في المناسبة الموجودة

٤ بين الجدل والخطابة

البحث الرابع في ان الخطابة تحرر

للتصديق اكثر منها للتأثير

البحث الخامس في فوائد علم

٧ الخطابة

البحث السادس في ان الخطابة صناعة

١١ اصلا في طبع الانسان

الفصل الثاني في بلاغة الخطيب

البحث الاول في تعريف البلاغة

وجه

البحث الاول في مبادئ الخطابة

٨٩

والافتتاحات

البحث الثاني في القضية والقياس

٩٠

البحث الثالث في القياس واقسامه

٩٢

وانواعه

البحث الرابع في ملحقات القياس

٩٥

البحث الخامس في القياسات المستعملة

في الخطابة واخصها القياس الاضاري

٩٧

والتمثيل

البحث السادس في مقدمات القياسات

١٠٢

الخطبية

الفصل السابع في التنفيذ

١٠٨

البحث الاول في المناظرة

١٠٨

والجدال

البحث الثاني في آداب

١١١

المناظرة

البحث الثالث في الجوابات على

١١٤

الحصم

البحث الرابع في المخالطة

١١٥

البحث الخامس في مقاطيع

١١٩

الكلام

الفصل الثامن في التعبير

١٢٤

وجه

الفصل الرابع في آداب الخطابة

٢٢

البحث الاول في آداب كلام

٢٢

الخطيب

البحث الثاني في خصال الخطيب

٢٦

البحث الثالث في طباع الناس على

٢٩

اختلاف اطوار الحياة

البحث الرابع في سياسة الخطيب مع

٣٢

الجمهور ومواخاة طباعهم

الفصل الخامس في الاخلاق

٥٩

والامواء

البحث الاول في تعريف

٥٩

الاخلاق

البحث الثاني في الاخلاق الحسنة

٦٢

البحث الثالث في الاخلاق

٦٩

الرديئة

البحث الرابع في بعض الاخلاق التي

تكون في بعض الناس فضيلة وفي

٧٤

بعضهم رذيلة

البحث الخامس في الارتياض بمكارم

٧٩

الاخلاق

الفصل السادس في تنسيق الخطابة

٨٩

وبيان القضية والقياس

وجه

١٦٢

والسعادة

البحث الثامن في انه ينبغي للخطيب

المشير ان يعرف الاشياء النافعة

وفي مقابلة الخير مع النافع ومقابلة

١٧٢

الخير مع بعضها

البحث التاسع في ايشار الخبورو في

شروط تفضيل بعضها على بعض

١٨١

والاسباب الموجبة لذلك

البحث العاشر في ان الخطيب المشوري

ينبغي ان يعرف اصناف السياسات

وفي بيان اجناس هذه السياسات

١٩٤

الاربعة

البحث الحادي عشر في ما ينبغي

للخطيب ان يعرفه في النوع التثبيتي

وفي الفضيلة والتقوية والمدح والذم

وتصرف الخطيب فيهما وفي انواع

١٩٨

الامور الفاضلة والناقصة

الفصل العاشر في انواع الخطب ومن

٢١١

برع فيها

البحث الاول في خطب التهانى

٢١١

البحث الثاني في خطب التقليد

البحث الثالث في الارتمجال والبدعة

٢١٤

واشارات الخطيب

وجه

البحث الاول في خواص تعبير

١٣٤

الخطيب

البحث الثاني في بلاغة كلام العرب

١٣٦

وكلام العجم

الفصل التاسع في اجناس الخطابة

١٣٧

الثلاثة

البحث الاول في تقسيم الخطب الى

١٣٧

ثلاثة اجناس

البحث الثاني في غايات الاجناس

الخطبية الثلاثة وانواع مقدماتها

١٣٩

البحث الثالث في مقدمات الجنس

١٤٢

المشوري

البحث الرابع في خمسة امور يدور

عليها البحث في النوع المشوري وفي

١٤٥

القياسات المختلفة بما

البحث الخامس في السبب الذي من

اجله يشير الخطيب وهو سعادة

السامع وفي ماهية السعادة وانواع

الخير التي من مجموعها تتولد

١٥٠

السعادة

البحث السادس في الفرق بين الخير

١٦١

والسعادة

البحث السابع في اقسام الخير

وجه

البحث الثامن في اسطوانات الاقاول
الشعرية ٢٨٤

البحث التاسع في صناعة الاشعار
القصية ٢٩٤

البحث العاشر في كيفية التخلص الى
ما يراد بمحاكاته ٢٩٥

البحث الحادي عشر في انواع
المحاكاة غير المقبولة ٢٩٦

الفصل الثاني في معرفة الشعراء ٣٠٠

البحث الاول في القدماء من
الشعراء ٣٠٠

البحث الثاني في المقلين من
الشعراء ٣١٢

البحث الثالث في المغلبيين من
الشعراء ٣١٤

الفصل الثالث في فنون الشعر ٣٢١

البحث الاول في الطبع
والمصنوع ٣٢١

البحث الثاني في اقسام الشعر ٣٢٢

البحث الثالث في صناعة المديح ٣٢٩

البحث الرابع في الافتخار ٣٤٣

البحث الخامس في الرثاء ٣٤٧

وجه

البحث الرابع في خطب الوعاظ ٢١٦

البحث الخامس في غاية الوعظ ٢٢١

البحث السادس في فوائد الوعظ
وجعل كثيرين من الخطباء في
هذا الفن ٢٢٣

البحث السابع في الخطب عند
العرب ٢٣١

القسم الثاني في علم الشعر ٢٤٠

الفصل الاول في تعريف الشعر

وانواعه وفوائده ٢٤٠

البحث الاول في تحديد الشعر ٢٤٠

البحث الثاني في صناعة الشعر وانواع
الاشعار ٢٤٣

البحث الثالث في المديح والمجوى ٢٤٧

البحث الرابع في العال المولدة
للشعر ٢٤٩

البحث الخامس في وزن الشعر
ولحنه ٢٥٣

البحث السادس في صناعة المديح
واجزائها ٢٥٨

البحث السابع في اجزاء صناعة
المديح من جهة الكمية ٢٦٦

وجه	وجه
البحث الثالث عشر في البدیة	البحث السادس في الاقتضاء
٣٨٠ والارتجال	٣٥٤ والاستعجاز
البحث الرابع عشر في اداب	البحث السابع في الثاب
٣٨٥ الشعر	البحث الثامن في الوعيد
البحث الخامس عشر في عمل الشعر	٣٦٢ والانتذار
٣٩٠ وشخذ القریحة	البحث التاسع في الهجاء
البحث السادس عشر في المقاطع	البحث العاشر في الاعتذار
٤٠١ والمطالع	البحث الحادي عشر في سيرة
البحث السابع عشر في المبتدا او	الشعر والحظوة في المدح
٤٠٤ الخروج والنهاية	البحث الثاني عشر في ما اشكل
	٣٧٦ من المدح والهجاء



اصلاح غلط وقع في بعض النسخ

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٢	٥	الجدل	الجدل
٠	١٤	الجدل	الجدل
٤	١١	كالخال	كالخال
٠	١٤	كل	كل
٥	١٣	يُثَبَّتْ	يُثَبَّتْ
٢١	٠٤	اسْتَبْهَمَ الْكَلَامَ	اسْتَبْهَمَ الْكَلَامَ
٢٦	١٩	يُقْنَعُ	يُقْنَعُ
٤٢	١١	من كتاب الدنيا	من كتاب ادب الدنيا
٤٤	١١	فان	فان
٤٨	٠٤	بن عتبة بن	بن عتبة بن
٠٠	٨٧٧٦	وهو	وهو
٥٤	١٧	جأها ودقها	جلها ودقها
٥٦	٠٨	التي	أما التي
٥٧	١٧	ألا كثرات	ألا كثرات
٥٨	٠٨	يَعْلَمُ	يَعْلَمُ
٥٩	١٤	والشرر	والشدد
٦٢	٠٧	والثقصير	والثقصير
٠٠	٠٨	وقصد	وقصد
٦٣	٠٢	والسيف	السيف
٧٠	٠٢	والطيش	والطيش
٧١	٠٥	يستودع	يستودع
٨٣	٠٣	الحروب وفي مجالسة	الحروب مجالسة
٨٦	٠٧	كثيرة	كثيرة
٩٠	٠٧	الشعب	الشعب
١٠٢	١٢	مقدمية	مقدمية

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٠٦	٠٩	من فلان الملك	من فلان الملك
١١٩	٠٥	التكرار	والتكرار
١٢٢	٠٣	الفاظك	الفاظك
١٣٤	٠٧	السكوني	السكوني
١٣٦	٠٣	من رسالة	من رسالة لابي هلال العسكري
١٣٨	٠٧	لحقه	لحقه
١٤٤	١٦	وغير ذلك مما يستعمله	وغير..... يستعمله
١٤٦	٠٤	وبالنقصان	بالنقصان
١٥٢	١٠	والجسدانية	والجسدانية
١٥٧	٠٣	والملازمة	والملازمة
٠٠٠	١٩	ويماورهم	ويماورهم
١٦٠	٠٨	طلبه	طلبه
١٦٦	٢٠	إثنا	إثنا
١٨٠	٠٤	يسر	يسر
١٨١	٠٢	ايشار	ايشار
١٨٢	١١	فالذكران	فالذكران
١٨٤	١٢	واحد	واحد
٢١١	١٤	والتهبروة	والتهبروة
٢١٢	١١	الاحسن منها	الاحسن فيها
٠٠٠	٠٠	وتعتبر	وتعتبر
٠٠٠	١٣	لقب	لقب
٠٠٠	١٤	المطلع	المطلع
٢١٤	١١	واشتقاقا الارتجال والبدعة	الارتجال والبدعة
٠٠٠	١٧	بتقفيه	بتقفيه
٢١٥	٢٠	ابا داود	ابا داود
٢١٦	٠٠	الخطابة	الخطابة
٠٠٠	٠٦	يومون	يومون

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٠٠٠	١٨	أَلْقَتْ	أَلْقَتْ
٢١٧	٠٩	لَتَشْمِ	لَتَشْمِ
٢١٨	١٥	تَلَاكَ	تَلَاكَ
٢٢١	٠٧	ضَرَبَ	ضَرَبَ
٢٢٢	١٥	دَوْدَ	دَوْدَ
٢٢٦	٠١	والقوذ	والقوذ
٢٣١	١٨	ومعانيه	ومعانيه
٢٣٣	٠٤	والذي	والذي
٢٣٦	١٥	ومن	ومن
٠٠٠	١٦	باهلة	باهلة
٢٣٨	٠٦	وذكر	وذكر بعضهم
٠٠٠	٠٠	تسامة	تسامة
٢٤٧	٠١	البحث الثاني	البحث الثالث
٢٤٩	١١	البحث الثالث	البحث الرابع
٢٥٣	٠١	البحث الرابع	البحث الخامس
٢٥٨	٠١	البحث الخامس	البحث السادس
٢٦٦	٠١	البحث السادس	البحث السابع
٢٨٣	١٤	ظاهرة	ظاهرة
٢٨٤	١٤	البحث السابع	البحث الثامن
٢٨٦	١٠	وطاهر	وطاهر
٠٠٠	١٠	المرحمة	المرحمة
٢٩٤	٠١	البحث الثامن	البحث التاسع
٢٩٥	١٣	البحث التاسع	البحث العاشر
٢٩٦	١٣	البحث العاشر	البحث الحادي عشر
٣٠٣	١٨	الضليل	الضليل
٤٢٥	١٥	في المديح والهجو	في غاية صناعة الشعر

واما ما وقع فيه من سقوط نقطة او حركة في ظهور امره غنى عن التنبيه اليه

